

مجموع

پاره‌ی

مسلان

۲

23

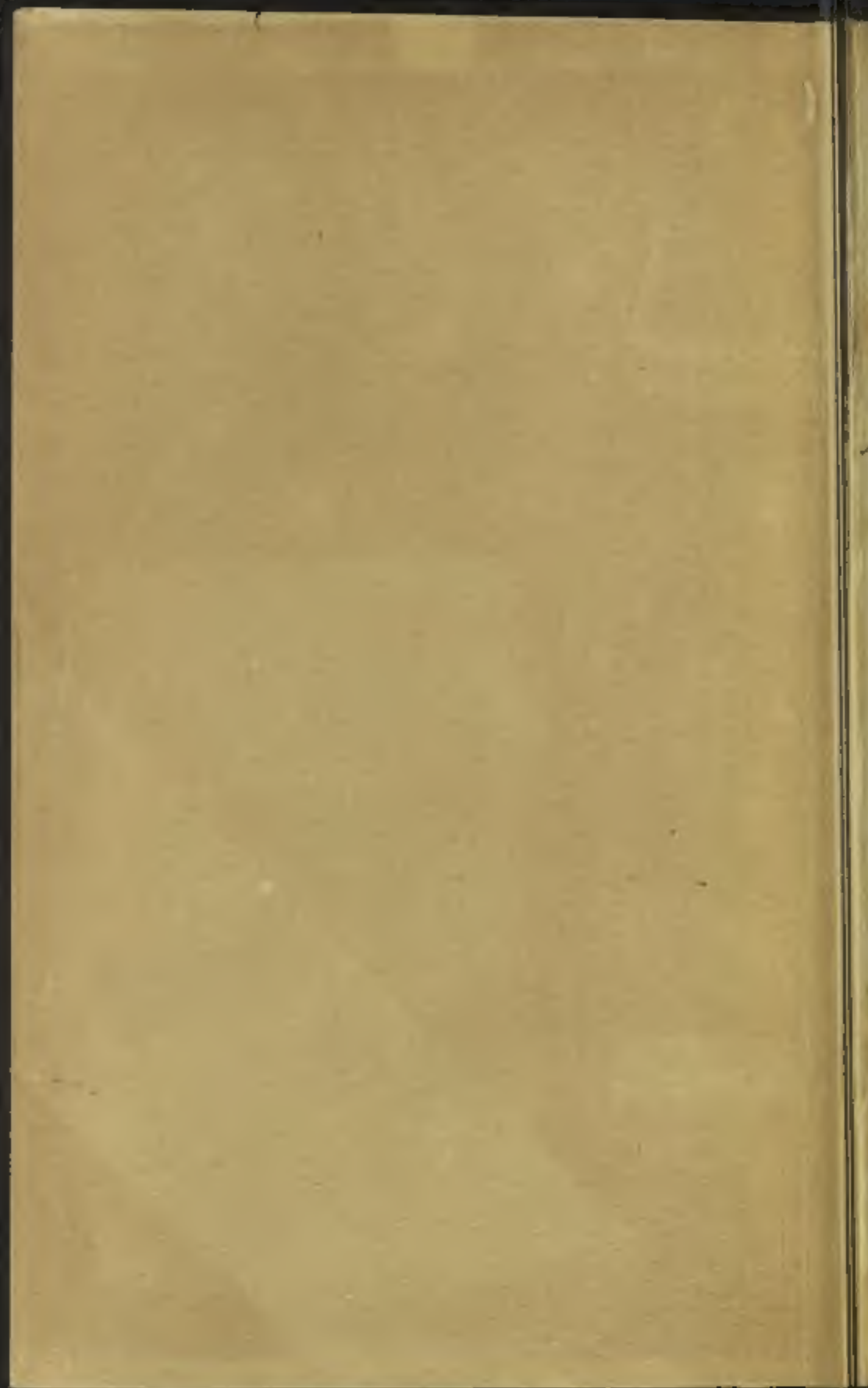
Aug

v.1

297.3:Su86ba V.2 C.2

السويح - ابراهيم بن عبد العزيز
الهدى من الضلال في الرد على

الافلال *



Cont. 2nd 1961

287.3
S. 9664
Y. 2 B. 2

بَيَانُ الْمَدَى فِي الضَّلَالَةِ

فِي الرَّدِّ عَلَى صَاحِبِ الْأَغْلَالِ

تَأَلَّفَ

الْعَلَّامَةُ الْمُحَقِّقُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أَبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْغَيْزِ السَّيُوحِ النَّجْدِيِّ

قَاضِي الْمَقَاطِمَةِ الشَّهَابِيَّةِ

الْجُزْءُ الثَّانِي

حَقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

١٣٦٩

77739

لِلْمَطْبَعَةِ السُّلَيْمَانِيَّةِ - وَمَكَانَتِهَا

٢١ شارع الفتح • بحيرة الروضة (القاهرة)



Cat. No. 1251



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

الكلام على المبحث السادس نواميس الطبيعة

عنوانه في كتابه :

(هل في سنن الله عجاياة)

(الجهل بنواميس الحياة مانع من التقدم)

(كيف يجب أن تفهم قوانين الطبيعة)

ومقصوده بهذا العنوان تقرير ما ذكره وكرره مرارا في أن التقدم كله
متوط بالأسباب المسادية فقط ، أى ليس لمشيئة الله تعالى وإرادته أثر في
الأسباب والمسببات والوسائل والنتائج البتة ، بل هذه الحوادث كلها على اختلاف
أنواعها هي نتائج تفاعل الطبيعة المستمر ، وقد تدرع بحجته العميق الى إبطال
خصائص الإيمان والتقوى والعمل الصالح بنسبة ذلك (عجاياة) ، فجعل تقضل
الله على من شاء من عباده وجزاهه على الإيمان والتقوى عجاياة وتشويشا وفوضى
واضطرابا ، ورفض جميع ما علم بالضرورة من دين الاسلام من أنه سبحانه
وتعالى يخلق ما يشاء ويختار ، ويختص برحمته من يشاء ويمزج من يشاء ويذل
من يشاء ، وأنه يدافع عن الذين آمنوا ، وأنه مع المؤمنين ومع المتقين ومع
المحسنين ، وأنه يرى من المشركين ولا يجب الظالمين ولا يجب كل محال فخور ،
والآيات في انبات هذه الأصول كثيرة معلومة بأق الكلام عليها

واعلم أن المحياة يراد بها أمور : أحدها الاختصاص الذي يختص الله به من يشاء من عباده من التوفيق والهداية والنصر والإعانة وغير ذلك ، وهذه ثابتة بالشرع والعقل والضرورة ، وإنكارها مكابرة للعقول وقبح في الأديان ، وكل أحد من الناس مضطر إلى الإقرار بها ، فإن تفاوت الناس - بل الخلوقات - في الخصائص والحاصل المتنوعة - كالقوة والضعف ، والعلم والجهل ، والعقل والبصيرة ، والبلاغة والذكاء ، والغنى والفقر ، والجمال والقبح وأمثال ذلك - أمر معلوم بالحس لا يقبل الجدل ، ولقد كان كثير من المشركين يلجأون إلى هذه الشبهة - أي إنكار الاختصاص - عند ما تخضمهم الحجج ولو بالمكابرة ، كما قال تعالى ﴿ وما قدرُوا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ وقال تعالى ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ ، وإن أطلعهم بشرًا مثلكم إنكم إذن تحاسرون ﴾ وقال تعالى ﴿ تخبرنا أنهم قالوا لرسولهم ﴾ إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ، فأتونا بسلطان مبين . قالت لهم رسالهم إن نحن إلا بشر مثلكم ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ﴾ وقال تعالى ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ وقال تعالى ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ وقال تعالى ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ فبعض المشركين كانوا ينكرون هذا الاختصاص لأنه عندهم محاباة ، بخلاف من بعدهم ورثتهم من الملاحدة والمتأفكين فسموا فضل الله تعالى بالإعانة والتأييد (محاباة) توسلا منهم إلى نبي أصل الدين ، فانه إذا اتقى هذا بطل السماء وبطلت العبادة بأنواعها ، ويكون حينئذ ولي الله كعدوه سواء ، فقد علمت أن هذا الأمر في الاختصاص الذي يسميه هو وأمثاله (محاباة) ثابت شرعاً وعقلاً وحساً ، وهناك أمر آخر قد يسميه بعضهم محاباة وهو إكرام من لا يستحق الكرامة في الحكمة الإلهية ، بل يكرمه الله مراعاة لكرامه عليه ، فهذه المحاباة - بحسب اصطلاحهم على هذه التسمية - باطلة ، فانه

سبحانه لا يكرم أحدا إلا بعمله أو بما شرعه من الأمور التي يستحق عليها
الإكرام ، فلا يكرم أبدا من يستحق العقوبة المحتومة مراعاة لكرام عليه من
خلقه كائنا من كان ، فلا يكرمه بخالفة لسنته في إهانة العاصي وإكرام المطيع ،
ولا يشفع عنده أحد إلا بأذنه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام لفاطمة رضي
الله عنها ، يا فاطمة بنت محمد ، سلبني من مالي ما شئت ، لا أملك لك من الله
شيئا ، وقال لعمه أبي طالب ، يا عم ، قل لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها
عند الله ، ومع ذلك فلم يقلها ومات على دينه . وكان خليل الرحمن إبراهيم
صلوات الله وسلامه عليه قد حرص كل الحرص على إسلام أبيه فنصحه ودعاه
إلى التوحيد بل واستغفر له ، ومع ذلك لم يغن عنه شيئا ، وقد قال تعالى ﴿ أنك
لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ فهذا المحاباة - على حسب
هذا الاصطلاح - منفية عن الله تعالى ، وليست من شرعه . وقد روى الإمام
أحمد والحاكم وصححه عن أبي بكر مرفوعا من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر
أحدا بحياة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا
عدلا حتى يدخله جهنم ، وعن ابن عباس مرفوعا ، من استعمل رجلا على
عصاية وفيهم من هو أرضى الله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ، رواه
الحاكم وصححه ، ففي هذا بيان أن المحاباة وهي إعطاء الإنسان ما لا يستحقه
كتولية من ليس فيه كفاة للولاية لا سامته ، أما إذا كان محسنا وكان كفوا
للولاية فتوليته ليست محاباة ^(١) . ومن يقول إن المسمى كالمحسن وإن الإحسان
والإساءة لا أثر لهما فقد قال بالمحاباة بالزوم ، فإن إعطاء المسمى ما ليس
يستحقه وحرمان المحسن ما هو حق له محاباة صريحة . فهذا الملحد وأضرابه هم
القائلون بمقتضى أصولهم بالمحاباة كما هو ظاهر ، وقد أكثر هذا المغرور من

(١) إذا لو كانت محاباة لانسد باب الولاية مطلقا ، فإن الناس بالنسبة إلى الخلق
والعصر سواء

التعبير بمثل هذه الألفاظ المشبهة المحملة في كثير من كلامه، ولا سيما في المضائق الخفية، وغرضه من ذلك جعلها قابلة لتأويله وتخريفه متى احتاج إلى التخلص مما يرد عليه من الألفاظ التي ظاهرها الكفر والالحاد، وهو هنا توسل ببنى المحاباة بحجة لقصد ما أشرنا إليه في الأمر الأول من التخصيص الذي ثبت بالشرع، فانه أطال في انكار تدخل العبادات أو آثارها ويحط الله ورضاه في شيء من الأسباب والنتائج أو التقدم أو التأخر كما سيأتي. قال المغرور (هل في سنن الله محاباة)، (الجهل بنواميس الحياة مانع من التقدم)

(كيف يجب أن تفهم قوانين الطبيعة)

ينشئ رجل مسلم منجراً أو مصنعا في مكان ما، ويعرض فيه أنواعا من أنواع المصنوعات، فيقتضيه سوء تفكيره وتقديره بالكساد، فيظلم يموت جزءا جزءا حتى يودع آخر ألقاسه، أو يبقى عاجزا عن الموت وعن الحياة بدون أن يحاول في الأكثر الغالب العلاج أو الخلاص، فإذا ما زرتة أو عدته قبل نهايته أو فطنت لحالته وقلت له: لماذا أنت هكذا، ولماذا خصصت بالكساد دون الآخرين، ولماذا تصير على هذا الموت البطيء المحقق، ولماذا لا تحاول الخروج من هذا المأزق، ولماذا لا تغير المكان أو النوع أو طريقة العرض. ومن المعلوم أن الأسباب الطبيعية للكساد الصناعي أو التجاري ثلاثة أمور: مكان العرض، فقد يكون اختيار المكان خطأ، ونوع المعروض، فقد يكون النوع المعروض غير مطلوب، وطريقة العرض والمعاملة وتقدير القيم والأسعار فقد تكون الطريقة سقيمة متفجرة. إذا ما وجهت هذه الأسئلة أو بعضها إلى ذلك الجاهل ببنى الحياة ونظام الكون، الجاهل بالله، قال لك وكله ثقة وإيمان بما قال: إن الرزق والنجاح ليسا بالشطارة ولا بالجدارة ولا بالبراعة ولا بالمكان ولا بالأسلوب ولا بالمعروض والعرض، إنما ذلك كله بالحسب والقضاء والقدر، والمنقضى المكتوب لك سيأتيك ولو اشتدت هربا منه،

من ولو حاولت بكل الوسائل رده وإقصاءه ، فلا معنى إذن لتعير والسديس ، ولا معنى بشفه والارتحمان ، ثم يستسلم لسته الحياة الضارمة الناطقة معمصاً عيبيه عما حوله وعن الوجود الذي يفتقونه كما ضرت للملايين قسه ، وكما استطوى الملايين بعده (١) .

يقال : قد صدر هذا المسحت بهذه الخطة المكررة المشتملة على هذا التهور والفساد الذي لا يحل على أدنى عالم ولا بد من مراء يقصد من هذه الخطة ، أهو يريد أن كل رجل من المسلمين يعمل هذا العمل ، أم يريد أن هذا قد يفعله بعضهم ، أم يريد أن يكون قد فعله كل من كان له سبيل ، ثم فرغ عليه ما شاء ، أم يريد أمراً به هو أنه كان أن تكون كل المسلمين على هذه الخطة التي ذكرها فقد حاشم بالكذب والزور ، فإن الناس يختلفون في هذه الأمور اختلافًا لا يمكن بحال من لا حول ولا قوة ، ولو فرض وجود مثل هذا في بعض أئمة من يسوع في بعض وأدب في ذكره ويجعله قاعدة عامة من عليها كل ما لابد من دفع ومعدن في القسح في الإسلام وأهله ، وإنما يقصده هذا التشيع لو أقام أمراً من ومن من عقائد المسلمين المجمع على العمل بها ما يصدق دعواه ، أما أنه نجد شيئاً أو يدرس به نفسه وعلم به في نوعه الصحيح أو في وقت آخر ثم سجد به في المسلمين وبهذه قد حاشم وعب فيهم ثم أخذ في التشيع وأزاد دعواه به ، فهذا محض وسفاهة ضاهرة .

ومن عجب كده في هذه حمة دعواه أنهم يقولون ، وأدب من المكنون لثابت في قوته ، ولو حاولت كل الوسائل رده وإقصاءه ، مع قوته وبشيء من رجل مسلم متحرراً ، إلى آخره ، فهذا هو المنهج وعب في حسب

(١) وقد عرفت أيضاً من عرف سنن الطيبة طابعاً من قوته في لا كثيرين ، واستطوى أشهر أئمة ، فاعني هذا به عمة شامة

هذه الأشياء وأسعس السع والشر . . . جتهد في تحصيل ذلك إذا كان يرى
 ذلك أو رأى ويقول ذلك . . . من المقصود من احتجاج بعض الناس بالقدر
 على الوجه المعروف أن هؤلاء النفس الناهية وهم وأخسرات بعد بدل الجهد
 . . . من "سيف سعة وعد . . . قال يرى مقدرة قضاء وقد . . . فلا يمان ما مود
 بعض السب . . . كل مفسر لما حقق له . . . فإدفعه فيحصل السجدة على الوجه
 اصطلاح من عند الله تعالى كما هو تعالى . . . الله يدعوا من لم يسأله ويقدر
 من أنكر أن يكون الآخرة في عيشته الله وقدره . . . فقد صادم المصوح
 ثم علة مضاعفة طهره . . . وحصل أن في المواد الطبيعية وبوامسها . . . قال
 تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) ونعم مسفرها ومسودعها
 كل في كتاب مبین . . . لما قدر الله تعالى للإنسان من الرزق فإنه سألته، لكنه
 سبحانه يدفعه إلى أسبابه ويهيئ له طرقه ويهيئ ذلك في قلبه ويهيئ طريقه
 عليه فلا يجعله يهرب منه ويحاول رده . . . بل يدفعه بضيقه وعرض عنه وهو تعالى
 يدل عنه . . . ثم دعواه بأنه يستسلم لسه الحياة تضارمة البصيرة معصية عليه إلى
 آخره هل يريد أن يصادم هذه السنة وهو يدعى أن من عارض هذه السنة
 هلك ولا يحل له ومن سار معها فلا اصطدام بال ما ينبغي . . . فقد ناقض منه أم
 يريد أن ينادي كس هذه السنة ويعالها ويجعلها على هواه . . . فهذا غير ممكن . . . من
 هو الذي قدر على ذلك من جميع الخلق

فصل

ثم قال . . . ومن انظر أتع المحرقة في هذا الموضوع أني عاملت مرة إنسانا من
 هؤلاء . . . هو حدث معاملته للناس شاذة فاسية . . . فعلت له : كَأَنَّكَ لست حريصا
 على أن يعاملوك . . . وكأَنَّكَ لا تريد النجاح ولا الثور . . . فإن هذه المعاملة مع
 بعيد الدين ذاقوها . . . أوها وشهدوها عليك . . . فتعجب من قولي ورآه حذ
 باطل . . . بل آتى بهذا قد كفرت أو كدت . . . لأنني اعتقدت أن الأرق والنجاح

بالأسباب والمعاملات لا بالآقدار ولا قصه ، وأحد يسرد عن رويان
ووصولا ، عم أنه فعلها بالناس ، وذكر لي في ذكر أنه مرد صرب إيسا ، كبيرا
جدا عامه وطرده من حانوته وسه فبيع لسب ووجه اله ضرور الإهانات
على مسمع من الجماهير وعلى قارعة الطريق ثم قال لي ما تظن أن هذا الانسان
الكبير قد صنع بعد هذا الموان المرر فلت تخبه ذهب ثم رجع قال به
بعد هذه الحادثة بثلاثة أيام جاء إلى مكتب محقق طائفة العنصر ، وبين
كانه المجرم الآثم وكأني استوره استور ثم أذن معقبا أرأيت أن الإرق
ليس بالمعاملة أولا بالحسنى ولا بالأسباب ، ما نشوء مما ندعى ونعكي فعمري
بجهله العميم ، وأخشي بسحقه ، فتمطف عنه حدث وحدث من عنده
مفكر آفي عاقبة الجهل والصلال ، ومنعقد من استعداد الاسان لأن يكون
أضل من الانعام .

والجواب أن يقال ذكره لهذه الحادثة أتحف بما ذكره في احمة سادقة ،
فانه لا يحلو من أحد أمرين ، إما أن يكون هذا الانسان الذي حاوره عالما أو
يكون جاهلا ، فال كان عند ثمانى معه من ثم يتم البحث معه ويسبى لمناظرة
حتى يعرف ظهور الحق إما له وإما عليه ، وذكر حجته وإجابه ، فال مقاطعه
الحديث وحروجه من عنده قبل انتهاء آخر الحجة دليل واضح على طيبته
وحقيقه ، وأنه يريد من الناس كلهم أن يتأمروه ولو خالف الحق والواقع ، وهذا
الرجل إنما تكلم بشيء قد عرفه من نفسه فوقع له وشاهده ومدرسه وباشره ،
فكان من الواجب على هذا المعروف أن يطلب منه الدليل على ما أحبر به إن
كان شاكا في صدقه أو يتحقق ذلك ، وإما أن يجيب على كلامه بكلام صحيح
معقول ويكن البحث ، وهو لم يفعل شيئا من هذا على مقتضى كلامه ، بل
اشتأز ونفر كما تفر الحر المستغرة وأحدته المرأة بالآثم ، لما أسند هذا الرجل
رذقه إلى ربه قاطعه الحديث وحرج غير مكترث بالدين والعقل والآدب ،
وهذا عايه الجهل والحق والصلال والاستعداد لأن يكون أضل من الانعام ،

والكل ذلك ارجح المحض جدها هو احدى حجة على محاوراة الجهاد
أولا، ثم ما الذي صوغ له أن يذكر محاورته في أعلانه وبجعلها قاعدة بحث
مستقل ثم يجمع بها على المسألة ثم يأخذ في التفتيش عليهم، فهذا هو غاية ما
قد عساه في شؤبه سنده الاسلام في بعض أعيان المسألة في القصة والتقرير في
معانته بجمع وبشرائه فسجل من أحده

ثم قوله: بين رأيي وبينكم كبريت، بل ان كان رأيي هذا هو كبريت
فقد أصاب، فإنه لا يشك من أن من حمل على الأراق يستغني الله
وارادته وإنما هي بالاطمئنان وفكره لا بالقطر، فهو كافر حاسر عن حظيره
الاسلام من أن في المسألة من أعين به عساه ومكسبه من أسرارها،
وهو صواب الكبريت من أن هو صواب وبها عساه شدة وأراد، وأما
الكبريت من أن من حمل وعبره، فليس حاسر بإرادة الله عساه مستغن
بالطمان من أن عساه أو وصل من أن قطعه وهو أرجح من أن ذكره بل
صديق في دعوه من أرجح من أن أولاً أنه من ما أمكنه وبه تمسح من
به تشبه من سره وتعهده، فما كذبته وجحد ما لم يحط به عن وحصر
أرجح في الاستدلال من ملق فسام الله وقدره بها علم أنه رديق ملحد خبيث
الطوية ولا عساه من كبريت، المسلمون يحكمون على أنه ما شاء الله كان وما
لم يسأل الكبريت، فما شاء من رديق ولا أن يكون، وما لم يشأ فلن يكون أبدا

ومن حيث أنه ذكر محاورته بها الانسان، وقد عجز غاية العجز عن الرد
عساه، وربما أحسن في ذلك واستدلاله بنقطه، ومعلوم أن هذا ليس بحجة،
وهو الذي ذكره هذا الاستدلال من المحال، فان غاية ما انتقده فيه أنه
عالم به معصية سنده ثم جمع بين رأيي وأمره "به واعتدله منه" وهذا يقع
كثيرا فليس مستغني من هذا المعروف وهو قد وقع منه ما هو أشنع من
هذا، فما قد كان أولا منه ومن كثير من معصية خبيثه وعناد القصور عداوة

ومشاحات وساب وانهم كثير . وبينه وبين المسلمين ائتلاف وصداقة حسبا
يطهر به . ثم بعد هذا كله نكف عن وجهه وعمل مع أعدائه الذين عاملوه
شنعاء مملات عباسية ما و نموذ وشكوا كثيرا من أموالهم فيه لم يحصلوا
عنه . وقد أقر في كتبه المماثلة (١) أن هؤلاء المستعمرين قد أرحقوا العرب
وطبرهم واستعمرهم وسد بهم كل ممر وأضل في دمهم . ثم رجع عن هذا
كله وأتى عليهم في هذه الأغلل ولاسيما في المحدث العشر . وقد لحن كثيرا
في كل أعدائه المبرورين الذين رجعهم في ذلك بالهفة والإحادة وسقط تحت
قدمهم . كما قال في هذه الأغلل المبرورين رجعهم في الأوقات
التي كان فيها لا يرفع السب وانهم وانهم . ذلك فكيف يستغرب
هـ . وهو قد وقع في هذا السب شنعاء مع أن هذه هي بجية كل لئيم
وهو أكثر من أن يسمي . قال النظم لا يسمي من صبيح إليه إحصاء وأن
صاحب ديوان من عاصم قد شاهدنا بها شاهد غير
كثير من حد قد سمعنا مع من حسن البهم أعمالا شنيعة فظيعة ، وعملوا مع
من أساء إليهم أعمالا طيبة حسنة ، ولو لم يرد ما اطلعنا عليه من ذلك
وشهد به وذكره غير من هذه القصة كتاب ، قال هو أمر معروف ،
وحديث أن بعد أن هذا رب العظيم الكبرياء روي أن جيم بن أبي نضير على
كل طائفة حرة ووجهه ونعمه يسوعة قد كفر به وعاداه . كثر الشك ،
وله المنة كثيرا ، وعدو الشيعين الذي هو أعدى عدو لهم ، وقد قال
تعالى وما وجدوا كثيرا من عباده وحسن أكثرهم لمسيقين . وأما
نعمي ودريه ويا من دوى وهم لكم عدو
ومن عجب أمر هذا المذموم أنه ذكر في هذا المبحث نفسه حكاية شنيعة
مصححة . وهي تمثل معارضة لهذا الأس في هذه الخمسة التي ذكرها من

(١) النظر مقدمة الجزء الثاني من (الصراع)

أصب فقام ص ٢٠٨ وقد كنت أعرف شعركا من ناحية لعمري في عمره
 الخاضع ، ومن ناحية أخرى بالأكاديمية وقد كنت مرة لعمري في
 وهكذا هو في كل ناحية من بواجه وحب من حبه ، ولكن كانت في كل
 فيه قوة تحبه لا تستطيع - أو لا يمكن - استطاع أن يحجز منها ومفات من
 عمدها ونقته راس من باخلوس من يديه ، به تصرف من حوله من
 البشر كهم انقص - أو كهم محلو فاب حقيقه هو وساعهم في القلب
 الذي يريد ، وفي المعنى الذي سمع منه بلا غير كما يريد ، به فرص عليهم
 أن يك ، أو من يديه كالأهوات من أبيه العبد لا يحجز منهم عقصو حتى
 يحركهم هو وحتى يريد منهم هو ، وفرص عليهم أن يحشوا في حصرته خشوع
 الصالحين العابد من صوته أو دنة المشر كين أمام أبنائهم ، وأزمتهم أن
 يسجل منهم وبين الله في أقرب موقف يقفونه به تعالى ، أو مهم أن يصعوا
 حاله وصورته منهم وبين الله وبين النفس حين الصلاة ، وفرص عليهم أكثر
 مما فرص الله على عباده ، ثم كتب لهم هذه العروص في كتاب من كتبه التي
 رورتها يداه ^(١) ثم أمرهم أن تعلموا هذه لهم نفس وأن يسدروها حفظا
 من أحسن أن تعلموا بها أيها كانوا ^(٢) وقد امتنوا هذا كله ^(٣) ثم قالوا هل من
 مزيد من هذه العبادات والفروض ، فأسر هذه القوة في هذا الخوف ، إنها
 أمرار عديده وإن أفواها أو من أفواها ما في نظرائه وعييه من بحر خبيث ،
 انتهى

-
- (١) ليس هو ناشئ من أغلاك هذه ، ولا منه من الناس ناشئ من طلبك
 لتصلك منهم
- (٢) وهكذا صنعت أمي . فادعيت أنه لا يستغنى عن أغلاك مسلم
- (٣) لمن هذا هو الذي جرتك على هذا العبد الشيع . - صنعت أن الناس
 سيكونون معك مثل أولئك مع أستاذهم

والله عليك أيها المصنف ، وإن من ما ادعاه هذا المعرور هنا في هذا الشئح وبين ما تقدمه على ذلك الرجل الذي حاوره فيما فعل ترى العجب من التناقض . ولو أن قائلنا قال له لعن هذا الرجل بسى حاورته فيه سرّاً دقيق من هذه الأسرار العديدة التي ادعيتها في هذا الشئح إما في نظرائه أو عيبيه وأنها فيه بكل حال لا تفيده أحد . وهذا شأن هذا المسكين يأتي إلى أشياء واضحة معقوبة فيكرها ولا يقبل فيها شيء ، وإن كان أمور مسخرة فيتعلمها ويوجب على الناس تصديقها ويقبونها وحدها . فمنها : كره من الاعتقاد على ذلك الإنسان اعتقاد ساطع سقوطاً بـ

وقوله : «عمرى بحبله لعمري» وأحمى سبحانه . فتطعت عنه الحديث وحررت من عنده معكراً في غايته الخجل والخلل . فقال : «عنت هذا وقولك دليل على نقص عقيدتك وسوء أدبك . من حقائق الحجة وأحرث بالدليل ، فإنه أحبرك شئ» . وقع شاهدته وناشره نفسه فذكرت عنه وكنته بحمد ذكره لم يوافق . أليك ، وسببه إلى ما انصرفت به من الخجل والخلل ، وبوسع لكل من تقوم عليه الحجة أن يقول في جوابه فلا عمد في تحسبه لعميم لكل من الدهن لكل من تقدم عليه الحجة أن يقول ذلك ويكون جواباً قافياً في ردّها . فكيف ينتجر هذا المعرور بهذا نقص الذي هو نقص فيه وحجة عليه . قال بعض الأدباء في وصف المعرور : «هو الذي لا يرى إلا ما يراه ، ولا يعترف إلا بما يعتقد» . وبطل أن ادباً كما تصفه وتعجب به ونظريه وهكذا كانت (الشمس التي في غير بروجها)

فصل

ثم قال : «ولست هذه الحكاية فريدة في هذا الموضوع ، بل سمعت وسمعت القراء أمثا والأدباء من أمثاها يقولون كما يقول هذا الرجل ، ويرون كما يرى ، ويفكرون فيما فكر ، ويعاملون معاملته ،

فيقال أولا قد بينا أنك ادعيت من حسب عما هو أشنع منها فيما ذكرته
عن ذلك الشيخ الذي يعمل أصحابه باللاهية وهم يعبدونه مع ذلك ، فإن كان
في كلام هذا الرجل وعمله بعد أو استحالة فقد ادعيت ما هو أبعد في العقس
منه ، وإن لم يكن بعيدا بطل اعتراضك

وقال ثانيا أن عيت أن لقراء سمعوا أمثال هذه الحكاية أي طعنه في
كل شيء فكذب وهدت ، فلم يسمع من واحد من الناس من يعتد بقوله فضلا
عن المثبات أو الأدل ، وأنت لم تنقل إلا عن واحد فقط مع أنك أكذب
من سجاح (١) ، فهو أن لقراء سمعوا مثب أي طعنه لذكره وشروء ، وإن
عدت أن أساس أو لقر ، يسمعون مثب فيما يتعقد ، انقضاء والقدر خاصة أي
يدعون ، ويرون أن الرق ينصف الله وقدره ومشيئته وعلمه ، وأنه هو مسبب
الأسباب وموصي نتائج ، وأن الأسباب غير مستقلة عنه تعالى بالرق ، فهذا
صحیح وهو اعتقاد المسلمين ، ولكن أنت خالفت هذا التصحيح وذهبت إلى
الأول ، لأنك اسقذت عليه لم تذكر انقضاء وقدر ، مع أنك قد رأيت قد فعل
السبب حيث جلب نصاعته وعرضها واسمعت سبع والقراء وهم يعضدك في
مسجده أو يحسن في شبه ينظر الرق ، ولا شك أن القراء من المسلمين
يكرهون استقلال الأسباب من دون الله بالذراقي وغيرها

وأما قولك هذا رأي جدهم بالحجة وهذا علمه ، يقال من هذا رأي الرجل
العاق العالم بالحياة ، لأنه من السبب واعتقد أن الرق بيد الله يؤنيه من يشاء ،
وأنه تعالى يرقى عنده ، الأسباب ، فإنه اشترى تصاعده وعرضها في ذلك من بعض
السبب واعتمد على الله في إبطال نتيجته ، وهذا هو مقتضى الشرع والعقل .
وأما هذا المعروف فإنه اعتقد اعتقاد الأضواء الجهلاء الذين يرون أن الأسباب

(١) سجاح اسم امرأة مسيحية التي ادعت النبوة معه

هي التي تفعل بذاتها بدون قوة عبيده تدبرها وتسيطر عبيد ، ولهذا . هم
يعتمدون على الأسباب المادية اعتقادا كليا خُهلهم بقدرة الله تعالى وعلمه وحكمه
ثم قال ، وأما الرحمن الآخر الذي عرف من الحياة فانه اد ما نشأ
مصنعا أو متحررا أو قام ببعض من الأعمال فلم يجر أمره على ما يريد ويؤمل
فانه يعلم كيف يتلاقى أمره ، وكيف يتلاقى الخطر قبل وقوعه ، ولا يمكن أن
يستسلم للسم ، وانصباغ قاتلا ان المسنة ما تله حصه وفصه ، وقد ، ثم لا يست
أن يخرج منتصرا ، وأن ينجو مما طه حضرا ميده ،

فبق ، هذا كلام مح غير علم بهذا الاطلاق ، فان أردت أن هذا
الرحمن الآخر وهو الذي يكفر بالقضاء ، قدر ومعه على نفسه كما هو طاهر
كلامك ومفصيص أصحك . لا بد أن ينتصر وأن ينجو فهذا كذب ظاهر مخالف
لما علم بالحس والواقع ، فان كثيرا من الناس يعتقدون ومعهم من الله
وامرهم هذه الأمور . ما لم يعرفه كثير من جحوا ومع هذا فلم يحصلوا على ما
ذكرته ، ومن هؤلاء الذين سقطوا في هذه حروب وعمرها ، فصوروا في معرفة
هذه الأمور . من هم أعرف الناس بالأمور الماضية والحسنة ، وقد علم
أيضا ، كثيرا من الناس يعرفون ضيق الحياة وقد أفسدوا سبيلهم في طلبها
وما مالوا كثيرا ما له من هم دونه في معرفته . وإن أردت أن أوضح على
الانسان أن يفعل الأسباب التي يقرب من الخطر ويسمع لوسائله ، روح
سلعته أو غيرها مع اعتقاده أنه لا حيلة له في الله تعالى وقضاه وأن يرى
بيد الله ولكن الله أمره أن يطلب الرقي بالأسباب التي شرعها ، فهذا هو
اعتقاد المسلمين فلا حاجة الى تشجيع عليهم في أمر يروونه ويعتقدونه ويعملون
به . ولكن ليس هذا هو مرادك . ولذا ينبغي أن هذا هو محققهم أنهم
يعملون ما فيهم من احب والذهب ، مقبض أساليبهم على كل الوجوه التي
يرونها بصفة ، فهذه الاعلانات بكثرة في آخر تد والمجلات والأسواق

والدعابات الواسعة كلها يدل أعظم دلالة على أنهم مختدون عتبة الاجتهاد في
تخصيص الشريعة وغيرها ، ولكنهم يحفظون في ذلك كما يحفظون في أفكارهم
وقواهم وعيولهم وصورهم وغيرها فلا يمكن أن يكون لسان أمه واحدة
مساوي في كل شيء من الأسماء ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا
ير الويل لخمسين لسان من رحم ربك ولسان خمسين ، فلا بد من وجود
الاحلاف الذي هو من سائر الله الكونية في حقيقته

ثم قال : وما انصرفنا بهذا من تحييد وفكر ، وما يمكن أن يكون هاية
الرجل من تصرفات سماه لاد من عينا كثيرا أن نفهم لماذا كان الرجل
الاول يتصرفا متحررا من تصرفات في كل أمر يعاطاه ، ولماذا كان الرجل
الآخر عبيدا ، كثيرا في كل شيء من سائر الله

فصل كل هذا معنى على نصيب العبد ، وهو أن الانسان بطبعه
واسعدائه في امكانه أن يعصب على كل شيء فيكون باحرا ما هو في اسجارية ،
وعند تقديره انسانية ، وفي مكانه أن لا تحسر ولا يفتقر أبدا ، من في مكانه
أن يكون سلطانا وأن يقضى على كل شقاء ونؤس ، فليس لمشيئة الله تعالى
تدخل في أمره في رفع وخفض ، إحاطة وحفظ ، ولا غير ذلك وقد مر
فساد هذا الأصل وأنه باطل ، وكل هذه الأصول الآتية في إبطاله ، لانه دائر
على تركا تصرف الله في حقيقته ، وأن الأساس لطبيعته مستقلة بتدبير أمر
الكون ، وهذا هو اعتقاد الاتحاد المحض

فصل

ثم قال

ديمطي ويمسح لا عقلا ولا سمها لكنها حطرات من وساومه
وقال آخر في آخر :

ما زال يعيث بالملكام حاهدا حتى ظننا أنه مخنون

يريد قائل هذا الشعر أن ذلك الإنسان الذي عناء شعره يتصرف فيما يملك تصرفا ليس دائما يقنن ولا قائما على حكمة ولا على استحقاق ، يعطى من يعطى ويمنع من يمنح ويعز من عز ويدن من يدن ويكرم من يكرم ويهين من يهين ، يفعل ذلك لا من أجل أحدا من هؤلاء حتى يصنع ، ولا لأنه أتى من الأسماء أو لأسباب ما يسحق عليه ما ناله ، ولكن لأن مشيئته العليا المطلقة رأت أن يفعل ذلك ، ولأن إرادته المحررة من كل عقن ونظام أحب أن تصنع ما صنعت ، ولأنه قادر ، وماذا يمنع "العار" من أن تصرف مثل هذا التصرف الذي قبل فيه حتى ظن أنه مخنون . وقبل لاهما خطرات من مساوئه . وهؤلاء الخهلون بالله وتحكته يرون في أعماله وفي تصرفه في خلقته مثل رأى هؤلاء الصغراء من عبوات شمرم . ويرون أنه تعالى لم يصنع نظاما دقيقا لا يفرار منه شيء كل جراءة عن مفسده . وبأحسن كل على حسب ما يعطى ، ويحصد كل السال ما دروع . ويصح كل إيراد من وفهم ، ويسقط إذا هو لم يفهم ذلك ، ويرون أن هذا العلم في يد الله كلعنة في يد صبي يقذف بها داب إيهين وباب الشمال بلا تفكير ولا تدبير .

والجواب أن نقول . أنت من أحبب هؤلاء الخهلين بالله وتحكته الذين يرون هذا الرأى المفقوت ، فأنك أسدت تدبير العالم إلى نواويس الطبيعة . وصرحت تصرفا لا مربية فيه . أن هذه الموصوفات بالكانات الحية ليست إلا نسل المادة الجامدة ، وأن "نواويس" هي التي تحكم هذه الكائنات الحية وهي موروثه من أصلها الذي هو المادة . وهذا غاية التصريح في أنك جعلت تدبير هذه الكائنات الحية منوط بنواويس الطبيعة أى تعاضلها ، فكان هذا العالم مقتضى صريح كلامك موكولا إلى الطبيعة ونواويسها ، ومعلوم أن الطبيعة ليس لها عقن ولا علم ولا حكمة . بل تعطى وتمنع لا عقلا ولا مفسها .

بل بمجرد المصادفات ، كالحطرات التي توسوس في صدر من لا عقل له ، فهذا
الكون العظيم عندك كالكرة في يد أسعفه الذي يذف بها دات النين ودات
الشمال بصريح كلامك ، لأن الصي كالطبيعة إن لم يكن أحسن حالا منها ، لأنه
لا عقل له ولا رأى ولا علم ولا عكبر ، وهكذا الطبيعة بهذه الصفة ، وكل
من الصي والطبيعة يجري فعله بحسب المصادفة والدوافع الاضطرابية لا
الاحتيارية ، فكأن الصي لا يفرق بين المحسن والمسيء والمفيد والمضار
والمتقن والمجهر وكذلك الطبيعة لا تفرق بين هؤلاء وأولئك يفرق العدل الحكيم
العليم الرحيم اللطيف الخبير ، وهذا التفرق إنما يعتقده من يشاء من بالله تصدت
كأنه وموت جلاله ، لا من كفر بالله وفقدته وفتنته ومشيئته العامة ورحمته
فاعتقد أن العالم متروك فوضى ومحكوم بامور صي ، وكأن المحسن لا يفرق
بين من بطيعه ومن يعصيه والموافق والمخالف ، ولا يحب ولا يبغض ولا يستقم
ولا يثيب على ذلك من أمور كلب تجري على حسب لمصادفات وحسب
الدوافع الاضطرابية هكذا لطبيعة وأساها ، فكل ملحد أو رديق فانه
معتقد الفوضى في العالم والكون . وأما من اعتقد أنه يجري بمشيئة الله العليم
الحكيم الموفق الرحيم ، ما تستقل من ورقة إلا هو يعلمها ولا حجة في ظلمات
الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، وكل عامس يحساري بقدر
عمله ليحري الدين أساءوا عما عملوا ويحري الدين أحسنوا بالحسنى ، فلا
يحمل الدين أمنوا وعموا المصالحات كالمستدين في الأص ، ولا يجعل المتقين
كالمجرا ائدا . فلا بد أن يعتقد أن العالم محكوم بأعظم نظام وأكمله وأحسنه
وأفضله . فهذا المعروف لم تطب نفسه بالحكم الإلهي ولا بالنظام الإلهي ، بل
كرهه ومنته وحسه فوصى وسعها ، فحس من دعا الله وعبيده لم يحسن له إلا
الحية والنثر والنع والصب ، وحمل من اتع أفكاره هو وآراءه فلا بد أن
ينص وأن يتقدم ، ومن حائفه فلا بد أن يهوى ، فحس أفكاره هي النظام
الموصل الى النتيجة ، وأما شرع الله ونظامه فبدل حده واستحسن فكره ومكره

في إزالته ونشوبه ورفسه ومحرته ، وهذا عين المحاذاة وامشاقه بظاهره لله تعالى ولآدبائه والذاتين بها من جميع العالمين

ثم قال : فعندهم أن الإنسان قد يتوفى كل شئ ووصحى أو شروط الصحة اللازمة لأن يكون إنسانا محترما ناهيا في الحياة ، ثم لا يدرك شيئا منها ، بل عندهم ما هو أفح مما ذكر . وذلك أنهم يرون أن المعدد لعاجر قد يبيع كل ما يؤمله من الثور والنجاح ، بينما يهوى الجاد الحارم .

فيقال قف ، هكذا الأمر عندك (على مصف نحي رافض) . فالك صرحت باعتقاد هذا الأمر لدى أسكره جمعت بعض من أسبب الفقر ، والجهل من أسباب الرئاسة . بل ذكرت أن الإنسان كلما راد في الجهل والكفر ازداد في النعم والمعطى واحاء ، والعكس بالعكس ، وذكرت أن هذا أمر وقع لا ريب فيه ، من ذلك ما ذكرته في قصيدتك الركبة التي أولها :

لو أنصفوا كنت المظم في الأمر ولم يظنوا عيرى لدى الحادث النكر
فقلت فيها :

ورغى في الجهل أن رأينا يسود لديه كل من لم يكن يدري
نواب دهر تترك الحر حازرا وليس بمظلوم لديه سوى الحر

فقد استندت هذا الأمر إلى نوب الدهر وجعته ، لا تنظم سوى الحر ، وصادمت حديث ولا تسوا الدهر فان الله هو الدهر ، من الله هو الذي يصرفه وهو الذي يصرف الليل والنهار وما فيها . ثم قلت :

يرى الجهل المأفون فيه مع له عليك المسعود يجرى بما يجرى
له الناس وأيديا جميعا حوادم فهذا له عد وهذا به مطرى

فالناس كلهم حوادم للجهل المأفون ، بل وكذالك الذي تحدم من يكون بهذه الصفة كما هو صريح كلامك . ثم قلت :

يراد نعيما كلما راد جوره ويكبر شأنا كلما راد من كبر
أطاعت له الأيام حتى لو أنه تثنى طنوع الشمس ما طلعت تجري

هكذا يكون الخاضع المأمور عندك يزداد في العيم ويكبر في الشأن كلما
راد في الكفر ، وأهلك ما كبرت وازددت في الكفر إلا يكبر شأنك
وردد نعيما ويحدث الناس والديا جميعا وتطبع الأيام ، من الشمس لا تطلع
لو معها هـ انتهى يرد في الكفر والخب ، هـ لا تطلع أبدا ويكون الليل
سرمدا إلى يوم القيمة . ولكن قد تنوب عنها الشمس التي في غير برجها والدر
انتهى في ليل البحر منعه ، صيته أن تمكن ذلك ، ثم قد

من شئت أن تنجى ، لا مرأس . وحسب كثير إذا حلال ودأب
وهذا صريح في أن حبس من أعينهم الأسب ليل رأسه والسر ، وأن
انعم العكس والإلام يكن ثم طريف إلى أن قد .

إذا ما أتت أسمر حتى يقرب إلى سح فما للحر حتى لدى الدهر
وان قدت سالمى عن الجور قد إلى عطف قد سلمت مد كنت من حر
وهذا كادى فله صريح في سب الدهر ، ثم قد

وان قدت سالمى عن الجور ولعى يقبل إلى سكران الفصاش والحجر
تشك إلى ما منه أشكو وممع ان طاملى كيف الخلاص من الأمر (١)
إذا ما نظرت الناس وأى بينهم تيقب أن العقل صر من لفر

والعقل صر من لفر ، فيجب أن ينفر منه ويغادى كما يغادى الفقر لأنه
ضرب منه ، ويتصاع الأسا ان الخيون والجهل هما من أسباب

(١) ما من هذا الب الخب ، وحبس من هذه حالته مع الله أن تكون هذه
عاقبته هذا مع أنه قال في معرض هذه القصيدة .

بلغت معنى ما يرم من السعي فما صرى بعد الصوارم والسر
فلم إذن هذا التشكى

العى . وهذه الايات صريحة جدا في انه يرى ان الانسان قد يستوفى كل شروط العى أو الشروط اللازمة لان يكون انسانا محمدا صالحا ولكن لا ينشأ إلا عكس ما افترضته هذه الشروط . وأن الحدّ احدهم الحر يهوى بحده وحرمة . وان اُخاهل ولا سيما اذا كان كافرا . فانه يدل العى وحرمة المباداة . وهذه حقيقة نفوض . من افوضى أحسن . فان لم يكن هذا . رأى لدى رآه فوضى ودعا به صريحة الى افوضى فلا بد من ما هو فوضى وفسادة الى الفوضى . ولا سيما وهو من أسند ذلك الى الدهر . وبالله وهو يعلم أن الله نهى عن سب الدهر لأن الدهر لا فعل له . والله تعالى يعنى به لا يصرف فيه ويقلبه وهو الله تعالى الذى يقلب الليل والنهار . انه يدعى أنه يحامى عن الدين ويدافع عنه ويدعو الى أخلاقه . فذكره هنا من تشبهه رأى المسلمين من كونهم يرون أن الجد الحرام يهوى وأن الذى يقضى الأساس الموصلة الى النجاح لا ينجح كذب على هذا الاطلاق . وأما هو . آية وعقيدته . وهذا شأنه يحمل كل ما فيه وفي إخوانه من الملاحدة من حصة فيجة على المسلمين . ويصف نفسه بخص من الملاحدة الموجوده فيهم

ولا يصح اعتداله بأن المقصود به المسألة أو نحو ذلك . فان مثل هذه الإطلاقات في سب الدهر والتسخط والمخاربه محرم شرعا . ثم هو قد ناقض المسلمين وشنع عليهم بأيات الرمحى وابن أن الحديد والرارى والامدى واس رريق وكعب بن زهير . مع أنه ليس في أيانهم شيء ينكر . وقد نبى عليها أموراً عظيمة ألزم المسلمين بها مع بعد دلالها عما ادعاه . من قد ناقضهم بقول ابن هانئ الاندلسى والبحترى مع عنه أنهم لا يجرون مثل ذلك الاقاول التى نقلها عنهم . ثم ان هذه الايات التى ادعاها هى متضمنة لما ورد في أغلاله . فان الجمع يدور على أن مناط التعمد والتأخر إنما هو نواويس الطبيعة حيث قرر فيما يأتي أن نواويس الطبيعة هى التى تحكم العالم . ومعلوم أن ليست بأكثر من المصادقات لقسريه الاضطرابية . وهذا هو عين الفوضى . فان كل فعل

يصد عن غير عدل حكم محر ولا بد أن يكون مشتملا على فوضى وفساد ،
وحركات الطبيعة لها هي كذلك

فصل

قوله وقد رجع هؤلاء جميعا توالت انتصارات ألمانيا في مدة هذه
الحرب أن هذه الانتصارات بما حصلت لأن الله يريد أن يهرم أعداء ألمانيا ،
لأن لها من الأسلحة والخيوم دخطط هجوم ما ليس عند أعدائها . ثم لما
أن بعد مجرى الحرب وأجبت الهزائم الألمانية سلاحي ثم هزمت في الخاتمة
الهزيمة التي رجعوا رجعوا أن المسألة أوجه إلى مجرى القضاء والقدر
ومشتملة الإلزام لا إلى تحرير الأساليب واحداها ، وقد أثبت في هذا الخطب
والمحاصرات وكنت المقالات ، وهكذا يحكمون في كل قضية .

والجواب أن يقال . وهذا أيضا لما سل على أنه لا يري لشبهه الله سبحانه
سحلا في مدبر هذه ، ولا في النصر والهزيمة ، من كل ذلك منوط عنده
أسباب لمسية فقط ، وهذا ينكر غاية الإنكار عن هؤلاء الذين اعترفوا
أنهم قد تدخل في هزيمة ألمانيا وانتصارها ، فكأن الأصنام لا تدخل
في هذه الهزائم ولا هذه الانتصارات فكذلك الرب العظيم تعالى وتقدس
لا تدخل له في ذلك على ربه . وهذه هي قاعدته في كل أعلاه . ومعلوم أن
المسيحيين الذين تكلموا في هذه الانتصارات وألقوا الخطب والمحاضرات ليس
فيهم من يقول أن وجود هذه الأسباب وعدمها سواء ، ولم يقولوا أنها هزمت
من غير أسباب . ولا يوجد عنهم في ذلك كله واحدة . وقد بينا أن مذهب
حماة المذللين أن الله سبحانه يجعل الانتصارات في النصر والهزيمة ، فهو يهزم
بها وينصر بها ، فإن شاء أعفها بأن أدخل عليها أسلحة أقوى منها تعارضها ،
أو أضعف مداتها ، وإن شاء قوتها كما قد تعالى برقاتهم بعدتهم الله بأيديكم
ويجزم وينصركم عنهم . وقال تعالى : ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو

فنعصمكم ببعضكم فأخبر سبحانه أنه يعصم هؤلاء هؤلاء ، فهو سبحانه أمر
بفعل الأسباب ، وأمر بأن يدعى ويستعين به ، لأن الأسباب مفعولة له
خاصة لإرادته فلا تستغن متصرف ولا هزيمة ، وهو سبحانه ينصر بها ويخذل
بها ، وكون ما ياتى انتصرت أو لا ثم هزمت أحرا ليس فيه كثير أمر فأكثر
الحروب هكذا ، وليس هذا خاص بهذه الحرب وحدها حتى نعصم ذلك يرهاها
على استقلال الأسباب بالتدبير . وقد ذكر تعالى في وقعة أحد النصر أولا
والهزيمة أخيرا ، وقد استند ذلك كله إلى مشيئة وقدره . مع كون ذلك له
أسباب مادية ودينية ، فإنه لما حصل متصلى النصر حصل النصر ولما حصل ما
يوجب الهزيمة حصل هزيمتها كما قال تعالى : ولقد صدقكم الله وعده إذا
نحسبهم بآية حتى إذا فتناهم فسادهم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم
ما نحسبون منكم من آية لدنيا ومنكم من يد الآخرة ثم صرفكم عنهم لميلكم
وقد عما عنكم والله ذو فضل على المؤمنين . فقله تعالى : ولقد صدقكم الله
وعده . على بالنصر فإن المسلمين هزموا المشركين هزيمة طاهرة كما توارت
بذلك الروايات الصحيحة . إذا نحسبهم بآية أي بمشيئته ، وهذا صريح في
أن النصر حصل بالمشيئة ، مع أن هناك أسباب مادية ، وقله تعالى : حتى إذا
فتناهم وفسادهم وعصيتهم من بعد ما أراكم ما نحسبون منكم من آية لدنيا ومنكم
من يد الآخرة ثم صرفكم عنهم لميلكم . فهذا كله دليل على أن هذا النصر
أي عشرين وقع بالمشيئة ، وأن لذلك أسبابا معنوية ومادية ، فاهم لما عصوا
وتشرعوا وتركوا بعض الأمر ليس أمروا به حصل ما حصل من الفشل ،
وقد استند صرفهم إليه تعالى صريحا ، لأن ذلك وقع بإرادته ، كما أن النصر وقع
بإرادته . وقد حصل لذلك أسبابا مادية ومعنوية ، فكل نصر وهزيمة فلا بد له
من أسباب مادية ومعنوية . ومشيئة الرب تعالى هي التي تصرف هذه الأسباب ،
فيجب على الإنسان أن يستعينه وملتجئ إليه ويعمل ما أمر به من الأسباب .
وهذا هو المطلوب في حق كل أحد ، ولم يحصل قط فشل إلا بحصول خلل في

أحد هذين الأمرين أو فيها جميعاً ، وهذا المعروف صفيق وطفطق وجعل
 حصول النصر ثم الهزيمة في ألمانيا برهانا على كون الأسباب مستقلة بالتقدير ،
 ونسى أن الله سبحانه هو الذي يصرف الأسباب كيف يشاء ، وأنه لا يجري
 في ملكه ما لا يريد ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وما تشاءون إلا أن
 يشاء الله رب العالمين ، فانه تعالى لما أراد هزيمتها صرف قوت زعمائها وآراءهم
 حتى وقعوا في تلك الأعلاط التي قصت عليهم بطريقه ، ورس في قوت أعدائها
 دخولهم في الحرب للقضاء عليها . وكوب انتصرت أولا ثم هزمت أخيرا فيه
 حكم كثيرة ، فان وقوع هذه الحرب عقوبة بحصة واستقام طاهر ، فهو هزمت
 في أول الأمر الى التنبية لم تدخ انطيا ولا روسيا الحرب ، ولم تحصل ذلك
 الشقاء الطويل والعداب المهن على تلك الصفة ، ولو حصل النصر لها لكان في
 صمن ذلك حصول النصر لابطالها واستداد الحرب في الشرق الأوسط
 وانحسرت ابطالها فيه ، وفي ذلك من انقاسد المعظمة ما لا يحصى ، ولكن وقع
 على الوجه الذي يحصل به اشد الانتقام ، فكان تكرار النصر ثم الهزيمة حيناً بعد
 حين كالتدوير والحرر يتصمن أشنع العقوبة و قطع العذب على هذه المواضع
 الاتحادية ، لأنه تعالى صب قوتها على رأسها ، وفي ذلك أيضا مصاعفة الحققد
 والبعضاء بين المحاربين ، وطول الحسرات والعداب بهذه الأسباب التي عصوا
 الله بها كما فان تعالى فلا تعجبكم أموالهم وأولادهم ، انما يريد الله أن يعذبهم
 بها في الحياة الدنيا ويرحق أنفسهم وهم كاهرون)

وبالحكمة ولا حجة له في هذا البتة ، ولا معنى للتبجح وجعل هذا من الحقائق
 الآرلية ، فلس في هذا أكثر من كونه حصل تقدم لها ثم حصل تأخر ،
 وأكثر الحروب يقع على هذه الصفة ، فانه سبحانه هو الذي خلق الأسباب
 وخلق مصادرها من الآراء والتفكير وتقلب القلوب ، خلقها وخلق العالمين
 بها ولها ، وهذا كله يرجع مصدره الى القدرة الربانية والمشيئة الإلهية ، كما تقدم
 تقرير هذا في البحث الأول وفي غيره

فصل

قال . ومن الأمثلة للجمل ستة الجيد أو ستة انه في اخذة أن الناس يريدون - وهم يعتقدون أنهم مستحقون أن ما يريدون - أن يسعوا جميع أعراسهم المادية والمعوية بعد وسائله السبعية ، هم يريدون أن ينالوا الثراء الوفير والأولاد والصحة والقوة وأن تحب أرضهم ويزكو عنهم وتنمو أبنائهم وأن يحصلوا المعارف العزيرة وأن تنجحوا في الامتحان وأن يصروا على الأعداء وعلى أسلحتهم وجوشهم وأموالهم وعمومهم وأن يدركوا كل ما يسعونه ، بمادته ، بهم يريدون أن يدركوا ذلك كله بالدعاء المحرّد تارة وبالكلمة والصراعة تارة وبالصلاة تارة وبالصيام أحزاباً ولا يمتنعون عن ولا عن ولا عن أحباباً وبقرائه لقرآن أو ستيب الادب والذكور والأوراد والاحزاب ، ثم يريدون أن يقرآن والذين قد دلائم على هذه الحقيقة ، والذين والقرآن يريدون بما يريدون .

والجواب أن يقال هذا من المواضع التي فيها علم في الملاحظة الثالثة ، وغرضه من هذا الهراء أن انسى منع الناس من التقدم اشتغالهم بالأحلاق الدينية ، وهو يعلم حقيقة العلم أن أكثر الناس قد أصعوا هذه الأحلاق وتركوها واشتغلوا عن هذه الأعمال وعينها بالأمور المحرمة التي تصدّ عن الدين والدنيا ، وهذا الملحد له حظ وافر من أحلاق اليهود في المكابرة والبهت ، ولهذا فإنه صرح هنا مكابرة عن . ومن الأشهاد بأن المسييين يطلبون الأولاد بمجرد الدعاء وبحو من العبادات بدون ترويج ، فإنه صرح بأنهم يطلبون الأولاد بهذه الأمور المحرمة بدون الأسباب الطبيعية ، وليس وراء هذا البهت والمكابرة بهت ومكابرة ، ونحن ان نعرض هذا على كل مسلم غيور يعز عليه مبدأه ودينه نستفي عن الاسباب في انطه والتعليق عليه ، ولو أن يهوديا ادعى على المسلمين مجاهرة بأنهم يطلبون الأولاد والزراعة ونحو ذلك بمجرد

العبادات من دون فعل أسبابها الطبيعية لعرف كيف يحبه المسنون على هذا
الادعاء العاطل المقضوح ، وقد ساء بما سبق على أن هذا الرجل يكذب ويبهت
ويحرف ثم نأخذ من كذبه وبهتانه وتحريفه براهين وحججاً له يحتاج بها على
المسلمين في دهم ودم دينهم ، فهو كما ترى لا يمكن أن يأتي إلى الأمم
الاسلامية فيسعى عليهم ، منهم بكم هو العلم من يرمونه ويدعون أنه حجاب ،
وأن السعي من روح من الملة وشرك في الربوبية ، وأن العلم كذلك منازعة لله في
ملكه ، حتى يركب على ذلك من سعى عليهم بأنهم يظنون الأولاد والزراعة
وأشياء ذلك ، الأخلاق السنية بغير وعده من هذا الخنوع والمراء والخبال
الساقط تركه ، بعض الأخلاق السنية في دعوى المسلمين ولو بالبيت والمكافرة ،
وقد ضرب صفحا وتعمى بل وبها من دعا إلى ضرورة والخس من الترويج
والزراعات والمخالف والمساكين والفقراء وغير ذلك ، وصورهم عاكفين في
المساجد ، راح من في الدنيا قد يسهوهم ورصوها فلا سعة لديهم ولا شراء ولا
ترويج ولا صناعة ولا زراعة ولا مدارس ولا كتب ولا علم ولا تعليم ولا
براع ولا فن ولا شيء من ذلك كله ، دعى الأمور للكفرية والفواحش
والفحشاء وانتهى على التلبس واللباس عليها وبحود ذلك ، من جعل كل واحد
منهم صائداً فيل فائداً شهراً يقرأ القرآن ويسعوره ، وتصارع إليه وبكى طمعا
في اخنوخ وحول من البار وقد رقص الدنيا كلها ، فقد شمسوا وأيم الحق من
تطويل الاستدلال على مساهمة الزعميات وتقنيده ادعاء هذه الوصحات ،
فواته أنه لم يتجاسر كثير من المبشرين واليهود وأكثر الكفار المعاصرين
للإسلام أن يتفوهوا بهذه الأمور ويسوها إلى المسلمين ، لأن مثل هذا
الادعاء خروج عن العقل والحجة ، ومكافرة واضحة

لقد ملعت الفحقة والاستهارة والتلاعب بدين الإسلام وأهله بهذا الرديق
ملع لم يصل إليه أكثر ملحد ولا شر أكثر يحرب الإسلام ، أما كان له سماع
بسمعه به ونصر نصر به هذه الكتب التي يدعى أنها كالحبال وهذه المنجلات

والحرث وعبرها في الترويح ووجوهه ، وهذه الأعمال كلها وشروطها ، وهذه كتب الفقه التي يدعى بها نوح من جاتها في الأحكام التي هي أعمال المسلمين في معاملاتهم وأحكامهم وديانهم وصناعاتهم وجهادهم وتعليمهم وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى ، وأكبر من هذه وأصغر قوله : ثم يرمعون أن القرآن ولدين قد دلائم عن هذه حقيقة .

وبالعام زمانه ومطلبه شيطانه من هو الذي رعم أن الدين والقرآن دلا على أن لولده يطلب . بعدة أو هذه العبادات المنجدة من عبث سنده لطعي ، فانك صرحت بأنهم تصور دلت يكون أساليب الطبعه (١) . فانك الله ما أرخص الكذب عندك وأجعه على الناس ، وقد وجدت حوا حالي فأصفرت فيه بكل ما خطر عيني . لك وقد كان من الواجب عبث أن تدين مقتله ادعائك عليهم واستدلالهم بغيرك والدين الذي دعيه ثم ترد ذلك بالبرهان ولا تنكبي «لادعاء فقط» ثم . د عليهم دعواك والدين والقرآن براء من ذلك ، فكل هذا هذيان ورفاهات مركب بعضها عن بعض

ثم انه لشدة شغفه بحب المذكية وأيد حبهائه حاول تصديق ادعائه هذا بمسره بقلها - حسبا - عم - عن النعال في كتابه (منهاج العارفين) ذكر في هذه اللعبه أن المؤمن بعدش بعدة الله من غير طعام ولا شراب ، ثم ذكر أن السيوطي قال في بعض كتبه أن الصوفيه يلهمون معرفة الطبع ، وهذا عاية ما صدر عيه وهذا مع كونه ليس من الحجة في شيء ابنة وانه قد رده نفسه حيث

(١) والمسلمون وان قالوا ان ادعائات واعتقالات امر الله تعالى لها سبب عظيم في حصول البركات ودفع الشرور كما ثبت على دلت لمصوص ، يمكن لا يقولون ان حصول ذلك ترك لأسباب الطبيعة التي شرعها الله وأمر بها ، بل يتابع أوامره في الاحد لأسباب هو من تصدعات التي هي من أسباب الخبرات كما وصحت دلت مرارا

ادعى أنه ليس المسلم بالذي تتبع أخطاه المحضين وعلاط العاطين ليقاوم بها
وحي الله ، فهو أيضا لا بعد ما ادخل ، فبين في كلام "عمر الى ولا السيوطي ان
الولد يطلب محر د انداء وأن المعافى و لراعات تطالب بالاحلاق لدية
المحر دة من دون أساسها تطعية . فان هذا لا عام بهت لعمر الى ولا سيوطي
وكتب عنها ، وكتبها في لفقه الاحكام مشهوره كنه ترد هذا ردا صريحا ،
ومما وان كانا من المعدين في "تصوف لكس لا سعيان مثل هذا المدين
المكر ، وقد تقدم قول هذا المعرف في صراعه من كل ما كتب يكون
حجة على المسلم الخ فكيف حار له أن يجمع بما ليس حجة

فصل

قال ومن أشنع الأوهام أساسها وسمع كثير من علماء لا شك خطئا
تتلى في المساجد حينما انطلقت "الحجرات الخربة على مصر هذه سنوات بعد فيها
يجعل من يلحنون حين انصرف الى الحق من عوما فيها أن يحبني والملاحي
لا تعصم من الموت ، وأن له اربها نقص في نفس وروح في الامانة ، الله ،
لان الذي يعصم من ذلك هو ذكر الله ودعاؤه والنوبة اليه والخلاص من انه يوب
فيقال وهذا أيضا كاسى فقه في أنه لا يرى تمشية العلي تدخلا في أمور
العالم ، فلا يرى للعبادة والذكر والنوبة والخلاص من الدوب أثرا في الوقاية ،
فمن ذكر الله تعالى ودعاؤه وثاب إليه كس لم يذكره ولا يدعو ولا يتوب اليه
في العصمة من الهلاك وأساسه ، وهذه هي قاعدته ، ولهذا أسكر على هؤلاء
الذين يرون تمشيته العلي تدخلا في الوقاية وعدمها . هذا مع أنه تناقص في
هذه الدعوى فزعم فيما تقدم أن من يلحاً الى الفرار من هذه العارات والقنابل
وغيرها من الظواهر فهو جاهل بمن في الغناء والجهل حيث قال في الصحيفة

١١٠. ومن حاول أن ينجو من خطر الفيضان الذي ترمى به الأنهار ومن خطر الامطر التي تجود بها السماء ، هرب ، وتبعد عن المنطقة كان ممن في الجبل والعماء ، وهو كمن حاول أن ينجو من بحر النار ورواق القدس وسائر المتعجرات باعترار من المدن التي توجد فيها هذه المحارن ، ولشعوب والأفراد البدائية الجاهلة لا يجد وسيلة للشجاة من تخاف وترهب من طواهر هذا الكون : من البروق والرعد والعواصف والقواصف والأعداء المعبرس ، أو من المصوص وغيرهم ومن اختلاط النساء بالرجال ، لا تجد حية سوى هذا ، أما الشعوب والأفراد المسميون بأنهم لا ينجون أمام شيء من هذا ، بل يقفون له ويرصونه ويصرفونه وفي المصلحة ومخائله انتهى

فكيف يشع هذا على الذين يهرون عن الهروب ويرشدون إلى طاعة الله تعالى ، وتشع هذا على الذين يهرون من همداء الله اهر لتي منها إغارة الأعداء ويقتل وسائر المتعجرات وتوقها ويهي عن ذلك ، مع أنه يشع على الذين يهرون عن ذلك ، وأشع من هذا وأشد كارة دعواه أن المتعلمين يقيمون أمام هذه "طواهر" من البروق والرعد والعواصف والقواصف لا يفرون منها بل يرومونها ويصرفونها على وفق لمصلحة والعائدة ، ولينه استطراد من كيفية تصريف البروق والرعد ولصواعق والقواصف ، وكيفية اوقوف أمامها والأسلحة من متحاربها يمنع البس من ذلك . وأعجب من ذلك أنه خلط هذه الأمور ، اختلاط الرجال بالنساء ، فعلى عقبة العماء والسلام

كلام أكثر من ترى ومطره مما يشي على الأذان والحدق ثم ذكر أن من أظهر وأكبر أعمال النبي ﷺ التاريخية أنه حينما اضطر إلى الخروج مدينه من مكة وحاج مطردة أعدائه المشركين لجأ إلى عار ثور التاريخي المشهور هو وصاحبه لصديق

فيقال : هذا يطل دعواك السافهة التي تفتها في قولك ان الشعوب والأفراد البدائية الجاهلة لا تجد سبيلا الى وحدة تتخفف ورهب الا بالهرس ، الى قولك ومن الأعداء المغيرين ، جعلت التي ^{تسمى} وصاحبه رضى الله عنه من الافراد البدائية الجاهلة لانك جعلت الدين يهربون من الأعداء المغيرين - سواء كانوا أمراذا أو شعوبا - بدائيين جاهلين ، ومعنوم أنهم لم يقفوا لاعارة الأعداء ويصرفوها في المصلحة والمفائدة بل خرجا حتى لحا إلى عار ثور واحدا في الدعاء والتوكل على الله ، فكيف تستدل بها وهو حجة عليك ، ثم تدعي أن النبي ^{صلى الله عليه وسلم} لم يأخذ هو وصاحبه في الدعاء بل أحدا في سنة الجاهة

فيقال . هذه دعوى كاذبة من المتواري في الصحاح والمسانيد وغيرها أنه دعا الله تعالى وأكثر من ذلك حتى به دعا على دعت المشرك الذي خفه على فرس حتى رست قوائمها في الارض ، فهو ^{تسمى} اعظم بالدعاء لدى هو أن الوسائل الدينية كما أنه فمن ما في وسعه من الأسباب طعمه وهو الدحول في العار ويحده ، ولو لا إحاطة الله تعالى له بالوسائل الدينية لم يسمعه الأسباب المادية ، فان عار ثور صغير جدا ، ومع ذلك وصل اليه المشركون حتى وقعوا على قم العار وصرف الله أنصارهم ونصرتهم عن دحوته أو النظر فيه . وهذه معجزة طاهرة حارقة للأسباب العاربية ودليل ظاهر على أن الأسباب الدينية أقوى من الأسباب المادية وأعظم منها ، بل الأسباب المادية تابعة لها ، فانه لو كان مجرد دحول العار ويوصون اليه مفدا في الحجة لراهم كصر قريش ، فانه من البعيد جدا إن لم يكن من المستحيل في العادة أن تصل الأعداء المعروف العارزون بطرق النجاة يتمسون من هو أعدى عدو لهم وقد حرصوا بهانة الحرص عليه ثم يقفون على هذا العار السبيل ويعجز أحدهم أن ينظر فيه ليلتمسه فيه ولا سيما مع فله الملاحة هناك ثم ان مقتضى كلامه فيما سبق أنه يجب أن يقف ولا يلجأ الى العار ولا غيره ليصرف هذه الاعارة ويروضها على ما تقتضيه المصلحة والمفائدة كما تقدم نصرحه ذلك

ثم ادعى بعد هذا أنه عليه السلام فعل ذلك هو وحققه وأصحاه في حياتهم ولهذا نجحوا ، قال ، ولو أنهم كانوا يذهبون مذاهب هؤلاء لأحققوا ولم يبلعوا من أمرهم شيئا .

فيقال : هذا بهت صريح فانه قد كان من المعلوم الذي لا جدال فيه أنه عليه السلام وأصحاه من أعظم الخلق عتادا على الأسباب الدنيوية ، فهم أعظم الخلق دعاء وتصرفا وصلاحا وصياما . وانه تعالى ألهمهم كله انتقوى وكانوا أحق بها وأهلها ، فهو أنقى الخلق . وعم أنقى الخلق بعد الأنبياء . هذا أمر لا يشك فيه مسلم كما لا يشك مسلم أنهم ممتدوا على الأسباب الطبيعية من استعمالوا ما في أمكانهم واعتمدوا على الله وحده في العز والنجاة ثم ان هذا الكلام تناقض منه كما تقدم ، فانه نارة يكر على من لم يقف للاعداء وتارة ينكر على من يكر عنهم ، وهؤلاء الخطاة لم يدعوا إلا الحق . فانه أرشدوا إلى الدعاء الذي هو من أعظم الأسباب إلى الخلاص وإلى استغفار من الذنوب فان الذنوب هي البلاء وهي أسباب المصائب كلها فيكون السب يرول المسب وبفعل الوسيلة تحصل النتيجة . وليس في الدنيا كلها أعظم وسيلة للنجاة والحياة والخلاص من كل شر . من ندعة الله تعالى ولا بد أن يكون لأحد الأسباب الدنيوية وبسر عليه . من نعم الله تعالى ولا بد أن يكون لأحد الأسباب الدنيوية وبسر له الأمور ، ومن عاكس الله ورعص أسسه الدينية وذهب بطلب مراده من الأسباب الدنيوية وحده لم يستحصل ذلك عاك ولو حصل له شيء في سائر فلا بد أن يعيب به وتعييبه النكبة فيه ويدوق وبال أمره كما وقع ذلك لناعيان على ما تقدم تقريره

فصل

ثم أخذ يتكلم في الأرواح ، وذكر أن الدس يطون أن "سحاب إنما تسوقه الملكة ، وأن النبات إنما ينبت بقوتها ، وأن البرق والرعد عملان من أعمال

الملثكة ، وأطال من هذا الكلام وأكثر فيه من التهم والاستهزاء ، ولقد كان من واجبه أن يذكر أن هذه الأمور من عقائدهم التي لا بد منها ، ويذكر كلامهم فيها من العقائد ، ويذكر أدلهم ثم سأل ، وهو لم يعمل من ذلك شيئا من أحد في تهمهم والاستهزاء ، وهذا ليس من الحق في شيء فكنتي بمنع الدعوى

ثم ذكر الشياطين والجن ، وأطال في انكار دخول الشياطين أو الجن بدن الانسان ، وذكر أن ملاك المسلمين ، محبون وقبور دين ، ثم ذكر أنه جرى منه وبين أناس محوالات في هذه الأمور ، وكل هذا هذيان لا قيمة له ، فعليه أن يبين كيفية اعتقادهم من عقائدهم المسمومة ثم يكر دليلهم ثم ينقصه بحجج مقنونة ، وحيث أنه لم يفسد شيئا من ذلك فلا حاجة إلى الإعادة في هذه الأمور . لأن الكلام فيها مشهور في كتب علماء ، وكلامه يدور على انكار وجود الملثكة والشياطين . يسعى به لقول بأن حوادث كلها من تعامل الطبيعة وتطورها أعماق عن هذا الاسس الخدث . وليس انكاره للملثكة والشياطين باجح من استكراه لنفسه وتسميه وكون الدعاء وسيلة ، ومعاداة للصوات والخطب والمساجد وقت . ان كان من اعتقد الاحاد فلا يدري هذا الرأي

ثم ذكر مسئة حشر الارواح المشهورة ، وذكر أن في تحتها حيلافا ، وادعى أن فرعا من المحققين - ولا يدري من هؤلاء المحققون عهده - يكررون إحصاءه ، ثم ذكر حكايات عن شيخ مجهول لم يذكر اسمه في هذا الموضوع . هكذا تكون حججه في القدح في أصول الدين ، مع أنه يقصد في الروايات التي في صحيح البخاري إذا لم توافق رأيه . وحيث أن كلامه كله في هذه الأمور بهكم واستهزاء وحكايات من عنده فمكنتي في رده بالمنع . ثم بعد أن أسرف في انكار هذه الأمور لم يدار إلى الخداع فادعى أنه مؤمن بالملثكة (إنها كلمة هو قائدها) فهي كلمة دفع حميرة فأي مصرة عليه بالانبياء بها وهي تمنعه عندهم من الاضلال والتكفير

فصل

قال . وما ينص بمسألة الأرواح المعنوية مسألة الاصابة بالعين أو بالنظرة
أو ما يسمى عند العامة ، الجسد ، فإن حامدا ندمهم بما نصيب روحه الحية .
ومسألة الاصابة بالعين مسألة دلت بيوت طلبة وحواشن صفيه ، ولا عفاها
أثر جسيم في حياة الكثيرين وفي عقولهم وفكرهم ونصروهم انعم . ثم
يسرد اشياء من اعتقادات العامة في الاصابة بالعين ، ثم يذكر بهم ينسبون
أشياء من هذه الخرافات الى الدين . ويذكر حديثا كثيرا من عتوت من أمي
مرفوعة الى الله ورسوله ، ونصبت ما عهد الايمان في قوله ، والدين ، والامن
تدحرج برحمن الله واملح لغيره . ويذكر أشياء من هذه تقييد على يده في
تذبح مورث ادمية وعقوبين والآخر . ثم يظلم احمل من ذلك سلاحا للظلم
في حكم الدين وأهله ، فهو ينادي ما يدبره شاء من حكاية أو أثر من كان
في صديق والسقوط ، ثم يكبر . ثم يمدحه . ثم يمدحه . ثم يمدحه الى
الاسلام وأهله ونصوب في دمه ويحول . وما قدم كلام عن مثل هذا
مرا . على أن رعاها هنا أن لا تراه في حياة الكثيرين وفي عقولهم الخ
تدحرج مردوده ، فابن يبول على لا يملك إلا ما كان يحب وبه حبيبه فقط ،
وما كان محققا فاحا محاربة وحجرا ، فاحا يراه أعظم أثر في فساد
القول وخيبة من دمه ، قال العقول . ثم يمدح عن حكاية وحجرا احسانق
فمدح هيا في غير الامور . ثم يمدح . ثم يمدح . ثم يمدح . ثم يمدح .
وحجرا هيا في الاسلام . وأما في ذلك أن الانبياء يعلم كل شيء
ونفس على كل شيء ، وإليس في الدين نصير عن حجة وعن آفة من هيا
الاعتقاد ، قال الانبياء . اعقد أن عدوهم كل شيء ونفس عن كل شيء
أثر دلت في عتبه وروحه ، حركه في التمسك والزعزعة ونوعه وسوء العمل .
وسأقي كلامه بأنه يوجد في الناس من يستطيع أن يخضع من حوله ويستبد بهم

ثم قال : نعم جاء في الأحاديث التي رواها محدثون عن أبي الحسن عليه السلام
 ورواها غيره من أصحابنا في حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام
 جهنم هؤلاء الخبيثين ، وفي حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام
 معنى وهذا غاية ما يتوهمون ،

فيقال : ولم لا يصير كلام النبوة أوضحاً ونسب من وراءه من وراءه
 أت ونوعه . ولا سيما مع شهرته في نسبته في حديثه عليه السلام
 من كل جهة ، أو في حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام
 احق بها وأهلها ، ومن كفة في حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام
 مدلولاتها ، ومعلوم أن ما فهمه في حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام
 أحد من علماء المسلمين

فقد ورد في حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام
 وبعد هذه الرضا في حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام
 ولا عيب ، بل في وأصح من ذلك في حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام
 قال في حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام
 الإنسان قد يجمع أفعالاً حميدة وعيوباً ثم يصفى له في حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام
 كذلك ، ولم يكن أحد يشك في ذلك في حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام
 ولو أن رجلاً رأى امرأة حميدة ثم وجد من حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام
 حمداً لم يصح أن يقال إنها أساءت ، وكذا لو رأى رجلاً حميدة ثم وجد
 فعلت عن أفعالها لا يقال إنها أساءت ، ولا في حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام
 المعروف عند الناس أمره قد كان موجوداً في حديثه عليه السلام في حديثه عليه السلام

(١) كما تقدم في كتابي في رعايته بأن أحسن السمع دعوى كون الإنسان يقدر
 على كل شيء

قال المفسرون عند قوله تعالى (واليكاد الدين كغروا لير لقولك بأصايرهم) أن المراد به الإصاير بالعين ، وكذا قالوا عند قوله تعالى عن يعقوب عليه الصلاة والسلام أنه قال (يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخروا من أبواب مشرقه) الآية أنه حاف عليهم من لعين أي أنه حاف عليهم أن يصد بهم أحد بعينه لأنه نظر إليهم أحدهم ثم تكبدتم فيصربهم أو يقتلهم . ولا يقال لاحد رأى أحد ونحوه ثم حده وذهب سرقة أو نصره أو يقتله أنه أصابه بالعين والإصاير من في كلام أهل اللغة كلهم والمفسرين وغيرهم ليس بعد معناه بل في معناه وهو ما ليس به من ، ولهذا لم يذكره وهو معناه ومعروف ليس به وكذا في نسخة مصر وعامها من خلف الحاشية في تفسير معناه ، فبما جاء هذا الموضع فيهم في الاعتقاد اصطلحوا في تحاشيه في المعنى في الحديث وحمه عن مدح غنائه . وهذا ما كان في نسخة الشيخ أبي الحسن في النص والشرح في الحديث عن خلاف ما ذهب إليه ، فلا يستعمل لا يجوز في الإصاير ، لعين وإنما يخفى عن توجه أبي بصير ليس من الإصاير بالعين وعن أبي أحمد أسعد بن سهل بن حماد عن مرة عامر بن ربيعة لسهل بن حنيف وهو يدين ، فقال له أنا عامر ولا أحد بحسنة ، فقلت أن ليظ به ، فأتى به رسول الله ﷺ فقال له أدركته عرما ، فقال له من يهمل به ، قالوا عامر بن مه ، قال عامر بن أحمد بن حماد ، أدركته من أحبه ما بعده فمدح له ربه ثم دعا عامر ابنه بنو حنيفة ففعل وحده ويديه أي لم يبق من ربه وذاتة ربه ، وأمره أن تصب عنه قال سهل قال معمر بن الزهري وأمر أن يكفأ لاه من حقه . رواه الشيخ وابن ماجة باسناد صحيح وهو نص صريح في المسألة . والآحاد في هذا

كثيرة مشهوره . وهو أمر معروف قد شاهدناه وقوعه كما شاهدناه غيره .
فإنكاره وجوده يحتاج إلى إثباته بالشرع والعقل والخس . ثم هو لم يأت بحجة
على إنكاره . وما كان هو لا يعلم ذلك فينبغي عدمه عنه بما عدم والمثبت
مقدم على الذي قال لعلنا من قسم (١) أبطلت حجة من قبل نصيبهم من
السمع والعقل أمر العين وأمر العقل . ثم أوردوا لاجتيازه لما . وهو لا من أجل
الناس بالسمع والعقل ومن أعصبه حجة وأكتمه صحتها وأعدم عن
معرفة الأرواح والنفوس وصفاتها وأبعد وتثريتها . ثم ذكر كلاما طويلا
رداه على من ذكر ذلك . فبما أحده من أمه

فصل

ثم قال : والعين حق . فإن في كثير من العيون قوة تسمى ذهنية بل قاتله
آسرة . وإن الرجل الموهوب هذه القوة لا يتطرق إليها من حوله فيحسبهم
بمجرد النظر . ويسلس لطريقه وعينه أنشئ حق وأقصى طبع . وينبع من
أنفسهم أقصى ما يريد وأبعد ما يرحو . فيصيحون ضوع مشينه ورهن
إشترته . فيصح منهم الأمر الذي امتصروا . وتصير فهم الرغيم المعبود
أو لشح المعبود . القول قوته والتكبير تكبيره ونهوى هواه والديا دياه (٢)
أنا أحاديث أخذت لعجب من استعباد شخص لآله فذهب بتمس الأسباب
والعلم بعيدا أو قريبا . مع أن الأسباب قد تكون في عين ذلك الشخص
المعبود ونظراته . وقد تكون في مظهره . وقد تكون في صوته ولعمري . أنها

(١) في زاد المعاد ص ١١٧ ج ٣ طبعة المصرية

(٢) لو قلت بل هو المعدم في الأمر لقارنت بنفي . فإن عيبك لهذه الأعلام
كلها دليل على أنك تريد أن تصل إلى هذه المرحلة كما ادعت ذلك نفسك . ولكن
هيات دون ذلك خرط القتاد

نصرح باسمه وبين مكانه ، فال ذكر مثل هذا والتعريف به من أخص ما يفعله
لمن وحل عقده من هذه العقدة المصرونة على قومه ولا سيما في مثل هذا
المقام الذي يبحث فيه على التقدم ، اللهم إلا أن يكون هذا من الأسرار التي لا
يساح بها في هذا الموضوع ، بل يحجب بها أسرار دون أسرار بطرق سرية

ثم الكلام عليها من وجود أحد هذا لها حكمة عن محمول على صورة
عنده أن لم يكن مستحيلة فلا تقبل في مقام الخدال والاحتجاج

الثاني أنه لو عرض على وجه الخدال وجوده ، فهي حجة عليه ، لأنها تناقض
ما ذكره في صحيحه ١٩٢ من اعتدائه في ضرورة مع ذلك لمحل الذي أشار
عليه فيما يزعم بالرفق في معاقبته أسس في الشك واختراعه ، ثم احتج عليه الرجل
بالنقص والضعف ، ومن له ما وقع به من ذلك أنه من إلهه ، لإهانة ولم تمنعه
ذلك الإهانة من الاستعداد معه ، أخرج حجة ذلك الرجل عما حجه نفسه ورآه
وشاهده قال هذا المعروف ، فعمري في تحسبه لعدم ، ونحني لسحقه ، حتى
حرحت من عنده مفكرا ، أرح ، فكيف يشع على ذلك لرجل فيما ادعاه بما هو
معقول ، وهذا يشك ما هو أقرب في الاستحالة بما استعده ومع ذلك يرى
الخبر مباشر بالسحق والجهل فيكون هو على هذا من أجهل الخلق وأسحقهم
رأيا

الثالث أنه لو ثبت ما ادعاه فهو يقصر كل ما ادعاه ويحتمل من أصله من
العدو في الأسباب المادية وإنكار تأثير الأرواح ونحوها

الرابع أن يقال ونحن حتى أيضا في إحسانها على الوجه المعروف عند
الناس تنكشف نظراتها الخفية ، وهذه النظرة أقرب إلى أدنى عقل سليم مما
ذكره ، فمن صدق مدعواه هذه مع بعدها أو استحالتها فهو تصديق وقوع
الإصابة بالعين على ما يفهمه الناس أقرب ، ومن أنكر ذلك فهو لما يدعيه
أشد إنكارا

الخامس أنا بساقي تقدم أن ما يخشى من الخوف من تأشير الكوهم في
اعتماد العين هو أسهل مما ذكره من وقوع هذه الأمور الطبيعية ، فإن القائلين
بإصابة العين لا يقولون أنها تسحر الإنسان وتغفل به هذه الفعل ، عليه ما في
ذلك أنها تؤثر أمد في الجسم أو ضررا في المال وعوه ، أما أن تصيب أي أفساد
العقل والبدن واسمكرو وتوقع في لشرك وعده غير الله وتغل الإنسان
وتقيده وتصفده - على ما زعم - فهذا لم يصح به أحد ممن يعتد به ولا يوجد في
كتب المسلمين المعتمدة ، هذا مع أنهم يقولون أن إصابته لا يمكن أن تجري
إلا بانقضاء وقته ، وأن في إمكان الإنسان غالبا أن يبي هذه بالاستعانة
بالله والدعاء والتوكل والعمل الصالح . وبذلك يول الصبر الخشني من الوهم
الذي تدعيه ، فكان ما ذكرته أشد ضررا وأوجع عافيه ، هذا وقد وقعوه ،
فكيف وهو خف وهما لا يخفى إلا على السواد الأعظم

ثم قال : وأما من حق أيب ، فإن الإنسان سطر بعينه فيشبه نفسه فيهلك
بعمله وسعيه أن لم يمسك بزمام نفسه إماما قوي عالما ، ولهذا جاء في
حديث موسى : استورة منهم مسدود من سهام إبليس ، وليس هذا أحق من
تلك العيون التي تحمل صفحتها أعظم قوة ، تنفذ بالإنسان وتخرجه وأدلت
كبريائه ومناقبه إلى الخير حيا وإي الشر أحدا وظلت ذات لهود الذي لا
يقاوم والسلطان الذي لا يتارح ولا يبرع .

فيقال : وهذا من حسن ما فيه ، والحديث عنه كالحجاب عما فيه ، وما
المانع من أن يقال والإصابة بالعين على الوجه المعروف عند الناس حق ففعلها
هذا أثر من آثار هذه القوة التي ادعيتها فيها ، فإن آييت لا العباد والمساكين
فلخصمك أن يسمع ما ذكرته استصحا من هذا الحديث ، لأن الإصابة بها على
الوجه المعروف عند الناس هو موضوع الحديث كما اتفق على ذلك جميع أهل
اللغة والتفسير والشرح وغيرهم من علماء الدين ، ولم يخالف في ذلك سوى

مقصود امر صدم في الانكسار

وقوله بعد هذا عنهم وان الاسلام من جرم ثم من لان الاخرى،
 صحيح، فمن جاء من صدم، وان كان من صدم، وهو المعروف
 نفسه معروف من اناس على من ان صحيح، من على ان يحرف لا يمكن
 انما عليه، ويجمع انه انما من صدم من صدم، وانما من صدم
 نحو قتلهم على من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،
 من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،
 في هذا كذا، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،
 وعمره ومن صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،
 وعمره من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،
 لان الاصل من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،
 من الاصل من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،
 من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،
 وأكثر من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،
 من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،
 كذا من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،
 من صدم، لان التي يعمل بها ويتحدث كم بها في بعض الامور من صدم
 النظام الافرنسي وهو مأخوذ من نظام من صدم، ومعلوم ان الرومان امة
 مسكينة مقهورة، ومع ذلك فهي نظام من صدم، من صدم، من صدم،
 وموضوع في ظروف ليس لها أدنى علاوة من صدم، من صدم، من صدم،
 احاروه على نظام من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،
 وأن الاخذ بالقديم من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،
 من صدم، فكان اهم من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،
 من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم، من صدم،

قد نجح وأخذ برقاب الآلاف والملايين من هذه القطعان الشرية يقودها حيث شاء ، فإنه قد هاجم أضعف حاب فيهم وهو جانب الرجاء والأمل فانصر عليهم بدون عناء .

فيقال هذا كلامك لأول منته (١) وقد تقدم الجواب عنه ، وبيننا أن هذا هو حقيقة حالك ، فالك صرحت بأن تأخر من من أحد اختلاف في الرأي ولا لفساد في الإحلاق وإنما هو لأجل شيء واحد هو الجهل بقوى الطبيعة وبوحيها . ثم فسرت هذا في الموضع الآخر بأن علم المرأة هو الذي يقدم هذه الحجابات عينا من الميراث عن شطرنج والموسيقى وافتقار النساء إلى العلم بالسياسة ، لأنك فسرت لغيرها فكأن احتج كل في هذا الشيء نفسه على ذكره . ثم جئت إلى هذا مقصده وحدثت لك واحدة واحدة فوجدت أن الاعتقاد بأن الوجود مربوط بأشياء آله طبيعية من هذه من أقوى أن تصف في سبيلها ، وإن الله لا يراه في الآيات ولا يتصرف فيها ويحكمها من شاء أسبغ ، وإن ذلك هو لموصى . ثم جئت إلى هذا مقصده ودعيت أن التقدم كله مربوط بشيء واحد هو نفسك فكذلك في رأيها هو من أخذ بها نهض . ثم جئت إلى هذا مقصده حين نصرت الحيرة فوجدت أن حاصل ما ادعته في هذه الأفعال مشكله من أن اليوم وهكذا ، وتقتضى لا حقا ولا حذرا (قد أوقعك في هذا الخلل ولحسن الذي عنه عن نفسك إلا طيب ذلك إذا وعدت لنفسك هذه الملاحظات ولوحث لهم هذه الخيالات يحصل لك احتياج فتأخر به في الآلاف أو المئات من هذه التفات لشدة ، وما حدثت على هذه الدعوى المربوطة إلا اعتقدت أن جانب الرجاء والأمل كان ضعيفا فيهم فأردت - بحيث هو - أن تنصر عليهم بدون عناء ، وإن تأخر

(١) أي في قوله ديان - سعادته الميلى يسبحون كثيرا .

[illegible]

عن أن هو الحياة تحت حدرا ، وإن يكون بها عصف . عصفه . و
واضح حتى أن أن أن الأثر من عصف . وإن ليس من عصفهم
النشر شيء . ولا آخر حوتهم من العصف . وإن عصفهم من عصفهم
وحالوا فيهم وبين أحد صحيحه . وقد سرحب بأن عصفوا أحياء
وصنعوا لها العلوم المتكده . ثم نجح من أن أن المتعرفون عنها . فأى
ثم أصرح من عصف في عصف في الأثر . وأهبطوا من الأثر . وأهبطوا
على قولك أن الأثر وأهبط من عصف من عصف من عصف من عصف من
على الأثر . ثم أصرح من عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من
عصف في عصف . وهذا هو عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من
بإطلاوع أحدهم . كما أن عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من
استطاع أن عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من
أحد دون عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من
فصل من عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من
فصلت . وأهبطوا من عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من
تريد أهل الدين كلهم فيكون عصف من عصف من عصف من عصف من
فصل من عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من
هناك أنك لا تريد الأثر . وهذا هو عصف من عصف من عصف من
يوجد من عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من
تريد الأثر في هذا الاطلاوع . وهذا هو عصف من عصف من عصف من
حتى عطف على هذا التأكيد الرابع . وهذا هو عصف من عصف من
لما عطف من عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من
قوما دون عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من
تأكيد سادس . وهذا هو عصف من عصف من عصف من عصف من
أنك تريد عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من عصف من

تأكيد يمكن الإنان به حتى تأتي به ، وليس وراء هذا النص والتصریح نص أوضح منه في تعميم أهل الأدب بهذا السب والشتم الصريح ، لأنه ليس في الدنيا أصرح من هذا التعبير في إتيائه لعموم وبني التحصيل ، فقد أضقت ثم أكدت الاطلاقات بنفس ما يوجد من تأكيدات التي تأتي زيادة التحصيل ، كان وراء تأكيد كيدان هي بني الاختلاف ، وبلا لم يكن له فائدة ولا معنى بعد بلغت حصة النص له عن من الكفر والزندقة وشتم الأدب ودمر صحده ، والكتاب - وأخو - قد بدأ لاحتصاص قوت هذا وقيل أنه هو من ذلك ، والكتاب قد استأنف عريته بصر طابق حقن علقه وانسحب انما أضف هذه الاطلاقات ثم هت - أوع غيب بعد ذلك بلاش من هذا تصويره على هذه الصورة في ذكره لا عجب أنهما لم يصر طريقا من صحيح ، وذا هو أنصرهما تسمع له على عن سائق شتمها وشتم - وقومها عن من الأشهاد قطعني عنه وتساهل في أمره ولا توقع به نص العقوبات وتكمل ما أمضى السكين

فصل

١٠ - أعلن من منتهى بصفتي تقر بما في اصحف عن خطب سيده أحد الخضاة في إحدى الاممات الكبرى المحرمة - وكان عنوان المحاضرة (الله بانه) وذهبت الى تلك الجمعية في يوم لموعود فوجدت الحشود هائلة ، وقام الخطيب يلقي خطابه ، فكانت خلاصته أن في أيدي المسلمين أمرا سهلا فرما استطاعوا أن يدركوا به كل ما فهموا أن يجدوا به جمع ما فقدوا ، وهو أمر لا ظفر شت ، هذا الأمر السهل القريب هو أن دعوا الله موقفين لاخائه ، وهم اذا دعوا الله وشتموا أنه يحرمهم لا يحرمهم فسيجهم وسيطيمهم ما سألوا من عباد رسول الله (ص) ثم أتى على نفسه اعتراضا مشهورا (١) قوله درود عن ، كتب ، ياره من كيه

مشهوراً وهو أن المسلمين ما زالوا يدعون الله تعالى ويسألونه النصر والقوة والاستقلال وإهلاك الأعداء ويسألونه كل خير ، ومع هذا كله ما هم لم يظفروا بواحد من هذه الأمور ، فأجاب عن هذا الاعتراض قائلاً لهم دعوا الله ولم يوقنوا بالاجابة ، ومن ثم منعوا وحرّموا ، ثم قال هذا الملحد معترصاً على ما ذكره هذا الخطيب نهكاً واستهزاء . « فيجمعوا بين الأمرين ، ثم لينظروا كيف يصنع الله لهم وبهم ، انه حينئذ سيهبهم كل شيء ، وسيهلك لهم أعداءهم ، وسيقدم لهم صحت الاستقلال ملفوفة بحرية مصنوع في سماء تحت اشراف الملك . » هكذا قال مستهزئاً بانداء الله وحاشه . ثم قال « ثم أحد . يعنى الخطيب . في تلاوة ذلك الآيات والآيات التي . عجم . مصدقة لطفه . ثم قال « هذا يحمل تلك المحاضرة التي ألفت في تلك الجمعية لمحاضرة ، وقد كان رئيس الجمعية وهو ابن سبكي حين حاضراً أسمع محاضره كلها ، وقد لاحظت أن الموحدين كلهم استحبوا ما سمعوا ، واسوت على كثير منهم حتى لسيروا وهره الاعراب ، وحسبوا الخطيب قد اتفق معهم إلى أحد الكور . مما يوجبه ولم يبق إلا أن يأخذوا ما شاموا ،

والجواب أن يقال . قد سبق عرض مره أن لهذا الملحد حظاً وافراً من الخصم . انه في الموت والخراب . وهو نجة عما شاء لنفسه نفسه ، تحت نفسه نفسه . فقد تصور عكسه . فمكروا من أن المسلمين والعرب أمم براءة همجية لا حيون من الخلق شيئاً . وهذا فانه أساساً لهم ما شاء وأحبابهم بما شاء بدون أدنى مداه . وعن جيبه عن هذا الكلام من وجوه .

أحدها أن هذه الجمعية . على تقدير ثبوتها ^(١) . جمعية محسنة لما شأ

(١) الظاهر من ما مر هذه الدعوة أنها بحريه لا تصلح لها . . . يكتب ما تراه في تصاحب هذا الكتاب من الآيات التي جاءت بنت مكشوف لا أساس له من الصحة مطلقاً . وكتب يقوم خطب ويدعو الناس إلى ترك العمل وأن يقتصروا على الدعاء . ويؤفقوه كلهم على ذلك

كبر ، فكون الكلام المنقوب نه شئ كثير أيضا ، ولا سيما وهو معروف ان
 جميع المحصرين قد رصوها وسرّوا بها ، فلا بد من ذكر الكلام المنقوب فيها
 بحروفه فلا يكتفى بذكر خلاصته ، لانه لم يذكر أنه موجود في كتب أو محنة
 أو جريدة حتى يمكن مراجعته عند لشك في نفيه وحكايته ، فتجلببه ونقده لا
 يمكن واحد هذه إلا بالوقوف على صورته . ولا سيما وهو العدو المدين المتبر
 النقص للخطيب والمستمعين جميعهم . فانه تهكم واستهزاء بهم وسهم في ضعف
 العقل مع أنه غير عي أن يرد عليه . بل انصرف على سحرية وشيخ فقط ،
 وهذا ليس به . فلا بد من نقل الكلام المنقوب في المحاضرة ، وذكر موضع
 النقص والاختلاف عليه . ثم ما سمع به من نقله بحروفه ليظهر فيها وتبين
 ويحفظ إبراميا ، وهو قد أسهب وأصب في مسنة وادعاء المصرة
 بشرثرة طويلة لا حدان عنها نجد أنها لم يسم في احدها عنه في مع وقي ،
 فلا داعي اذن لذكر خلاصه هذه الحصة أو أعين على وحصرها مع حصر
 - عن ما يرغم - وترك نصيب من هو موضوع لمناقشة . هذا مع أنه هو
 نفسه لا رضى مثل هذا وكره عليه لا تكرار . مع أنه يفتنه رندا في معارضة
 في الكتب والرسائل كقصة من مع عنه للدجوى في (البروق) وكفعله في
 (الصراع) فلا حرج أنه يرسل أن يكون المقدم في كل أمر

الجواب الثاني أن نقل هذه المسححة عنه خيرا واحدا : قد وقعت في
 مثل ما ذكرته عن هذا الخطيب في الأسباب امددة . فان ادعيت في أعلاك
 هذه أن فعل الأسباب امددة واعتمد كونه . فلهذا سألنا عنها لوجب الشجاع
 قطعا ، ثم أجبت عن الأسباب الكثيرة التي تعين ولا يجمع أهلها قاتلا إن
 أهلها فعلموا ما شاك في حصول الشجاع فيها ، وإلا فلو فعلوها معتمدين عليها
 جازمين بالشجاع فيها لنجسوا وقدموا قطعا ، وقد أكثر من تكرار هذا
 الاصل ، فهذا الذي ادعيه هو من حسن ما ادعاه الخطيب في دعواه رب العالمين ،

انما تعرف بينك وبينه أنه أسد حصول سفيحة في ربك عظيم تقدر حسن
جلاله وجعل الدعاء من أقوى الأسباب ، وأنت تطلب بينك وبين الله
المخوفة وجعلت ذلك موطأ بها فكان كل مكان ينظم مقتضى اعتقده ، فانه لما
كان مؤمنا بالله وحده وأنه المتصرف في حقه فلهذا أثر من الله حرمه محاصر به
التي ألقاها على مقتضى اعتقده ، وأنت لم تك كبرت وثبتا ملجدا معصية على
الأسباب وحدها معك به في اعتقده كل شيء كسب جهات بعيد على
مقتضى اعتقادك ، جعلت مناص لعدم عكس ما جعله أصله ومناطه ، فاستندت
ذلك إلى المحسوس كما أسدده هو إلى الخلق ، وحدث قول لك المعارض عن
الخصيب ، فحدثت تعتقد أن ما حرج مناص من كسب الله ، وأن تعيها
والاعتماد عليه ، يوجب له حاج فيجدها من الله ، ثم يبرو كسب يضع
لهم لئسطن أو تضع لهم لئسطن ، ثم يبرو كسب يضع
على كل شيء وتعتد على كل شيء وتعلم كل شيء من موافاة حاج من حاج
أمدده تحت إشراف شيئا من ، فلا تسهر من كسب الله من كسب الله ،
فيه الكفارة أو في أساءه لمادية الكفارة ، ومن كسب الله ، وروى أنه لم
وعدم حصولهم على هذا ، فأنك من أحسن أهدم وهو حرم من ما حرج
شاكس في أنفسهم وفي أسسهم ، لأن أكثر هؤلاء لا يبرو كسب الله ولا
يعملون بالعبادات الدبنة الصحيحة ، وأنك من كسب الله ، فأنك من كسب الله ،
سقطت في مبادي أميائهم من وكنت من كسب الله ، فأنك من كسب الله ،
وقاموا وقاموا ، لا أنهم حرم من كسب الله ، فأنك من كسب الله ،
حرم إخوانهم الذين هم موثقهم يحسن هم من كسب الله ، فأنك من كسب الله ،
صد ما طلب بخلاف المادع فانه لا يحسن لهم من نفس الله صد أن ، فما
بانه لم يشنع على هؤلاء أو شين الله ، فأنك من كسب الله ، فأنك من كسب الله ،
أولئك على فعيهم من برده ودعا له ، وروى أنه لم موحد من على طاعهم
ووجهه إليهم غاية الملوم والدم ، وكل ما يجب عنه من الموانع والمعارض في

الأسباب المادية يحتاج عنه في الدعاء كما تقدم ، بل قد أخبر النبي ﷺ أن أكل الحرام مانع من إجابته الدعاء فكيف بالشرك وتحريف الصفات وترك الصلوات وإضاعة أوامر الله تعالى

الجواب لثالث أن دعواه أن الله لم يحب هؤلاء الداعين ولم يعطهم شيئاً بما طسوا دعوى لا يخفى ما فيها من الكذب ومحدور والجرأة على الله تعالى والهجوم على العباد والمطالبة في الحسيات ، من الذي أعطاهم هذه الخيرات المتواصلة والنعم المستمرة ودفع عنهم الشرور العظيمة مع ما هم فيه من المعاصي ، بما أن كذا ، أي هم أشد منهم قوة وأكثر أمراً وأولاداً وعدة وعدداً لم يتواشوا ، وكل عاقل يعلم أن حاله أكثر الأمم الإسلامية قد تحسنت تحسناً ، ولقد صرف الله عنهم شروراً كثيرة في هذه الحروب الأخيرة ، ورد عنهم شروراً في حربين حولهم ولا قوة ، ويعرف هذا الفصل متى تصور الأسباب خارجة عن الحرب وبعدد ما على ما مع الناس من الموانع وأمر دس وأدبوت التي لا تعد ولا تحصى وانقضاء الذي لا شك فيه

الجواب الرابع أن محذور وجود خطايا ، أحدها أن خطيئة واحدة في مجمع واحد أو في مجمع لا يسرع إعادتها بل يجب بطلانها على كل المسلمين ، ولا يفعل هذا إلا مفرط في الجهل والهووى ، من هذا لا يدل على أن المسلمين كلهم كذابت ، بل هم مقتدون بآكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا الأنبياء عليهم السلام ، وليس كل جمع يحب اعتقاد ما به ، إجماع المسلمين ، وقد تقدم قول هذا المصنف ، أنه ليس كل ما كتب يكون حجة على المسلم ، هذا لو قدر أن فيها خطأ فكيف وهم حق لا رب فيه

(١) وإن كان لا حاشية لحرام يؤثر في روح والجسم المقتضى به ، والدعاء الصاعد من حيث الجسم لا - أن يكون ملوثاً بالخطيئة ، والله طيب لا يقبل إلا طيباً ولا يصعد إليه إلا صواب

الجواب الخامس أن المصائب نوعان أحدهما ما لا قدرة لأحد على دفعه
 واتقائه وتلافيه عدده من الأسباب التي في طائفة الشر كالحوادث السماوية ،
 والثاني ما كان في قدرة الشر اتقائه ودفعه بما جعل الله للإنسان قدرة على
 استحصاله أو درته ، فالنوع الأول يعاجل به الدعاء والتضرع وسوجه والإخلاص
 من الذنوب ولا بد أن يقيد ذلك ما به يحكم موجداته ، والنوع الثاني يكون
 الواحد فيه فعل ما في النوع الأول من الدعاء والاستعانة بالله ، ويجب فيه
 أيضا بدل الجهد في عمل الأسباب المادية المتبعة بحسنه أو دفعه ، فالعمل
 يستمد منه لقود من الله معنى الدعاء ويخوذ ذلك من المصائب فلا بد من
 وجود السبب الدني مع السبب الطبيعي . ذلك السبب الذي هو الأصل
 والظهي دفع عنه ، قال تعالى : من شاء الله فليعص الله فليست له قوة على
 لم أنشأ لم يكن . قال تعالى : من يشأ الله فليعص الله فليست له قوة على
 أن يضركم من عدده . وفي الحديث : أحرص من أن يضر الله وسبب الله
 ولا تمحرون ، حدث وقال تعالى : لا تسجدوا لله من خلق خائف في
 السموات والأرض ويعبد من دون الله مسميون . فاحذر أن تكون المحجوبة
 في الأرض هو الذي يخرجها أي بالأسباب التي هي طوع وإرادته ، وقرن
 إخراجها بعبادته تعالى كما قرن السرونس والإخراج والخبء لأنها أمور
 مرتبطة ببعض بعض ، فإن من عبد الله بها ونصرها في صاعه لله وعبادته لم
 ينفع بذلك استغاثا صحيحا من قد يكون صريحا وبكفة عدده . فجمع ما في
 السموات والأرض من المسافع إما حق بعبادته وطاعته . فعبادة هي
 الأصل في حب الخيرات كلها وهي مادة الخيرات كلها كما قال تعالى : ولو أن
 أهل لقرى آمنوا واتقوا لصبنا عليهم ركنات من السماء والأرض ولكن
 كذبوا فعدوهم بما كانوا يكسبون . وقال تعالى : ولئن شكرتم لأزيدنكم
 ولئن كفرتم إن عذابي لشديد . وقال تعالى : وأن لو استقاموا على نظريته
 لاستقيم لهم ماء عذقا سقيهم فيه . فاحذر الاستغاث لصحيح بالخيرات المحجوبة

ولصهره، وما هو الشاعره، ومن الصالح، ويجب أن يعلم صرقي من الاستحصال
 ومن الاستماع، ولكن من محض شيدم، دفع به من قد يكون صررا عليه،
 فلا حاج نمره لا محصل، ولا على صر أن حطيا من ثلث من عقلاء المسلمين
 في محاضرة في مثل هذه المحامع بحرفة فينبئ الناس فيها عن العمل فيحتملهم
 عن الدعاء وعلى ذلك العمل، يسحب مع كلامه، فان مثل هذا الكلام لو
 بقه ليامر، اخبر صديق، فكيف اذا كان في أكرم رندى ومريد
 وأعدى عدو الاسلام، وان كان كلها، وهو مع ذلك لم يذكر الكلام بنصه،
 والواقع، انما كانت كاتبة انظر تكسب

دعوات الناس أن قول غائب ان المسلمين ما زالوا يدعون ويسألون
 انصر، لا ساعدا، وجوب، وقد يحصل لم شيء من هذا، دعوى في نهاية
 السمع، مع كبر حراة عن الله بحرفة ونحوه، هي كقول لقائل ان
 المسلمين لا يحسنون من الامور المستعمرة ما، وان يدلو أمنا ما مدبه
 لانه، لا يحسن من بركات وامرعات والمعارضات والمقاصد والصلوات
 ، سكاك انهم مع ذلك، يستحصلوا على شيء من هذه الامور التي
 انبواها، وكل عقل لا يرب في أن ما يدلو من الأساس لما دبه أعظم
 وأكبر وأصح من سببه من الأساس الدببه من كل وجه، فكمن ثورات
 قاموا بها، وكمن بحولات لا يحسن فهمها، ثم يحج من ذلك شيء، فلو أن
 قائل ان هؤلاء، انذارا والمعارضات وجميع الأساس الماديه لا تنفع
 لأن هؤلاء، وانما ثلثهم، ثم يكمل قوله أولى، بالطلاق من قول القائل
 انهم يدعون ولا يحصل لهم شيء مما ظنوا، لأن الدعاء ما يتوانه ويحسدوا في
 مقتضاه عشر عشر احتج، ثم في هذه الأساس الماديه، ولا يأتون به على
 وجه في تصديق الاحكام وحفظه عن مقبده من التمسك ونحوه لصفحت
 والتمسك والتمسك، انما تكون الأساس الماديه مستقيمة مكررة معصمة وصنعة
 بحرفة قد بدت في الامور، بخاتمة والمهج عاسة، فأس هذا من هذا، فمال

هذا الأحمى المكود شديد لعداء والمصادقة لدعاء الله تعالى وطاعته وتقواه ، شديد العلوة في الأسباب العبادية واحترامها مع وصوح حيويتها كثيرا واعتزافه بذلك . ولكن غرضه إذا كثر من هذا كله هو بحاربه رب العالمين وتثويته سمعة دينة وعبادته لاغراضه الخبيثة ، ولهذا فإنه جعل هدف أسببه واتوهمه دعاء الله ، لأنه يعرف أنه روح البعده ولها كافر ديك . وون تقدم الكلام عن مثل هذا مرارا تبع تنكرار منه وهو موه على هذا الأصل العظيم

فصل

ثم ذكر عن شيخ من العلماء وم اسمه أنه ذكر أن القضاة لا يدرجون دمشق . وأنه سئل عن ذلك أنها معقل الإسلام عبد الملاحم . وأنه في الحديث إذا حدث قصص فلا يقصر بعده . ثم اعني أن الواقع قد أكذب هذا الشيخ ، وذكر أن خبر من قربت والاعتماد رحته ، ثم ذكر أن أسباب هذا هو الخوف من الناس بظلمه ، وأضال من هذا الحديث ، فمن خطأ هذا الشيخ - ووثق - حجة عن مسند ، فهو لم يذكر هذا شيخ اسمه ، ولم يذكر تلامه ولا في أي موضع وحده ، بل اقتصر على أنه تحت ، وكأنه يرى أن كل حديث معصوم عند المسلمين ، وقد نسي قوله يخرج فيما تقدم أن الشيخ الكبير قد يعلط ، ثم إذا ثبت هذا فهو دليل على أن أسباب هذا هو

(١١) عنه يشير إلى الخواص ابن كثير ، قال إن هو المقصود بهذا الاسم فاعلم أن ابن كثير ذكر في تاريخه ص ١٨٤ ح ١٢ ص ٥٩٣ أن الأفرح ملككوا مدينة حلب ، قال ووفها سائر الأفرح أن مدينة حلب فتحوها عبوة ومذكورها ، الخ قال كان ذكر ما معه الملحد فمن ابن كثير أراد أن لا تكون لهم ورضا ولا تستغفر لهم مستعمرة اد من المستبعد أن يذكر ما كره وورده ، وإنما أراد ما ذكرنا . وهذا لم يفتح ولا حجة هذا الملحد فيه . بأنها لا مستفة . وهي وطن عربي ، وسبلاء العدو عليها يرهم عمرة لا بيان الحديث أصلا

الحمل يدين الله وطاعته ، لأن هؤلاء الدس استولوا على دمشق وغيرها انما
قدروا على ذلك لما ضعف أمر الدين هالك ، وهرب الناس في اساع سلفهم
الصالح ، فانه من المعلوم عند المسلمين أن من فرط في دبه واستكبر عن أمر
ربه لا بد أن يكون عرصة للعدو ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
بدأ الاسلام غربا وسيعود عربيا كما بدأ ، وقال : لا تقوم الساعة حتى لا
يقا في الارض الله ، وهذا يدل على عموم الكفر في اقسام وعسيره ،
ونس في حديث : ارا هلك قيصر فلا يقصر بعده ، ما يدل على أن دمشق لا
يبدلها الكفار حتى تقوم الساعة ، وقد ثبت أن ما حوج وما حوج سبع شه
والعرب وما حولها ، وهم اعدى من يهود وأما ظم ، وقد استولى
الكرس على يد اقدس في وقت صلاح الدين الأيوبي ، واما المراد من
الحدث أنه ما دام الاسلام قائما استقامت أمته فانه استرجع اليه
قديم ، أما ما اخرجوه وعنه واقتدى الله به في الآخرة أنه لا بد أن
يعاد من دبه ، وسلط عليه عدوه كما عده شرح هذا مرارا

فصل

قال ابن جرير : قال أحد القوادع المعتبرين من عمر كرم العرب وعركوها
أما أحسن تراب فربما كل الله مع قومها ، وهذه قوته يدا بطر ما لها شق
، لا بد من عقول ^(١) ، كعب في الواقع عمقه ^(٢) ، منه عن حقيقته كبرى في
حكمة الله ، وهذا اسمها الى قول الله في كتابه : ان تصروا الله بصركم
استطعنا ان نرى من هذا اقدس من حق وصدق ، من هذه الاله قد

١. قد يكون هذا من هو احدى كتبه ولا في كتاب السابعة ، ولكن
- أصابه القالج الذي أصاب الثاني
- (٢) نعم عميقة في الكفر والاحقاد

جعلت نصر الله لنا إنما ياتي بعد نصرنا له ، ونصرنا له تعالى هو نصرنا
لأنفسنا ، وادى فأنه لا ينصرنا إلا اذا نصرنا أنفسنا ، ولا يمكن أن ننصر
أنفسنا إلا اذا كنا أقوى^(١) ، وإذن فأنه مع النصر لنفسه ، وانصر لنفسه
هو الأقوى وإذن فأنه مع أقواها .

والجواب أن يقال أنت قد قررت أن اليهود أقوى من فادن الله تعالى
مع اليهود لا مع المسلمين ، ومع الروس والابجيز والامريكان وليس مع
المسلمين ولا مع اممهم واحسن ، لا بد لك أقوى منهم ، فأنه تعالى
وتقدس مع هذه الامم الباغية والطاعة . عن نص كلامه . فلا يجوز لنا بحال
من الأحوال أن نحاربهم ، بل يجب علينا ، واليه ونحبهم ونكرمهم ، ولا
سيما اليهود فأنك أطلت في تعظيم قوتهم وقوتهم أقوى من بلادك ، فحاربنا
لهم كفر وخطأ واضح ، لا بد لنا عار الله . حاربنا وحاربنا مع نصره ،
فادى نارعا هؤلاء فقد آثرنا عار من الله وسوءه ، فأنه حاربنا . على صريح
كلام هذا المصدق . مع الكافرين والمنجدين . لا مع المؤمنين والله من منفعه
الله وقبح من حارب الله . وقد قررنا أن المسلمين من حاربوا في الجوارح من
سواهم ، فأنه قد لا يكون معهم ، وإنما يكون مع أعدائهم ولا يكون إلا مع
من حاربهم . ولا شك أن نصهم حارب من الله حاربنا ، ولم يعلم أحدا من جمع
الكفار من أولهم إلى آخرهم نجاس على أن يحارب الله اعين يهدى لشعبه
ولا شك أن الأصنام غاية ما فيها في الدنيا أنها لا تصنع ولا تنصر وأما هذا
الاله الذي هذه صفته فأنه ينصر المؤمنين والمؤمنين اذا كانوا ضعفاء . فحارب الى

(١) الكسك مولى . لا يكون أقوى إلا اذا اعتقدا أن دعاء الله ملأه ومصرف
حيث ، وأن المتحسين من الأديان هم الذين معهم حاربهم . فهذا هو نصرنا لأنفسنا
هناك

النهار فقال تعالى : ولنصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الدين إن
مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن
المكر وشه عباده الأمور كقول تعالى نصرنا نأله الألبان هذه الاحلاق
الدينية لقضاهه لأنها هي الأصل ، فهي صحت واستقامت تفرع عنها كل موحاها
من الشط وتقوم المواضع عن العمل وهذا المبدأ كس هذه الاحلاق
الى هي نصرنا الله ، يدعى أن الاحلاق الدينية لها شئ آخر غير ما نفع المجد ،
من جعل اسماء الذي هو روح الاحلاق الدينية لا فائدة فيه ، وجعل المساجد
التي تؤدي فيها الصلاة بحوها أدت شر ما يؤدي وهذا عين امسده للآية
ونصر الله ، فكان هذا المبدأ ما عت معكسا وتعد على صمد ملوها وعلى
ممنس إحد ، مع كوها تنقطع طوره منبرهم صريح ، وكما أنه صادمها فقد
صادم أصل الله مع مؤمنين دون كافرين في جميع الأديان
لسمائة ، كما قال تعالى : إن الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، والله لا
يحب الضالين ، ويقصا من أصل أحرموا وكان حق عسا نصر المؤمنين
وغير أنه ينضم من المحرمين وأنه نصر المؤمنين ، والمؤمنون نصافون هم
الذين يصمون دمه وعباده وحكمه في كل أمورهم دون ما سواه ، وكيف
يسوع في عقل أن كوا ارب "مكريم" الحسم لعدم الحكيم مع أعدائه مع
أنه أعد لهم جهنم وساءت مصرا ، ففتح الله من يروح عليه هذا الكفر
بكرت كلمة نخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا

إن هي لا دسيسة حدثه يراد من وراءها شيط المسمن عن طلب النهوض
والاستقلال ، قال من "كرا اديوت" أن عارب الله وتنقوى عبه لأنه - على
ما رعم - مع هؤلاء الأديوت ليس استولوا على هؤلاء الصغفاء وهذا صرح
بعد أن قرر أن "يهود" أقوى من المسلمين بأن المسلمين والعرب ضالون في
الدفاع عن فلسطين ومقاومة يهود ، لأنهم أقوى منهم كما نرى . ولا ندرى

فلسطين وثوار مصر والعراق وسوريا وأمثالهم قتلوا بالحق والعدل ، والدين قتلوهم من الانجليز والفرنسيين وغيرهم إنما قتلوهم بالحق والعدل ، فهم يحقون في ذلك عادلون لم يتجاوزوا الحق والعدل ، لأن هؤلاء النازيين خفهم وأوطانهم صغفاء بالنسبة إليهم ، وهم أقوياء ، والله مع الأقوياء ، ولهذا أكدته بقوله « فهذا هو لقانون الشاس » ، من هلك به فقد هلك بالحق والعدل ، ومن هلك به فلا ناصر به ، فسبحان الله كيف تذهب العقول ، وآيين العيون على الدين أو الحس أو الوطن ، يا بالانعمى الأنص ، والكن بمعنى القبول إلى صدور

فصل

ثم شرع يذكر قصة فلسطين ، وادعى إفكا وزورا على المسلمين أنهم يزعمون أنه لن يكون لليهود مسكن ولا دولة ولا ملك ولا وطن خاص أبدا ولو فرط المسلمون في دينهم وأضاعوه . وقد أطل في تعظيم أمر اليهود وتحقير شأن المسلمين ، فقال :

« هذا ما كان يقوله المسلمون في الحصور الحايه في سياده النص ، وانتصم عليهم (١) « ما اليوم فقد حل بين هذا اليوم ، هم آحين ، وصاروا يقولون هذا القول ويهيمون هذا اليوم في حفر يهود في ملكهم ، ومحاولهم عادة وطن قومي لهم ، فقد كثر من لا يعلم بأن اليهود لا حفر ذات لهم وأهم لا يحشى منهم منه دين على المسلمين ولا على الأوطان الإسلامية ، لا على فلسطين ولا على غيرها . ثم عمو الكار عمر من خمسين سنة بأن الله قد دفع إليهم عهد مكتوب بأن اليهود لن يكون لهم ملك ولن يكون لهم وطن خاص . ثم اتهموا كتاب الله بوجود هذا العهد ورجحوا بتلون آيات من بينها في غير موضع »

(١) يعنى ما دعاه عليهم . ورا فيما تقدم أنهم يقولون لن يمسوا ولو قصروا ونسوا أنفسهم

فيقول عن هذا أجوبة أحدها أن قد تقدم جواب مما ذكره عن
المسلمين في أنهم في نصري، وببطلان ما يدعى كذب صاهر وبهتان لا
أصل له

الجواب الثاني أن دعواك أحمق، وإلهامهم يوم آخر حين يحبه كذب
ظاهر مركب على الزور الذي فيه، وقد تقدم مساده

الجواب الثالث أن هذا الذي حكاه عن المسلمين في أمر اليهود على هذا
الوضع ليس بصحيح، ولا يخفى نقضه على ما قلنا من كذب تريد أن تعماه
المسلمين الملهة - كما هو صاهر به ملك - على هذه الدعوى فهذا هو
واضح ولا يمكنك رده وإن كنت تريد أن تعين إلهامه يدعي ذلك فنعوم
أن هذا ليس من الحجة في شيء، وإن كنت تريد أن بعض من يتسبب إلى العلم
ادعى هذا فقد تقدم جواب أن صحيح كبر فقد بطل ما لا عدله، وأنه يقول
أن يسلم على من أن يعطى - وإن كان ذلك الأول ثابت فب هذا ما كل
يقوله المسلمون بهذا الاطلاق

الجواب الرابع أن الله في كتابه يهود ويصليهم معاً وعقلاً في أنهم
ليسوا سواء في أوسان والأحكام في تكليفهم فقدموا بحراً، وأنت
جعلهم سواء، والله قد فرق بينهم قال تعالى لا تجد الناس عند الله
للذين آمنوا والذين أشركوا، ولتجدن أفرقاً بينهم بين المؤمنين
قالوا أما نصري، ذلك أن من هم قسيسين وحبوبهم ولا يسكروا وهذا
اتفرق الثالث يقتضي أن من يعصيه الله لا يدمن وجود نوره وقال تعالى
﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ وَاصْبِرْ لِي وَعِظْهُمْ ﴾ من الذين
كفروا وأوحا عن الذين أسعوك فوق من كفروا إلى يوم القيمة الآية .
وقال تعالى في اليهود صرناهم أمية بين يديهم لا يحل من الله وحل
من الناس إلى غير ذلك من الآيات . وليس في القرآن أو السنة ما ينفي

فكانت هذه احدى اوجه من اوجه اصرارهم على "تكفير" اومس - مع يته أو
احتقره وقصر فيه ، فانهم كانوا في وقت "سبي" وحفنة وقسم وبعدهم
الى هذا الوقت لهم حكومات وديول فتنه . وقد عرفت سيرتهم مع المسلمين
في تلك العصور ، وقد استولوا في انحاء الوسطى بين معلومة على القدس
وفيه سكان مسلمون فعاشوا معهم ، وهذه الحوادث اليهود ، فانه من دود
التي عنه السلام وبنيها الى هذا الوقت . نيت لهم مدح ولا حكم ولا توبة
مستقلة استقلالاً تاماً كاستقلال غيرهم . وربما استولوا عليه من الحب
والمكر وسقوط الاخلاق ، فانهم كانوا يقومون لآباءهم غير حق ، ويحرمون
الكلم عن مواسعه ، ويكفرون بآبائهم ، وهم يمدحون مكذباً طلاق
للسحت . ومعهم ان من انصف هذه الامم لا يمكن ان يقدم
والصالحين من يكره عليهم في العصور وذا في سيرة ابيهم من اكره على
اليهود ، فالفرق بينهما ثابت حاصلاً ، وهذا مفسد خدمه في الاخر
قياس في غاية البطلان لوجود الفروقات في هيئته الواسع

الجواب السادس أن المسلمين فيهم من كان له تعالى في حود هذه
الذي يدعيه ، بل هم يقولون ان الله تعالى قد عذب على اليهود اياته ولمسكه
كما ورد ، ولا يمكن ان يمدحوا على المسلمين في حودهم ، فما
اذا اضيع الدين وسد الله بصوع الكفار والفساد واستعصوا على هادم
اليهود وامثال اليهود من الومس وغيرهم من حوزة اعدوا او اعدوا
حالتهم الحسنة بحاله سيئة . حيث يدعوا الله كذبوا واستعصوا على الله
ورحمه طيبه وشرا . تأمل بسط هذه اليهود او غير اليهود عن يتولاهم
ويستولى عليهم ، فأي وطن من الاوطان اشر فيه اندس على رءوس الاشهاد
ولا يتمصر فيه وجه أحد ، وان تلك اليلاء يوجد فيها أكثرية تنظر الى الاديان
السماوية والى أهلها نظره المحقر المزدري مسهك . ولا يوجد فيها إلا ما يد
من يعار ويعصب لله ولدينه وشرعه ، حتى ان يعاقبوا باستيلاء اعدوهم عليهم

ولا سيما اذا انصم الى ذلك ضعف سلاحهم المادى ، فاذا انقضى السلاح الدينى
والسلاح المادى فاقى مانع لمن هذه حاشته من أن يكون عرصة لطمع الطامعين
واعتماد المعتدين ، وسواء كانت هذه البلاد التى هذه حالها فى مشارق الأرض
أو معاربها وقد تمت فى الصحيح أن يأحوج وماحوج - وهم أمة من بني آدم
كغير أكثر من اليهود - سيطروا ويتعلون على أكثر هذه الأقطار
رما قليلا ، فاذا كان هؤلاء مع كبرهم كغير ملاحظة سيتعلون على هذه
الأقطار على حين مرأه العنصر باشرائع الديانة فيه فكيف لا يكون من الخائر
أن تمتد يهود على بلاد قد فرط أهلها فى دينهم ولم نعموا بشرائعه ، لأن
العاصم من ذلك هو الدين الصحيح ، ففى ذلك رأى مقتضاه أما داوود على
أوجه الصحيح من بقية يهوده لا عن اليهود من "كفر على الحصول عليه
وجعله وطننا خاصا لهم أبدا" ثم لو فرض وجود قومه ملكهم فى وطن قومى
مهما كانت العوامل فهذا لا يوجب الدالة والمسكنة عليهم ، فإن هناك
حكومات لأقوام لهم أوصاف قومية وهم على عامة من هذه والمسكنة لأموال
أخرى ، ولا يمكن أن يفرضهم ملك أو دولة إلا لتحمل من انه وحمل من
الناس ، فاذا لم يحصل شيء من هذه من الحمل أن يستحصوا على شيء من
ذلك ، كما أنه من محال أن يستحصوا على وطن مقام فيه شعائر الإسلام
إقامة صحيحة ، فاذا تمسك المسلمون دينهم الحقيقي ولم يهروا وأحدوا بما أمر
به ووصى به من الأسباب الدينية والدنيوية من يتقدم عليهم اليهود والاس
يتغلبوا عليهم ، كما أنهم لم تقدموا عليهم فى تلك "قرون الممسة من قهرهم
غاية قهر" ، أما اذا أخذ المسلمون قواهم من "عزال اليهود التى أعظمها
قوهم للكفر" هؤلاء أهل من من أموا سبيلا (١) وحرروا الظلم

(١) سواء هو ذلك من سلطان سلطان أو من سلطان خيال فان اختار قومه
واحرامها دون نظامه وشرعه دلل على أنهم يرون أنها أهدى سبيلا من غيرها

عن مواضع كحريم الصفات والحدود وغيرها وانما عوا في أكل السحت
والقسمع للكذب وعصوا الله ونجروا عن اسع كسايه واستكبروا عن
الأحد به وشمجوا بأنوفهم عن العمل به وراوا أنه ليس في اتباعه كفاية وأن
التقوى وبصلاح حول وانحطاط وأمثال ذلك ، بقول ان ايسى يأخذ أعلال
اليهود في ببد النصوص ونجريم الحكم عن مواضعه والحيانه في أكل السحت
والنصوص بالسمع مكذب فيحصل هذه الأعلال في عمقه ويديه ثم يريد مع
ذلك أن يقهر اليهود وأن يكافح اليهود ويستمر عليهم وقد صفد نفسه بأغلالهم
فتدريجاً ما لا يسجنه لأنه إذا ظهر بل دونه ، لأنه استل إلى دين وباعته
وأفسده بخدمه بأخلاق أعداء ذات ادين ، بحرف الحرف الاصل وهو
هذه حاله فلا بد أن يضرب بسنة والمسكنة ، فتمت ما أراد أن يقرر من انما
من حصار اليهود بكون له من الدين وامكنه صفت غير مفيد من

واحصل أن قام دولة لهم ، هذه من ارمي على هذه الوصع الزاهر ،
وعلى هذه صفة لمجردة لأن ، لا يبق ما زالت عليه تشو من ، فالنصوص
ليس بها تعرض عن عدم ، له كرهه ، وانما رتب على صرت له عليهم وبن
من فعال فمهم ، وهذه بدولة المعرمة بمساهمات على أعراض ، أهواء
متنافضة متعاكسة ، ففرضت فرضاً بقرود و بآراء وبقوم ، لا بالناس ،
وسطر الصحيح كاشف في الدول ككثرة وجرى ، وانما فرضها ،
فمرورها لأنهم سمعوا بحسنه لا بمعصيها هي وهي بدعست سكت من أحد
ما لقبته من الإله باملاحة ، لا بشفاء ، ثم هي مع هذه بعامات
لما صعدت أمر ادين في عروس الأكرثين وأنصح الذين لا قيمة له في دلوب
أكثر لادن ، من سحر وانحب امدته وشهوات ، ببعيه ، فكانت نوع من
أنواع العقوبات ، فانه هذا شأنه ، هذا هو صوب كيف تصح أن يبي عما صرت
الذلة والمسكنة ، بل نفس قيامها بهذا الوصع دين على صديق هذه النصوص ،

وہ تو مہلک ہوا اور مسکب خفاہ ان کی تہ ہوا الموصف
احضار وکات کعبہ ہوا مہلک ہوا

ان المشكلة الكبرى - المصنعة العظمى التي أعمت بصائر الكثر من أمم
تنتظر الى بعض اشعوب فتجد شعب كنه - لا من شاء الله - منعست في
اخلاق اليهود وفي اخلاق المنافس في نحو صف بصوص وخرج معها عن
ظاهرها ثم بعض بعض ب - ثم رتبة بعد الاستعداد والحق - ثم
مع هذا تجد هذا شعب مصرا لبلاد يوق هذا لشعب وتشتع - ثم انه متقدم
أويرى أن - من فسيحة من "السجون" بل قد يرى أنهم في الأصل
والعدو ، فيجعلها أول كل شيء وفي كل شيء ، فما واثق من بعض عمل به
- لانه واضع ، لا لأنه من من حكيم حميد - بل حذر - بعض - ف
إما يدعون أنه مشبه أو يدعون استحقاق بعض به فبعضه في بعض الله
ثم مع هذا تجد هذا "شعب كنه" لا من شاء الله متى وانه آخر في هذا وهو
وإن حجة إمامه وأهله عدم ما وجدنا ما وجدنا من كل من الله فيه
وذلك هو أصل الشعب ، ثم مع هذا تجد هذا شعب كنه مصر و - بلاد آخر
هو المحتج باتباع اليهود فهو عدو ويسمع لكل ما يدعوه ويدين حلف
الحقاني وكان كمالا بسفه ، ويدع بعض كل ما يكفه في حجاب هراء
وان كل صدق وحققة لا تثبت فيها - فمدح نجيب به بعض كذا شيء
لأجل هو في كل ما يسمع ويرى - فهو سمع يسكت في حارة صمم عن
الصدق لم يه من الآيات المسحكة على صفات شعوره ، ثم لا يكتفي هذا
الشعب كله بهذه لقيود والأغلال اليهودية في صرعا على نفسه حتى يصم أيها
أصفدا وأغلالا أخرى ، فيجده في محسنة ومفسدة ومثلكه ومثله وفي دهائه
وإيائه وفي كل عاياته مقبدا يهود وأمثال اليهود في كل ذلك ، ثم لا يكتفي
هذا الشعب بذلك كله حتى يذهب إلى أمر أمر فيرتقي به عدوه المعكوس وفيه

الظلموس ان الله بهم الله تعالى ودينه فيكتب عن الله تعالى انه مؤمن مسلم
مستحق لما استحقه المؤمنون عن ضرر و نية و عداوة و كراهة و
والتوفيق ، بل ربما يتهم دين الله ويطن انه ينادي المصيبة من اجل اذاعة
الدين و طاعته لرب العالمين

ان الله حلت عظمته احوال و اعطى من ان ياتى به الملائعون او
ان يحدده المحدثون ، فهو الله على نفسه من دين و نور و نور السنين
يخادعون الله كما يخادعون الصالحين ، ولو ان الله لم يزل اهل
الله تعالى و قدس قد ازل شريعة كافيه كالملة لمن اخذ بها واعتمدها ، فجعلها
نورا و بصائر و هدى و رحمة ، و حكم حكيم من الله مع هاد ، يصل
ولا شيء ، و ان من اعرض عن ذكر الله و عيبه و صدقائه و حشره يوم
القيمة اعمى ، لا مبدل لكائه و هو السميع العليم

أحب ما تعجب منه المسم أن يرى باب ذكره و ما وسع صدره و لعنه
و يقسم ثم يحار آراءه و أخلاقه على كلامه و يشاهد و رحمة ، و على أخلاق
سليمه البدة الأقوياء الطيبين فظهرين ، مع عوده بحد هذه الآراء الاضداد
بهم ، فيتعاكس حبه و اتقياءه و نعصه و مخالفة ، ثم يتركه يكون مستحق في
كل أحواله و نعمه ، مستحقا على نعم الله و قدره ، و الله يحب كيف
يحارب قوما و لا يحارب آراءه و أخلاقه في صورهم و جسمهم ، كيف
يصاحب أخلاقه و يحارب صورهم ، أخلاقهم بقدره لا أخلاقهم لغيره لا
أخلاق القوة والعمل ، فان هذه هو الآخرون و هم ، كيف يدعى حجة الله

(١) أغبر على نفسه من أن يحمل دينه و كتابه و بوره و عداوة بعد حسنة الدين
و أهوائهم فإرغمهم فلو و ما حادهم و ربه ثم يعرض من من ربه و يرفقه و يحمله
و يتولاه

وبجارت نظامه ، وكيف يحترم أسلافه ويدعى تعظيمهم والافتداء بهم وقد صرت بأحلاقهم الدينية عرض احسانظ وأساء الظن بها واحقرها فهو لآء إنما يعادون صورهم وأجسامهم فقط ، وأما أحلاقهم وآراؤهم المصددة للدين فهي لديهم مكرمة مرفوعة محترمة

ومن أحب أن هؤلاء الذين يسمون من الأديان ويمرقون منها جماعات وأفرادا - مؤملين بوصول إلى أهدافهم ، طلبهم في الحصول على اللحاق ، حواهم من عشقوا مدانهم وفقدوا فيها وعظوم حسبا - لم ينالوا إلا عكس ما قصدوا به بقيت ما أرادوا ، وكل حاولوا الخروج من هذه لوهده رات أودعهم وحسنوا في ذراتهم وكل أرادوا أن يحسنوا من عم أعبداوا فيه

والمعاني السنية ، الوفاة تصدقه تديهم حساب حاد قد حزنتم وعظمهم كل ما قد سمع عليه من احقر الأديان وأهملها وكرهها وكره أهملها وحرم ما فيها من القبول والامارة وحرم أهملها وكرهها وكره أهملها وما لم تسمع منهم شئ كان عفة مريكة لآء ، وإن وكل معكم غف أردموه مقدرا معكم ما عادموه واحقرتموه - وهم أنهم هذا النداء الصريح والسان الصحيح حادوا ، أصابعهم في آذانهم قد حادوا في طعنهم بمعقول

وامر لا يضر ، ولو عظم لا يضر ، وغوارح لا تسمع ، وكل برهن يأمر بهد سدى ويمر كما جاء من أولادهم أنهم يحسنوا في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يعبون ولا هم يكرهون موكرين من آفة في السموات والأرض يمدون عليها وهم مع عظماء وما يذم من أحدهم بأنه لا وهم مشركون ، أو أموا أن نسيه عشيء من عباد أو نبيهم الساعة بعثة وهم لا يشعرون

وهو أمر يجب نسيه عظماء وهو أن أئمة الدين قالوا : ان المسلمين إنما أحروا لما سمعوا أمر من الله ، وهم لما بعدوا عن دينهم الصحيح وعروا

تأخروا. وهذه قاعدة وأصل معروف عندكم وهو قول صحيح لا ريب في صحته وقد أورد بعض الزنادقة وضعفه البصائر على هذا القول اعترافا باطلا فقالوا . لماذا تأخر المسلمون حين أحموا دينهم وتركوا العمل به ولم يتأخروا غيرهم لما فعلوا ذلك بدينهم . وهذا الاعتراف قد أوردته هذه المعجزة في بيده العجائب (كيف دل المسلمون) ثم ادعى أنه اعتراف صحيح ظاهر بلا شك . ونحن نقول له بل هو اعتراف بضعف مذهبهم ليس بشيء ، ويدل على بطلانه وجهه :

أحدها أن قول أئمة المسلمين إن ضعف الدين يوجب ضعف الناس . ودينهم لم يتأخروا إلا لسبب ضعف دينهم لا لضعف دينهم فيه أنه لا يقدم أحد غيرهم من الكفار على من هو مثله أحد . من مقصودهم أن الله تعالى قد أعز أهل هذا الدين بما أنزل عليهم من أنوار هدى ونور وبصائر ، فكأنهم بعد الخلة وأخرجهم بعد الله وهم بعد ضعف ودينهم بعد ضعف ، وبأنهم غيروا دينهم هذا المذبح المتورع وبسبب ضعفه وحرقه واحتقروا دعوا عباده بينهم ، فضعف هذا السبب الذي به حصل لهم هذا التقوية وهذا العز وهذا المجد ضعفوا ومعلوم ناصرية أن ضعف السبب يوجب ضعف المسلم ، فإن كل من تقوى عبادة أو سلاح وانتصر به ونحس به فلا بد أن تضعف قوته التي قامت على تلك المادة أو ذلك السلاح تضعفه ، فضعف انتحاله لأرم

(١) ذكره في ص ١١٤ منها وهذا لفظه . وبعض الناس يعمل هذه الآساء في عبارة موجرة فتيه فيقولون أن المسلمين تأخروا لأنهم بعدوا عن دينهم وأهملوه . ولكن يبقى على هذا سؤال . لماذا تأخر المسلمون حين أحموا دينهم وتركوا العمل به ولم يتأخروا غيرهم لما فعلوا ذلك بدينهم . وهذا سؤال ولا شك صحيح ظاهر ، لأن التقصير لا يبرم أن يكون قائما على الدين والعقوس ،

لضعف الوسيلة لا ب . وهذه كلها حقائق معدومة لا يمكن المرافة فيها ، فان
من اعتقد أن العرب والمسلمين إنما طام أمسه على هذا الدين ولا بد له
من الاعتداف ، فإن ضعفه تابع لضعف دسهم طرأ لحسنه بماعدة مع قطع
النظر عن تقدم مدعاه قال : ذلك شأن آخر

وجه : أن قولهم إنما نحن غيرهم لما دعوا : ذلك قول باطل ،
فإن رده : أن قولهم إنما نحن غيرهم لما دعوا : ذلك قول باطل ،
بصحة رده : فعدوا من كل لأمم فاه قدمها وعندها على أدريان
سواء كان لهم من غيرهم تسع مئة وأربع مئة أو ضعف ذلك كالأمم
التي لا يلازم سور كالكثرة في حجة الله تعالى : وإن كان شيء وهو
ما إذا فهو مجموع فليس هناك من صحيح غير الإسلام ، فذلك شأن آخر وجعله
أهمه دعوا على المسلمين ، أما تقدمه على من هو مثله فهو عبارة عن تقدم
مدعاه على حده على نفسه كغيره من مدعاه ، وهذا غير وارد على الإطلاق ، قال
سنة : كهم على حده أو نفسه لا يبرح فيه أحد لأن حقيقة أنه بهم أمسه
امها واقه سبحانه وتعالى قد ذكر أنه : من بعض الطوائف بعض ، وهذا يقتضي
استيلاء بعضه على بعض

الوجه الثالث أن هذا الاعتراض من عن مقدمة باطلة ، وهو قياس دين
الإسلام على غميره من الآيات المدعية بالسيوحة ، وحقيقة هذا أنه قياس
الإسلام على الكفر ومعه : أن هذا من قياس شيء على صده وهو باطلي
إطلاقاً ، فإن ثابت هذه المدعاه المانع عنها هذا الاعتراض باطلة بطلت
باحتها ، لأن قولهم : إننا خير من غيرهم لم يدعوا عن دسهم ، وعبروه
بأنهم أن دسهم المدعوا عنه وعبروه عن الإسلام ، وكلاهما سواء ، وهذا
لا يخفى عليه ، لأنه يقال في جوابه : أن هؤلاء يدعوا عن دين باطل إلى دين
باطل وعبروا عن دين باطل إلى دين باطل ، وأما المدعوا عنهم فادعوا عن الدين

الصحيح الى دس باطل واستبين أكثرهم دما صحيح بلدين باطل ، وبعضهم
فصرق منه الصحيح ، فأين همد من هذا وهذه فروق في غاية الصحة
والوضوح ، فلا بد من ظهور أثره ، فقيس بعصب على بعض مع ظهور النصاد
قيس في به = سقوط

ووجه آخر وهو أنه تعالى آمن على هذه الامة العربية سعت هذا الى
الكريم الذي هو حام النبيه وقيلهم مهم ، وحمل سر مهمه تكن الشرائع
وأعظمها بعد أن كانوا على أشنع حالات وأحسب فخرهم من طلائع
ان سور ومن اموت الى الحياة ومن الدنيا الى آخر ، كما قال تعالى - هو الذي
معه في كآمين سولا مهم يسوع غير منه ويكره ويهمل الكتب والحكمة
وان كانوا من ول لو سأل من - وأعطهم هذه النعمة العظمى وبوأهم هذه
النعمة العظيمة وعسى عنهم هذا السلاج - ليس تركوا به كل ما عندهم لما
استمدوه على وجهه - داما جحدو هذه النعمة واستصغروها واحتقروها
وعاشروها سلاج وجمعوا القهقري وعرفوا ان يرى كل معنى هذا أنهم
ممة واما آثم من من الهدى والوح والروح وتوابع استمدوا ذلك ما
يضاده وينافيه من قوانين أعبداء الله وعبدانهم من اليهود والنصارى وأمثالهم
وجمعوا الى عباده الأول كالمعلق على الأساس خسعه ، أي مقهور كان من
مظاهرها ، لاشت أهم إياهم انك أوامه كذمهم به يكونون أولى
استحقاق العقوبة من غيرهم وأولى سلاج من غيرهم كما قال موسى بقومه
لما حاروا الثوم ولصن على الى والسلوى - يستملون الذي هو دق الذي
هو حار ، استملوا مصر إلى أي قومه لا وصرفت عليها الله والمسكنه - لاية
فإذا كانت هذه عقوبه من هذا فكم كيف من حار نعمة على و ولون
على الحياة والكفر على الإيمان ، وكذا لك استملوا الذين أفروا من الاسلام
في الخلة ولزموا حكم الشهادتين ولا يعملوا منتصهما بل عذبوا بسهم طوا

ولما وحرروا الكلام عن مواضعه في الصفات وغيرها وعموا بما تصاد الدين
من القواسم ورأوا أن ذلك هو طريق المحسوس وأنه هو الذي يلائم السياسة
والدهاء والحكمة، لاشك أن من عمل ذلك فلا بد أن يعقب بمكس ما قصده،
وكون عقوبته أولى من عقوبة من جاءه بالكفر، أو كان متمسكا بدين
قاسم قبل الإسلام ولم يعترف بدين ظاهر، وبخالفه ناص، ويكون نصيبه من
العدل والتأخر بقدر نصيبه من اتفاق واحتفاء الدين والإعاض عنه، وهذا
ظاهر لا يخفى به. وهذه لفروق يعرف أن عقوبة من حالف ليس الصريح
أو قرط فيه بمد ما عقله أولى من عقوبة غيره.

الوجه الرابع أن نسبة الدين لصحيح في الدين ليس هو الإسلام إلى
الكفر كمنه إلى التسمية والتسمية إلى المرض أو الموت أو
فقدان إلى الضلال أو الضياع في الضلال، فهي صفة متصلة بالدين السلب
والإيجاب، فزيادة أحدهما نقص في الثاني وانقراض أحدهما هو في الآخر
ككسر الشيء إذا هبطت إحدى طرفي فلا بد أن يرتفع الأخرى، وضعف
أحدهما بلا ريب موجب قوة مضادة، وهذا قد ان المسكين وأحرأ لما ضعف
دينهم ومديانته فهو كقولنا انهم ما بعدوا عن النور دخلوا في ظلمة ونقدر
عدم عن النور يكون دخولهم في الظلمة، ولم انصرفوا عن الهدى وقعوا في
الضلال، ولما أن انحلت صحتهم وقعوا في الأمراض، ونسبة شعب الكفر
في الصلوات والذكرات كمنه تركت الضلال والظلام ونوع الأمراض،
يعتبر أن من سمع من صحة فلا بد أن يكون مريضا من حسن وكذا الجسم
لا بد لأحدهما من صحة والمرس في هذه الدنيا، فإذا ان المسلمين بأحرأ
لما ضعف دينهم وبعادوا عنه كقولنا وهو أمرضوا لما ضعفت صحتهم، أو
صلوا لما انحصر عن طريق هدام ونحو ذلك، وجب أن لا يصح أن يقال يتم لم
يصل غيرهم بل صلوا ويمرض غيرهم لما مرضوا ونحو ذلك، إذ حقيقة الدعوى

أن تعير غيرهم عن حالته كاستعمل مريض من مرض الى مرض آخر أو من صلاة الى صلاة أو من ظلام الى ظلام . فان الله تعالى منفي عنه فلا اعتراض به باطل بطلاء ظهرا ، فأين من انتقل من نور الى ظلمة من انتقل من ظلمة الى ظلمة أو من ضلال الى ضلال

الوجه الخامس أن الله تعالى بين بين الصريح وبين حكم من الله وتمسك به كما بين حكم من حاله وأعرض عنه في الدنيا والآخرة ، وأصحها كالشمس ، قال تعالى يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا لكم نورا مبينا . فاما الذين آمنوا بالله واعتمدوا به فمدحهم في رحمة منه وفصل ويهديهم الله صراطا مستقيما . وقال تعالى في انبأ هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له مضى حسنا . وعشره يوم سبعة أسمر . وقال تعالى من عن صالحا من كبر أو من فحشه حده صه . الآية . وقال تعالى يا أيها الناصر سادس آمنوا في الدنيا ووه يوم الأَشهاد . فتأمل قوله في الآخرة الدنيا بعد الآية صا صرح في أن الإيمان والعمل الصالح يسع في الدنيا كما يسع في الآخرة . وأن سعته قطبه في النور وعينه لا بد أن تظهر في الدنيا مع ثواب الآخرة . وهذا يطل قول املاحة وعندهم هذا المعروف . في أن الإيمان والعمل الصالح لا يسع في الدين كما صرح بذلك في مواضع ولا سيما في مقدمته (كيف دل المسبون) وكذا قوله تعالى ثم حسب الله من آخر حوا السب أن عهدهم كالدين آمنوا وعموا بمصالحات سواء بحياهم ومماتهم سواء ما يحكيون . نص فاضع على عدم تساوي المسمى والمحس والمؤمن والمحرّم في الدنيا والآخرة . وقال تعالى يا الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة إلى أمثال ذلك وهذه تراهم صريحه نص على أن أهل الدن الصالح لا بد أن يتقدموا في الدين وأن يصروا على أعدائهم ، فكل من تمسك بالدين والإيمان الصالح - لا الإيمان الكاذب الملوّث بالعق

واحقق الأسباب وحقق نسيبات قسيمة لها فلا بد أن ينصر حتما كما وعد
الله بذلك ، فإن الله لا يهدى شعبا جاهلا ولا يقهر ويهديهم إلى الأسباب القوية
ويفتح لهم السبل التي بها يتحقق ما وعدهم به ، فإن الله تعالى يتدبر الأمور بقوة
إلى العمل القوي النافع الصحيح وحسنه فالاعتراض على ذلك السؤال إنما
هو اعتراض على إقصاء نصرة الله في هذا الأصل ، واعتراض على
مادت عنه ، فإن كان معترضين عن سعي الإسلام فقد تفسد وسقط
اعتراضه ، وإن كان حجة لا حجة ، فإن كان لا يمان انتقل النزاع معه حيث لا
أمر وإرادة ، وهو في الأصل كمال وصحتها وفسادها ، وهذا مسلك
آخر ولا اعتراض على من يفتي على هذا

بوجه لئلا ينسب أن مدعيه إنما هو أحسن الدين في الدنيا ، بل هي
أفضل مقصوده وأجود مقصوده من الدخول فيه ، بل ذلك أمر آخر تابع
للمقصد ، مدعيه إنما في أحسن وجهه يقول إنما يكون الأصل أخلاقي
الإنسان ، ثم إن الله به خير ويخلص الله وجهه لله والدار الآخرة ، بل لا حق
أن يقدم في الدنيا وينال منها مالا أو جاها ، بل هذا يرجوه تبعاً لرضى الله
لأجله ومقصوداً من أجله لا يمكن أن يعجز عن تقديمه ، وأمر عقيدته ،
ولا يكون تحرره حجة عليه ، بل عيشه أن يكون ما أمر به من الطاعات
وأمره بالأسباب المأمورة مباشرة من أخيه وما يعقب به ، فإذا كانت
الأسباب والبدنية وسئل الله الأمانة يوفق ، فإن وفق وشك ، إلا أن
يصبح له آخر حسب الشرائع وأما من كان مباحس لدين إلا المقصد تقدم في
الدين وبين الشرائع وأخيه ونحو ذلك فيدخل ضمن طرده بمعنى أو لغيره أو لغيره
ويحسب الآخرة تبعاً ويحسبها مقصودة مع الدنيا سواء فإن حصل له شيء من
الدين ولا شيء أصح أو يكون معه شك أو ريب ، فهذا في الحقيقة ليس بمسلم
هو صادق ، ولا يكون ما يجب به إلا أنه حتى يدخل الدين راضياً به

مشتبه وجه الله لا مقدما عليه سواه كما في الحديث الصحيح ، ذاق طعم الايمان
من صلى لله ناء ، ولا سلام دسا ، وفيه نصا ، لا يؤمن احدكم حتى يكون
هو اذ بعد حنت به ، وقال تعالى : ومن آمن من بعد الله على حرف ، فان
أصابعه خير اطمأن به ، وان أصابعه فتنة يفتن عن وجهه حصر الدنيا والآخرة
ذلك هو الحسب الدين ، وقال تعالى : من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما
نشاء لمن يريد ثم جعل له حرم بصلاته مسموما مدحورا ، ومن أراد الآخرة
وسعى لها سعيها ، هو من فقهنا فان سعيه مشكوك ، فكل من لم يدخل
الاسلام مفسدا لله ، مما صار في اسلامه مسويا وجه الله والدار الآخرة
معصا الكفر كما هابه كما ذكر ، أن معنى في الله ليس بمسلم إسلاما صحيحا

وعلى كلا الأمرين ، لا بد من القول المذكور ، لأنه مبني على أن التقدم في
الدين غاية لا لغيره ، على كل حال مسلم ، كانت إسلامه مدحولا .
ومعروف أن الله ليس لا يرونه ، فان الله تعالى جعل الابتلاء في الدنيا
أجرا ، لا بد منه ، بل لو كان أهل الدين مائما يتقدمون دائما ولو
فصرخوا وبعثوا عن دهر مدحون دين ، من كثرت وبن جدا لقصد الدنيا ، ولحق
كثير من بطلانهم ، وندمهم ، ونجاتهم بعبودية ، واصدق والاخلاص المطلوب
من المدحون في الدين ، من هو اثره المقصودة منه ، ولصار المقصود من
الدين هو الدين فقط لا رضاء الله وأربعة فيما عده ، وهذا يشاق مع حابة
الاعتناء به من الدين ، ولكن الانلاء والاصح حاسبا ، لا سيما في الأمم
المدحولة ، مسافتين ومن في قلوبهم مرض ، أمر لا بد منه ، فإنه يحصن هؤلاء
فيهم ، كالكاد من صادق والخص من لعاش ولحدث من لطيف كما قال تعالى
: وما كان الله ليدر المؤمنين على ما أتم الله عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
وقال تعالى : ولينحص الله الذين آمنوا ويخرج الكافرين من أيمانهم ، وامثلها من
الآيات . ولولا هذا الانلاء والاعتناء به من الدين ، لم يقبل المؤمنون من غير
هؤلاء دينهم ، ولم يستهزوا بهم وبصبروا وما يكفون من بعض ولا حقيرة ،

ولما استبان صدق المحصين في إيمانهم وصبرهم ومصابرتهم في السراء والضراء
قال الإسلام والدين منه على العبودية والصدق والاحسان ، ولا يصبر هذا
إلا في السراء والضراء ، وفي ذلك أيضا ما يوفد عهدهم وبين علقهم فيعرفون
كيف يتلافون خطاهم وعلاصهم في ارتكوبها ويعرفون كيف يمتحنون
الأمرض التي وقعوا فيها ، فكيف في السراء والضراء أحاديثهم من فوائدهم
لا بعدها ولا يحصيها إلا الله تعالى ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

الوجه السابع أن السراء والضراء واسحة من السراء والضراء ، فالسراء
والضراء بعض المسببات أحوال ، فلا بد أن يكون بعاقبة حميدة لهم بخلاف
أحوالهم ، وإن تقدموا أحوالهم فلا بد من السراء والضراء كحرام الله بذلك
وعلا لا استقرار تام ، فإن هؤلاء من هؤلاء ، والله سبحانه وتعالى قد فصل
في كتابه لهم برك كيف يكون حكمة هؤلاء وكيف يكون حكمة هؤلاء ، وبين أنه
قد جمع السراء في الزمان أحد فيه أصح وأن العاقبة الحسنة لهم ، وبين
أن السراء قد يتقدمون في الدنيا وتكون عاقبة السراء لهم وهم يكونون
ويعلمون وتحمل بهم النصيب الدائم عديم ، وكو هذه الآيات حكما فاصلا
فيهم وهي قوله تعالى ، واتقوا سبأ من أمم من حيث فأحسدكم بالأسماء
والضراء لهم يتضرعون ، قلولا إذ جاءهم بأس تصرعوا ، ولكن قست
قلوبهم ورس لهم الشيطان ما كانوا يعملون ، فبأسوا ما ذكروا به فبنت عنهم
أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما آتوا حسدوا فبنت عنهم قلوبهم وملسوا ، فمقطع
دار لقوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، وقوله تعالى ، وما أرسلنا
من قبلك في قرية من نبي إلا أحدا منهم بأساء ، والضراء عنهم يتضرعون ،
ثم يذنبوا مكان أسيتهم الحسنة حتى عجزوا وقالوا ، قد من آتاه الضراء والسراء
فأحسدناهم بعتة وهم لا شعرون ، فقد بين الله في هذه الآيات الذكر به حاله
الأمم المخالفة للرسول في الدنيا وما لهم فيها ، وهكذا كان الواقع ، قال الله تعالى
لمساكين لهم الحق جعل يقلب عليهم الآيات والتعريف فيمتحنهم أولا بالأسماء

لما كنت أعمى بصرى وهو مصحون ، ومن معنى - وهذا كما مهلكى انقضى
إلا وأهبط صالمون ، ومن فقرات أتى حصل الإسلام فيه شيء من التآخر
هى بالنسبة الى ما حصل لعمرهم من التآخر والعسود والتدمير فى السنين
السابقة مد طوع آخر الإسلام لا بعد شئنا مذكرة ، فان الإسلام تقدم قروا
طويلة ، وكان على عامة من آخر وصحبه شئ ، بخلاف هذه الأمور من تقدمها
هذا جاء صفره واحده ، وكثر منه طائفة - هة ومنطق سقوط طبيعيا مدمر ،
وأكثر من قد تحل تقدمه تقصير مكسب ومن عقيمة ، وهذا المستعمل انصهر
يبدل بشر آدمي وأمر

نوحه من أن الله هو قد أجمع على عبادته أمره بهم من الهدى
والنساب ، وكفى هذا البعد - ومن من ينصرون هداية وحفظوا عنه ،
وأحرمهم أن من أعرض عنه فقد دخل فى أسباب شدة الهلاك ، وقد صدق
هو الذى وعده بالذل من أعرض عن الحق ، ومن لم يترك قط أن يخاف لا يقدم
على منه ولا يتقدم أحدا على من وحده فى بيته - فهو تعالى أعطى عبده هذا
الدواء الحاجب ومن أن من استعمله فقد استحصل على الصحة والسلامة ومن
أعرض عنه فقد مرسى للموت والعطب ، ومن ضل هذا عصيا محض صا صا
ماهر أعطى إنسانا دواء ، وأحضره أن شفاه ، فله وأله تركه فقد تعرض
للعطب وأكبر عنه ، فخر فى أسعفه من وجهه مخصوص وحده عن
الوقوع فى شقاء يبتئ به - أن واحد هذا الناس هة به يوم
وكل وعبر همه واسمعه عن عيه وجهه وتناول ما نهى عنه أو كثيرا منه
فصعقت لملك صحة ورداه به المرض حتى أصبح ضعيفا مستضعفا ، فلو أن
لأنما لامة على صبيعه هذا وعريفه فى أمره - سجل هذا الدواء فاستعرض عليه
هذا الضعيف أو غيره مد عيا أن بعض الناس قد عوفى من غير أن يستعمل
هذا الدواء وأنه استعمل أشياء مما نهى عنها وقد حصل له الشفاء والعافية بعد

هذا المعارض من أحقر الناس وأجهلهم ولكاتب معارضة هذه معارضة باطلة بلا شك عند جميع العقلاء

وكذا لو أن أساما وصف له طريق واحد وليس به لو وصف بالصحيح غاية البين أن سلامته ووصوله إلى المطلوب مضمون في سبوك هذه الطريق وحده، وكان هناك طريق كسره غيرها خالف وسلك صرته فيه هذا وصف أو مرض فلو لامة لأنه معارضه أنه قد وجد من حلف هذه الطريق فم يكاتب هذه المعارضة باطلة بلا ريب

مشتبه سكر وطرائقه كثيرة جدا، ونحن نأخذ منها قد يحصل فيه شيء من التقدم برهة من الزمن امتحا، علاء وعقوبة على آخرين، وليس هذا التقدم معلوما في طريقة واحدة مع وجود في غير التي معدود أن التقدم الذي قد يوجد في شيء منها ليس تقدمه ذاته وإنما هو تقدمه بالنسبة لآخر تعرض لأخيه أو تعرض لغيره، وإنما هو تقدمه بالنسبة لغيره، وتقدمه الأصلية، وهو أن عدمه من جهة ما تقدمه، فلا بد من حصوله، فلا بد من إثبات ما مع كونه موجودا، وهو وجوده، فلا بد من إثباته سبحانه وعد من آمن به وعمل صالحا، في حقه كافي به، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفن في دار من كما أنه حلف الله من قبلهم، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضوا فيه، لنسبهم من بعد حرقهم أما يعبدونني لا يشركون بي شيئا (١) ومن كفر بعد ذلك فلنكوننهم "ضالمون" وهذه غاصة في الدين لازمة له فلا بد من وجودها لما منع من ذلك مانع، فإن كان هذا المانع ضعيفا فلا بد من رواه وهو موافق، وإن كان قويا

(١) يلاحظ هذا الشرط عظيم وهو قوله تعالى (يعبدونني لا يشركون بي شيئا) وهذا شرط في استخلاصهم وتخليصهم وإلحاقهم بها

وارداد راسم الدين ولا يبقى هالك موضع لقبول التقدم بل يحل محله صده
وقد بينا حكم صده ، وهذا ظاهر . وأصل هذا أن قياس الاسلام على غيره
من باب قياس الشيء على مصادره فالاعتراض بما يحصل في صده على ما يحصل
فيه متى على هذا القياس وهو باطل عند جميع من أقر بالدين ، وأما من لم
يقرب به فانكلام معه في أصل الاسلام لا فيما يترجم منها ومن صده ، فالاعتراض
ساقط سقوطا بينا على كل تقسيم .

ومن حيث الخلق قوله بعد : اد هذا الاعتراض ، لأن التقدم لا يلزم
أن يكون مقبولا على الدين والتقوى ، فهذه الدعوى التي ادعاه الله على وهين :
أحدهم أن الواحد بالأساس ليس من الدين ، وطال أن الدين والتقوى شيء
وأن الواحد بالأساس شيء آخر لا يمتنع معه ، فيمكن في دهره أن يقال
نه ليس من الدين والتقوى ، فليس بالأساس المادية مطلقا ، ولا يمكنك أن
تشك أن أحدا من عباده ليس المتعبد ادعى وجود الدين والتقوى في
أمره بدون أحد بالأساس المادية في أمر الله بمشارتها واستعمالها والعمل بها ،
وأما لوهم شيء فهو اعتقاده أن تقدم قائم على الواحد بالأساس المادية فقط ،
فمن أحد بالأساس بدون الدين والتقوى ومن يأخذ به ، آخر ، أي أن التقدم
موقوف على كل حال ، وهو موقوف على هذا باطل يعرف بطلانه عما سبق ، فإن
الله تعالى قد بين غاية البيان أن من أعرض عن ذكره قال له معشيه ضحكك ،
وأن يوسع الدماء من بعده . هو السيد جواهر المصباح ، والله سبحانه قد أخبر
أن من تمسك بدينه فلا بد أن يتقدم ويصرف في أمته كما تقدمت الشواهد على
ذلك من قرآننا . كما هو تعالى . فمن أبي وأصبح فلا خوف عليهم ولا
هم يحزنون . فاما الذين آمنوا بالله وأخلصوا له فبيد لهم في حبه منه وفصل
ويهدى بهم إلى صراط مستقيم . وثمة ليرة واسوله ، للمؤمنين ولكن المنافقين
لا يعلمون . من عمل صالح من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة .
من أسع هدى ولا يضل ولا يشقى . تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وبكفر

عنكم من سيفانكم ^١ وأمثال ذلك كثير . أما استدلاله بأن بعض الأنبياء
والصلحاء قتل فيباني حوايه آخر الكتاب في المشكلة التي لم تحل ، وكذلك ما
ذكره من تقدم معاوية على ^٢ . وأما ما ذكره بأن أوربا استطاعت أن تتعلم
على الشرق مع أن الشرق أقرب إلى الله من الغرب وأكثر إيماناً به فهذا من
عجائزه في التنافس ، وهو أن أثبت أن الشرق أقرب إلى الله ، ومعلوم أنه يريد
المسيح ، فإنا كالم الأمر كما يقول فكيف يدعى أن المسلمين أصل أدنى
الأصل ، وذلك عما ته في ص ١٤٠ ^(١) والله لا يوجد عند أهل مكة في
الأرض من الحرافات والخرافات المسبوبة إلى الله مثل ما عند هؤلاء الذين
يرحمون أنهم مسيحيون ، فلا يوجد عند المصري ولا عند اليهود بل ولا عند
الوثنيين لعائدين الأوثان والأصنام من هذه الحرافات كالذي عند المسلمين .
من يمكن عند المشركين ذوات الذين جاءهم لإسلام لا ينادونهم من شركهم
مثل ما عند هؤلاء المسيحيين . ووجه ذلك أن هؤلاء المشركين الضالين كلهم إنما
صووا في ناحية واحدة من واجههم أو في براح عدة ، أما المسلمون فانهم قد
صووا ووجهوا ، جميعاً جمع الحرافات وسائر صنوف الجهالات ، وما من شيء
ومسند وشريعة على حال عند أهل السنة من أهل الملة الضالين إلا وهو عند
هؤلاء المسيحيين دمج صورة ومعه ومعه ^٢ ثم أمثال الكلام وليس

(١) في مقدمة كتاب المسير

٢ . أنى ما ذكره من الحرافات التي يدعى وجودها في مسير إنما جاءت من
الملاحدة والمباغين الذين عدلهم ، في غاية ، وسدع وخرافات كلها واردة الأحرار
ورفض الأدباء ، فلا يمكنه أن ينشئ عن الأصل ، ثم يبرع ، وكل ما ذكره من
الحرفات ، وأما ما في بعض ، وعده موجوداً في التوحيد والبردية ، فإن الاتحاد هو
تعليمكم بحدوده ، وإدراك ما لا من أجل كبره وعداؤه الله لم يزل
دعائه دعابة دينية بسلامة من رعايته إحداه وذاك من قسمة يدعى ويقول ، فتقع
فيما هي عنه ، ويسقط كلامه من أصله إذ يكون دعائه ملتوية معشوشة لغت على وجه

وحيثما شرأ من جميع أهل الأرض ، فكيف يقول هذا القول وسعي هذه
 أنه عوني وبرعة فائز ، بهم أقرب إلى الله من أهل "عرب" و "كثيرا" ما به
 وأما عن ركوب معاصيه ووجوه تجارمه ، وهذا لا ريب فيه ، وهذه هي
 عاربه في الحيات وأبليس وإن قصه الله تعالى بحرفه بدون تقدير وحساب ،
 والاسرسل معه في كل حادثة إلى شبه في كنه أمر وصول وبضيع الوقت
 به ، فانه كذا من حيث كذا ، به غير أصول كلامه ونحاصه ما يتعلق
 رخص له من هذا العمل ، يقول قد ذهب به غيره ، إلى حد لم يصل
 له أحد مثله ، وكما ما كذا ، من جملة كنهه بحرفه لقرآن له ، في
 يوصف عن "أوصيه" ، ويرد أنه أن أصبح على هذه المقدمة الملوثة به
 الحساب من أن أصبح على هذه حذره ، لا بد له حبه وعروه في
 نصبه

وعدت هذه المقدمة هذه ، وعراض كذا من من عندها ، وكما
 لا حرج من بناء هذه من الأسباب ، دفعت إلى تأليف هذا الكتاب على هذا
 الضمير ، فليس من حياءه فيه سق كذا من حياءه فيه ، وهذا هو
 ما وصفت به هذا الكتاب ، ومقدمة به ، من أن هذا الكتاب
 مقدمه بصرح ليس هو ، عن الرافض ، فانه لا مناسبة بينها وبينه مطلقا ،
 ولم يخطئ على الرافض به ، ومن تدبرها علم يقينا أنها مقدمة لهذه
 التعليل ، وقد أعجب ما كذا ، في هذا الكتاب ، تحت عنوانها
 ما نصه ، "أما كل مصنف أو مؤلف أو مؤرخ أو مؤيد أو مؤيد أو مؤيد أو مؤيد
 الزكوة ، والحدود وكل من ليس بعدا يسير مع في هذه السنين الفاضلة أن لا
 يخطئ به قراءته ، هكذا دعي هذا الإحق ، يكتب ما يكتب في شتم
 الإسلام وسفه بعض ما بعض ، وحكم على كل من يك معه أنه جاهل جحد
 مريض ، فهو لم يترك هذه واحدة كتب من أن به تقديري على مدى عروره

فيها ، وقد ما فيها من ما كسبه على بسبه انوني فهو ما تكسى عرص بصره
وتحكيم عقول لعقلاء فيه ، بل يقرر من قول قوله وكسبه من منده ولا يلاح
عليه

العلم للرجل اللبيب ريادة ونقطة السامع عيش
من السهم يريد انصار الوي نورا ويعني اعين الحفاش

فصل

قاله والايات التي استدلوا بها فيمكن ان يستدلوا بها على قوته في
صوره البقرة ، وضربت عليهم الامه واسكنه الله من آل محمد وضربت
عليهم لذة ايمانهم لا يحسن من الله وحسن من حسن وهو غضب من
الله وضربت عليهم المسكنة في سورة من سورة مائدة كتاب آوى وادرا
للحرب اصحابه ثم قوته في زعماء افادوا في كتاب الله وضربت عليهم
الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب في كتاب الله يعذبتهم الله الله
رحيم ، وقصد في الاصل انهم منتهى صاحبون ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
هكذا من هذه الايات عندنا المسلمين دعواهم على ما ذكره ثم
أحد بحرهم كعبه فقل .

وقد حسبوا ان هذه الايات في مع في ان يكون تقوم لهم دولة
ولن تكون لهم صولة ،

فيقال : قد كذب في دعواه على المسلمين بأنهم حسوا ان هذه الايات
تفيد بأنه ان يكون لهم صولة ، فان لصوته لا تأتي به ومسكنة ، فقد حصول
الفرء أو الشعب لما هو فيه من مدته واسكنه فكون ذلك سنة في صفة أو
في ان مكاسه في شتمه ودله ومسكنه ، فاذحل لصوته هذا بهت ظاهر

أما الدولة فإن أراد أنهم يدعون أنه لن يكون لهم دولة متحدة مربوطة بحسن من الناس غير مسئولية على دولة غير هاهنا لم يدعه المسلمون ، والآيات ليست نصا في نفيه بالدلالة لقطعية ، فإن الله يقول لا يحسن من الله وحبل من الناس (١) ، وأما أن يريد أنهم يدعون أنه لن يكون لهم دولة مستقلة استقلال تاما على أساس صحيح كغيرها من الدول الحقيقية بدون حل من الناس هاهنا حق ولم ، أب ما نقصه ، ولم يقل أحد من المسلمين من يعتد بقوله أن ليس ادا مرطوبا في دسهم واحتمروه لا يمكن أن يتقدم عليهم اليهود ولن يدعه هم على أوطانهم حتى يكون لهم دولة ، فإن هذا محال لئنه الله التي قد خلقت في عباده

ثم قال ، وأمكن هذا غير صحيح ، لا بالنظر إلى سنة الله ، ولا بالنظر إلى كتاب الله ، أما سنة الله فانها قد علمنا بأن من أخذ بأسباب الملك ماله ، واليهود من أعين الناس يوم هاهنا من ومن آخذهم بالأسباب ، أما قتلهم فيسبب جماعة من ذلك . فإن هاهنا شعوبا أقل منهم عددا ومع قتلهم ملكوا واستعمروا شعوبا أكثره ولحققت في هذا مصر ليس لعدد وان هو لدم ، فإن الحروب يوم وغربها ، من دوسائ التي يستولون بها على الخرد ، عليه . قلت . قوله ، لا بالنظر إلى سنة الله ، لا بالنظر إلى كتاب الله ، بهم منه أنه ليس بها سلام . وهذا حديث قدس كلام عليه ثم قال له : إن

(١) ولا شك أن هذه الجريمة لم تؤمه مربوطه بحسن متورة من الناس . ولولا هذه الحسب لم يستعم يدعه واحدة ، ولا بد أن تعطل هذه الحسب يوما من الأيام فمعرض لا بد من هذه الدول طاعة بضعة بعض حروب غير الساية كالمروء مثلا ووجبت حكومه بأربعة و"تصعق والقصر لمصالحها الخاصة ، قبل تخرج هذه الحيات عن حقيقتها ومعها وطسعت في نفس الأمر ، ومن يهبر هذا الفعل ما حكم به على هذه الحيوانات طبعها وشرعا وقتلوا

كانت سنة الله عليك هذا فلا تسل بأن اليهود آخذون بهذه السنة ، فإن معهم من الحصول الخسة المحقونة ما يقضى على ما معهم من الأعمال الأخرى المادية ، ومعلوم أن الأخلاق هي الأصل ، ولم تزل حكومة بعد تقدما إلا بقدر أخلاقها القوية واستحبابها مع أسباب المادية . أما إذا فسدت الأخلاق فلا بد من إهلاكها . ويهود ليس معهم من لأسباب غير اثر المادية ، وهذه أسس لم يزل معهم من قديم ولم يتألوا به ما طلبوا منذ فروع صوبه ، فهو كان كافيا لحصولها به ما اجتهدوا في طلبه من قديم . ثم إن سنة الله في كل من يحل في اليهود أنه لا بد أن يصر ب سنة والمسكنة ، فان لا تكثر بحسب أكثر في الخس ونشر وانهم لا يابيه والحق والحد وانهم على انفسهم اليهود ، وسنة الله فيمن قد طعمه أن يصر ب سنة والمسكنة وأكثر من انفس الخس والمكر والادب ومثل ذلك متعمد منهم ، ولهذا شاركهم في شعر واستخدمهم كل من شاركهم في حصة . فان الحكم هو مع علمه ، وهذه من هي على الله وانفسه قد كانت انفسه ، وأكثر من يعرف انفسه من يهودي والمسيحي في اسرع واحق ، وقد مضى كثير من مسيحيين مشوا مع البصاري ، خلاف يهود فلا يمكن أن يعيش تحت مظلتهم من فيه أدنى حياه معصيه ، الا أن يكون قد أصابه من سنة من ما أصابه ، وهذا ما حصل لهم أدنى شيء عما أرادوا فعلوا من الوحشية والفتنة وسنة من معه أحببت أمة على وجه الأرض ، فكيف لو وحدوا لهم منعت ونساء وسما يفتنون فيه سمومهم وحنانهم المصعوصه من قديم

وأما قلهم فمر هي من أعطت المواع ، ليست على امع كله
فان هناك شعوبا أقل منهم عديد ، ومع قسهم مسكوا بل واستعمروا

(١) وأنت إنما احتججت على إهمالهم لعلهم يفتنونهم فوهمها عن غيرها .

شعوا كثيرا ، فقال أولا هذا قدر حد ، ومن لسوا على دين صحيح ،
 واما ما وجد من هذا العالم من كبروا على دين صحيح كالعرب في أول الاسلام
 في امرائهم حين هذا فرعون ، وأمثال هؤلاء وهؤلاء ، انما ينقسمون
 للاحاديث من هذه الحقيقة لا غيرها

وقال أيضا ان هذه الامور في وحدت هذه الصفة ليس فيها دونه واحدة
 متحققة ، بل هي في ذاتها واحدة ، فلا يوجد دونه صغره استوائ
 على شعوب كبره ، بل هي في ذاته واحدة ، بل هي في ذاته واحدة ، ولك
 لسعوت من هذه الامور

وقال أيضا ان هذه الامور من هذه الامور من هذه الامور من هذه الامور
 استعيرت شعوب كبره ، بل هي في ذاته واحدة ، بل هي في ذاته واحدة ، ولك
 دون اليهود في ذلك (كبره) ، بل هي في ذاته واحدة ، بل هي في ذاته واحدة ، ولك
 مع ان يكون في هذه الامور من هذه الامور من هذه الامور من هذه الامور
 ماله هو في هذه الامور من هذه الامور من هذه الامور من هذه الامور
 أعدوا له ، بل هي في ذاته واحدة ، بل هي في ذاته واحدة ، ولك
 والتقدم في هذه الامور من هذه الامور من هذه الامور من هذه الامور
 في هذه الامور من هذه الامور من هذه الامور من هذه الامور

وما قرب ، وليس في هذا العصر ليس للعدد وانما هو العلم .

فما اكل في هذا ، بل هي في ذاته واحدة ، بل هي في ذاته واحدة ، ولك
 اعلم صحيح ، بل هي في ذاته واحدة ، بل هي في ذاته واحدة ، ولك
 اعلم معقول ، بل هي في ذاته واحدة ، بل هي في ذاته واحدة ، ولك
 ثم قال ، واما كتب انه في هذه الآيات ليست صريحه في صدق هذه
 لدعوى ، بل هي في ذاته واحدة ، بل هي في ذاته واحدة ، ولك

المفسرين هي الحرية . فيكون تفسير هذه النقطة أن الحرية قد فرضت وفق
 نزول قرآن على اليهود . وعرضها عليهم في وقت من الأوقات لا يرميه أن
 يكون مفروضة عليهم كل الأوقات ، بل دليل أنها لا تفرض مع صدق
 ثبوتها قد صرت عليهم .

قلت : دعواه أن هذه هي الحقيقة عند أكثر المفسرين . دعوى غير صحيحة ،
 بل ذلك عند بعض مفسرين ، والأكثرون على خلاف ذلك ، وهو قول
 مرجوح ، فأكثر المفسرين عن أن المراد بذلك ما هو الواسع كما رجحه
 السعدي ، أي أن الله له الحق في كل شيء ، قال السعدي : وصارت عليهم
 جعلت عليهم ، وما بينه وبينهم من شيء ، انتهى . ومن فرها
 بالحرية فلا يأتى تفسير ما ذكر السعدي ، لأن سنن كثير ما يسرون الشيء
 بالإشارة أو يبينون ما فيه ، وهذه من أمثلة ذلك ، وهي موجودة في
 وأما لو كان المراد بذلك أحد ، لم يخص به اليهود ، وهي مقرونة بقل
 الأسماء الصادر من اليهود كما أنها في سياق كلامه قال تعالى واليهوس
 تؤحد منهم الحجة وم ذكر عنهم قبل الأسماء كما أنه لم يذكر عنهم كل ما
 ذكر عن اليهود من الأخلاق الأخرى . وهي محبة وأكل لسحت وتسميع
 للكذب وأمثال ذلك ، ومن العجيب قوله : إن الحرية قد فرضت وقت نزول
 نقرآن على اليهود ، وعرضها عليهم في وقت من الأوقات لا يرميه أن تكون
 مفروضة عليهم كل الأوقات بل دليل أنها لا تفرض مع صدق القرآن
 بأنها قد صرت عليهم .

فما أكثر الناس في هذه حجة ، فإنه غير عن النص ، بل عرض أول الحجة
 ثم دل آحرها مع صدق القرآن بأنها قد صرت عليهم ، والمقام يقتضي التعبير
 إما بالنص وإما بالعرض في هذه المواضع ، فهو قال مع صدق القرآن بأنها
 قد فرضت عليهم لتمام التعبير لأول ، ولكنه قصد المعاطة وتعمية الحق .

ثم انه ذكر أنه لا يلزم من فرصها وقت بول القرآن أن تكون مفرضة عليهم دائماً ، فعمل فرض الجزية ليس دائماً عليهم ، وهذا مصادم للنص والاحتماع .
 وإن كان يريد أن أخذها اليوم لم يوجد هذا أفتح وأشع ، فإنه حينئذ يكون معنى الصرب هو معنى الفرض . ثم يكون معنى الفرض هو معنى الأحسد ، فيكون ضرب الدالة قد ارتفع عن لارتجاع الأحسد . وهو إنما يقصد هذا السكر هات المحاضرة به دون تليس . ثم انه حين عدم الأحسد يعبر الفرض وغير حكم الله فيكون اليهود على هذا في هذا الوقت غير مضروب عليهم دية ولا مكه وحكم الله هذا قد بطل ، وهذا من دساتره الخفية

فقد تجاهل ما قد كان عليه عهد وراج سر كان يكتفه

وإن طلبت هذا الملحد سأل الله ما هي وما حشدتها لبحر
 يوم مبهم فقد عني من لا يؤمن بها في هذا الموضع المأهولة ،
 ومن أشهر من ضرب الله ومكته على اليهود في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله
 وبعده وصلى الله عليه وآله ، وبعدها ثم ما هم في عهد من أحسن ذلك إنما لا فوه
 ، تأملوه من الاضطهاد الشديد وسوء العذاب في سائر بقاع الأرض ، وقد علم
 ما علمته حكومات أوربا في القرن المذكور من سوء أزمان معهم من التفتيل
 ، وبعدها في الموضع مع كونه لا يأخذون منهم الجزية على الوجه
 المذكور في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، كما أن فرضها ليس هو نفس
 ضرب الله في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، بل آلاف الشئ حتى في الإسلام ، ولقط
 الله ما في هذا من المنة شدة الحبس والحوال ، ولمسكه ريادة استكانة
 وإن أضافوا على واحد ، أعظم ، ومن صرته الله ، وكيف نقل فيه أن
 معنى ذلك هو أحد آخر ، وبها فإن مرفوعه عنهم ومع ذلك يقول مع صدق
 ثم أن ما قد ضربت عليه نعم صدق بقرآن هو على ما هو عليه ، وهل
 في حقه وعرفت ما هم عليه حتى نبي عنهم شيئاً لم نعلمه . ثم لو قدر أن أحداً

شاركهم في شيء من أخلاقهم فصرت عليه الدلة والمسكنة فإن ذلك لا ينافي ما حكم الله به عليهم ، فليس مساوئهم لمن ساوهم في أخلاقهم رافعا عنهم ضرب أدلة والمسكنة ، كما أنه لو قدر أن أساسا مصر وبنو أنواع من الأمراض والأسقام ، وشاركهم في هذه الأمراض أرس حروب قتلوا أو كثروا ، فإن وجود هذه المشاركة لا يكون رافعا عنهم ما بهم من ذلك لئلا يمتدحوا أصيبت به بما قدمت أيديهم ، فصدق القرآن هو على ما هو عليه ، ولو قدموا رشا أو فزة قصيرة على وجه الأسحان والاحتار لا يكن ذلك رافعا لهم أدلة والمسكنة عند كل ذي عقل سام ، وهذا من ضرب الأدلة والمسكنة عليهم آلاف السنين ، هم مشردون مسددون في كل مكان ، وقد عجزوا غاية العجز طوال هذه المدة فلم يستحصوا على وجه أنس بقوم حاقم ويستغيثون بها ويستقلون وبها استقلالاً لا تنفع هذه كبريهم عن من المعرفه والبراعة في التجارة والصناعة والعمول في كثير من أعمال الحياة ، وهذا خاصة لم توجد في غيرهم من سائر البشر ، وكيف يمكن هذه اللحظة القليلة المضطربة آلاف السنين في رافعا لهم أنواع من الأدلة والمسكنة ، ولكن القلوب السخيفة ضعيفة التصور مدبرة لا تفتكر لضعف إيمانها وبراكمها

ثم قال : وإذا قدر أن المراد بالذلة في آيات هو المعنى الأول لسابق إلى الأفهام لم يرم منه صدق هذا الزعم ، وإنما كان حجة لفرق بين اليهود أدلة في وقت نزوله لا يفتقر أن يمتدحوا أئمة الناس كدلت .

وبالجملة : هذا ما وكنت على الفرق ، فلهذا لم يمتدحوا أيهم أنه في وقت نزوله ، بل أحرر من أدلة ومسكنة مصر وبنو عن اليهود ، وهذا أمثاله الحكم عليهم بالدلة والمسكنة الدائمة ، فهذا لا خلاف في الصريح لا يجوز تصدده بوقت نزوله ، وليس لأحد أن يفتيد ما أطلقته الله ، وليس في التصويع أن هذا خاص بوقت دون وقت ، وقد قال هذا المعروف فيما تقدم أنه لا يجوز تقييد ما أطلقه

بعض الناس أن ذلك ينبغي أو يحتمل عدم صحتها والمكينة وليس الأمر كذلك ، فمن سبر حاله وتحقق أمرهم وعرف ما أصابهم في كل الأزمته امتناعه ثم رأى حيوط أعم به وأقرب ، وسبب عدم معنى أدلة ومسكته إلى صراحت عدمه وألموه ، وقد كتب النعمان عن اختلافهم في أمر "يهود كلاما كثير ، ووجه الكتب كتاب مدعية شعوب زوارة وكمركية وغيره لهم وحديثهم ، اصطفاهم في حديثهم لا يسع هذا الموضع لنبذة " .

فإن يوم من أيامه ، لا وقد مررت بها عصور داهية وصعقت ، مهابات أسوم عروسة معه .

وقال : يكن هذا الأمر في هذه صفة في أن تعددت مدخرها أو كتاب عروسة ، وسببها من فيها ، وحدة اختبارنا الله عنها بأنه صارت عليها يداه ومسكته ، حتى صرح شمس على هذا بعض فارق دهاون غيرها ، فلا بد من ظهور أنه وصدق دلالة

نوراني الكتب ، وبعد نصرته قد وأنتم أدلة آية

فيقال : هذا من هزول الاحتجاج على هذا الاحتجاج عكس صريح للبحر والهدوء ، فإن من عانى أحسن أنه نصر هؤلاء بعد أن كانوا أدلة ، وأحرر أنه أعطاه نصر بعد ذلك ، فإن هذا من أحرق الله عنهم بأنه ضرب عليهم أنه ومسكته ، وأنه مدعيت عليهم في يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ، فهو مسجونه أحرر عن نصر وقع بعد ذلك فمدر ليدل وحسن العز ، وهذا بخلاف من أحرر عنهم أنه صارت عليهم أدلة والمسكنة ، وأهم

(١) من خلال عدد ١٠٣ شعب سنة ١٣٦٧ بعد لا طولا عبقيا لبعض ناضحين المصنفين ، ومن فيه كيف كانت معاملته سائر سؤل لهم ، تلك المعاملة السيئة إلى اليوم . وأمثال هذا كثير جدا

نادوا بعصب من الله ، وأنهم كلا قوموا بشحار . أطاعها الله ، فمن قاس
هذا على هذا فهو مصاب في دينه وعقله . كما أن من قاس اليهود على الصحابة
فهو كذلك

ثم قال : وكل الناس يسمون اليوم أن الله " مصروبه على المسلمين على
أوسع نطاق وأحكمه ، ولكن لا يمكن الزعم أنهم سيفنون أدله أبدا .

وقال : عن هرأخونه أحدنا " قولك : وكل الناس يعلمون ، كذب
واضح . فهذا لا يبره من الناس ، لا أنت أو من هو على رأيك ، وكيف يعلم
عاقبة أن المسلمين الذين يستحقون أن يكونوا مسلمين مثل اليهود في ضرب
الدولة والمسكنة ، قد عرف أن المسلمين مصروبه في عيبه الله تعالى مصروبه
بها وحياك . لأن ذلك ملازم في حقيقتهم ومما في ضربهم ، أن الأمة
منهم ممددة في ماله وحسب يدها ، وأولئك من ماله في
الاستحسان على أول موضع تعجب فيه أو مهامها من الأثر وشفتها فلم
تخص على ذلك على ما أنت عليه بعد أن تعمدت على صورة حقيقة من
الدين . من حكم ما عظيمة أن سائر أحوالهم ومكانهم في مالك
قائمة على أسسهم ، ومقتضى كثرها استقلالها تاما ، وعدم وجود استقلال
تام في بعض حكوماتها لا يعني أن طاقم عيب ضرب الله وإحكامه فهي
الدول التي لم تحالف دول أخرى وتضطر إلى مساعدتها ما بال ومضربا ، ففقدت
اليهود على المسلمين قياس في نهاية السقوط

(١) لا قدرى لم اقتصر على الدالة دون المسكنة ، ولا بدوى كيف عر عن
ضعف في كما قد بحث بالله . فهو لا يفرق بين ضعف والده . وكل ضعيف
عنده مصروبه ما دلة عام على اعفاده في أن المادة هي أساس نفوه بل هي القوة كلها ،
والأقل على يد من أنه ليس كل ضعف الله ، فإدله شيء والضعف شيء آخر ، فكم
من قوى مصروبه مأساة وكما من ضعيف على غاية من العز

الجواب لثاني أن دعوى المدعى أن الدالة والمسكنة مصروبة على الملين بأوسع نطاق وأحكمه دعوى يستحق قائلها أن يحاكم ويطلب بتحقيق هذه الدعوى وبيان الأمور التي بها ساووا اليهود حتى استحقوا أن يوصفوا جميعا بما وصف الله به اليهود ، بل هذا لقائل جعلهم أدنى حالا من اليهود في صرب الدالة ، لأنه ادعى أن ذلك على أوسع نطاق وأحكمه ، ولم يعلم أحدا من الرابضة قبل هذا ادعى أن المسلمين كاليهود قد صرحت عليهم الدالة ، ولو كان لهذا مسكة من عقل أو حياء لم يتكلم بهذا الطراء الذي لا يحصى فسادة إلا على أشباه الأنعام

الجواب لثالث أن ما يوجد في بعض البلاد التي تدعى الإسلام من الاصطفاء وضعف "عدو" ليس موجودا في كل بلدان المسلمين ، فكيف ساع له أن يطلق عن المسلمين الحكم بصرب الدالة عليهم بأوسع نطاق وأحكمه مع شناعة هذا لاصطفاء وفيهم حكومات مستقلة مستقلة لا حقيقا من جميع وجوه ولها من لبيده ولعل والنقد ما ساوت به كثيرا من الحكومات الأخرى التي يمدحها ويثنى عليها ويحسب بحمدتها بكل تعظيم واحترام

الجواب الرابع أن ما وجد في بعض بلدان من بعض اصعب والخوان فان ذلك لما في أهلها من حبس اليهودية ، ويمقد ما يوجد في كل حكومة وأمة من حبس اليهودية ، التي هي تعترف للكلم عن مواضعه كتعريف بصرب الصفات عن ظواهرها والخبائث وأكل السحت وفساد الرابطة التي هي من أعظمها تسمع تكذب وتكفر دلائل الله بعدم التزام الإيمان بها كالتحاكم إلى تطوعات ووص "تصو" عن شرعية - يتكلمون صرب الدالة والمسكنة ، ولهذا كانت الرافضة وعاء "تتور" والخرصة بحرفه الصفات أكثر الناس بصد من دالة والمسكنة لأنهم أكثرهم بصد من الخصال اليهودية ، ومن كان أبعدهم من هذه الخصال كالأمم عن مقتضاتها ، وهذا ظاهر لمن

وإن كان عريض من غير هو أن يسمع صاحبه إذا نزل فانه
يسمعه كأن كان عريض المشق وفي أن مسكه هي صر الخربة، وفي الخراج،
وكل هذه التفسيرات لا تأتي أن يكون خم مك وأن يكونوا يوم ما حظرا
مرهوباء.

ويعن نقول: وهذه التفسيرات التي ذكرها لا تأتي صر الله المسكنة
التي هي أصل وأجزاء، لأن هذه من يومها، ولا تأتي ذات أن يكونوا
يوم ما حظرا، مرهوبا على من رفض دين الله أو قصر فيه وأمسكه عن دفع
شرعه ورأي فوب الله كغيره أهمل من صر عن الله تعالى فمن
ذات فقد تعرضت له ومقتله وقتله من سيد الله من غشوا فوايه
وبوليه ما بولي وأن يصر الله في مسكه لأنه أحسن ذات نفسه، ساع
هو الله وأبدا له حياة وعطاء، وأنها من صر الله الله واعتمد على الله بدل
ما في وسعه من الآيات فمن يكون به يومه حظرا عنه الله يكون
في حصص حصصه وعن غيره، من الله يدفع عن الله فوايه
لا يعرف ما يقوم حي يعي وهاهنا نفسه، ثم يبي ويصير ما هو وطلهم
ولا هم يعرفون ومن من عن ذكره فذلك عا لما صعد.

ثم قال: وأما قوله في ذلك أو هو أن يصر الله الله فوايه
دساتهم ومكايدهم التي حاكوها بأحكام، الله استضاء على رسول وعلى
دعوته قد أخذها الفشل من كل جانب، وأنها هم في كل حروبهم التي
شبهوها مردين القضاء على الاسلام، وهذا لا يأتي أن يكونوا حظرا في
المستقبل.

فيقال: أولا من المعلوم أن مكايدهم الأولى في حاكبوها بأحكام
واستمرار انقضاء على الرسول ﷺ وعن ربه، ثم عرفت وذهبوا كلها
أدراج لرياح الأخلاق الدينية، فكايدهم هي فيهم والأخلاق الدينية هي،

فأبها حقائق لا تتغير في ذاتها وإن تغيرت الموارد الطارئة عليها ^(١) فهي لم تتغير في نفسها ، فمن حائط على هذه الأخلاق لدينية قصى على كل مكايدهم ، فإن الحق في ذاته يقهر الباطل في ذاته ، سنة لا تبدل لها ولا تحويل . ومن أصاع هذه الأخلاق أو قصر فيها أو لو أنها نامور غربة جديدة لا تلائم فقد أصاع سلاحه أو أفسده أو قصر في استعماله ، ومن فعل ذلك فقد حرّده نفسه من القوة التي بها تظهر على عدوه ، وحيداً فقد جعل نفسه عريضة للاستيلاء عدوه عليه وقهره وتحكمه فيه

١ - هذه الدعوى حجة ذات ، فإن يهود ما فعلوا هذه المكايده وحاكمها استمرار وإحكام إلا أنهم رأوا كما آت أن الأخلاق السببية لا أثر لها أمام الأسباب المادية ، لها نتائج أخرى ، ورأوا أن فيهم الكفاءة لاداسة لبعضهم عن كل قوة حتى قوة النفس ، ولهذا منهم بذلوا غاية جهدهم في استعمال أسبابهم وقواهم بها فسوء من "نقصاء عن هذا الدين ، عن مكبرين بالرسول ولا تماثله من الأسباب المادية من الإيمان وسقوى ، ومع ذلك كانت الحجة عكس ما ظنوه ، عتته وه ، فعصى عليهم جانب الدين والتقوى قضاء حاسماً ، وما أغنى عنهم كدهم شين ودموا ما حربه والخسائر

ويقال ثالثاً : هذه الدعوى ثالثة فيها حاصتها أن يزيد أن تحمل جميع ما ورد في اليهود بما هو في وقت حاس ، أي في وقت بولس الرسول فقط ، وأما بعد ذلك فمن قبوله هذه الآيات ، وهذا يقتضى إبطال القرآن كله ، فإن هذا يصح "أن لكل زمان دينه في بل حجة شرعية ردة عليه أن ذلك حاص الوقت ربو القرآن ، وهذا مسلك قد سلكه كثير من زنادقة هذا العصر ،

(١) لأن الحد في نفسه حين وقوعه في نفسه داخل ، ويرى تحريف طريقة ، إلا قهها ضدان متقابلان دائماً

وهذا إبطال الدين من أصله . ثم إن مثل هذا التفسير باطل بالذات ، فإنه تعالى يقول ﴿ كلوا أو قدوا ماراً بالحرب أطعوا الله ﴾ وهذا يعيد الاستمرار ، قال الشاعر :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إلى عوفهم يتوسم

مع أن الوقع المتوارى بصدق هذا ، أما كون هذا لا ينبغي أن يكون لهم خطر في المستقبل فقد دعا أن هذا صحيح ، لكن إياهم فرط الناس في دينهم ، وسنة صواعقه قوا من عريين ، ورأوا أن أصبح وأصبح من شرمة من العبدس ، وأهمكوا مع ذلك في عواش وأسكرت وسبع لشهوات ، واستحووا الجياد أسير على الأحرار

ثم قال : وأما بعث الله عليهم من يمتد بهم إلى يوم القيمة فإنه لا يثاق الملك أيضاً ، لأنه إذا كانت فيه قوة ونفوذ خربت بهم وبين الآخرين مستمرة من في هذا أشد من أع العبدات وأنفسهم هم العبدات ، ولا ريب أن المتحاربين كل موسم يسوم الأحرار ويتصله عذاب ،

فقال : إن في صحابه ومن بعدهم من المسلمين من حاربوا الكفار حرباً عادوا أصلاً فدعاه الله عنهم من حروبهم سواء كان يوم القيمة ، فلا فرق بينهم وبين اليهود ، فليس لشهود في هذا ضم ولا اختصاص ، وهذه قرينة طاهرة ، فإن هذا المفروض يحول أقصى جهدهم ، بطاق حصان اليهود وما ذموا به على المسلمين . وانظر إلى دقة خبئه في حذف سياق الآية وعدم إيرادها بقطعها كما أو دلالات إلى قلبه ظهور معناه ما ادعاه في تفسيرها ، والآية صريحة في أن هذا العذاب الذي وعدوا به سيأتي مسجراً عليهم إلى يوم القيمة وكذلك من شأنهم ، كما وأصريحه في هدم جميع ما أوله في حسن الآيات التي قبلها على زمن الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة ، وكل مسلم يعلم أن الحروب لم تزل بين الناس في ماضي الأزل ومعاربها من المسلمين والكافرين وغيرهم ، ولم يدع

أحد أن كل دولة من هذه الدول سيعتد أنه عليهم إلى يوم القيمة من سوءهم
سوء العذاب ، بل هذا الذي ادعاه يقتضي أن أشرك كلهم من مسلم وكافر وقد
بعث الله عليهم من يسوءهم سوء العذاب إلى يوم القيمة ، لأن الله لا يبعث
عن انقالب بين الناس ، ولم تزل الحروب متواصلة حقائقها في أحوال الارض ،
وهذا كله في مطد صريح في القرآن ولهذا أجمع المفسرون على أن المذنبات
اليهود كما دل عليه سياق الآية ، ذهب قال ابن عباس أن ذلك كان يوم
عطاء حكم ربك ليعرف عليهم إلى يوم القيمة من سوءهم سوء العذاب ،
ذلك ليس بعقوبة ، إنه اعتد رحمة قال ابن كثير ، وكان (يعني موسى)
أول من صر ب عليه ، ثم جاء إلى قهر المفسدين من اليهود
والكلدان ، ثم جاء إلى قهر نصارى و زنادقة ، ثم جاءهم وهم أحرار
والخارج ، ثم جاءهم بالإسلام ، ثم جاءهم وكانوا من سوءهم سوء العذاب
الخارج والجم ، انتهى . ولكن ما تأخر الإسلام في الدنيا الأخيرة وكثرت
عبادة القوم ، وتمتع بعض من سوءهم سوء العذاب ، وسبيل كثير من
الناس قوا ، ليعرف الله عليهم من حن و رحمة ، حتى أرى منهم
وأفسدوا أخلاقهم ، وأفسدوا عقولهم ، ففسدوا ورجعوا إلى أصل دينهم
ويعضوا عليه بالنواجذ ، و يقول الإسلام ولا شيء زمام لغريته بقية
عمرها ويحدها إلا على أسس هذا دين ، فهو أصح وقوى و جود ، في
صحة صفة ومنه قوة ، فثبت ، وهذا بخلاف الأمم الكاف ، فأمم قامت
على أصول أخرى ، وروح أخرى ، وقد حل بها من العقوبات و كوارب
ونكت ما هو معروف ، فلا خلاص ولا حياة إلا بالتمسك بهذا الجبل المتين
والسير على ضوء هذا الضياء المئين

ثم قال : وهذا أيضا لا ينبغي أن يكون له وطن وأن يجتمعوا أو أن يكونوا
خطرا على من يظنوا عقولهم ، لأنهم ، وأضيقوا أحدهم على الأحلام ،

فيقال لا شك أنهم هم وغيرهم حضروا من قبل الله وكتب الله ورواه
 ظهورهم كنه لا يسبون، واحترقوه ورواه من قبل الله ورواه
 والصلاح حول وضعه، وأن انخرط على الدين ورواه ولا خلاف وتحكيم
 قواين أعداء الله ربي ويقدم ودعاء وسياسة، من نفسه يهتد لأعدال
 فقد استحق الحب والعصب وسكان، ولا شك أن من أحد أعدال اليهود
 وأمثال اليهود وحبها في عفة وديه ومكث نفسه من يهود حمله نفسه من
 الدين وطاعة، والله يدين لا شك أنه قد أحسن الله فيهم فيهم و"شاه" و"شاه"
 في ومن بين الله، له من مكره، بين الله فعله

فصل

قوله فالتة... يشهد لأصحابه... هذا الشعب
 الذي اعلى المذكر، بل قسم... لأوامر... يعطى...
 ونفسه

فيقال لكن أتيت من قبل الله... من جميع آله
 ضعف وانحطاط، وجعلت... من جميع آله وشه
 وضلا لا وظلاما، والله سبحانه لم يخلص عباده من ذلك... من بين سا
 غاية البيان الطريق الذي أتى إلى السلامة والعرف والتقدم
 والسيادة العظيمة فأقترأ من لا كهور... هذا الشعب وقال
 لنا... اتبعوا أمر الله من... ولا تقبلوا... فلا ما
 تذكرون... وقال... فمن أبع هدى فلا يصح ولا شيء، ومن أعرض عن
 ذكرى فاب له معيشة ضنكا... وقال... منكم ينصرون
 عليكم يأتي من اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون... والذين
 (١) وأي صلات أسير من هذا الشعب... من اتقى وأصلح فلا
 خوف عليهم ولا هم يحزنون

كذبوا بآياتنا واسكروا عي أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿١﴾ فقد بين
الله سبحانه طريق النجاح وطريق لقوة والسيادة بأوضح بيان ﴿٢﴾ والله العزة
ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون ﴿٣﴾ أنى الناس ان يقيموا صك
انقرآن قبولاً سما صاهما محصا . بل أكثرهم كذب وبعضهم شك وارتاب
وقيل صدقوا وعموا صالحا فان معنى : ﴿٤﴾ وقليل من عبادى الشكور ﴿٥﴾

﴿٦﴾ أكثرهم من الخس على التمسك بكتابه المين والوصية ثقوا به ،
وعمى من فمى ذك أن بصره وأن يؤيده ، ولينصرون الله من ينصره إن
الله لقوى عزيز . ﴿٧﴾ مكنى فى الا ص قوما السلاذ وآتوا الرثاة
وأمروا بالمعروف ونهى عن المنكر ، والله عاقبة الامور ﴿٨﴾ فهل أوضح من هذا
البيان بى ، ومن أظهر من هذا الترهين برهان . فكل هذه الامور لم نقلها
من حيث هو ص كاه و تقدم كاه فى علم لم أذ أو فى معرفه بوامس الطسعه ،
وجعل الاحلاف امانة لا دخل لها فى التقدم أصلا

فصك امدى قدمه بـ ﴿٩﴾ ثم لم تقبله ولم تطب به نفسك ، وإنما قبلت ما
صك الله به وجهك وطمس به بصيرتك من الإحسان والافكار انى قردها
الملاحاة وأولياء شيطان من حكمه بده وبخانة أديبه والدائن ها
ثم قال : ﴿١٠﴾ وحدهم الاحداث اصحح بأن حروبا عطيمه ستضطرم من
المسلمين واليهود . وقد يكون فى هذا ما يعطى بأن اليهود قد يكون لهم دولة
وحوش يحانون بها وديعاعب ﴿١١﴾

فيكون وقد يكون فى هذا نص ما يعطى بأنه قد يكون فى هذه الامة آخر
الزمان دنا قد وملاحاة بفسدون الآداب ومردون أهلها ويدعون الاسلام
به فاحد عا حتى تضعف فى الامة قوة الدين وتدخلهم الذلة فنطمع فيهم

اليهود فتقع الحرب بينهم وبين المسلمين كما جاء في الحديث الصحيح . بدأ
الاسلام عربيا وسيعود غريبا كما بدأ . وقال : لتضع سن من كان قتلكم
أحدوا القذة بالقذة . حتى لو دخلوا حجر صب لم تحتموه قالوا : يا رسول
الله لليهود والصابية ؟ قال : من ؟ . ومعلوم أن قود يهود في البلاد الشرقية
وطمعهم فيها إنما يكون بمقدار ما يحدث من أحرار المسلمين والعرب وضعفهم .
وهذا إنما يقع بقدر ضعفهم . لا حلاى اندية كما علم ذلك بالاستقراء
الناس والنصوص الصحيحة المنة آراء . فلا حجة في هذه الدتوى بوجه من
الوجوه . ثم لا يحدث ما اراد في وقوع نفس يدهم ما تدل على وقوع
القتال . ومعلوم أن قتال يقع بين وحو . دونه ن يقع بين اعضاء
والأفراد والأحزاب وغيرها

ثم قال : وإن أشد ما مرعنا وأشد ما حجب على أن كتب هذا الذى كتبنا
في هذه الملة هو أن يخاف أن سيقومون أنفسهم ولايات بمحاكاة من هذه
الخطر الخوف مما مره فيه . كما كتب بعض أن يحد من أخطر المسيحي حتى
قضى القصة . وجيشه لا يخشى عدم كنهه في فرع منه . وقد لاحظنا أن
هذا العرور . وهو خلق بأن يسمى عرورا . مسئول عني تفكير إخواننا
المقصودين بهذا الخطر الذين يكاد يحيط بهم . فهم : وإن لو حتى بينهم
وبين اليهود . جامعة اليهود ما جمعت من الأموال وقوات ومن لعم والمكر
والدهاء . لكتاب امة هم وإن فسدوا هم كل شيء من هذه الامور التي من
ملكها هم المنتصر ومن هاهنا فلا شيء له .

فيقال : أنت في الحقيقة لم تكن متنايع لاق هذه المسألة ولا
غيرها . وأكثر ما ادعيتك من شيع ومحاكاة عن اليهود فقط . فقد ردت

وليمض في قلوبكم الوهن قال قائل : وما الوهن . قال : حب الدنيا وكرامة الموت (١) . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليس من سس من كان قبلكم حذو القعدة ، حتى لو دخلوا جحر صمت لدخلتموه . قالوا : يا رسول الله ليهود و نصارى ؟ قال : من ؟ . قال : هذا الحديث على أن بعضا ممن يدعى الاسلام سيتبع سنن اليهود فيحس به ما حل بهم كما سبق تقريره .

ثم وقد أن الله سبحانه حكمه في القرآن بأنه إن لم يكن لهم دولة . فإن لم يكن لهم دولة أبد . فإن حكمه لقرآن لا تعمد إليه . لأنه حق ، وإحقق ثابت لا يغير . من لا بد من تساقطه إليه من ، أما وجود هذه الخثومة منته المزمع به لا يصح أن تسقط عنه دولة . بمعنى تصحيح الأمور كدولة . مما لا يصحها غير ما تسقطه له من نفسه هو . وقد صمم هي نفسها على رأس ثامن عشر . وقد ربطت استقالاتها بحال مع كسرة متحدة من حسن فوجدت أن ما في متعلق هذه الخصال . ولو أن الذين فعلوا معهم ما فعلوا معه مع سادات آخرين به . فلهذا نفسها لكانت مثلها ، لأنهم لم يكن لهم دولة . لا بد من كسرة من لا حصر في ، من هي وسببه هو من هو . فلهذا تسقط عنه من مضى . مما مضى عند الحاجة إليه . ليس أن يكون له دولة من في بعض دكره عنه في ظروف خاصة لا بد منه من في هذه في مثل هذه الأمور . ولا بعد تقدما . لا عند الأعْياء . لا بد من من ما حقيق شيئا ، فلا يوجه الاتهام إلى الله . لا رنديق شيئا . ومن في من من ، وأما من آمن به إننا صادقا مخلصا فلا يمكن أن تهمة . من به نفسه وفهمه . فالقرآن حق . لا بد من وجود صفة . يمكن له في والمباقي بقدر أشباه فكره ودهه ولزم بها القرآن

(١) أخرجه أبو داود . والبيهقي وغيرهما . فأنس هذا الحديث العظيم وطلقه عن سائر الناس بحجة هو غير الواقع

فيظن أنها هي مدلوله ومعناه ، ثم ينفي على هذا نظر أمورا ليس لها علاقة
 بالقرآن ، فإذا جاء الأمر على خلاف ما ظن حصل له ريبه وشك لضعف
 إيمانه كما قال تعالى : **يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا** ، وما يصح به إلا
 انعاسقهم به وهذا التصرف من الناس عمن قال الله فيه : **وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمِي**
وَأُولَئِكَ يَتَدَوَّنُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ، وإلا فالمراد من تصحيح الأعمال الصادق مخلص
 يعلم حقيقة العلم أن ما أحسن به القرآن و **سُورَةُ** فهو حق على حقيقته ومدلول
 الحق حق لا ريب ، فيجب الإيمان به ، ثم ريبه بغيره أو تعديه في بعض
 الأحيان ، لا ما قد صدقوا وأما وعده **بِشَيْءٍ صَدُورُهُ مِنْهَا** ، وما رددناه
 أو شككنا فيه فقد تناقضنا وكنا بعد أن صدقت به وامتت به ، إذ من
 حسد العن أن تصدق به ثم تكذب مدونه وتثبت فيه فإن هذا تناقض .
 فهو لاء الذين بقوا مذبذبين بين التصديق به والتبطل فيه آخر ولم يسلموا
 أفعالهم التي قد سبوا حظها كثيرا من قوله **وَمِنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ** ، من أقروا
 إيمانهم بما على الشك والريب ، ومن ثم قد لا يزال لم يقنع إيمانهم على
 الشك وهو كافر لأنه من ريب في إيمانه **وَمِنْ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ** ، كما قال تعالى **إِنَّمَا**
الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ فِيهِ وَلَمْ يُشَكِّكُوا مِنْهُ ، وقال تعالى **فَلَا وَرَبِّكَ لَا**
يُؤْمِنُونَ حَتَّى تُحَكِّمَكَ فِي مَا تُخْرِجُ مِنْهُمْ ، ثم لا يرد في أنفسهم حرجا مما قضيت
 ويسئلوا تسليما . **وَحِينَئِذٍ فَلَا مَعِي لِمُتَعَدِّينَ أَدْعَاءَ**

ويقال أيضا كلامك على هذه "مصوص" كان تفسيراً صحيحاً حقيقياً فيما
 ترى وتعتقد فلا حاجة إلى هذا الاعتراض . فإنه يعبر عنه أنك فسرت الآيات
 على خلاف طهرها وما ظهر منها ، وإن كان تفسيرك هذا لها تحريفاً أو تأويلاً
 بعيداً لقصد إبعاد التهمة فهذا لا ينبغي شيب . لأن ذلك حرأه على الله وكتابه
 وهو ضرر محض ، والقرآن حق في نفس الأمر وليس هو محتاجاً إلى أن
 يصرف عن صوره ونصه بحاماه عنه ، فإنه في نوقع صدق حق وإن لم يؤمن

به أحد من البشر ، والله على كل شيء حكيم ، ولو
كفروا تكلمهم ، صرود شيتا

والحكمة على القرآن هي إقامة أمر على إيصال دلالة ودفع شبهات
الباطلة التي ترد عنه ، أما نحن ونعبر عنه بهذا الفساد لا بحامده فيه ،
فما وجدته أن هذا هو ذلك مستن ، فلا تدفع التهمة جريته أفيح منها ، ولكن
من حيث رتبة حجة من قبلها

كذلك نرى من كبرها ، بل أن لا تنصف

هذا هو لما نرى من ذلك ، وذلك من حيث الدلائل التي تقدمت السيرة
المسيرة على ذلك ، ذلك من حيث العلم والهدى ، وأدعي
أما ذلك من حيث العلم والهدى ، ذلك من حيث العلم والهدى ،
أما ذلك من حيث العلم والهدى ، ذلك من حيث العلم والهدى ،
كذلك من حيث العلم والهدى ، ذلك من حيث العلم والهدى ،
على ما وجدته ، ذلك من حيث العلم والهدى ،

فصل

ثم أحسن العلم في هذا ، وذلك من حيث العلم والهدى ،
والعكر والهدى ، ذلك من حيث العلم والهدى ،
الهدى ، ذلك من حيث العلم والهدى ،
مرص من حيث العلم والهدى ، ذلك من حيث العلم والهدى ،
حكمة من حيث العلم والهدى ، ذلك من حيث العلم والهدى ،
أولئك من حيث العلم والهدى ، ذلك من حيث العلم والهدى ،
في عرش من حيث العلم والهدى ، ذلك من حيث العلم والهدى ،
هذا من حيث العلم والهدى ، ذلك من حيث العلم والهدى ،

بأصل الدين واتمسك بالأخلاق الدينية السلفية القوية وهي شعائرها ومقتضياتها
تجر لأخذ بالأسباب المادية ، قال الله سبحانه وعده من آمن به وانتقاه النصر
والتمكن والعز والتوفيق في الدنيا والآخرة ، وتوعده من خالف أمره واستكبر
عن طاعته بأبدل والشقاء والحزن وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة وما حصل
الذي حصل من هذه القصة المبررة في هذا الوطن لعرق لا بعد أن ضعف
أمر الدين في ذلك الوطن وفي غيره ، ويعتبر الناس عن العمل بالسكبات
العزیز والسنة المطهرة ، وافتن أكثرهم بالشهوات العريضة التي لا تست إلى
الاسلام نصرة ، محرم أب وصه ، أب متوهم من آمالهم المطلوبة فأرام الله
كيف كانت آثارها وعوادها ، فبما هم يمتروا ويسروا نعمهم فيه ، وإلا
فلعلهم أن هؤلاء الدخلاء الخبيثاء الذين لمعطهم الأرض من كل جوانبها ما
دحوا عليهم وأفقدوا ما أفقدوا ، لا بعد أن حرصوا على وأعوانهم على أن
يدخلوا على عقولهم وقلوبهم وعمدتهم من عسدها وبميت حياتها المعنوية
فاحلت أجسامهم وصورهم الخسنة هذا الوطن ، لا بعد أن تبوأ أفكارهم
وأخلاقهم وأنظمتهم مكانها في ، فحلت محاضرات أفكارهم وأخلاقهم
المعنوية كما تحل محاضرات صورهم وأجسامهم المادية ، فحلت صورهم وأخلاقهم
من صور أجسامهم ، أما من ، أن يرى من لأخلاق والأجسام فقد طلب
مالا وكسلا ، وطمع فيما هو مستحق الحصول

فصل

ثم عاد فحدث في تكرار أصه أحدث الذي يدور عليه في نواحي الطبيعة
وقوانينها ، وحمل ذلك هو مذهب جميع أحداث تعليمه ، وقد اجترأ على
المقام لأقدس شعبه تعالى متجسبا عن حقيقته قد وكلهم إلى هذه الطبيعة تحكمهم
على أساس التسوية بين المنيء والمحس بدون نظر إلى أدبيهم ومذاهبهم كما

[illegible]

وقد توسع هذا الموضوع في هذا الفصل العظيم الذي تدور عليه الأدبيات من الشرق من الهند والصين واليابان والهند وسجده البحري المحسن بالإحسان والمسلمين وهو قائم على كل نفس بما كانت - بأن متى هذا الأصل المحمد وقد عرفت في أول هذا البحث ، وأن المحبة المكرة المنوعة شرعا هي إعطاء الخير لمن لا يستحقه دينا من أجل

إلهه شخص آخر . ولا شئ أن تسميه ميره عن ذلك ، فهو سبحانه
غنى عن حقيقه أما مكافأة الناس عن محبة الحسن والاحسان والمسيء بالنسيء
فهذا ليس من المحادة في شئ ولا سمي محادة إلا أن يكون ذلك في لعبة
المرادفة أنه من يبدون اتصال الشريع ، وهم في هذا شرعاً يصل الله بؤنه من
يشاء ، كما قال تعالى لا يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ولو
كان الحق كلهم سواء في كل شئ لم تكن قد انقضت من النفع والخير من الشر
وتظهر آثار الأسماء الحسنى كالحق والمعروف والحمد ونحو ذلك ، ولم يعرف
الكفر من الإيمان والنور من الظلمة وغيره الخ ، وهو سطر هذه عجوبات
المضيئة المتفاوتة من حسان وسنن وحده ، وما من خلق المماثلة
وآثاره كأصناف المحسنة والسيئة . ذلك مما لا يمد ولا
يخصى ، وتفضل الله ببعض الناس على بعض أمر محسوس بالشر والحق
والصواب ، والتمارة مكافأة في أحد . من الناس فيهم القوي والضعف
والعز والذل ، والبر والفساد ، والهدى والضلال ، والحي والقتل ،
والحيث ، وهذه طرق طاهرة محسنة ، مع كل كمال مسندة إلى طاعة ،
فالأصول الكائنات وحقائق حرمها لا حلف في رايها ، فلو كانت لا تمنع
أسمحها عما هي معاونة دائمة وهي تسمى بغير اسمها كذا رايها حاد من
مصنع وأحد فانها لا تختلف لأحد المصنوع من سنن فيه خلاف الإجابة
وتقوم الخارجين من رحم واحد وصلب واحد فلا بد من وجود الاختلاف
بينهم في الصورة وأحياناً وتعد آلاف من البشر لا يتفق منهم اثنان في صورة
واحدة وخلق واحد بحيث لا يمكن من بينهم في شئ من ذلك ، فقد جعل
الله لكل مخلوق ميره عن غيره في صورته وفي فعله أيضاً (١) ثم إننا نرى أناساً

(١) لقد يدل الله لكل جنس ميره على غيره من أجناس المخلوقات ، ولعل مرد
ميره عن غيره في كل الأعداد

كثيرين فيهم بلادة وغاوة عظيمة ويعملون أعمالا دون أعمال الأدكياء ،
ومع ذلك فقد كانوا أكثر عما به الأدكياء . ومن أعجب أنك تجد الأسارى في
عاية لعظمتهم والدكاء والدهاء والعقل ثم تجدهم مع آلات مطبوع على قلبه ألبس
الحر وبما يختص بدينه وتجد آخر دون ذلك في المعرفة والدكاء والمطعة ولكنه
على عاه من المعرفة والدكاء في أمر دينه ، وتجد آخر ذكيا للعبية في أشياء حفية
ببداية عبية في أشياء عادية ، وتجد آخر عكسه ، وتجد آخرين أغبياء في أكثر
الأمور وآخرين عكسها ، وكل نحو في لاشئ به نصه من النقص لطبيعي ،
وكذلك به نصيب من فيس برحمته نعمه إنما في دينه وربما في دينه ، وإما في
شيء أو أشياء دون أشياء أخرى . وهذا أمر ظاهر لا يخفى فهمه على كثير
من الناس ، فإدراك الاحساس ظاهرا موجودا بلا ريب في هذه الصور
ومع ذلك العامة في الأحكام والاعتقالات وآثارها من معارف والصعاب
وعجزها ، فكيف ينكر وجوده في التسم في الأرض والحده والتعريف ولودق
وسائر مبادئ الحياة

ثم إن هذا المعروف لشدة حرصه على ليس الحق باهتال حظ محبة
بالنسب ، ودعى أنه لا محالة ولا نسب من به ومن خلقه ، وهو يعلم أنه
ليس في المسلمين من يدعى أن بين الله وبين أحد من خلقه سما حتى يتكلف
لهذه الاستعانة . وما نقصه لا ينام من المحبة التي تحول فيها من حسن النسب
في الدنيا ، فيجب فيها . وهو يريد بذلك احتصاص المسلم بالآلاء دون
الكافر كما تقدم

قال : والذي نريد أن نقوله هنا أنه لا محالة ولا نسب بين الله وبين أحد
من خلقه ، وقد وضع توهمين وسب وفقر بين محكم هذا العلم على وفق حكيمته
العليا وعدله الشامل ، فمن وفق لا يستخدم هذه ليوامس الناس والفقراء
وسار معها بلا اصطدام ولا خروج بقدر نال ما ينبغي ، ومن عارضها وحاول

الخروج عنها فقد هلك ولا محالة . ولن ينفعه أن يقول أنه مسلم وأنه يصلي
ويصوم ويكثر من ذكر الله بلسانه .

قلت : هذا هو الذي يريد أن يقول . ولكن الذي نريد أن نقوله نحن
قيل نقص ما ادعاه : أن الله سبحانه هو المصدق بالصرف في خلقه ، المفرد
تدبير ملكه في كل أمور السموات والأرض ، ويده ملكوت كل شيء ، وقد
وسع شئ معه كآفته كافة لم يسعها وأحد بها أن لا يصل ولا يشق .
وخلق هذا العلم على أنس نظام وأحكم . ثم ربط نظامه الكوني بنظامه الديني
وجعل الكون صور على مقصدي إلهي ، فهي كنهه واحد . فمن سار على
نظامه الديني سقى منافع النظام الكوني . ووعى شئ من العلم به ، وقال
ما يعي بما يمكن في خلقه . واستخلص على سبيله والنجاح والحياة الصحيحة
المستمرة . ومن تفرق وشح بأفعه وأنى إلا المماكسة والمثاقفة ، فأراد أن
يفرق بين نظام الله أنس ونظامه الكوني . فوهم من بعض وبكم بعض .
وأتى لأمر مقدر معكسا ، ونصده الله لئلا يضل بين الإلهية والاعلام
القصد إما عاخلا أم تحلا . ولا يجمع فلا تنما معصا مكدا وحس به اللام
وهو ما ولا كاهم إرفع

وقد أدخل هذا المغرور في هذه حمة من اخذت والكفر القطع ما لا
يخفى على من عرف حقيقة الاسلام . فقد صرح هنا بأن الله تعالى ليس
هو الذي يحكم هذا العالم وإنما يحكمه إلا . باستخدام بامس طبيعة ، فهو
يدبره على مقدار ما معه من المعرفة والملك ، ولهذا جعل مناه عزه وتقدمه
وبه ما يعي بهسبا الاستخدام . وحس عكس ذلك يده به . الاستخدام
نفسه ، فأين فعل الله أذن ، وأين مشيئته وإرادته . وهذا صريح الإلحاد . وقد
سبق ما نقناه من نصريته بأن المبدء المولودة عن طبيعة هي التي تحكم هذه
الكائنات الحية . وهذا صريح بأن الله اعس هي التي تحكم العالم باستخدام

الانسان لها لا تدبر الله لها ، ولا يستطيع أن يقول ان الله هو الذي يحكم العالم
عشيقته وتصرفه فيه ويدبره لهذا نظام الكون ، من جعل ذلك بيد الانسان
ايدي يستخدم هذه النواميس ، ومعلوم أن "نواميس هي حركات الكون ،
فهم جعلها نبر وتخصص نبرها بمقدرة لاني ، والله سبحانه قد أخبر
بأنه هو الذي يدبر أمر جميعه ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وإن الخير
كله بيده ، وإن الناس لا يشعرون إلا أن شاء هو ، وهذا المعروف جعل هذا
العالم في غاية الموصى ، هذه أد كمال تحصيل منافع ومضاره بمجرد استخدام
الانسان ، فقد صار عرصة و به من المخلوقات ، فمن عرف نواميس الطبيعة
و استخدمها في أغراضه فإنه يحسن على ما يريد ، ومن عدى الله تعالى وصلى
وصام وكان على غاية من تقوى وإصلاح ، يحصل به بلا الخسة في هذه الدنيا ،
لأن الإحلام الدينية أشياء أخرى في نتائج أخرى ، فمن هو الذي يحفظ
عمره أمور هذا الكون ويصدر على تصرفه على ما شاء حتى سال ما يعنى
ومعلوم أن دولا عظيمة من تعرف أسس الناس وهم أحسنهم لأن في هذه
الحياة ، ولا شك أن من عقد هذا أو اعترفته فهو لا يعرف أسس الاسلام ،
فان هذا القول كله مداره على الأخاء المحض ، وأن الله تعالى وقطع - على
هذا الرعدة - كالوثني بلا فرق ، لأن الأول لا تنفع من أضعها ولا تصرف من
عصاها ولا تدبر شئ من أمر هذا الكون ، فمفتر ما تحت هذه العبارات من
الاحاد الصريح والكفر الذي لا يهتبه له

وقوله ومن وفق لاستخدام هذه النواميس ، في قوله ، قال ما يعنى ، صريح
في أن استخدام لطبيعة وسير معبها ملازم لادراك لغاية ، سواء في ذلك
المحسن والمسيء ، وهذا مع كونه كفرا واضح هو كذب ، فمن يحصل لأحد من
بني آدم لا من أفرادهم ولا من شعوبهم ، فمن هو الذي استخدم نواميس
الكون ونال ما يبغي واستمر على ذلك

وقوله ، ومن عابد هذه الواميس ، الى قومه ، عليك ولا محاجة ، تأكيد لما
 قبله في إنابة الخواص باطسعة وتعاليفها وقد عمت أن هذا الماحد عابد
 التواميس والس الدينية معانده لم يسبق لها نظير وه يحف الهلاك ، جعل
 عبادة الله لا فائده فيها ، والماسجد أدت شر ما يؤدي نصار الخروج عن هذه
 الدين عنده أمراً لا بد منه ، بل هو الواجب تحريمه ، لأنه جمع معروف بفسر
 كما تقدم ، وأما معانده الواميس الطبيعة عنده والخروج منه فهو الهلاك لا
 محاجة ، فعلى هذا يجب على الناس أن يعدوا هذه الواميس ويكفروا عنها
 ورامها ، لأنه عنق الحياة بالناس معها والهلاك بعدهم ، وقد صرح في رأي
 بأن أورنا لم تصعد بخلاف إلا لما جعلت صانعهم في وجهها وأتت
 الاشتراك بها . وهذا أكد هذا المعنى الخست معناه وأن سمعه أن يقول
 أنه مسلم وأنه يصلي ويصوم ويكثر من ذكر الله سبحانه ، وقد أكد فوقه تأكيد
 بأن طاعة الله وعبادته لا خير فيها فيجب فيها والاتصاف الى معرفة
 الواميس الطبيعة التي هي مبادئ الشر والفساد ، كما أن الله أن ربحه هو
 الى شيء واحد هو الجهل بقوى الطبيعة وبواميسها ، وهذا هو مروج تطويه
 الكثيره الهندسة منحدره عن أصل لإحسان شخص وبرهانه الى لا يثبت فيها
 ثم انه لعظم شقائه أراد أن يؤيد هذه الدعوى من دعوى تحفة
 مصححة وهو قومه ، كما أن هذه الأقوال ودعوى من تعدى من ذهب بحدق
 سمة الله فترك الطعام والشراب والخوفقة على جسده والحياة زاعماً أنه مسلم
 وأن المسلم معصوم محفوظ متطور من قس الطبيعة رايه .

فيقال : هذا شبيه عمر صحح ، بل هو حجة عنه ، فإن من ترك الطعام
 والشراب فقد حالف سبه الله الدينية والأكوية . لأنه فعل فعلا غير مشروع
 في الدين ، بل ارتكك ذنب مستقلاً ، فيكون مستحق بهلاك والعقوبة بسبب
 مخالفة هذه السبه ، هذا ترك الانسان الأكل والشراب فلا يكون بهذا متبعاً

ليس الدينية ، على أن هناك أمرا آخر ، وهو أن الله جعل هذه الأساليب
المادية التي منها الأكل والشرب سببا في حياة الجسم المادي ، وجعل ما أثره
من لييب والهدى والرحمة والصائر سببا لحياة القلوب والنفوس واستقامتها ،
فمن هذه الأمور العارضة بالأجسام المادية كمنة هذه النعمات الروحية
الدينية المعنوية للنفوس والقلوب أركة ، فانه لا خلاف بين أهل النظر أن
القلوب والنفوس بسبب حياها وقونها من الأمور المعنوية كما سبب الأجسام
بالمواد المادية . كانت لأجسام لا يمكن أن نجاء بدون عدايتها المادية
وكذلك عداها لا يمكن أن نجاء حده صحيحة إلا بوجودها ، لأنهم فطرتها
الأولى من الأمور المادية . وهذا أمر يعرفه كل ذي عقل وبصيرة ،
فإن لما من شيء روح ونفس الجماعة ويحدها من النعم والخلوة في
فمه أعظم مما تحده جسمه من عداه والخلوة في سبيل عداته المادية . ولهذا
كانت النفوس مضطربة في أن تنعش بالأمور المعنوية ، فهي أن لم تنعش
الجماعات والأفراد ، بل بد أن تنعش بالمعاشي واتباع الشهوات
والموسيقى ومرارته مصاهر لشروخ والحدث وتندويها (كما
مدار في شارب آخر) وتكون عاونه الخلل واللا بد لها أمور عارضة
حده عظيمة محطه خلاف الآثار السلبية وترها في النفوس والأرواح .
وقد ربما يسبق أنه سبحانه . فقد سده الدينية بالسفن الكونية فن سار على
أسس الدينية فلا بد حتى أن يوفق إلى ما له حيا سعيده ، كما قال تعالى
من عن صالحا من ذكر أو أن وهو من من وسجده حياه سده . في حجة

(١) لا شك أن لما من شعش روحه وتعلم على حصول عدايات ، ويجحد
مقدسه ، أحسن مما يجد عند صوم والشرب . وأصعب منه عدا روحه ، ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم : « من صام يومه عني في الصلاة ، أن يدا فمسا من نفيس الالهى ،
ولا اتصال بمصادر لرحمة الهدى والكمال والنصائر »

لهذا المعرور في هذا لحيان حتى يدعيه . فان من هت ترك الأكل والشرب
فهو كمن هلك ترك تعديه روحه من الصاعات ويض الأثر لراحة ، فان
الإنسان ليس سبيمة أو حشره غير مخلقة بأمر الله من مقصورة حيثها
الروحيه والجسميه على العناء المادي فقط ، والله سبحانه وتعالى أمر الإنسان
بأن لا يلي نفسه ائ لهيكه ، وحرم عليه أن يصل نفسه . و . ع . د . وحالف
أمر الله كان من الهالكين

وقوله . أعما أن المؤمن معصوم . . الخ . كذب وخير لا يخفى إلا على
من أعمر الله نفسه ، فان المسلمين لا يعتقدون أن كل مسلم معصوم . بل بينهم
خلاف في عصمة الأنبياء في غير ما سمعوه عن الله . فكذب بالمسلم . ولكن
ما حمله على الإلحاد في هذه القضية اليهودية إلا لما حقيقته الحجة الطاهرة ،
وقد علم أن ليس في شيء كان حتى عليه قوله والله معصمكم
من الناس على أنه من أحد من بني آدم معصوم من مصاديق
الطبيعة فيه من حصص وقد قال تعالى في أمور سكر
وأنفسكم ولتسمعن من الدين أوه كذب من فساد من الله تركوه
أذن كثيراً وقال تعالى لا اله الا الله أحسن الناس أن تركوه قولوا آمنا هم
لا يفسدون والقدوة من فسادهم ففسد به صدقوا العيس
الكاذبين) وقال تعالى وسلوكم حتى تعلم من هذين مكراً وفضلاً وسلو
أخباركم)

فهذه الدعوى في عصمة المسلم كذب ومرة طهيرة . ولولا هذه
الخرقة الباردة أي يباحثها ، وأما عند الحاجة لا استطاع أن يكذب صحيفة
واحدة قائمه على شيء من الصدق وحقيقة . ولكنه جعلها هي عصمة وبقية
الذي يلجأ إليه

فصل

قال، اخرج الى السماء في لغة صافية، ثم انظر الى تلك المخلوقات
المتلازمة التي يملأ الفضاء، والتي توحدت أحياناً بوجهت، والتي تكاد تتشابه
وتتصادم وسهوى، والتي لا يمكن شئ من ذلك لا يحدث، والتي تكاد تحرف
بعضها من حيث المبدأ في ذلك الإشعاع المتوحد مع المتوحد الدائم الحركة الصوتية،
ثم سنسلم الى عقبت وعنت وحديث قائلنا: كم يمكن ان يكون قد مرّ بهذه
المخلوقات، ومنه من الاحتمال وهي بحسبها على سائرها ومداراتها فلا
اضطراب ولا احتكاك ولا فوضى ولا تصادم، ثم سل ما الذي يحسبها هكذا
كل هذه المخلوقات، عتبت انفسها في نفسها وهي انظمة الالهى المخصوص
عنها، ثم سالت قائلنا: ان كنت لو ان الجن والانس والمشيكة وكل
الخالق اربعين واربين، وهذا في صيد واحد ثم سألوا الله حامدين أن
يصدق هذا النظم أو أن يغيره أو أن يتخلى عنه، أكان من الممكن أن يجيب
الله هؤلاء بما نحن في يقين من انفسه.

فحينئذ كان هذا هو من قول، وبثرت في فؤاده بعض من واثمها إبطال
وغير انفسه، وتقدم امثاله من الايمان وهذا من لا تعلق له بحصره ولا
غبراء، ولا مصادمة به حدث أصلاً.

ثم أؤلا وقد فهم أن من سأل الله تعالى وتعالى في سؤاله فقد صادم
أوامره الدينية ولا يخص على طائفة، ولا شك أن من سأله خرب العالم فيه
معتقد في سؤاله، ولو أن هؤلاء عارضه وقال: أنت تمدح الاسباب المادية، بل
تدعو الى ما ننضم من عبادتك، فمن نظر أن الحق كله لو احتدموا يقدرون

١١، بأم هذه المخلوقات كثير جد، وقد صدر لمناقشة في مثل هذا.

٢، هذا السؤال حقه مثير للفتنة، وهذا هو فيه.

على تعبير العالم كله بأسمائهم التي علوب فيها بدعوت الى ما تنصص عبادتها ،
فإذا كان مناط عدم النفع هو عدم تعبير العالم وتخريبه فالأسباب الدينية
والمادية في ذلك سواء ، بل ربما كانت الأسباب الدينية أقوى كما ورد في أن
الساعة تقوم إذا حلت الارض من ذكر الله وعبدته

وأيضاً لقائل أن يعارض من وجه آخر فيقول من الحس والاس والملك
وكل الخلائق يقدرون بذاتهم أو سائرهم أن يعبدوا الله وسبوا كلامه ،
وهل يمكن أن يحاسب دعاء من دعا الله وطلب ذلك ، فاقول في السن الدينية
هذا فاقول في سن الكونية ، من الله تعالى به ، ان يدعو بما لا مصلحة لنا
فيه ، وهذا الدعاء الذي ذكره ونحوه مما لا يذكره عندنا محض وحرده على مقام
" بوية ولا مصلحة ادعى به " ولو أن رجلاً صلب من ماله أن يعبد
حكومته ويدمرها وحت فيه بلا ضرر . ولا حكمة لعدم أحسن الناس وكان
معتدماً في هذا السؤال . خلق الله عارف وعارف ، عظم دونه من دون
قول سؤانه . وإذا كان مع هذا مستعرا في مقول عند ملوك الدنيا
وسوقتهم - والله اعلم بالداعي - فكيف يجوز ذلك باسمه الى رب تعالى

وأما ثانياً فهذا الذي ادعاه عند مفروض . وهو ذا يجوز من أمرين إما
أن يكون هذا الدعاء مشروعاً أو غير مشروع . فإن كان مشروعاً لما عرفت لما عرفت
إجابة الداعي به اذ من المحال أن يدع الله من أمر به عبادته وهم لا طاقة
لهم به ولا يمكن حصوله . وإن كان غير مشروع وهو محرم فالحق سبحانه ودره
منه ومنه من حقه عن من هذا فلا معنى للايمان به فكيف يسوع مؤمن أن
يدعوا الله أن يفسد نظامه وتعالى عن منك ، هذه جرأة عبه وكفر ظاهر ،
وكيف يسحب لمن فعله ، وهو كمن دعاه أن لا يعط رسلاً أو لا يبرص على
حقه عادة ولا دعاء ولا يعلى حبه ولا يبارك وأمثال ذلك ، من عند لسن
الدينية حط سمه ولم يخص على ضا

فلا حجة لهذا المعرور في هذا المذهب العارض، ويكتفى معارضة بأن يقول
 له قبح لا أقرب مما تقدم وهو: أرأيت لو أن الجن والانس وما شئت من
 المخلوقات من فهم من عبادة لطيفة وهو ميسرها أحجوا أمرهم وبدلوا كل ما في
 وسعهم، هل في إمكانهم أن يحققوا درة أو يحققوا شجرة بيت أو يلقوا
 في درة أو حبه أخرى يجمع ما لديهم من الأساليب وتقوى، هذا كانوا
 عاجزين عن هذا الشيء لضعف الخلق يجمع أساليبهم، فهم يعجزون وتجارب
 الدعاء بمحردة أنك لم تستشك بهك وقد عنت أنه لا يؤثر فيه، وهل هذا إلا
 يحمل عظمه على دعاء الله وعنده، ودعوته إلى لونه اعضه وهي عبادته
 الطيبة وأسبابها

فصل

في وجوب هذا المذهب خلاف المذهب القديم، والآراء والمصالحين وبين
 جمع الأمرين من حيث هو في أمره وحدانيته أمور كذا، هذا الأمر هو
 في الآراء والمصالحين كقوله: قد عرفت أن الله لا يبدل ما وعده من النعم، والنعمة في
 كل شيء في الدنيا والآخرة، والاتصال بالخلق، والاتصال بكل شيء،
 وفي الآراء والمصالحين.

ونحن نقول: كذا في هذا المذهب، والآراء والمصالحين من أجل هذا
 نظام هذا المذهب من الآراء والمصالحين، وقام به المصلحون، بل ورثت
 خصوم الانبياء، وبخاصة المتأخرين منهم، ذهبت إلى اعتقاد أخبث ضروب
 الخوض في هذا المذهب، صحت على رموس الأشهاد بأن هذه الكائنات
 لها صفات خاصة بحكمها، من أمور دونه من المدة، وفريق من
 سحيم هذه الأمور من الأمور، في هذا المذهب حكومتها، وما من شيء
 يستخدمها الانسان، وحصول النتائج موقوف على استخدام المستخدمين على
 خلاف ذلك، فكأنهم وآلهم وعمرهم، وهذا عين الفوضى، وهذا صرحنا بأن

وروحها ، لأنه شاق في كل أنواعها ، فقد كبر على المشركين ومن حدا حذوهم
من الملحدين والمفسدين اتسع هذا المظلم الجدار والاحد به كما قال تعالى (كبر
على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يحتمى إليه من شاء ويهدي إليه من يبيت)
ولا تزال هذه الفكرة الخبيثة المفتونة لمتدبره بشر العواقف موجودة حتى الآن
تشوع مدهش وانتشار هائل في كل نفس صقة بحسنة ، فتجد هذه النفس
المصانة بهذا اللاء تنكشف وتنكر وتنفرد ويحصل لها انزعاج واشمئزاز وتضيق
مى حوطت ، أنها حققت عبادة الله وحده لا شريك له وفصده والتوجه إليه
والاعتماد الكلي عليه . تحد هذه نفس المصنة ستعظم هذا الأمر السماوي
وتكر عابها فسد صادق ، من يرى أن هذا حمول والمحضط ورجوع الى
أوراء ، ولكن مع تلك لا تفت في اتساع أهوائها من ماسرده أحط
الأحلام وأفرد ، أستغنى . كما لا تفتكف عن أن تصنع أشنع الخسوع
وأن يكون عن علة من لئله والحوال والدخول تحت أقدام شر حتى الله
وأفرد . وقد أثبت التاريخ أنه لا يوجد فرد أو شعب استنكر واعتقد عن
عبادة الله ولا عوقب لعباده أحدث انجومات وأسقطها ، إما في قوساته بحث
بعد بعضهم بعضا ، وإما عبادة شوائبه وأهوائه وأعراسه التي تقوى به في
أعماق الجحيم . وفي عبارة أفرد شخص وقد تقدم يعرف لعباده التي يدعو
إليها في مقدمة هذا الكتاب

لقد ذكر على المشركين اتسع هذا المظلم الجدار الإلهي ، واستعمال هذا
الصلاح القوي من لا يعلب ولا يقهر من أول ابتدائها ، ولا استنكار
عن صده الله ونعواه وانترد عن ذات هو خلق جميع الأولين المعارضين
للرب . فالمسجون لهم هم الرحيمون الذين استمكوا بحبوط هذا القديم
المردول الذي حاربه من كلهم من أولهم إلى آخرهم ، وارجعوني هم هؤلاء
الذين اسعوا أسلافهم في هذه الأخلق القديمة المشثومة واسترسوا في الاقصاد

لها . كبر على المشركين ومن سار حقيهم ما دعاكم اليه المرسلون من عبادة الله تعالى وإقامته وجهه له والاعتصام بحبه والاعتقاد بعبه ، ولكن يصغر عليهم اساع قوايس اكفر حتى الله وشعرهم وأقبحهم والتعد بها وجعلها أعلا لا في أعافهم وقيودا في أرحتهم . صغر رئت عنهم لان موسهم المدحطة انحطت انى هذا لذلك الحق هب عاب فبوط والقصور بعد أن كبر عليها النجاح وشجده . ومعدة الله على وجه والاعتقاد عليه وادع اطامه هو أساس كل لذة فرح وحياة في الدنيا والآخرة

وهذا المعروف لما كان من أعظم المشاكسين هذا النظام الالهى حرص كل الحرص وبذل جهده في إحياء الله المشركين الذين وتحسين أخلاقهم في رفض الآدين وتخصص مذهبهم حيث صرح به أى حجة بعيد ، فلماذا حرج صدره من هذه العبادات التى أمر الله سبحانه بالإتيان بها ، ولا سيما روحها وأصدا وهو الدعاء الذى دعت اليه جميع الرسل ، وسفه رأى من فعله ومن جاء به . ضاق صدره بذلك وعصا في منه حتى ادعى عدمه بأنه ليس بوسيله وليس له من فائدة ، وأنه مصروف حيث ، بعد أن قرر أنه أمر في أنواع المعادة . وأن كونه عبادته لا خلاف فيه ، ولا تخفى فيه جدال ، فقد صاف صدره وكبر عنه ، دعت اليه الرسل من اساع ذلك النظام العظيم فلماذا عطله ومقته وكرهه أعصه تمكاته وانحط واندقت ، فعدم اخلاف سنا وسنه في ذلك أعظم التمام . فما أشبه حاله من قال الله فيهم . ان الذين ارتدوا على أذرهم من بعد ما تبين لهم الهدى لشيطان سول هوى وأعلى لهم ذلك ما هم قالوا ليس كرهوا ما أنزل الله سبحانه في بعض الامر والله يعلم أسرارهم فكيف إذا بوقتهم لشككهم يصرون وجوههم وأدماهم ذلك ما هم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا سموايه فحبط أعمالهم . ثم حسب لدن في قلوبهم مرص أن الله يخرج الله أسعاهم من هذا المعروف وما وكره ما أمر الله

وعاداه وحاربه وصده عنه وأنزع ما أسخط الله من الإخاد والطاق وكره
رضوانه من الدس والإمان ، وقد حط عنه الذي سعى فيه وأخرج صغيته
في بعض الأسلام ومقت أهله ، فكانت دساسة معاكسه لدغابة جميع المرسلين
وأشاعهم من المصلحين ، ثم هو مع هذا في عيه نقاعة لعلماء والخصوع
المرذول للملاحدة وأنه ذو من سيك سبله من المذقتين الذين يروون
الحوادث كلها موثقة من مس الطبعه ، وأن مشد الله ويرده على لا دخل
له في شيء من ذلك ، ولم اجد له شيئا يشتهر به فخرج قدح قد عداها شيئا
من الحوادث احسن معتقدا ، وبذكره لا في معرض لده في أعلايه كتاب
وأما جمع ما في هذه من حاله حصوله الأسماء والمنصبين ،
وأما هو الذي جهل وعني كثرهم ، وأكل له واث

فصل

طالع و سائر اشیاء فی حکم ... و زوایا ، زحکام
و غیره و اینها را در کتاب ... و زوایا ، زحکام

فقد علمنا ان الله تعالى قد علم ان معارفه سر حجاب و... ومقصود هذا ان
على آدم وحواء ما لا يحيط به الوجود في هذه الارض، لانه نعم
بخلته كما اصرح باسمه وقد سبق التماس في هذه المسئلة، واما الوساطة
فهو المسمى بالانسان، و... على ما يقصد من كونه ركن
وتسوي واتحاد... على هذه المسئلة، من جهة...
هذا، وهو قد علم ان الله تعالى قد علم ان...
عن الاسباب... في... كل... وجود...
الاسباب... في... ان... الله
فعلنا ان... وتعلم...
الاسباب... في... ان... الله

تتابعها فتوكلوا عليها وعلقوا عليها كل آمالهم إما باعتقاد وساطتها أو لدانها ،
 فهم توكلوا اليها واعتمدوا عليها وهذا هو روح عبادها . وان عني أنه لاوساطة
 بين الخلق والخالق في الربوبية والتسليم فليصرح به ولا يحادغ أحيانا في نفسه ،
 وحبيته يعرف جوانبه وأما الشفعة فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة المتواترة
 شفعة النبي ﷺ يوم نقيبه في الموقف لعظيم ، وكذا ثبت في الأحاديث
 أن الأنبياء وأئمة من يشعرون نفع التوحيد ، وكذا ثبت شفعة الأبطال ،
 ورحمة لجميع ما يقع به المشركين من جرائم - كالاعتقاد على الأسباب المادية
 على خلاف أنواعهم من حوائج وحادات ، وتوحيدها ، وتعلقهم بها ،
 وإطلاقهم وبحولهم - فانه عن ما يدعيه إليه ، وهذا ادعى فيه بأنه في بحث
 الكل أن معناه أي سوا كل شيء هو الاعتقاد على الأسباب وطب العر والمحد
 من ماضيها واستعدادها ، ومعلوم أن المشركين قدس لجأون إلى المخلوقات
 ويعتقدون ، فعلموا ذلك عن قائلهم فتوكلوا عليها وألقوا أرواحهم وألقوا أموالهم
 من أجلها ، ويؤمنون بما يقوله من الاعتقاد عليها وعبدتها من أجل اعتقادهم
 في ماضيها واستعدادها ، وأن ذلك قوي وموافق وصل إلى ما نتج انطوائه
 منها ، إما لدانها وإما بوجوبها كما تقدم - وسنرى قوله بأن كل ما في هذا
 الوجود هو من أسباب الله - إنما يكون فيهم في الحقيقة مما يكون في الله الخ .
 فصارت هذه الطائفة والباقي من الأسباب - ومن ثبت فيها فقد ثبت
 في الله على ما يقول ، ولا سيما في هذه الآيات يستعملون هذه الأمور
 يدعون أنهم قد حرروها وعرفوا حقيقتها ومعناها ، فكان اعتقادهم من الله على
 التجارب الطبيعية لا على الدين ، وهكذا كل أفعال الملاحدة في الأسباب
 المادية هو منسب على التجارب ، ولأنه منسب على الوجه والطرف من غيره ،
 وما إلى ذلك وما إلى ذلك ، في الضرورة الصغرى - ونحو ذلك لا ريب في معتقدهم
 منه ، فلا بد من الأسباب إلى الحق المعنى عن كل ما سواه ، فالموجه إلى الخلق
 هو الموحد وتوجهه إلى المحدث هو المحدث والمحدث من في معناه . فان

الملحد وثني لانه عدد الاسباب الطبيعية وكل هذا بصاد جمع ما دعت اليه الرسل
من اولهم الى آخرهم في قولهم لقومهم **م** اعدوا الله ما لكم من ايله غيره أفلا
تتقون **م** وأمثالها من الآيات

فصل

قال ، وقد نص الكتاب على هذه المسئلة ، قد قطع كل خلاف حيث قال
من سورة فاطر ، قد تبدل الله تديلا ، وان تبدل الله تحويلا **م** في
أن تبدل السنة ، فممكن أن يقول قائل **ب** وان كانت لا تبدل ، وان تبدل هو
التغيير - إلا أنها تحول عن طريقها ، والتجديس هو تصرف عن القصد والجهة ،
في هذه أيضا هي لا تتغير من تحوي على ويبره واحدة أولا وأبدا ، ولا
تصرف عن سبيلها بل تسمى فيها غير مبدلة من حيث ولا من نوا

فيقال ، هذا حجة عليك أيضا ، لأنك لم ترص سنة الله هذه أن تبدل
ولن تحول ، وبمقتضى نصك بهذه المسئلة وتقطعه خلافا ، من بدلت كل ما
في وسعك في الحصول على تبدلها وتحويلها ، وسكر أن تجد لسنة الله تبدلا
وان تجد لسنة الله تحويلا ، من الكتاب **م** قد نص على هذه المسئلة نص
قطع بسائر كل معتمد ومعكس لدين ، ولكذلك أيت أن تقس ذلك فثرب
غير اعدل واعتاد والمثلكة والمعكسة في سدس وتحويب **م** من سنة الله
التي قد حلت في عبادته أنه بعد لا يحول الدين **م** أموا وعمدوا **م** اصحاب
كالفسدين في الأرض ولا يحول المقيمين كالمجدين **م** وأنت عكست هذه السنة
التي هي أوضح من الشمس ، فادعت جهرا أن تبدل الله هو التسوية بين
الأحدين بالاسباب بدون نظر الى أديانهم ومدتهم ، وأن حل تنسخ هذا
الكون يستوى فيه المسلم والكافر ، وأنه كالملة ربيعية ، وأنه اده تحوير
اثان فأنه مع أقواهما ، ومن سنة الله التي حلت في عبادته أن التقوى واعمل
الصالح سبب في ميل العر والمجد والتقدم والبصر والسيادة كما قال تعالى **م** ولو

أن أهل القرى آمنوا وانتقوا الصحن عليهم ركاب من السماء والأرض وقال
تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وقال تعالى ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ دُونِ
أَوْ اتَّبَعِي﴾ وهو مؤمن فلحيثه حياة طيبة. ونسكن أبيت أن تقس ذلك فأردت
تبدل هذه السنة وتحولها ، وأدعي أن الاحلاق الدنيوية لها تسامح أخرى غير
تتأمنع المحمدي وأنها ليست مبدئية في تقدم في الدنيا بل هي ضعف واحطاط ، ومن
سنة الله التي لا تبدل ولا تحول أن الدعاء بغيره لا يسمع ، وبملاحظة على الصوت في
المساجد وذكره تعالى كل ذلك أنه أحسن المثل في الحصول على خيرات الدنيا
والآخرة ، فكرهت ذلك ومقته وتحطه وصدمته بفساد ما رعت أن الدعاء
ليس بوسيلة وليس له من فائدة ، وأن المساجد والمنازل أدب شر ما يؤدى ،
وأن رضاء الله ومسحطه لا دخل لها في الأسباب والمسببات أصلاً ، إلى غير
ذلك من المعاندة لسه الله في الدنيا والآخر

وسمعى أن علم أنه ليس بمبدأ جديد ، ثم في السنين لا تبدل
أما الأسباب الطبيعية لما فيه ، فإن جوارح هذه الدنيا أمر معلوم ، والشرع
والعقل والحس والضرورة ، فالانطور والبرهان والقصر والفتلات عناصر الى
عناصر أخرى إلا تحول في الأسباب ، وحدثت من الجح صرخ واضح في
أن علاقته ، الأسباب نفسها بالأسباب سنة حتمية بل من الجبر أن تبدل وأن
تحول ، ولهذا قال عليه السلام : ما تحولت سنة من شيء ، فتركوا التسفح . هذا
هذا على أن هذه الأسباب ليست من الله بل لا تبدل له ولا تحول ، بل
إن وقوع ذلك جائز لا محتم . بل من المحال أن يحى على شيء حكم هذه
السنة بأنها لا تبدل لها ثم يجوز تبدلها وتحويلها وبوقته هو ذلك الصعبة ، ثم
لما ظهر الأمر بخلاف بطل ما أمرهم بالتوبة والاستعمار ، بل ذلك على أن
وقوع هذا جائز لا واجب ، والخائر يمكن وجوده وعدمه ، فهذا وقع أحد
الطرفين وهو عدم التحلف ، ووقوع أحد الطرفين لا يقتضى استحالة وقوع

الطرف الآخر ، فعلة الترحيح ليست حتمية ، فكثير من الأشجار لا يؤثر فيه التلقيح ، بل يوجد في البحر نفسه ما لا يؤثر فيه التلقيح أصلاً كما شاهدناه ، فالوقوع دل على الخوار فقط ، ولكن الذي يجب أن يعلم هو أن المراد بالنس التي لا تبدل لها ولا تحوي هو أصل نظامه الدين وما يترتب عليه من لنظام الكون ككون العقوبات لا بد أن تكون "كعكس والمعاصي" ، وأن العواقب الحميدة لأهل الدين و"تقوى ومحاربة المحسن بالإحسان والمعنى بالسوء ، وأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يسوا في المصير في الأرض ، وأن المتقين يسوا كالأحرار في الدين و"زاد في الآخرة ، من لا بد أن يظهر حرام هؤلاء وهؤلاء في الدنيا كما يظهر حرامهم في الآخرة ، وهذا ظاهر جداً من سياق هذه الآية وطريقها ، من ثم على ذكر هذه النسخ عند ذكر العقوبة المعاصي و"أنه المطيع كما قال تعالى في سورة طه في هذه الآية : وأقسموا بالله جهد أيمانهم أن يخدموه يسوا كالأحرار في الدنيا والآخرة ، وهذا ظاهر جداً من سياق هذه الآية ، وسكروا في الأرض ومكر السيئ ولا يخفى المكر السيئ إلا ما هم فيه من بطون إلا سنة الأولين من بعد الله في الدنيا ، ولن نجد لسنة الله تحويلاً في شأنهم من السابق في الدنيا من أن هؤلاء المكذبين للرسول عليه السلام استكروا على الله بعد أن أقسموا أنهم ما أمة كذبة من بعدهم سير لينفونهم ويقتلونهم بعد أن أقسموا أنهم ما أمة كذبة من بعدهم سيروا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينهم ونكروا وعصوا صدهم مكرهم سيئ ، ولكن عاد مكرهم عليهم فيهم فعوا كما فعل أسلافهم من أعداء الرسل في الدنيا ، ولعمري والمكر ، كما هو تعالى : ما عاينتم من قبيل الرسل من قبيلهم ولكن هؤلاء ما يصرون بعد هذا المكر الذي يريدون به إرادة الحق وطعنهم بورد إلا سنة الأولين وهي حول القصة بالمكذبين ، وأن المكر السيئ لا يخفى إلا أنه فينقض عيبتهم مكرهم ، وأن هذه السنة في الأولين ستحرق في الآخرين أن يوم القصة لأنها سنة لا تبدل لها ولا

تحويل وكذا قال في سورة عمر لم فيما جاءهم رسولهم بالنبأ فرجوا عما
 عندهم من العلم ، وحق بهم ما كانوا به متبرئون مما رآه ناس قالوا ، وما
 بالله وحده وكبرنا عما كنا به مشركين فثبت معهم فيما رآه ناس ما رآه ناس
 سنة الله في قدره في عباده وحسن ما يشاء وما كان الله ليعجز عن
 ما كان يفعل أصغر من أن يحصى عدد من لم يكذبوا به ناس في "مراهم
 ما رآه ناس على صدقهم" وهم اسكنوا ما رآه ناس في "مراهم ما رآه ناس"
 جاءوا بها ، لماذا ، لأنهم عرفوا شيئاً من أمور الله وعلموا به ما رآه ناس
 في "مراهم ما رآه ناس" أن ما رآه ناس في "مراهم ما رآه ناس" كان ما
 يريدون ، وردوا بنبأ ناس لا يدرى ما رآه ناس في "مراهم ما رآه ناس"
 وأما لا تؤمنونهم إلى الله ، فما رآه ناس في "مراهم ما رآه ناس" وفي وجه
 وندم ما رآه ناس في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" وأعظم
 وقوى من عبود ناس في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس"
 من "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس"
 أصدق الله سمعاً ، وأوفى خبر من حقه ، وما رآه ناس في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس"
 خبر ناس في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس"
 أخبر الله ما رآه ناس في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس"
 يخصه ، وفي "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس"
 أوفى من "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس"
 به يسبرون ، يرضى ما رآه ناس في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس"
 الدنيا وأهلها ويستأثرون به ويصحبون ما رآه ناس في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس" في "مراهم ما رآه ناس"
 أنهم سمعوا عفوهم وآراءهم وفكرهم ، وهذا عين ما يجمعه ربهم في هذا العصر

(۱۱) وهو يضمن ما جاء فيما سمي مراراً من أنه لا يرجع علم صار بل كل علم
 مافع كما تقدم

وملاحدثهم الذين شتموا نأوفهم المرعته عن العالم السماوية واحتقروها
ورأوا أنها ليس بها كنهه للقيم لجميع المصالح الدينية والدنيوية، ولقد حقق
المستشرقين بالدين ما كانوا به يسورتون كما حقق بأسلافهم استهراقهم الويس .
وقوله تعالى ﴿فيا أيها الناس اتقوا الله ما لله وحده وكفر بما كتبنا به مثركين﴾
أي آخر الآية فيه دليل واضح على أن هؤلاء الذين حادوا الرسول لم يؤمنوا
بالله وحده إنما صاروا حادين من كثرة الخيالات معه من أساليب هذه
وغير مادية فاستمدوا عليها وتوحيروا فيها وحكمائها، وهذه كقوة على
﴿واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى رسول الله فأنه يقول لا نقدر أن نسمع
عنه صدودا فكيف إذا أتاهم حصصه مما قدمت أسلافهم من خيرات فصدقوا
بأنه إن أردنا إلا إحسانا ونورا﴾ هؤلاء ما آمنوا به منيعة لما حقه من
قدمت أيديهم من التحاكم إلى الطائفت وعدم الإيمان بالله وحده - إذ الإيمان
به وحده يستلزم تحكيم شرعه وحده - قالوا حينما مسح العذاب ورأوا أن
القوة لله حمداً ونصيحة من عباده واستهراقهم - آمن بالله وحده وكفر بما
كتبنا به مثركين أي من هذا الإله لا شيء ولا شيء صدر من
لأنهم عمو أن ذلك لهم شيء كان عمو هو أنه من جميع على عدم الإيمان
بالله وحده ، وحملهم على الاحتجاب بدينه وشرعه ، لأنهم كانوا معجيين به
طعن أن فيه لكفارة ، و﴿حقائق لا بد من انتمسك بها قال تعالى - فويل
للمعصين﴾ إنما هم كمال هذا لأنه قال وفيه من الله أن قد حب في عباده - أن
هكذا الذي أصاب هؤلاء من الانتقام بسبب الأسير ، وعدم قبول الإيمان
بعد حلول العذاب من الله تعالى فوصف على عباده ، فلا تبدل له ولا تخوس
﴿وحسر هؤلاء الكافرون - فكان ذلك لعلم الذي فرحوا به وطئوا أن فيه
القدم والعر والرقى والمجد ما حصل منه سوى نقص ما طووه فيه فكان موجب
للخسارة السرمدية والعذاب المقيم

وحده قد قنع الله وأحط قديمه وأعماجه وطمع فيه أعدى عدوه له ، فتحده
 بنشمس ولت وبصير فلا يجدوا بها ولا تصير إلا له أسماؤه لعل بانه وسنه عده
 السب ، اذ جعل في كلامه لا يفيد اليقين . وحرف صفاته حتى وصف بها
 نفسه ، وصفاها حوادث وأعرضا ، فتخلص عنها قسب أسمائها من الصفات الى
 الحوادث ثم قال هو الله عن حوادث أي منه عر الصفات ، وفي كلامه
 وعوده عن عرشه وحكته ورحمته وعصبه وغير ذلك ، ثم أسماه طه به فذهب
 عنه معه غيره . وفي أنه أرحم الراحمين . رحمه من الوالد ، ولدها ، بل
 حبيب له عموه ، فلهذا سمى الله في كتابه لا اله الا هو ، ولله
 أي حوالاته في الدنيا ، من الحاجات ، ثم ازدرى كتابه الذي جعله
 في الدنيا ، وحوالاته في الدنيا ، وحوالاته في الدنيا ، وحوالاته في الدنيا ،
 وصلا لا بحيث لو اتبعه وحده لكان صديقا عاملا متأخرا من عطا لا يمكن
 أن يبلغ المجد . لا شك أن من هذه حاله فهو كالجسم الذي أصيب بأنواع
 الأمراض والخروج وسائر الأسقام لمصعبه ، ثم هذه حاله
 كمن يستصعب أن يرفع عن هذه عبوده ، وكمن لا يقوى وهذه الأسقام
 قد وقعت في وجهه . فلهذا سمى الله حاله أي به احده وأن له لحة ، لأن
 هذه الأمراض كمن سمى الله حاله أي به احده وأن له لحة ، لأن
 أحسن من ذلك على ذلك . روح الطهارة التي لا يغنى جسمها ويقويه إلا ما
 يناسب ثبوت الروح التي على تلك الجسم ، فهو لاه المنفقون الذين يؤدون
 المدينين والمؤمنات من ما كسوا لا بد أن يسط الله عليهم من هو أقوى
 منهم وأقدر فيصعبهم ويضع لهم المراقب في كل مقامهم وأمرهم
 فلا يستصعبون إلا عن عمد ما قصدوه ، وغفل تعالى عن قسب كبروا أن
 ينموا بعفروهم من ما كسوا ، وأن يمدوا فقد مضت سنة الأولين . وقد بين
 سبحانه أن سنته في الأولين هي هلاكل من جانب الرسل واسكنهم
 طاعة الله تعالى كما قال تعالى : وقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءهم

بالبينات فانتقمنا من الذين أحرموا وكان حقك عسى نصير المؤمنين . وقول
 تعالى **ولو قاسمكم به من كفر ولو لولوا الأذنة لا تخشون ويأبوا ولا نصبروا** .
 سنة الله التي قد خلقت من من وال بعد سنة الله بديلا . فخير أن نصبر لا
 بد أن نستصحب المؤمنين . وأن المارية لا بد أن يكون متكفرون . وأن هذه
 سنة الله التي قد خلقت من قبل وأنهم لا بد ولا غير . وسكن سن في خلق
 الأيمان وخلصه من شوائب الكفر . وشعب الكفر . فمنهم من لا
 الدين . فالأمة صريحة في عدم مساواة المؤمنين والكافرين . وأن نصبر لا بد
 أن يكون مع الدين . اسمون كما قال **ويعادون به مع الحق** . ومن
 هذه الآيات **كأنهم في معادهم وهم ما كان على عهد الأنبياء** . لمساواة
 وأنهم لا بد . لا يرعى الله في كتب به عن متصوده . وإنما هم ثم حجه عليه
 كما هو ظاهر . وسكن من . حتى غاب في قلب حديد . خضع وقومه في
 الاستعداد . به . وهما . أو يصفى لادن والكفر

شأن من المؤمنين من ير . محمد ف . جميع

فصل

ثم ذكر كسوف وقوله **فإن الشمس وعمر آت من آت الله**
 لا يكسفن لموت أحد ولا حياة . ثم قال بعد سنة . حدث . وهذا
 صريح قوي للقول . أن حوادث هذا الوجود معلية . تصيب أهل الأرض من
 خير وشر . وما يحدث لهم وما يحدثونهم .

فقول . هذا متنوع من أصل . **فإن النبي ﷺ لم يبق في الحوادث إلا**
 التحليل بالموت والحياة فقط . وليس الموت والحياة كالكفر والمعاصي . فلا
 يصح قياس أحدهما على الآخر . وانت عممت الدعوى فعمت الحوادث كلها
 لا أثر لحوادث حق فيها من خير وشر . وهذا حكاية عن الحديث ورد

متمسك بآثار السجدة وكيفية رويته وكيفية الحوادث المترتبة عليه . فلا يتمتع
من أن يكون حدوث الحوادث المبهمة بسبب السجدة . لأن غاية ما لدى من
يكرهه هو ادعاءه معرفة المادة التي هي سببها فقط . لكن من أين يعرف
سبب المادة وسبب سببها بالأحاطة التامة . من هو غير ممكن . وعقوبات
بعض أنواع . منها ما يقع بغيره . ومنها ما يمكن توقعه علامات وأمارات
ظاهرة أو خفية . وهذا يشتمل أنواع كثيرة لا يحصىها إلا الله تعالى . وقد
نص النبي ﷺ في هذا الحديث على أن يكون الكسوف من المظاهر التي يخوف
الله بها عباده فقال عليه السلام : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا
يخسف موب أحد ولا تحام . . . رأيت الكسوف وهو من الصلاة . وقال فيه
ويخوف الله بها عباده ثم قال : لا أحد أعبر من الله أبين عبده أو ترى
أمنه . يا أمة محمد . والله لو يعلم ما أعلم بصحتكم وملاوسكم كثيرا .

الحديث . وهذا صحيح في أن الكسوف أثر في الحوادث . إذ لو لم يكن له
علاء . بقوة وجوده . يكن محجوب عن رؤيته والامر بالاعتناء والفرع
من الصلاة والذكر والدعاء معنى . وقد ذكر العلماء من جميع المذاهب أن
ذلك مظهر من مظاهر الجحيم التي هي محجوبة عقوبة . وذكر بعض المحققين
أن ذكر الر في هذا الحديث خاصة به وهو أنه يكسب نور البصيرة ويكون
سببا لطهارة القلب . وهذا صحيح . لا سيما . . . يعرف خلق هذا من كراهة
صاحب الزنا لمهابط الوحى وسماع "قرآن" . فهو من محال الطاعة والأمور
الدينية كالصلاة والذكر والتسبيح والتحميد . لأن هذه هي مصادر الأنوار
واقوة الروحانية . فطهارة القلب تصدها . قال تعالى : الصلاة تنهى عن
الفحش والمنكر . ولهذا اتخذ صاحب هذه المدحشة شديدا من الميل إلى حب الملاهي
والمشكلات والفراش فهو يأمن بها ويبتاع بها ويحذر فيها سروره وشغفه
وراحة ضميره . فتور الأمور الدينية لا تنفق مع طهارة هذه الدروب وطهارة

والغرق الذي ملك به فرعون وقومه . والسجيل الذي أصاب أصحاب الفيل ،
وأمثال ذلك ليس هو بسبب كبرهم وقسوتهم ومعصيتهم . وإن المعصية
لا أثر لها في ذلك ، وإنما هي حوادث ضعيفة . فإن كدست بوقوع هذه
الحوادث الكبرى الشهيرة كآب وكرب وحم وحراب والحدادع
والزندقة وهي بصاحبتك أن يمشيها ويحسبها ، ويستغفب حداد في ادعائات
الاسلام ، وإن أقررت بصدق وقوعها على الله صحت والتفت لخير وهو
أحسن شيء تنضم به

وفي إمكانيه أيضا أن يحدث في بعض بلادك على وجه القصر وقول :
تشبهت الزلازل بالحداد من كمالها . لأن الزلازل والحداد الكسوف
أشبهت منه . وأما من أجمع تشبهت هذه الزلازل بالحداد والحداد في بعض
المواسم . فكل هذه سحب وهدايا . فإن سحب منه لا يمكنه أيضا
أن يعرفه بسحب وهدايا أكثر منه . لأن من هذا القول لا يعجز عنه
كل سفيه ترك العقل جانبا ، فإن الزلازل والحداد والقصور اتفاق وجود حوادث
لا تنضب أوقاتها وآثارها الناتجة عنها ، وهي صفت ماثرة ، بخلاف
الكسوف . وأما حصول آخر وحدث في كبر السحبه فلا يشك لها
حوادث كبرى إلا إذا وحدث . من ذلك خلاف هذه المطردة فيكون
حوادث نسبية ، فإن الأقاليم الباردة وكذا المناطق الحارة كاللناطق التي يطول
فيها الليل ويقصر فيها النهار على سنة مطردة أو تكون معدومة نشأت لأسباب
طبيعية معروفة من جعل حوادث الكسوف سواء وهو مصاب في نفسه

وأما الجذب والزلازل الحادثة ويصاحبه تصواعق ونحو ذلك فهدد مع
كونها حوادث تقع عالسا من غير أن يشعر بقرب وقتها أحد فهدد أنها
وأما كثيرا من فقوا وضعوا ، فهدد حركاتها على قطعيها لا ريب فيه ، إذ
لو كانت هذه الحوادث مما تعم أوقات حدوثها لهرب الناس من مواضعها ولم

تقع عالما خفة وقد نص نقيض على أن الله قد أوقع هذه الأمور عقوبة على المعاصي كما قال تعالى - ولقد أخذنا آل فرعون بالسنن ونقص من الثمرات لعلمهم يذكرون) وقال تعالى - وبمرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد الخلق وقال تعالى - يخفف به ويداره الأرض) (أنتم من في السماء أن يحبسكم الأرض فإذا هي عورة) وقد نص على - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أنفسكم ويعفو عن كثير) وهذه نصوص واضحة

وعن صلاته ما كثر له السائق ، هو أنه طرأ الرلاين إذا كانت لها أسباب معروفة كاعتصار الآخرة السارة في الأرض فهذا يمنع من أن يكون سببا من أسباب مدحى وهذا يدل على ضمن نفسه ، وقد قسمنا الجواب عن مثل هذا ، من كثر المعاصي والمتنوع بها أسباب معروفة والمشاهدة ، وسكن الله ما من الأسباب ، وهذا يفسد بها ويحق المصيبة بأسباب ويعتد بها من يشاء (١) ومعلوم أن الدول التي تصب دميها وتقتيل والجوع والعري من أعدائها هي مدعوة سبب دواها في مباديهم بهذه الأسباب في عدوها بها (٢) ولا تقل وهم سبب الدوا فكأنهم أن عمدت غيرهما من حسن ما أصيبت به المدعوة ، ها نقول هذا سبب محض أن يقال لم لا يقصع الله

(١) كما أن الموت يحدث بوجوه ومع الحفوف أو إفساد الجسم ، فيحدث بدت من الروح ، وهذا لا يمنع أن يكون هذا امرت مدرا من الله ، وأن هذا القتل أسبابا خلفية هي أسبابها الأولية ، من الدليل قد نصى الله ويساط عليه من بعده أو يفله وسببه ما به ونحو ذلك ووجود هذا سبب المادى لا يمنع أن يكون مسددا عن معصية ، فإن المعاصي أشرف جميع الشرور في الدنيا

(٢) كما قال تعالى (ولا تجعلك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهد أنفسهم وهم يكفرون)

الكفر من الأرض ويقبض بها ، وهذا سؤال بطل ، فان وجود الكفر أمر
لا بد منه ، وقد قال تعالى : **وَكُنْ تَوَّابًا** ، فكذلك تولى بعض الظالمين بعض ما كانوا يكسبون ،
وقال : **وَأَن تَطْلُبَ عَلَيْهِم مِّن مَّاءٍ** ، فلابد من وقوع تصديق هذه
الآيات ولأن معاقبه لمحرف بالإسلام الكافر عليه أعظم وأشنع ، لأن في
ذلك معدياته بحسب الأسباب التي هي بها عن الله ، فان أكثر الكفار إنما
كفروا بسبب الأسباب التي أحروهم عن هؤلاء الكفار الذين عذبوا بهم
في أكثرهم فدمروا آلامهم وأفكارهم عن دينهم وخطاهم وأصاغرهم واسعوا
أمرهم وعصوا به وحالوا أمره ، ولأن الإسلام عليهم أعظم شأعه من
سببهم لم يمس الكونهم أمداً من جهة والعبد فيه ولا ذلك مما يعلب
بعضه ، ولقد أوردوا في حقهم كفارة تعالى : **عَرِبَ بِهِمُ عَذَابُهُ** ، ولقد أوردوا
في يوم القيمة : **وَقَدْ أَحْزَرَ بِهِمُ عَذَابُهُ** ، أنه سلبت حوت مصر على بني إسرائيل
لما أقسوا في الأرض وأنه سبحانه هو الذي بعث عليهم سيد يقمهم مع
كوبه من كسر كعبه عقوبة لهم ، هو سبحانه وبطل بعض الكلامين
على بعض هؤلاء أن منهم من حرمه وكبره ، أما من كثر عنهم فجمع العالم
معونهما ويدين بعضهم من بعض ، وبما حقه من عقوبات أنواعها لا يحيط بعلها
لأنه تعالى : **كَمَا أَن شَعْبُ كُفْرٍ** ، ويصوب كذا من موعده أنواعاً لا تنصط ،
فمن أين هذا المانع ؟ لا حرة المحصرة التي قد يحدث منها بعض الزلازل أن
تتعدى ما يحق لها ليعت بها من شاء ، ومن أين له أنه سبحانه إذا شاء حبسها
عن قوم وأصلحها على آخرين ، وإن شاء جمعها وإن شاء جعلها نعمة على قوم
أن يهلك بها عدوه ويجمع نعمة على آخرين ، ففأية ما لديه أن بعض الناس
مرف سبب المأذي فقط ، وفي شيء من ذلك ، **هَالِكُ الْقُلُوبِ** ، تعرف أسبابها
للمسابقة ، وكذلك الخوع وكثير من المصائب ، فعرفة السبب شيء ومعرفة
صكوبها قد تقع عقوبة شيء آخر ، ولو أن السبب علم إساناً آخر فدعا عليه
لظلم فسلط الله على الظالم من بعده ويقبض بالعدل صدرت منه لم يكن علم هذا

والجواب أن يقال : قد ذكر هذا المبرور قصة تنقيح النحل في كتابه في
عدة مواضع ، وعرضه من ذلك الحث على رفض ما جاء به النبي ﷺ ، إذ
طل بعينه بما سأل أن هذا الحديث يفيد أنه عليه السلام لا يعرف من الله في
خلقهم وهذا الحديث من أبلغ خجج عنه ، ولو سكك عنه فكان أثر له ،
وذلك من وجوه :

أحد أن هذا المبرور من أرفق محرمه ٢٧٩ من أعلامه أن ذلك
في أساس الله هو في حقه من في الله ، فإن هذا الله وواشاك في
أمر الله ، وكل في هذه الله ، هو من أسب الله في حقيقة شك
في الله ، فإن هذا الشك معناه الشك في قدرة الله على أن يحكم أساسا موصيه
منه ، أسب الله ، في نصيح من الله أن شك في سب من هذه لأسباب
الموجودة في هذا وجود فقد ثبت في الله ، ولا شك أن الشك في الله كفر
وخرج عن حصر الإسلام ، وحيث يقال لهذا الملحد : إن الله يكون
الأسب بشيء ما في حقه من الله ، وأن سلقع سب في صلاح
أنه أو لا يكون ما في ذلك ، فإن كان ما في هذا سب وسب من الله
الله فقد جرت كونه سب في حقه عن بيحه ، وأن هذا من هو من
من الله أن لا يكون لها ولا حزين ، فهو يرى عدم هذا السب حاة في
سب الله ، وأن لأسب معصية ليست هي سب الله أن لا يكون هذا ولا
حزين ، وحيث فلا حجة في كون لأسب مبروطة بأسب ربطا حتميا
يستحيل انقطاعه ، وإن كان في ذلك واجب وأنه لا يجوز الاعتقاد بأن
الأسب قد تنحيف عن ما يجب وأن الشك في ذلك شك في الله فقد طعنت
في الرسول عليه السلام وأصحبه بدين وافقوه وجمعهم شك في الله ، ولا
ريب أن هذا كفر ظاهر ، ثم هو لما أمرهم بانثونه والاستعصار لما وقع الأمر
على خلاف ما طلبوا ، من حديث صريح في أن الشك في الأسباب المادية ليس

فيه شيء أصلا من هو مباح في مثل هذا . ومن أحب العجب وأكفر الكفر
أن يأتي هذا الملحد إلى كبر سب في اندياء وهو الدعاء وعبادة الله - يسبي
سيفيته وفائده . فلا يكسب بالشك بل يحرم بعدم استنبه . ثم يعود إلى
الأسباب المدونة بحملها ويجعل الشك في شيء منها شكاً في الله وقدرته وإتباع
رأيه هل نط أن الرسل عليه السلام شك في به . قدرته تعالى وتقدس
حتى قال لا أعني أن ذلك يعني شيئاً . وإذا قل أنه يحل ذلك قيل إن هو
حاصل في أنه وقد به . الخ . أعظم من الشك . ثم إن كل منه تحبه فكيف
يشع على غيره وينسب إلى اتصال وفساد بعض . وإذا قل هو وقع . ثم
على خلاف طه قبل هذا حجة عتيق لأن وهو قد دس على أن ذلك من الخثر
الذي يمكن وقوعه وبذلك عدمه قوعه . فإن الفل أكثر ما يأتى في الجذر
لأنه لو وقع على ما عن مسد ذلك معجزة ولا يكون ذلك تمكينا لا بطه
المعجزة . فعلمنا أن عدم وقوعه مع طه الرسول عدم سلام في حيز الامكان
لأن حيز الواجب ولا لمسه حل . وهذا ظاهر لا حفاء به كما تقدم التنبيه عليه
أنه حيزه . أي أن آثاره فيما مضى أن ضعف لمسه . وأحرره . أجمع أن
شيء واحد وهو الخثر بقوى تضعه وروادها . وكان هذا هو علة تأخر
عديت بعد كلامك هذا الرسول وأصبحه حبه . أي منس لتضعه في هذا
الشيء الظاهر في مقياسه فكيف تأخره أرق منه وقد عذر أنه هو وأصبحه
لم تأخره بل تقدموا على من سواهم من هم أعلم منهم في بعض هذه الأمور
الطبيعية والمدونة فيكون الحديث حجة عتيق لأن الخثر من بقوى الطسعة
وإن أميسها ليس هو علة تأخر

الوجه الثالث أن أحدث نص صريح فاضع في أن الرسول عليه السلام
كان يرى أن الأسباب الطبيعية كلها تحت المشيئة وقدره . وأن الفجوة ليست
لازمة للوسيلة لروما حمية ولا أن السب لازم لسه لروما حمية ينبغي

تحلفه ، ولو كان يرى رأى بعض ملاحدة الطبائع الدينية ، وإن ربط
الأسباب بمسبباتها لازم ما ليس في الامكان بحقه وانفكاكه لم يطل هذا الطعن إذ
هو صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يظن بره ما هو محال في حقه تعالى ، فلو
كان دخول المشقة لعبا من السب ومفسده محال لم يحف على الرسول عليه
السلام ذلك فبطل ثابته ما لا يبقى به ، وكون ذلك حذف طه دس وضح على
الحوار لأن مثل الطعن إنما يقع على أحد ، فوقعه على خلاف ما طعن بما يرهس
على جوازه وهو المطلوب كما تقدم بيانه

الوجه الرابع أن الرسول ﷺ لم يمتد امرأته ، ولو أمرهم بذلك
أمر شرع لوقع الأمر على ما أمر ، وبه لا بد حتى يشهد به أمهم أمرا
قطعا فعملوا به واستقر فكأنات ، فأنجحه على خلاف ما أمرهم ، بخلاف لظن
أو رأى رأى بعض على أنه ظن أو شيء كان في نفسه الصحيح الذي أراد أن
يعقده في وقعه الاحزاب فقال : أنه رأى من يروي عن طاهر بن زمر وبين
الظن ، فإن كلا منهما له حكم يترتب عليه نفيه

الوجه الخامس أن الذين رووا هذا حديثهم من سننهم وأحداث
كثير من المعجزات وخوارق العادات ، حتى أنهم وجدوا حرجا ومع
الماء بين أصابعهم حتى أنهم وجدوا حرجا ومع
ذلك من الروايات الكثيرة الصحيحة ، فبه غير الأسباب العادية وقطع عن
مستبانتها ، وكثير رووا حديثه ، لا يأتى من إلا والذي بعده شرمه ، فمن
أراد أن يكفر بعض هذه الروايات تعد هواه ويؤثر من يشاء من انقضاء
بعرصه وشبهته فلا شك أنه متلاعب بالدين ، وأنه يريد أن يكون شرع الله
على وفق أعراضه وهواه ، وأن يكون هو المقدم في الأمر دون الشارع
الحكيم ، ومثل هذا لا يقل دعواه ولا يصف اليها مصفا

ويسعى أن يعلم ما هنا أن كثيرا من الزمادة جبا يحاولون التماس من

نظام الشرع وتحكيمه في الأمور الدينية التي وردت فيها النصوص يجعلون هذا الحدث عسيرا لله في المحض من يقول فانهم حينما تخلفه الحجة الشرعية وتصابق من مدلوها بالنص قد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: أنتم أعلم بأمر دينكم وهذا الاحتجاج من حسن من تمنع على حوار ترويج المغترة وغيرهات يحرم بروجها بوجهه في فاكحوها ما طاب لكم من الله به
وهرص عن النص من الأخرى، ومن من تمنع على كمال إيراد قوله تعالى
وأحد من تمنع به يقول في مع
الحكم
وأحد من تمنع به يقول في مع
على أنه في حرمات من حرية الله وعلى به الحيوان بغير ما
شاع في النصوص بغيره

فتقول في الأمر ثم بعد الأمر بكم، مقصود به تشريع على من فيه
نص، فإن النص لا يقبل منسوخا، بل يجب النص، مقصود به ما هو واحد
لذلك مثلا، في هذا الحدث من أصل كبر وهو أن الأمور الدينية

(١) من أعظم آياته بعدة تأثير من الجلال في عذاب الحيوانات مواد
كأنت قد ربه أو كبره من مؤثري أو مؤثري وعسيرها في أعينهم، ثم أهم
انظرة، فإن الله سبحانه لم يسخ من حور، لا استهيه ولا على وجه محدوس، لا
على ما يشتهي الإنسان، وقد من عوز ما أمر به فقد تعدى حدود الله، ومن يتعد
حدود الله أو ذك هم الملعون، ومن أعظم مضامير حشيه وهدجه وصف
الشعر والاحساس أن لا يلفظ إلا على دي روح يحرم مقصود به ما أمر
الله به، وفي الحديث الصحيح، من دس عضو من غير حاجة عصى الله تعالى
وقال يا رب مله من عصى، وفيه أيضا امرأة دخلت النار في هرة فظها،
لا هي أطعمتها ولا هي ركبت ما كمل من حشاش الأرض، وفيه وأيتها وهي
تغذب في النار

الأصل فيها الإباحة والعدل المطلق ، هذا هو مفاد الحديث ، لتلا يقول قائل
 في كل أمر ديني لا بد من دليل على حواره ، فهذا الحديث نص على أن
 الأصل في ذلك الإباحة ، لكن ما وردت فيه التصوص الخاصة يجب العمل
 بها ، ادلو كان الحديث يفيد عموم أمور الدنيا كلها لصار هذا الحديث ماسحا
 لتصوص القرآن ولسته في كل ما يتعلق بالأمور الدينيه ، وهذا خلاف ما
 علم بالضرورة من دين الاسلام ، وخلاف ما أحسب عليه الامة . وعن
 المقدم من معد يكرب الكندي أن رسول الله ﷺ قال : يوشك الرجل
 متكئا على أكتفه يحدث حديث من حديثي فيقول ييما ويبيكم كتاب الله عز
 وجل فما وجد فيه من حلال استحلته وما وجد فيه من حرام حرماه
 ألا وإن ما حرّم رسول الله ﷺ مثل ما حرّم الله ، أخرجه الترمذي وإن
 ماحه ، وبأيت هؤلاء ليس يتحققون هذا الحديث أحيانا مقصودهم الانقياد
 لمذلوله وإعماله ، وكسهم إنما يحسون به تحضا وعذارا ومحارعه فته في
 نصن الأمر ، وأكره به على هـ أنهم ادعى في غير تعالوا إلى ما نزل الله وإلى
 ما جاء عن الرسول بما هو أصح من هذا الحديث ونما يفيد مطلق هذا الحديث
 أنرضوا عن ذلك وشجوا ، توهم وأما أن يقولوا هذا ليس يدعون اليه ،
 وهؤلاء في حقيقه هم من حسن أوثق الناس إذ دعوا إلى الله ورسوله ليحكم
 بينهم إذا فرق بينهم معرصون ، وإن يكن هـ احق بأنوا الله مدعين قال
 تعالى : ما أنكم رسول بخبره وما هم كم عنه فاشهوا . وقال من يتر وما
 أرسلنا من رسول الا ليطاع بأمره . وقال تعالى : فلا وربك لا يؤمنون
 حتى يحكموا بما أنزل الله . ولا يحسدو في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلووا
 تسليما . وقال تعالى : فليحذر الذين يخافون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو
 يصيبهم عذاب أليم . قال الامام أحمد : غيب عموم عرفوا الاستد وصحته
 يسهو إلى رأى سفيان ، والله يقول : فليحذر الذين يخافون عن أمره أن
 تصيبهم فتنة . أنذرى ما فتنة ، لفتنة هي الشرك ، لفتنة تار د قوله يقع في

قلبه شيء من الرغيع فيهدث وقال ابن عباس: يوشك أن تقع عليكم حجارة من السماء. أقول: قال رسول الله، ويقويون، قال أبو بكر وعمر،

هذا قول ابن عباس و لا امام احمد فيمن أحد يقول اني كره وعمر وسفيان
ويحويهم وترك الحسن فكيف من أحد يقول اني لم اكره الا فرج الذين قيد
أحسب ما لله عنهم أنه عصف سبهم وعنتهم وأهم أعتادوه ، وترك خصوص
الذين . ثم ارى مع أنب أنه مستحق لأن يضر وأن يذم من عناه إلى أمة
ويذكر المصائب التي لحقت بهم كل جانب . و . حققت لهله وعظم
فكيف لعنه الله وأبغضه وأكف حبه وأبغضه

و قوه ، و ملا یوحه به اخضا فی مسند کیده .

قد رآه أنبياءه في علم صبيغ عقيقت من الرسول حين قد ثبت سانه
المعروف من أن من أوصى من الناس . فكل من قبل به إيمان صادقه لا
يتمكن أن . حبه له شدة . احقته في . هدد له . لا غير هذا .
بحبه احقته في مع الناس بالبره . ومن في هدد حبه حقه أصلا
كما شرحت . وه لا بأس . الشرح . في . وأظ . ونظ . عن الأمر
. لأن النظر . في . وقوعه وعلمه . قد قدر أنه وجد في من هذا
خطأ لا يمكن من الأمور التي أمر بعملها ولا في استقرت في الشريعة . فهو حبه
الخطأ له في هذا هو الذي يفي مع الصدق . له . وكو . رسول . ولهذا
من أصحابه الذين سمعوا منه هذا وكذا عنه ثم من أصابت إليه هذه الرواية
وكانوا مؤمنين به حقا . يؤمن هذا في . سائر شأ . وأما من كان في قلبه مرض
من الرب واشتد فقد كره وقوع مثل هذا في حقه فنه وامتناع . وقد قال
تعالى (قل هو الله أسأله) . وأمر لا يؤمنون في آدابهم وقر
وهو عليهم عى أولئك ينادون من مكان بعيد . من أثر وقوع مثل هذا
الأمر في قلبه فلا شك أن قلبه مرض بالندقة والنفاق . فلم يث مقاددا بكل

ما جاء به الرسول ﷺ ، بل قد يحمله ربه وصلاته على أن يوجه إليه خطاً في هدمه المسألة ، ولا بد إذن أن يوجه إليه الخط في غيرها ، فإن شكوك والشبهات الواردة على القلوب المقفلة لا حذوها ، ولا تدرك في القلب مثل لصحة في الجسم ، فمضى كان الجسم عملاً غير علاج الخوض فيه ، وقد كان صحيحاً قوياً قابلاً للشهامة ، ما تصدده من حرمه ربه فيه مع علاج صحيح فينفعها وتشتي به ، فالشبهات غلبة الواردة على القلب كالمعواص والامراض التي تعرض للجسم من العدوى وتعدو دوائها قوياً مؤسداً صادقاً خالصاً لم تعلق فيه الشبهات بل بدوهم وورعهم وصدقهم فيها سريعاً إذا عاجلها بالمواد الروحية اقوية ، وإن كان القلب رطب في القلب أثرت فيه الشبهات فأنشأ عنها شدة من ضعف ونفخة وإن كان جافاً حداً فلا بد أن يسول عنه حتى يبيكه ويذهب فيه منسوبه ، وقد علم أن الإنسان متى كان معه شك وزد في شيء من الأشياء أم حجة به يكون قلبه مضطرباً ، وإما أن يقع في التوسواس أو في حادثة تعظم المصيبة فيسلب إيمانه من اعتقده أو من يدينه ، أو في تشطيط حسد في لعنه ، كأن عده استغفمه حواسه في آخر يومهم ماله الهلاك عالياً

فصل

قال ، وإن يصور حساب أدنى ولا تعدل من قومه عدل من بعد مثقال ذرة حراماً به ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يرد في حساب أعظم عدل لقوى لادن ، وأعظم وافق في سببه .

فيقول : إذا كان الحال كما ذكرت فلا جعل للمسلم كالمسلم ، وبين أموا وعملوا الصالحات كالمسلمين في الأرض ، حيث ذكرت أن عدل الله هو السوية بين الآخرين ، والأسباب يدور نظر أن أعيانهم ومداهمهم ، وجعلت

المساجد أدت شر ما يؤدي . وإن من دعا الله لا يحصل له فائدة من دعائه ،
ومعلوم أنه لن يتصور حاب أدق ولا أعدل من قوله تعالى ﴿ أم حسب
الذين اجترأوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحياهم
ومماتهم سواء يحكمون . وحلى الله السموات والأرض بالحق ولنجرى كل
نفس بما كسبت وهم لا يظنون . واست عذبت إلى هذه الأصول التي اشتملت
عليها هذه الآيات قدت جهتك في هدمها ونقصها ، جعلت الاحلاق الدينية
لها نفع أخرى غير نفع المجدد ، ومعلوم أن الله يقول - فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . - فعمت من يعمل مثقال
حبل أو أكثر من ذلك من الدعاء والتقوى والأعمال الصالحة وغيرها من
الأخلاق الدينية لا يخص به غير حصة ، وهذا عين النقصنة بالأدب وكيف
يستطيع الإنسان أن تصور أن في سائر الحوادث إلى الطبيعة ونواميسها
شيء من العدل ، بل ربما تصور ذلك إذا كانت الأمور كلها تجري بإرادة الخي
القوم العظم حكيم الرحيم الكريم القدير على كل نفس بما كسبت ، هذا هو
العدل والحكمة . وكيف يستطيع الرابع أن يبرع ولصانع أن يصنع والتاجر
أن يسعى في خاتمه والمعلم أن يهدي إليه وهو يعلم أن ناصبه ومصيره عند
الطبيعة "عائيه وواميسها ، فإن هذا هو "مقضى الشر " انظر إلى لا ريب فيه
أن كل مسلم على منه من أمره يعلم أن هذا الاستشهاد والاستدلال بفاق
مكتشف وحجاج مقصوح ولا حجر كل من أراد أن يعسد دين الإسلام أن
يقول الكفر وبعض "كفر" ثم عاذع من حسن هذا الخداع إذا كان يصور
أن المسلسل ليس به قوت محمبون بها وتعين بصرون به وإن يسمعون
بها واهم كالعدم . وإلا فإن من يخاف الكفر وسب الأديان ، وأن رصا
الله ومحطه لا دخل له في لأسباب ومسننها ، وأن نواميس الطبيعة تحكم
العالم بسجده الإنسان همه . وأمثل ذلك بما أوضحه ثم يسعى مع ذلك أنه

لا أدق ولا أعدل من قوله تعالى من يعمل مثقال ذرة خيرا يره إلى آخر الآية ، لا شك أنه رجل ماحض مستهتر ملاعب لم يتصور في أساس من يعرف الحق من الباطل ، ولا من غير لصدق من الصادق ، ونصيح من المبكر والخداع . وقد سبق الكلام عن مثل هذا مرارا .

ثم ذكر أن أكثر الناس صدروا يرون أن الخراء والمكافئة لمست على قدر الكفاية ، وأب يرجع ذلك إلى الوسط وشذوذه والخرايب وإلى أمور أخرى ، وذكر أن سب هذا هو الإيمان بالعوصى

وبحسب قول له : نعم سب هذا هو الإيمان بالعوصى التي تدعو إليها ، والإعراض عن الأخلاق لدسة الضميرة . والبرهان على ذلك أن أكثر هؤلاء الذين يقومون في هذه الأمور لا يخرجون من معاهد دينية بريئة ، بل أكثرهم يخرجون من كليات ومعاهد قد تأثرت بهدوء الله الذي تدعو إليه من فساد الأخلاق كما هو في حب الدنيا ، وكل هذه الأخلاق لدسة الضميرة (١) وكما قيل فيهم : مستند شقهم ولرقى أمر يرجع إلى تقصدهم وبواميسها لا على حسب أعمال الخير وأشر ومعدية الله تعالى ، صدق والاحتمال ، وأن الأمور كلها تحت مشيئة وإرادته ، وأنه يحري كل عام نعمته ، وهذا يجد أعظم المحرمات فسادا أكثرها بدعة وبلحدا ، وأقربها وأشدّها تماسكا أقربها إلى الأخلاق الدينية كالصدق والعدل والفضيلة والامانة القوية ونحو ذلك

(١) فاسم لما اعتدوا أن لصالح والتقوى وحشية الله واستقامة في الدين حمون وضعف واعطاط ، وأن تعجزوا والحق والمكر ذهب ، وساسه ولا يؤثري تتأخر شئت عموا بمقصي هذا الاعتقاد . فكانوا حشاه غارا منها حكيم على المسادة لا لهم رأوا أكثر الناس يعدونها

ثم أخذ يستطرد في أن أصل فسادنا هو بغيضنا بالمعوصي ، وقد بينا لك
أن معنى القوضى عنده هو الاعتال بمشقة الله وإرادته ، وأن العالم يجري كله
على مقتضى علمه وحكمته ورحمته ، وبينا لك أن العدل عنده هو كونه يجري
بمقتضى عبيده وعباده ، مستحداً بالأساس لها ، فلاحظ هذا يرول عنك
كثير من حركاته ، يدور به على صفاء بصائر العقول ، ولهذا
منه أو صرح به في بعض النسخ ، يدور على أن الاعتقاد بأن التقصير والقدر وأن
الله أو ربه وعصاه وجهه بعضه أنه حل في الأساس والمستنات أو
الوسائل والوسائل ، في اعتقاد لاسل هذا الاعتقاد بعد
اعتقاد المعوصي ، ثم يدور في أنه ليس له عصاه ولا إصاه ولا
لحمه ولا بعضه ، بل في الأساس ومبدأه وكذا الوساوس والتخمين فانه
كأن يعتقد أنه منظمه ، وقد قال في هذه المخططة

وقد بينا في بعض النسخ أن التقصير والتقصير ، أو أن خط ، أو أن لشعاعه
، وسأله أن لا يراه منصفه أو أن ربه الله وعصاه وجهه وبعضه أن
شيتا من هذا نحن نحن في المرء وعمله وبين السبب ومسببه وبين الوسيلة
والمسببه ، أي يرون أن هذه الأشياء تدخل في مصير الإنسان وتحويل بينه
وبين الله ، أي أن الله ليس له عصاه ، ثم يرون أن يحدوا في أنفسهم ما
يعتبره على الأبد ، أي لا يحدوا ، وعلى الإطلاق في سلس الحياه
المعويه ، أي

وقد ثبت معنى القوضى عنده ، فمن آمن بأن التقصير والتقصير أو إرادته
به مدققة أو عصاه ورحمه وجهه وبعضه مدحل بين المرء ورحمه وبين السبب
ومسببه أو بين الوسيلة والمسببه فقد آمن بالمعوصي وصار من الذين لا يحدون
ما يحسنهم عن العمل ، فانه لا يعتبرهم ذاتهم ، أي إرادته أو عصاه أو حبه
وبعضه مدحل بين المرء ورحمه ، وانما يعانون أرا كهموا بهذا الاعتقاد ، فإذا

كفروا به واعتقدوا أن رضاه ونقصه وإرادته وحبه ونقصه وجوده وعدمه سواء . ولهذا قال فيما تقدم إنما لا يحتاج أن ينتمى إليها أي يدفع به الإنسان إلى مهادنة فيه وفي طبعه . وقد جرى على عادته في هذه الحقبة في السنين ، في رحيل نوساطة والشفاعة مع الحب والنقص ، وحب الحكيم وحدا . وهذا من المسائل التي يهنا عليها في الملاحظة سألته في أول الكتاب ، فأمن هذه المواضع نعم حقيقة بقاءه لجميع وحشة إلى لا حد له في تليسه في دعوى القوصي التي ظفرت في أعينها . وهذا أدعى لأعني الصاحبة ومراده المادية . لأن لأعني الصاحبة المادية قد تقدم فيه في لها نتائج أخرى ، ولا يهمل التي لا يدفعها سوى لا عقده . أن عصب لله ورضاه وحبه وبفضله له تدخل في ذلك

أما نظام والعدالة التي يدعو إليها فهي عكس ما ذكره . وهو الكفر بتفريق بين الأيمان والكفر وبين عصب لله ورضاه وحبه ونقصه والكفر بكونه يصدق على من أحبه ويستقيم على تحطع له . ولهذا فانه أخرج هذا الحديث والكفر "عصبي في قالب العدل بقاء وهذا عطفه .

فالمجمع الذي يرنحى به "التفريق بين الأيمان هو الذي يؤمن بالعدالة المطلقة . في السماء وفي الأرض . وخر . عظم على "قوانين" إدارة العامة التي لا تعزف بالتفريق ولا بالترساض ولا بالصفحات ولا بالامقام للحقد ولا بالاعداق للحب . انتهى

فهنا هو النظام عنده . فهو أن يؤمن الإنسان بعدالة مطلقة . وقد تقدم تصوره لها . بأنها "المساوية بين الأحرار" بالأسباب بدون نظر إلى أديانهم ومناداهم . فالأحرار لا دخل لها في تقدم ولا تأخر . هاليس أقوا وعملوا

(١) كما أدعى الدعاء مع السباب والالهام كما سبق

الصالحات كالمفسدين في الأرض فلا فرق بينهم في الجزاء في الدنيا ، فمضى آمن
الإنسان بأن غضب الله ورضاه وجهه وبغضه لا دخل له في الأسباب ومسبباتها
ولم يعترف بالتفريق بين الحب والبغض والرضا والغضب فلا ينتقم من أحد
نعصه عليه ولا يرفع أحدا الرضا عليه فلا يعذق على أحد حيرا من أحل
حبه له كالمؤمنين مثلا ولا ينتقم من أحد من أحل عصه أو نعصه له كالمفسدين
مثلا ، متى آمن الإنسان بهذا فقد آمن بالنظام والعدالة ، وحاصل هذا أنه إذا
ساوى بين الله وبين الإنسان في عهده الأفعال والاسقام فقد آمن بالنظام ،
أما إذا اعتد بالتفريق بين المسيء والمحبس والمصع والغاصي وأن الله فرق
بينها فصحاى المحسن بالأحسان في الدنا والآخرة فيعذق على المؤمن لإيمانه
وينتقم من الظالم لضربه في الدنيا والآخرة فقد كفر بهذا النظام ، وهذا هو
روح دعائنه المسبوكة الحديثة ، لا ريب أن حتمتها هي الدعوة إلى الإلحاد
المحسن وإلكار جميع مظاهر النبوة ، وقد حرص كعادته في مثل هذه المصائب
على ليس الحق بالناسط

وقوله : في السماء وفي الأرض ، كلام مطلق لا يحسن به هذا ، فأى علاقة
لعدله في السماء هنا ، والكلام هو في الأرض المادية ، وهذا قال صريحاً في
بطلان عداله شأنه من الأساطير ، فلهذا على القوايين العادلة العامة ،
ثم بأنها بقوله : التي لا تعرف تسعير ولا باؤسات ولا شغعات ولا
، لا انتقام لمخفد ، معنى لعص سماء حفدا تشوب لمسياء (١) ، ولا بالأغداق
للحب ، وكأنه لم يجد عذوبة عن عذوبة الحب أحبا ، لئلا يكاد
تمطر العصب ما حفد ، فقد عرفت أن القوايين العادلة العامة التي طالما دعا إليها

(١) وليس عصب الله كعصب أحد من خلقه حتى يبدل العصب بالحفد ، والله
على ليس كمثل شيء لا في نعصه ورضاه ولا في حبه ونعصه ، هذا اعتقاد المفسدين

هي عدم الاعتراف بالتفريق ، أى الكفر بالتفريق ، ومعلوم أنه يريد
 بالتفريق هنا بين الأدب والمبادئ والمبادئ كما فسر في الموضع الآخر
 الذى ذكرناه بقوله في العدل هو التسوية بين الأحدين بالأسباب بدون نظر
 الى أديانهم ومذاهبهم ، وهنا بين التفريق الذى يريد عدم الاعتقاد به وهو
 المكفر باعتقاد كونه تعالى يتقهر للعصب^(١) أو يعقد للحب ، فكما أنه بين أن
 الفوضى هي اعتقاد أن رضى الله وعصاه وحبه وعصاه لا تدخلى في الأسباب
 والمسببات والوسائط والتأثير فقد بين أن اعتقاد صدق هذا هو الضمان ، وهو
 التفريق المذكور بين موحى العصب ورضاء الحب والعصب^(٢) ولهذا
 ذكر الحق في مقالة الغضب وترك الحب مقصده ، وبين أنه لا بد من في هذا
 التفريق أن يوحى الاستقام والاعتدال ، وهذا الذى استقرق على اعتقاد
 الاعتدال والاستقام ، وإذا هذا حصل لا بد من أن هذه الصفات التي هي
 الحب والعصب والرضا والعصب لا تدخلى في الأسباب والمسببات^(٣) وهو
 صريح في غاية الوضوح في أنه ينكر كونه عدل على من أحبه وينقده من
 عصب عليه ، ثم أنه تحفه وحده حرصه على ليس الحق ، بل هو العدل
 في السهام وأدخل الوسوسة والشفاعة ولا على ذلك ، أم الوسوسة والشفاعة
 فقد تقدم الكلام عليه ، وأم السهام فلا ماسية لأدخالها هنا كما سبق

(١) وعبر عنه بالحق

(٢) وقد سبق ادعاءه بأن فساد الأخلاق لا دخل له في أحكامها ، لأن عصب الله
 المرتب عنه لا أثر له

(٣) وحديث بكر مستند الحوادث هي من طبيعة التي لا تفرق بين المحسن
 والمسيء ، وليس لها عصب ولا رضاء ولا حب ولا عصب ، بل هي معاملة قسرى
 مستمر نتائج المصادفة والاضطرار بحسب تصرف الإنسان له

عن أحدثه الصيحة ومنهم من حسمناه الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله
يظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - وقال تعالى - وما جاء أمرانا بحسبنا
هوذا والله آمنوا معه - حمه من وقضنا دار الدنيا كرسوا آياتنا وما كانوا
مؤمنين - وكذبت قال في صبح وقومه وشعب وقومه ، وقال تعالى - ترى
كثيرا منهم يورثون الأرض كثر وإنهم قد كف عن اسمهم أن يحط الله عليهم
في بعد هم جاحلون - وقال تعالى - ثم حسبنا أنهم أحقر حوا لستنا
أن نجعلهم كائنات فما أولئك من المصاحبات سواء بخلافهم وما يحكمون
وحسبنا الله سموات ولا أرض ولا خلق ولا شيء كل نفس بما كسبت وهم لا
يعلمون - وقال تعالى - ثم جعلنا منكم كفاحا من ما كنتم تكفرون -
وقال تعالى - ثم جعلنا منكم كفاحا من ما كنتم تكفرون في الأرض
ثم جعلنا منكم كفاحا من ما كنتم تكفرون في الأرض
الكافرين لا مؤمنين - وقال تعالى - ثم جعلنا منكم كفاحا من ما كنتم تكفرون
الأرض بعد ما بركت من الماء واليابس واليابس من الماء ، فأتى
نوره لمن لا يحسن إلا في نوره ولا أثر فيه وبغضه ورصاه وبغضه ،
وجميع الأمم من قصص الله تعالى من قصصهم الله تعالى من قصصهم ،
وكذبت الأمم في نصرها لله وبغضها ونصرها من الخلق وبغضها لله ، ذلك
لأنهم رصاه على عباده وأما قصصهم لنصرهم ، وقد كان من
المعصوم أن فرعون لم يبرك ويحسب به أنما هو إلا من أحسن معصيه وعصبته الله
عليه ، وأن موسى لم ينصر هو وقومه ونكروا دعاء الأرض من بعد
فرعون وقومه إلا من أحسن صاعته لله تعالى ورصاه وبغضه ، وكذلك جميع
الرسائل مع أممهم ، وقد قال تعالى - إنا أرسلنا قبلك رسولا من قبلك
أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأوحىناهم إلى فرعون
تعالى أنه أرسل الينا رسولا فإن آمنا به وأطاعناه كنا من أطاعه هذا الرسول
الذي أرسل إلى فرعون وقومه فقال من أطاعه ونصر وحصل له التأيد

والتكبر والنجاح ، وإن عصيته كما كن عصي ذات الرسول فلا بد من العقوبة ، ولهذا كان عاقبة هؤلاء الذين عصوا هذا الرسول وأدعوا اتباعه كعاقبة الذين عصوا موسى وأدعوا اتباعه بأن سلط على كل من هؤلاء هؤلاء أعداءهم كلا على قدر معصيته ، وفي الحديث : لنفس سن من كان قبلكم حدوده بالقدر حتى لو دخلوا حرجب لدخلتموه . قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال من ؟ ، معي على

فالإيمان بعدم التفريق بين ما نوجب محبة به وبصد وما نوجب عصبه وسخطه في التقدم والأتاخر بصلام بصوص الدين أعظم المصادمة ونقصي باطل أربوسة وهو كفر عظم من كفر مشترك أخيه ، وهم مقرون بأساد الحق والتدبر به معنى لوضوح سبب ، وإي كفر وإلزامهم اعتمدوا على نفس الخوف ، وكذا أعصت معقدس من وف موافق واستعدادات أنقطع بها ، يصل الجمع ونصر الله لما يدتها وما بواسطتها كما أوضحناه ، ومجرد الإقرار بأن الله حقيق بالمال لا يدخن في الإسلام كما اعترف بذلك هو في سببه في (لقص احسن) (وغيره)

ولا شك أن أعظم مقصد الحق ومخطط الحق ووقف في سببها هو الاعتماد من المسيء كالحسن والقصم كالحسن والمفسد كالمفسد في استئصال السامخ . وأن ذلك كله موصو باستخدام الإنسان لخواص الطبيعة لا بأعماله التي التي عليها حرامه إلى حيراته وإن شرا فشر ، فمن علم أن قصد الأخلاق وصلاحيها لا تأثير له أنة في تقدم ولا تأخر فكيف يعمل لإحسان وينهى عن عمل سوء ، بل أكثر من يعتقد هذا الاعتقاد يكون مانعا في اتساع الشهوات ، منهكما في المني والفضله معتمدا هذا الأمر القصير لأنه هو رأس ماله

في رأيه فلا حساب ولا عقاب وليس مكلفا — بدافع صميره — أن يهلك
قواه في مصاح غيره ، وهذا بخلاف من يعتقد أنه إنما يعمل لنفسه وأمنه
امتنالا لأمر ربه الكريم الرحيم العليم الحكيم القائم على كل نفس بما كسبت
الذي له الكيان المطلق من كل وجه ، وأنه هو الذي يميز ويدل ويعين من أطاعه
ويؤيده وينصره ، ويحذل من عانده واستكبر عن طاعه ، فيعمل بهذا
الاعتقاد ، أن مات مات شهيدا حميدا ، وإن عاش عاش سعيدا حميدا ، وكل
حطو د وكل وقت يعمل فيه لله فهو مكتوب له حسات ومحو عنه سيئات فلا
يذهب عمره سدى ولا عمله هباء ، والانساء في هذه الدنيا إنما أعطى هذا
العمر القصير عارفة ولا بد أن يزوجه منه طوعا أو كرها وإنما له منه ما استفاده
وربحه في اسهر هذه العمر من استعمله فيما ينفعه بقى معه هذا الرزق وهو
رأس ماله الذي فيه سعادته ومن استعمله فيما يضره أحدث منه العاربه وكان
ما استفاده من هذه عارفة وبالا عليه ونكته وعلا في عنقه لا يملك عنه أبدا ،
فان بعاه وكل انسان أله مناه ضاره في عنقه وخرج له يوم القيمة كنانا يبقاه
حشو اقرأ كتابك كفى نصك ليوم عيبك حشا من اهدى فانما يهتدى
إليه ومن صان فانما يصع عذب ولا رر واررة ورر أخرى . وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا . واذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق
عينا بقولهم . هدمبراه الى آخر الحسن الآيات

فصل

ثم ذكر ما جرى بينه وبين ربه انغوس المصرية التي ذكر أنه كان يتولى
الاشراف عيب طه اسدي ثاش وملاؤه حينما أراد منها شره وورق لطمع
أعلاله ، فخص منها سكك وأذه في احابه صبه الأهوج ، وقد أظنبت في
الافداع في سها وانما حتى تسها الى ما يتصمن الكفر والخروج من الله ،
وغرضه من هذه الفقه أرائة شفاء غيظه بها ونحوه غير ها من لسانه اذا

لا تحصل له مظالمه ، والعجب أنه ادعى أن هذه الولاية من المسلمين ثم مع
 ذلك أطلب وأصب في دمى والمدح فيها حتى نسب إليها ما تتضمن كفرها ،
 ثم ذكر أنه تولى بعدها رئيس مسيحي فأغرى صبه ثدحه وأطال في الثناء عليه .
 وهذا ما بين لك أن دينه في الله ثم والدين وأهل قد أسعداه ، فقد سولت
 هذا المعروء نفسه ورس له شخصه ودفعه فهو واحدة الى من طاعته
 وقضاء عليه على كل أحد وعلى كل حال ، وهذا هو علم قوته
 لو أنصتوا كتب المقدمة في الأمر أني آخره

[illegible]

(۱) ہم انکھا میت لاق حصک لو شعر - سالت (۱۶ مرید مصرہ مصر لفظ)

ثانياً ليس فيما ادعاه وانقذه على هذه الزيادة كبير أمر حتى يسوع له أن
يبدى ما أبدى ويخرج جنوه . غاية ما في ذلك أن زيادة صفة تأخرت قليلاً ،
ومعلوم أن مثل هذا يقع كبيراً . كان نصب مشبهاً أو كان هناك عوارض
من ريب أو شك أو غير ذلك . وكوثر ما كان له وحده عدمه آخر صفة لا يدل
على أن هذا بناء له . فقد يكون لعوارض لا يسوع ما به . ومعلوم أنه
ليس بواحد على كل دائرة أن قد كان هناك سبب آخر صفة ، ولا حتى
على فطن أن هذا المعبر كان مرهق وخوف . بل أقصى حد فلا يستبعد منه
أن يكون قد أبدى من التصديق ما أخر صفة . بل بحكم الأمر . وإذا دار
الأمر بين اتهامه بالتطاول وبين اتهامه بالسرعة والخوف فلا شك أن
اتهامه أولى وأرجح . فإن سرعة ما كان قد وردت به من جهة ما إلى هذه
المرتبة لا تدفع حصوله على شبهة وثقة غير صحيحة . ولا شيء من مصدره
وكفاه وأهله يحصل . وإنما هو فهم راسخ من معروف في حقيقته عند كل
من له بصيرة

ذلك يقبل لا حاجة إلى أن يعبر في محاسن حتى مشاكك هذه . فإن
فعلك هذه وطئت وفصدك كان ذلك فعل واحد لكن حيث وثقه تعالى
بقول ما وادى حيث لا يخرج إلا تكدي . فلا بد من أن تستعرب هذا
العمل من هذه الوزارة واتت بعد ذلك فدايت . أنت مكشفت مست في
مكافأة هذا ببلاد لدى ارض غنة صدر . مع أن حاصه مشككة بحسن .
فأنت باعة أنك هذا لم تستطع أن تحمل هذه الولاية ولا هذه الصفة . فكأن
هذه الحوادث المعقدة المستعصية لم تخرج من صدرك لا تكدي فكذلك لا
يمكن أن تخرج في عالم الطباعة إلا تكدي . وأما أن يتناولها هذا الناموس
الشامس . وهذا لما خرج مد طعمه سرت رائحته الخبيثة فسرته به فهو من
قدرة طبعته على حب الحماة ونهاقت عليه نهفت أكالات الخيف على

الجيف ، بخلاف الأرواح الطيبة فإنها تتأذى من رائحته وأغراضه المنقثة .
ولقد أتاح لنا فرصة لا بأس بها في معرفة حشرات كانت مجهولة حالها وكانت
كامنة تحتية في جحورها المطية القصية

ثم قال : وقد أعيا رجال وزارة القوم أن يتنبؤوا وجه الحق فيها فينبعوه
إما رفضا وإما اجابة . وقد شئت الوراثة ورجالها وهم يدورون ويتحركون
في المسألة بآلة طاعه تدور وتتحرك كما تدور وتتحرك سائر المطاع . ولكيها
تدل أن تخرج لها مطوعا عليه كلام مفهوم له فأنده ومعنى تخرج ورقا
مخرقا أو مطموسا بالسواد لى لا يسببان له وجه ولا عرس .

فيقال هذا التنبه ممكن عذرت . فإن آلة لطباغة إنما تطبع ما حمل
فيها على وجه طبعها ونظامها الذي كتبت عليه . وحيث أن طلك الذي قدمه
إليها كان فاسدا أهوج لا يسمي له وجه صحيح . فهو كالورق الفاسد الملوث
بالسواد وغيره فلا بد أن يمتن فيه ما تعمل الآلة على مقصدي ما يجعله
ويستحقه . فمثل هذا الورق الرديء الفاسد الملوث لا بد إذا دخل الآلة
- منها كانت في الجودة والاستقامة - أن يخرج مخرقا مطموسا بالسواد
وعبره . فلا لوم على أنه "مضاد" من أن النظام الذي ركت عليه يقضي هذا
ولو كان في غاية الاعتدال وتصحيحه . وأما لوم على لى أدخل فيها هذا
الورق الفاسد وطلب منها خلاف نظامها لتصحيح . فإنه نظمه وأدخله بعد
أحق حاله لا يعرف الطريق بها لتحصل على ما تصحح . من يريد
من آلة اطاعه أن تخرج على ما يريد من مخرجه وشبهه ولو كان
مخالفا لنظامها الذي صنعت له

ثم أطل في كلامه على هذه التورية مادعي بأن الذي حملها على هذا هو
إيمانها بالفوضى . ولكن الحقيقة هي أن الذي يريد منها خلاف نظامها هو
الذي يؤمن بالفوضى . وأطل في ذلك ، ثم أخذ يلتمس الطقة ، ثم ادعى أنه

وجود ذلك بعد أن ادعى أنه لم يجد لها حلا فقل .

وقد يظن أنه ليس في الورادة وري . وأن رحا الورادة لا يجوز أنفسهم . ثم أجاب بأن الورق موجود فيجب . وأن رحا الورادة يجوز أنفسهم . وأن هذه ليست هي العقدة . قال

«وسكن العقدة أو المرمى لعظم من عرقين (من الاحاب والمسلمين) هو أن قوما ومنهم ورادة النورين بما فيها من حسن وأعمال^(١) لا يقومون من بين الحوادث بل لا بما طيعها . وأن من أوسعها وديعة رياضا حقيقيا . وأن من الأسس والمستجابات كمال نيت . ولا يقومون من عمل لسوء يؤدي لا يحته الى مدحه عمارة . وأن من احسن منه في ثوبى لا يرب الى دية ساره . وأن الما اوعه في هذه المسألة ونقطة ونكتب وسورة غير انظر في سبب طبعه في السيرة على الصبيحة واخرى ولعل والسعة فاصحه . وأن ذلك كله يؤدى بهم بدورة الى اخيه واذا عفت الصارم . هو حرمانهم من التقدم والرجحان والصور ما دلت . هم لا يقومون بهذه نتائج طرده الأعمال . ولو أنهم آمنوا بذلك لكان في أعظم احرارهم . أقوى مصير مؤذ . ألا هم ليسوا فقراء من حب نفس والدات ولكن فقرهم هو فقر المعرفة بما يجلب الخير وبما يجلب الشر^(٢) . ولكن ماذا لا يؤمنون به

(١) وذلك أنه ذكر أن الورادة صيرت وأنه جاء فيها وزير مسيحي وساعده على بيع ورق وأعطاه طلبه

(٢) انصر كيف عظمهم بالمسألة مع أنه قد يكون مصيرهم لا حيلة له في تقديم ولا تأخير في طلبه

(٣) ولكنهم أغنى منك ديننا ودنيا . وإذا كنت نعتقد هذا الاعتقاد فإذا تفعلك . ومعلوم أن كثيرا من الملاحدة يستمدون هذا الاعتقاد وقد ماتوا فقرا وجوعا وعريا

الايان . إيهم لا يؤمنون كذلك لأيه يؤمنون بأن المشيئة المطلقة العليا (١)
أو الأحداث الكونية العامة هي المهيمنة على كل شيء : على الوسائل والنتائج ،
وعلى الأسباب والمسببات . هيمنة عمياء ، صلبة ، فهي لا تيسر سيرا حمرا
طبيعيا في طريقها . ولا تدع تلامها وتمسكها أمرا مصموما محققا ، ويرون
أن الايمان بذلك هو الايمان بكال الله وتحتية تصرفه ، انتهى

وإنما قلنا كلامه هذا وإن كان قيل - نداء لغيره أن هذا امر حل قد طبع به
الحرور والمجور الى أقصى حده ، فهو لا يمكن من موهفقه على
هواه ، بل يتجاوز الى أن يعمل حسب كنهه في حياة حسب الدين واعتقاده
نصرف الله المصطفى . ولأنه يرى كيف سكب عنه روح هذه وراية فيه
يظنوا محاكمته على ما سببه من أنهم لا يؤمنون . نعم السوء لا ية دى
الى شجرة ساربه . وأن عن احد لا ية دى الى نتيجه سارة وكيف لا يظنوا به
نأثت ما سببه ايهم من أنهم يعتقدون أن المشيئة عيب أو الأحداث الكونية
العامة على كل شيء هي المهيمنة على كل شيء هيمنة عمياء صلبة . ومن اعتلوه
أن المسندين كلهم ليس بهم من يعتقد أن مشيئة الله مشيئة عمياء صلبة ، ففصح
الله من حسب ذلك اليهم . هم يعتقدون أن من اعتقد ذلك فهو كافر بالله
خارج من الملة ، فكيف يدعى أن هذا هو اعتقادهم . ثم أى علاقة بين احده
طلبه فورا في سمع الودق وبين هذا الاعتقاد ، بل صاهر الحد يكده ، فانه
لو كانوا يعتقدون هذا الاعتقاد الذى ذكره لم يسموا في المدارس ويدأبوا
جهدهم في ذلك ثم يحملون شهادت معهم ثم يعرطون في سلك الموحطين ،
فاهم لم يعملوا هذه الاعمال . إلا لعدمهم بأها وسائل ضرورية طبيعية لا بد
أن تكون نتائجها طيبة ، وأن العلم يؤدى الى نتيجة حسنة ، كل ذلك تحت

(١) هذا دأبه ، يحمل كل مصيبة في الدنيا هو الايمان بمشيئة الله تعالى

مشيئة الله وأرادته . من نفس معاملته لهذا المعرور بهذه المعاملة بحسنه
الترية دليل على أنهم يؤمنون بأعدل وأحكمه ويكفرون بالقوضى ، لأن
طلبه الأهوج كان حورا وطلعا مع أنهم يعرفون وفاحه وفاحته وقبده
لسته . فهو كانوا قوما فوضويين مدين لأحوا أصله حورا من به ومناهه
معه وركوا نظام العدل والامنه امدى تحصى برقص حسه حيث . ثم يكن
له وجه مقبول

ثم ان هذا الادعاء قدح فيه . لانه ذلك يعرف . ثم من هذا الايمان في
المدى حمله على طلب الورق مبه . على مسبق ما لم يحب صبه فوال . هذا كان
عالم بأن هذا معصدها فقد دخل معه على صبه فيها ستميه . لا . ستعامله
معتقدى اعتقادها . كما يقول . ما يحب عالم ان . من صبر على ما منه .
ولا يبرها لأ . اتبع ما تعتقده وان . اعتقد من لظنه استوح . ولا يصح
له أن يدعى أنه لم يمدك لا عد . ما مبه . ما مبه . في سأل في
أن هذا الاعتقاد بتركهم فيه جميع رجال الامة

ويقال أيضا ان هذا الايمان ليس اسعه وهذه القوضى التي يدغم هو
معتقده لا ريب . وقد تقدمت الآله على . في مواضع كثيرة . مع ان
هذه دعوى لا مسند لها . ومعلوم انه لا يصح على من من حياؤه وأعص
شخص أو دائرة لم يحصل منها مقصوده أن يدعى بمن هذه الدعوى وتدل
هذا المذهبان

ثم قال . وقد يحتجون لهذا بمن قوله تعالى . كل يوم هو في شأن
فيقال : نعم . هم يحجون بهذا وأمثله . ونعم الحجة . وأما أنت فتجح
بقول غوستاف لوبون وأمثاله . أو تحرف لقرن ولا تارم بقول أحد من
المفسرين كأننا من كان . ولهذا ادعيت في نفس هذه الصيغة أن طوائف
الامة تشارك هذه الوراثة في هذا المعتقد فيكونون إذن هم أعداءك . فكل من

أشد حوادث الكون ونسجته في مشيئة الله تعالى فهو معتقد القوصى عندك ،
أما أن أئمة من يوافق طبعه باستخدام الآدمي لما فقد اعتقد النظام ،
وحقيقته هذا أن الكفر هو "نظام وادس والاملام هو القوصى ، ولو أنك
حذرت من الخار وجمعت تحت أعلام الخداع والصدق لأرحب صبرك من
هذا "نظام المصنوع" فيه ، فلا خوف عليك مما تحذره ، فهذا ما أت وأنت

يا لك من قبرة يعمر خلا لك الجو فسى واصفرى

ولما شرف وجمعت من في صدره من عن وعنه عن هذا "ورادة المصرية
قال ، من لم يزل له من هذا النظام وحروقه "تأخر ساعة من إيمان ينتقم
منهم" أو تصحبه إلى أن في لا مكان إصلاحه .

فيسب . أحسن ما عساه أن به لا يولى "فأر مدك أندا ، ولو اسع
الحق أهواءهم لفسد . باب والارض ، وما كيد الكافرين إلا في ضلال ،
فأظلم ما تأمست وتحمس لعنك على أن رته أو لقب لتدل به شيئا
من الرئاسة . ولكن حبك وحط عمك وسوء عقك فعلك الله عنهما
هذه الأعلام ومنك تقود أخرى فم نفس أى شيء من ذلك ، وهو سبحانه
العلم . باب صدور

ثم انه أذا أن هو على هذه اورة ما به الپ بأ شارك معها جميع
رجال الأمة فقال :

وما شكوا من هذه الطائفة تشارك به جميع رجال الأمة ، . هكذا
دعى . جميع رجال الأمة من حسن ورده القويين المصرية يعتقدون ما ذكره
عنه في المشيئة أن عمل سوء لا يؤدى الى نتيجة صالحة وأن عمل
الخير لا يؤدى الى نتيجة سارة ، وأنه ليس بين الأسباب ومسئولياتها تراط أى
آخر الهدى . وهذا كله كتب على ضوائف الأمة وكلامهم في الأسباب
وتر نطها بمسئلات معروفة ، وليس فيهم من يقول أن العالم محكوم بالعوضى ،

شهادة لخص والعقل والعطر ، وهذا قال من قال من اهل العلم تكلم قوم في
 بكار الاسباب فاصححو دوى لعقول على عقولهم وصوا أهم بدلت
 بصرون التوحيد فشابهوا المعضة الدس أنكر واصفحات الرب وبعوت كاله
 وعبره عن حقه واستواءه على عرشه وكلمه بكلمته وكليمه بكلمته وعنده ،
 وطوا أهم بدلت بصرون التوحيد فأفادهم لا تكذيب الله ورسله وتبريه
 عن كل كمال ووصفه بصفات المعلوم والمستحيل وظهر من ربه الله في أفعاله
 وأن يهوم به من "الله ورض" أنه بصرون بدلت حدوث العلم كونه محققا بعد
 أن لم يكن ، وقد أنكر "رض" من "رض" وحب حبه "ثم" من "عظم" الحبه على
 الشرائع والاسرار والتوحيد بهم لاس أن موحدا لا يم إلا اسباب الاسباب
 فلهذا رضى حقلا "له" لا يمكن "سب" موحدا رب سبحانه إلا "طال" لاسباب
 سبب صوبهم بالله حدوثه "له" ، وأن لا نجد كمالا من اسباب أعظم
 أما لاسباب من "تقرآن" ربه "محب" أن الله حيا "السب" والمسب ،
 وهو الذي جعل هذا سبب هذا ، والاسباب والاسباب طوع مشيئته وقدرته ،
 منقادة لحكمه أن شاء أن جعل سببه الذي أنشأه كما أنطق بحرق النار عن
 حطبها أهم ، وعرفنا إماما عن كليمه وقومه ، وأن شاء أقام انشأ الاسباب
 مواعع تجمع تأثيرها مع بقية قواها ، وأن شاء حتى سببها ومن اقصائه لأثرها ،
 فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا ، فأن قدح وحب ذلك في التوحيد ، وأن
 شرك تترك على ذلك به حبه من الوجوه ، ولكن صعد لعقول اذا سمعوا
 أن "سب" لا تحرق و"ماء" لا يعرق وأحر لا تشع والسيف لا يقطع ولا تأثير
 شيء من ذلك الله ولا هو سبب هذا الأثر وليس به قوة ، وإنما الخالق
 المحذر يشاء حصول كل أثر من هذه "ال" ، عند ملائكة كذا لكذا ، قالت هذا
 هو التوحيد وإفراد الرب بالحق والتأثير ، ولم يذكر هذا المقائل أن هذا إسماء
 من "سب" موحدا وبسط كعداء الرسل على ما حده مواه كما تراه عباد في كتبهم
 بصرون به "سب" عن الالهيان ولا ريب أن لصديق أحسن قد يصير مالا

يضره العدو انما هو ، قال تعالى عن ذي القرنين - وآيتاه من كل شيء سبباً ﴿ ثم ذكر تفسير الآية . انتهى ما نقله عنه الألباني في غاية الأمان ص ٢٤١ ح ٢ ﴾ وأصل كلامه هو لاء المساقين أنهم طمأن أن لافزار المشيئة العليا والقضاء والقدر يناق تأخير الأسباب ، ولو علقوا حقيقة الأمر لعلوا أن ما فروا منه قد وقعوا فيها هو شر منه . فاهم فروا من الافزار المشيئة طمأن أنه يلزم من ذلك القول بالحري . ثم الأسباب والحوادث هي في غاية الظهور ، وقد وقعوا في لقول الحبر وبي قوى الانسان واحتاره من حيث جعلوا الانسان مسيراً مع قوى نفسه وواعدها بحقيقة عظماءها ، وهذا تخدم دائماً إذا ما حرمهم الأمر في معده سبب الشيء جعلوا ذلك من حيث الطبيعة وقواها التي لا ترد (١) . ومع هذا لم يمتنعوا من لاء فيه فاعتمدوا أن الله سبحانه وحى في الانسان قوة وفرة على العمل فهو قادر بحسنه بقوه وانقدره إلى حفظ الله فيه ولا ياتي هذا ككبر ومنه وقد عظمه الله تعالى وقضائه وقدره . فانه هو وما فيه من قوة وفرة وعلمه أيضاً يحرق الله فلا شيء شيئاً ، الله لم يشأ معه أنسا ولا يمكن أن يقع فعلاً في اعنى الله أو لا يشاؤم الله ، وهو سبحانه يهين بالاسباب كما يشاء توسع ذلك في بحث لقضاء والقدر والاسباب مفصلاً

(١) من أعجب أمور هؤلاء أنهم إذا حوى عنده سبب شيء جعلوا وقوعه إما مصادفة وإما من فلتات الطبيعة ، مع دعائهم أنهم هل العلم ، ومعلوم أن اعتراف الانسان بالجزء كنهه الدعوى سواء

والقبر ، ثم أحديرد عليها ، ثم علق عليها ثم هي صلب الشجر ، فهو لا
يكفي ذلك على المسلمين ثم الرد عليه لك ، بل لا بد من جعل كل
مصلحة إنما حدثت بسبب اعتقادهم كون الله يدبر ما كله وتنصرف فيه وهذا
الملحد لا كان يعتقد الاتحاد ولا يستطع أن يذهب به بدون حجاج أصاف
كل شر وكل بلاء فيما ينافيه من لو حشد الجحش دلت درعه الى كراهته يحصل
مضاده وسأى الكلام مقصداً لله به معنى غما شبهة على المسلمين من
اعتقاد الجبر ، وأنهم تركوا الأعمال حتى على مقصده وبقدر

قال المفرور :

كف أي وكف بحب أن ، وكف قرأ مقصداً للموت ،
والسعي لكونه بذكر أن قد قسمه . أي . ألا إن بقي المرء بصريحه
المرء

جدد في مقصده ما حصل من الله لك والسكون
(أحدم)

لو كتب أحب من شئ ما كان سعي المرء هو مخبوءه له القدر
(مفسر لكعب ردي)

فقال في حواشي العهد المسلمين هذا ، وأعرف أن ردي و
(أحدم) وكعب ردي هم قومه في ظهور من كعقده فقهه وأيد ،
قال هذا المعروف جاء بأمر به فذهب فاعده يعتمد عليها فيما سبه لهم في
اعتقاد القضاء وأمر المرء من أصول الدين ، أمم اعتقاد المسلمين
الكثيرة المعتمدة فانه صرنا على حجة ونحوه وكذا كسبه أشهره
تركها لأنه يعلم أنها تكذبه فيما ارتأه ، وهذا اضطر الى الاحتجاج بهذه الآيات
وجعلها هي عمدته ، حتى قال بعدها :

وهكذا فهم انفساء والتقدير . وهكذا اعتقدوا في انفسهم أنهم لا يعدون
أن يكونوا مخلوقات خبيثة لا تحرك وإنما تحرك ولا تتصرف وإنما يتصرف
فيها . وليس على أن تحول أمم ولكن عليها أن تنتظر حتى تكون حلا
وشرافاً لأعمال الآخرين . وهكذا فقدوا كل ثقة في أنفسهم وكل أمل بأن
يكون لهم حول أو سطوة ذاتية .

يقال : وقد أتت أمم المصطفى به صور المسلمين بهذه الصورة التي ذكرها
معمدا في هذه الدعوى "مريضة عن ستة الآيات الثلاثة التي نقلها عن ابن
زريق وأحمد (أي مجهول) وكتب من رهبر فادعى على المسلمين بأنهم
يعتقدون أنهم مخلوقات جامدة لا تحرك وإنما تحرك . إلى قوله : وإنما يحمل
وظرف لأعمال الآخرين هكذا جاهر وكأمر على أمه قد مكثت "لكنني على
احتمال أن هذا ما حدث على عدم رفعه وتوابعه والعمل الدافع بأوامره ، وقد
عملت ما عليه من . . . في كل ناحية وفي كل شأن

تجاه هذه الأمور . كل هذه المعارف وكل هذه الثورات وكل هذه
الأسواق المردحة بكل من أنواع الحركات وتصانعات وغيرها ، كل ذلك لم
يحدثه ولم يرفع به رأسا . من غرض عبثه ومبعضها لا أمام ثلاثة آيات
لثلاثة من المشركين . ولا تمل أن أكفر يهودي بمحاول الطعن في الاسلام
ستطيع أن تص أن هذا الخد في البيت ولعداوة الاسلام وأهله

من بين يمين الهواء غلبه ما لم يشرح بعيت إسلام

ثم قال : ليس من الممكن أن نعدم الاسناد على العمل إقداما يمكنه من
الاحد سابعيته ومن قبه لا ارادته حتى يعلم عب ليس باطن أنه قادر عليه
كقوله ، وأن له قدره ترك في دونه بعض ما من شاء ويترك إذا شاء .

يقال : هذا رمي في الهواء ونحصل حاصل . فإن المسلمين كلهم يعتقدون
أن الله تعالى جعل في الانسان قدرة على فعله ، فكل أحد يأكل ويشرب ويلبس

وينام ويقوم ويقعد ويمشي ويتكلم ويعلم أن فيه قدرة على أفعاله ، وما رأينا أحدا ولا سمعنا عن أحد منهم أنه رث الأكل والشرب والقيام والقعود وجميع أفعاله لاختيارية مدعيا أنه ليس فيه قدرة على التحمل والترك ، ثم ذكره سفسطه وهذيان بارد وهراء لا يقوله إلا معاند

ثم قال : وحتى يعلم أن الله ليس له أيضا أنه ليس هناك قوة خفية (١) مسيطرة على مداه مكنة ، من تصع لعفت في طريقه تتحكم به تحكم القوى الخفية في تصيب لعاشر دنة عن معدنه كل حارب أن يقدم وكل هم أن يحجم منهقرته أحب حتى يحرث ويرع ، لا ما أوشك أن يحس ويحصد عصفت بما حرث ويرع وبه كاه يظفر نواه ، وتركنه محسورا متبورا ،

فيقال : وهذا أيضا من مط ما قلناه ، من هو كلام ساقط مردول حدث لا يحسن له الله ، يقصد من وراءه بعض مشقة له وادته وتصرفه في خلقه ، وانظر رحمته واحسانه وعموه وافصاله ، حيث صور المشقة الزائدة عدوه الأسا ، ولم يفرق بين الصالح وسني والمحسن والمسيء ، وقد كذب واقتري لعنه الله على مشيئة رب أمسي وأرحم الراحمين ، فهو يريد أن يجعل كل مصنة أصابت الناس مجردا ما هم برون تعالى ، ويريد أن يجعل المصائب فيما يرون على ما دعى - صادرة عن القدرة والشيئة فقط ، ومعلوم أن الشر ليس إلى الله تعالى بل الشر منه انبوت لتي هي عدم امثال أوامر الله تعالى والاعتصام بسوره وطاعته والتحصن بها من كل سوء ، وكل مصنة في ليد يصاب بها لا لسان ما هي لا يبعده بعده عن مهب نظ الرحمة والبور وهدى والبصائر ، وتقرظه فيما أمر به ، فالشر ليس إلى الله ، والخير كله بيده .

(١) يعني رب العالمين بمشيئته وإرادته ولو قال : وحتى يكفر ، انقصه ، سكال أخضر وأرجح لتضميره

الموجودة الدرم على أعمال الناس ومعصيتهم وعشيم تسباح الشرائع وإفسادها
 واتباع أهوائهم وفقهم ليس أن الناس إنما عاشوا في ظل عمو الله ورحمته
 بعباده ، ولا فهم لا يستحقون إلا الهلاك والانتقام العادل ، أن كل مؤمن
 يعتقد من صميم قواده أن به عليم حكيم موف رحيم ، وقد شمس حبه من
 عانده وسبه وحرف صفاته ، وأكر وجوده ، فكيف من أنسه واسع
 رصاه ، وقد ين على لسان رسوله يتبع أنه لا يهرب به أعداءه شر أهوت
 دراه ، وإن الله تعالى أن له هروبه ، وإذا استعان به أعانه ، وأنه مع المنفرد
 ومع المحسن ومع العاصي ولا يحب الظالمين ولا يحب كل ظالم جور ، وقال
 تعالى : ومن يؤمن بالله فيعمل له بخرح وبره من حيث لا يحسب ، ومن
 يتوكل على الله فهو حسبه والله لا يصع آخر من أحسن عملا ، فكيف يصع
 العقص في سين من أحسن عملا ، وإذا قدر أنه يتلى بعض عباده بشيء من
 مصائب الدنيا هل هذا لا يفي رحمه به ، فإن نسبة ابتلائه في جانب اللذة
 والنوح والخيماء والسمامة التي قد حصلت له وسحصل له فلا شيء ، وإذا ما
 نظر إلى ما البلاء وسبته أن ما حاده من العاقبة في عمره كله في نفسه وأعصانه
 وعشيه وغير ذلك صار هذا الابتلاء محبلا جدا ، فكيف إذا كانت عاقبة ذلك
 البلاء السعادة الكبرى التي لا يدلف شيء ، ثم إن القصص أمر طبيعي لا بد
 للناس منه ، وكبره يثابه شيء من البلاء الطفيف في قليل من ماله أو حابه
 أسهل من أن يباله في دمه أو عقه أو نفسه ، وعقبه ونفسه أهون من دينه ،
 وفي الابتلاء من ذلك لعبودية والافتقار ومعرفة قدر النعمة والعافية من المواند
 ما لا يعد ولا يحصى لمن قدر ذلك وعرفه ، ومعلوم أن أعظم الناس حانا على
 ولده وأحبهم وأشفقهم به لا بد أن يؤدبه ويريه ليحصل بذلك ما فيه نفع
 له تتضاءل في حابه ضرر ذلك التأديب ، ولا يعد هذا عذوة ومضارة فكيف
 بالخالق العليم الحكيم الزموف الرحيم ، ولولا الابتلاء والامتحان لم تظهر

أكثر مظاهر السعادة والذات والفرح وأمن ذلك
لعمل عند محمود عوافه ورية صحت الاجاد بالعل

فصل

ثم قال وليس من المستطاع الجمع بين عبادة الله في نفسه أنه عجز عجزاً
دائماً لا رما عن إيل العمل وعن إتمام ما بدأ به من الأعمال . وبين الحاجة
في الحياة وزيادة الأعمال . هرة . ومن أحوال الأئمة عمة أباي أن يتقنه
ما يرى أنه عاجز عن إتمامه . ولكنه يتعبد لله وسهولة ما اعتقده أنه
قادر عليه .

فيقال كل هذا هراء مهو في خواه . وليس في المؤمنين من ولا في
عقلاء المسلمين من يعتقد أنه عاجز عجزاً دائماً . لا مدع عن العمل الخ . ومن
أو رأى أحداً من الدس أن يساه من المسلمين في الأعمال والشرب وسائر
الأعمال الضرورية من أجل اعتقاده بقضاء والتقدير حتى العلة في القضاء والتقدير
كالجمعية لا يتركوا شأن الأعمال التي هي صانع في عملها غيرهم من حاسبه
بل أكثر الناس الذين يعتقدون القضاء والتقدير قد تجاوزوا إلى فعل المعاصي .
بل هلك كثير منهم بسبب الخرص وعمل ما فوق ضافته من الأعمال ودعوى
ساقطة لا محل لها البتة

وكثير من هؤلاء الذين يعملون في الأمور الصناعية أو المادية أو
الاقتصادية أو التجارية من المسلمين يعتقدون القضاء والتقدير ، وربما تكون
الدائرة الصناعية أو غيرها فيها جهماً واشعري ومعتزلي وغيرهم ولا يوجد
بينهم فرق في العمل من ناحية الاعتقاد . والمسلمون وإن اعتقدوا أنه ما شاء
الله كان وما لم يشأ لم يكن فهم يعلمون أن الله قد أمر عباده بالعمل ، وجعل
فيهم قوة وقدرة واختياراً على أعمالهم ، وأن كلا مبسر لما حقيق له . وبكفي في

طلال هذه الدعوى الواقع وناشدة من حسن كلهم استطاعوا أن يعملوا
وفيه من أهلك نفسه من الحرص على العمل مع عتق دم نفسه وانقدر ،
وهذا برهن قطع على أنهم يرون أنفسهم غير عاجزين عن العمل التي في
طاقاتهم انبها ، وأن الايمان بها لا يقضى اعتقاد العجز ، من الممكن من
المسلم يرى أن الله أمره بالعمل والاستعانة به ، ووعدته بأن يعينه متى أحسن
في عمله وصدق في معاملته ، ومعنى أن الله أمره بما هو عاجز عنه لا
يكلف الله نصرا إلا وسعها ، وهذا واضح حتى ، فادعاه فهو غير وارد ، لأنه
إدعاء في غاية الفساد

وهو له ، وإن الحيوان لا نعم نفسه في أن ينفعه ما يرى أنه عاجز عن
اقتحامه ، فقد كادى فيه ، من هو حجه عليه ، من الحيوان تنجر ما يرى
أن فيه فده عن اقتحامه وقد رأى أن تنجر ما فيه فده عن اقتحامه لما
عازص ، كاخيو ، ب الخانة التي سحر "شيء صرا وهو غير صالح وقد تنجم
الشيء الذي فيه نفعه وهلاكه تقصير بصره وشهوه ، وأما الأشياء الوصفة
التي يرى الحيوان أنه عاجز عنها وأن فيه نفع لو حارث فيها لا يقتحمها
كأنتردى من شفق وعجزه ، وهذا يكون أحسن حالا من المجداسي يرى
أن في امكانه أن يصل الى كل شيء وسعت على كل شيء ، ففكر الحيوان لا
يحتج به في مثل هذا الأصل من مسألة قصده وانقدر من أصول الدين التي
مناطها الكلف الشرعي فلا محل لهذا الاستدلال ، وقد بما أن المسلم يرى أن
الاقدام على كل أمر ممكن غير ممنوع أصلا ما لم تكن مصرته راححة على منفعتة

فصل

قاله وأصول التربية الحديثه الموضوعه بارشاد النفس والاستقرار انام
الطويل قائمه اليوم على تعظيم شأن الايمان الداني ، وعلى العمل به ، أى على
إقناع كل انسان بأنه قوى قادر على ما يراده من أن يعمل به ، وعلى أنه يستطيع

أن يأتى من الأعمال بالمعجزات واحوارى ، بل انه لا معجزات أمام قوته
الدالية وإرادته الإلهية ، وعلى أن مع قدرته لا يمكن أن يتنصب ، وعلى
أن سلطان هذه القدرة لا حدود له . وعلى أن ما يمكن أن يدعه من الأعمال
— ذا أحسن امتحان موافقه وأحسن شعدها — لا يقف عند عايه ، ولا
يعجز عن وعية . وعلى مهمه أنه خلق معدة ميتا لأن تتعذب على كل
شئ . وأن تصاعق كل ما يقف في صرقه ، وأن سمو حتى تلاحق خيالي ،
لأن حتى سس احسن ، وعلى فهمه الاستقلال في العمل ، وعلى أنه واجب
عليه أن تصنع كل ما هو ممكن . وحده دون عول^(١) ودون عايه ، وأن
قدرته صالحة لحدث حدوده من شئ به . وهذا ما يسمونه التريه الاستقلالية
وهذه تريه هي عظم تريه^(٢) . ولأنه أن نفس لها وتقدر عليها نصحي
أفون أمة وعظمته .

واحوارى أن قال : هذا الكلام الذى ذكره في هذه الحلة هو من أعظم
أصوبه التي يدعى لها وتدور عليها كلامه . وقد تقدم كثير من معانيها في
المبحث الأول ، ومتى فهمنا مؤمن وأحد به عتب ثم فكر فيمن عمل بها
وكيف كانت عاقبته وما حصل به من مكورث والكتاب التي لم يسبق لها نظير
علم أنها أحدث تريه وأفده . والامة التي تاحد بها لا بد أن تصح امة

(١) همد تصرع ظاهر بأنه غير محتاج إلى اعانة الله ، فلا يقول (إياك بعد
وإياك تسعين) لأنه غير محتاج إلى . فبكون هذا القول ملوثة ونمويفا
لأمانة فيه

(٢) أى امة أعظم من تريه القرآن الذى أرشد إلى الطلب من الله الاعانة
والتوفيق ، وأن الانسان ضعيف وعاجز ما لم يوفقه الله (ومن يصل الله فإله من
عاد ، ومن يبد الله فإله من مضل)

مضر وما عليها نطق الدل والقهر والصلار والنكال ، ولا بد أن يربها الله قوتها واستكبرها : ثم ردها حتى يصعها تحب أعدى عدوها ، وحقيقته هذه التربية الملعونة هي إفهام الإنسان الكفر بقضاء الله وقدره ومشيئته العامة وأنه مستغن عن الله غير محتاج إلى إغاثته ورعايته وبوفيقه وهدائه ، فلا حاجة لأن يعنده ويدعوه وتصارع اليه ، وحليق عن شئ على هذه التربية أن تحل به الملعنة الماحقة وبصفت الماحض ، وأن يصح الله أن يهتدي بها شيوخه عن صاعده ربه وحاجته تحب قدم أحدث حقيقته ، ليعرفه كيف قدره له الله وكيف عبادته وقد أرى به مسجده كبريا من شأوا على هذه تربية أو أكثرها كيف دمر الله عبيدهم وللكافرين أمثالها وهذه تربية حيوية هي التي فاضت بها عتات وأمثالها حتى أهلكهم ، بحار والالام ، البقاء والعباد "فطوس

ثم الكلام على هذه التربية من وجوه :

أولها تربية خاصة لتربية القرآن الحس ، فإن تربية القرآن نص على وجوب الاعتماد على الله والتوكل عنه والاستعانة والاستعانة به والصراع اليه ، وأن العبد فقير اليه كما قال تعالى يا أيها الذين آمنتم الفقراء إلى الله ، والله هو المعلى أحمد ، وفي القاعة المعروضة وأنها في لصلوات الحس ، إياك بعد وإياك نستعين ، فالعبد معترف في كل حصة إلى استمرار الاستمداد من مصادر الكمال والنور والرحمة ، فقطع هذه الاستمدادات عنه وقدره في طلبات الطبيعة يوجب له الهلاك لا محالة ، فقطع أسير وروح العبادة هو الاستمداد من الله الإغاثة والتوفيق والهداية والإلانة ، فإذا انقطع مدده من هذا فأى حياة تبقى له ، وحينئذ يقال له : ان أصل كلامنا معك في هذا الموضوع في بيان كون هذه التربية ليست من الدين ، وأنها متضادة له من كل وجه . وأما نفعها وضررها فذاك شيء آخر ، ولو أنك أدعيت أنها أولى من تربية القرآن بالتصريح لظاهر أو ادعيت أنها ناعمة للدين وهي ناعمة مع ذلك مجازها

يدعون خداع لكان لما معك شأن تحر . إنما بلية أنك أحدثت تربية أكفر
 موجود على وجه الأرض ودعوت إليها وذكر بك أنك وفقت بين روح الدين
 وروح لعمل وأنت أنت الذي فهمت الدين الصحيح . فإن كنت تسعى أن
 هذه التربية مطابقة لثمة القرآن كارت جهرا وصار معنى هذا أن يدعون
 الملحدة إلى أخذت بها لسبب القرآن وأنها على الدين وأن المسلمين الذين
 استعابوا بالله وادعوا أنهم كانوا محايين الله محضون في ذلك . وقد ادعت
 قربها من . في أن هذه الدول المحاربة قد أخذتها واعتمدت ونحن تركناها .
 فكون هي التي على الدين والمسلمين على خلافها . وإن ادعت أنها محاربة
 لتربية القرآن وليكنب دمه . وهذا هو في الحقيقة ذلك . وقد احترقها
 على تربية القرآن وعظمتها ودعوتها . وقد وفقت تربية القرآن واستصغرتها
 وادعت مع ذلك أنك مؤمن بالله ولوم الآخر فكون بهذا بدعا مائلا لا
 ريب فيه . لأنك كفرت بالله وكسبه . وقد ربيت بدعة الإيماء عدها .
 ثم لو برأت معك وحرصت جدا أنها صنعت مربيين أو ثلاثا أو مرات كثيرة
 — وهي خلاف القرآن وخلاف الدين — فهل يدعون بصفتها مسيئين
 يأخذونها ويرفضونها . وما أشبه هذا المنهج من قبل الله فيهم . ألم ير
 إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالحديث ويتناغوت ويقولون
 للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله .
 ومن يعلم الله قلن تحمله نصيرا . وهذا وأمثاله من أواخر نصيب من الكتاب
 وإن كان قليلا بمعنى أنهم عرفوا دعوتهم وأقروا بدعوتهم . وسكهم في حقيقة
 استنكروا واستكبروا عنه وعن العمل به . وآمنوا بدعوى المصادرة التي هي
 من الجحش والطاغوت . ولا خلاف بأن كل من آمن بما يخالف الدين فقد
 آمن بالجحش والطاغوت . ثم إن هذا الملحد ادعى بأن هذه التربية الملعونة
 ونظائرها التي تتضمن الإيمان بالحيت والطاغوت وأهلها أهدي من الدين
 آمنوا سبيلا

ويقال ثانياً . كل دى عقن سيم تعلم أن هذه التورية مربية سافسة مردولة
بالمرة شرعاً وعقلاً ، فإنها مبنية على تفتيش واحسون وعما في مدون حجاب
والتهور والتصديق بالحال والمعاطة في الحقائق . وكل من تستطيع في نفسه
هذه الأمور لا بد أن يكون مدفوعاً إلى ما لا قدرة له عليه فلا بد أن يقع في
الحروب والمزاعات والاشباكات . وإن كان لا فائدة في هذا ، وهذا يؤدي بلا
ريب إلى دعاؤه

ويقال ثالثاً قولك : إنها قائمة على إيهام بل السبل منه فون قادر على ما
يراد منه أن يعمل ، إلى قولك : وعلى إيهامه أنه حان معه الموت لأن سبب
على كل شيء . وأن يصارح كل ما يقف في صريته . إذ فون ، وهذه التورية
أعظم تورية . كل هذا صريح واضح بأن الأسس فون قادر على كل شيء ، على
أن يعمل على كل شيء . فهد مع كونه كهر اصرته فهو مستحيل وهو
ومسكاره محس وأضرورة ، هو دائماً قد ادعيت أنك المسحق لأن
تكون أنت المتقدم في الأمر ، وأنت المسحق لأن يرد عليك وأرغمه ،
وأن الدهر يؤمن على كل ما يقول . وقد سمعت ما رآه من الغلا ، هذا كل
الأمر كله كما قالت فأصبح عدك الآخرى فقط . من هذا تشدح في الدنيا
عدك لما لك من الاستكبار واعطسه وحب الله . فهد وسلك هذه السعة
المصادرة لما تدعيه ، وما كان ينبغي لك أن تدعي هذه لدعوى القريضة . مع
وصوح ذلك بيت ، وكيف ساع بك أن تسعد حصصك الألبوسف الدجور
فيما تقدم فيما تلقاه ، إذ قلت فيه . رغم أن البشر قادرون على كل شيء حتى على
أن يقبلوه فرساً أو مبعاً أو ما شاء من الخبوقات ، وهذا غير ممكن . على
أن لنا أن نقول أن كل شيء مقدور للبشر بالدعاء فلا يقدر عليه البشر بالذات

يستطيعه بالدعاء ، . وب أن قال هذه الكلمات ألزمته بأن يدعى أن الشر قادرون
على كل شيء ، ثم ألزمته هو بأنه قادر على كل شيء ، مع أنه لم يدع كدعواك
ولم يدع لنفسه ما ادعيه لنفسك ، ثم سحرت منه واستهزأت به غاية السحرية
والاستهزاء اذ قلت بعد سياق عبارته هذه : **الله أكبر** ، هل رأيتم أعجب من
ذلك ، هل رأيتم أعجب من قوة أن الشر على كل شيء قادرون ، يعود بالله ،
أليست هذه صفة الرب حقيقته ، ألا تطوب لشح من يتأطون ، أهو
يستطيع أن يمس بأحد من ملائكة السماء ، بل آخر هذه تلك الطويل
امردون ، مع هذا ما ادعى ومضيه شيطانه ، يكون الدعوى قادرا على
أن يفتك بربنا ورحمته ، لأن ذلك أحسن عندك وطيب ، لأنك احترت
لنفسك منته في الأمور من الضيقات والسقوط عن الحقائق ، ثم مع ذلك
ادعيت في صحيفة ١١٦ من سلك (الفضل الحارم) أن أسفه أسفه هو ادعاء
الإنسان أن الشر على كل شيء مقشرون ، بل جعلت هذا مقهرا ليس فوقه
سفه فقلت ، أو ليس أسفه ليس ليس فوقه بصفه الادعاء بأن الشر على كل
شيء مقشرون ، هذا كلامك مجرده ، فقد شهدت عن نفسك بأنك أسفه من
كل صفه ، وهكذا كما ابرع

ومن العجب أن كل حصه اقتضاها هذا المجد على حصومه الأولين
ودعاهم ثم قد اقترعوا ادعيا كاحتمال لرخصة والجمعة وغيرهم ، وفي
الحديث ، من عبر أحاه بدس لم تمت حتى يفعله ، وهذا بما يدل على أن أكثر
مخدراته في ذلك السد ليست مبنية على إحلاص ديني متين ، بل العرص الأكبر
منه تشفع ولاعراض نصية ، ولهذا قدح في ركي مبارك قدح طويلا في
مقدمته (١) ومدح فيها جسات لوبون الذي قدح في الذي **سبحان الله** وادعى أن

الابن لله وحده كالنكتة على البشر ووصفه بأبراعة انفاقه كما يظهر من كلامه (١) فلا شيء تشدق بتعظيم شأن هذا الملعون وقدح في ركي ماله اذا كان قدحه فيه من أجل الدين ، وإنما هو سريرة هوى نفس لا يعلم

ويقال رابعاً : قولك : وعلى أنه يستطيع أن يأتي من الأجل بالمعجزات والحوادث ، بل لا معجزات أمام قوة إلهية وإرادته الأنسية الخ . قول في غاية المعاندة للأديان ، فهو تكذيب صريح للمعجزات وأنها ليست حواري إلهية يختص الله بها من يشاء بمحض الإفصال لا بمحض الاكتساب والصفات المقدورة للبشر ، ففي دعواه أن في إمكان الناس أن يأبوا أنفسهم ، بل لا معجزات أمام قوتهم ، أي في قدره الأسفل أن يخرج من جسمه ما يكون معجزة . بل المعجزة هي التي تعجز كل من أراد أن يتقدم بها من النوع الإنساني وتحدثه ، وهذا كله أدعاء مجرور . والله تعالى عليم بما يكاد به الجحش وضروبه ، فهذه معجزات الأنبياء لا تعد ولا تحصى على اختلاف أحوالها ، وقد مر في الناس في العلوم الطبيعية المادية والتجربة وغيرها رءوساً حديدية حتى أدركه ، فهل فسروا أن يأبوا أنفسهم واحدة منهم من كل وجه ، بل قد قرأ الكرم قد مضى على روايته ما شئت على ثلاثة عشر قرناً ، قد عناه ملاحين الملايين من الخلق وحرص كثير منهم على الإبقاء عليه وفيه من إعادة والملاحة والمصاحبة والتعوق في كل من يكون ذات مالا تمكن حجه من قدر واحد منهم على الإنسان منه في هذه مدة ثمانية عشر قرناً ، مع أنه كلام وقد حاول كثير من مصحاء أن يأبوا بغيره من الله وذكروا ، وكان ما أبوا به تحكما معقولاً ، فارجعوا حاشيتي

ويقال خامساً : قد ثبت بطلان لامرية فيه ، لأنه شرار منهم أن كل أمة

(١) وسيأتي أيضاً دعواه فيه أنه فيلسوف عظيم

اعتمدت هذه التربة وارتاح عليها أصبحت فاشلة هائلة بل مدمرة تدميرا شديدا . فان أكثر الأمم من الآوا والآخرين الذين اعتدوا وحاربوا هزموا ودسروا الياسر است أعدتهم ثم هزمتهم وتدمروهم وحدث أن ذلك من هذه التربة أو أكثرها ، وبكى بها على ذلك أيها هي تربة ملاحدة أعداء الرسل من أولهم إلى آخرهم ، هزموا كفرة واسكبروا عن عبادة الله وحده واتباع ربه إلا أنهم عنقدوا أنهم غير محتاجين إلى الله في الإعانة والرعاية ، وأن في مواهبهم من القدرة والاستعداد ما يكفيهم عن اتعاع الدين ، وهذا حال قوم هود من أشد مناقرة وقالوا متحدثين له (اتينا بما تعدنا ان كنت من الصادقين)

ومعلوم أنهم ما كانوا الرسل إلا لأنهم يرون أن فيهم قدرة ذاتية في إمكان أن تعبد على كل شيء حتى على لقوم لديه وتقضي عليها ، وأنها صالحة لذلك جديرة به ، وأن الأخلاق الدينية عندهم لا قيمة لها ، ولهذا قال إمامهم وهرون (سفل أنعام وتستحي بسام وينا فوفهم قاهرون) وهذا صريح في أنه كل شيء أن في إمكانه التغلب على موسى وقومه ، وأن القوة الدينية في عينه ليست بأشياء للكبير الذي بينهم له ، فانه لما قال له الملائكة على وجه الإعراف أنذر موسى وقومه بفسادهم في الأرض وبذلك وأهلكك أحابهم بقوله (سفل أنعام وتستحي بسام وينا فوفهم قاهرون) وخوى هذا أن ستنصر عليهم لا محالة وعمل بهم ما شئت من الاستخدام والتعذيب والتفجيل وغيره ، وأما تربة موسى فابها بعكس هذه التربة ، فانه قال لقومه لا استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) فأحرم بأنهم محتاجون إلى الله بالإعانة والتوفيق والنصر ، فعليهم

(١) أي لقومه متوعدا بنبي إسرائيل

أن يستمكوا من هذا الخيل الديني، وأن يستعينوا بالله ويدعوه ويتقوه ويصبروا
 فيجمعوا بين أصل السب الديني والمادي، وقدم الديني لأنه العمدة، وأخبرهم
 أن هذا المسلك الذي يفتخر به فرعون ليس هو له بل هو لله الذي يستعان به
 القصد على ما يريد، فهو الذي يؤتية من يشاء، ومن أعظم الأسباب التي
 تعطى بها الأناس هي التقوى والاستعانة والدعاء وما تتضمنه من الصبر
 والثبات، فباين لهم ذلك قائلين أودت من قبل أن تأتيكم ومن بعد ما
 جئناكم وهذا يدل على شيء من ضعف اثنين فيهم لأنهم استبعدوا هلاك
 فرعون وتدمير قوته لأنها هائلة عظيمة في نظريتهم وليس معهم من الأسباب
 إلهية ما يتكافأ، وتضمن قوة معهم هي بقوة إلهية، فحافوا أن لا ينصروا
 عليه فيمودوا إلى الحدة الأولى فيكون بكسهم أعظم من أجل العداوة المتعددة،
 فأنقذهم موسى بقوله وعسى أن يرثيكم عدوك وتسحقكم في الأرض
 فيظفر كعبهم، وهذا تحقق بكلامه الأول الذي فيه بيان السب الذي
 به يستحصل النصر والفاقة حميدة، وهذا فيه بيان وقوع هذا شيء الذي
 يسمونه من خاص قوته، فوعدهم بذلك التحق ليظفروا بذلك ويوقنوا
 به قال بعض العلماء (عسى) من الله واجب، ولهذا وقع ما أخبر به موسى
 صلوات الله وسلامه عليه كما قال في نفس سياق هذه القصة (وأورثنا القوم
 الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي نارك فيها، ونمت كلمة
 ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا، ودمرنا ما كان يصع فرعون وقومه
 وما كانوا يعرشون) فالمراد بين هذه التربية لغاية القوية الوثابة تعظيمة تربية
 كليم الله عليه الصلاة والسلام ومن أقمعه وبين تلك التربية المردولة الخبيثة
 الملعونة تربية فرعون ومن حدا حدوده من الملاحدة وفرحهم، مع أن هذه
 التربية قد صم إليها هذا المجد حبنا إلى حبها التوحيدي كمثل ما ذكره في بحث
 المراد والقدس في المشقة العبا وبحوثه، فهي تربية كل ساقط مجنون
 مستهتر، وقد أشرنا في مقدمة الكتاب إلى عظم تربية لقرآن وأنها هي التربية

لأساية الكبرى التى قامت عليها التخصات العلمية والعمية وأن الحصاره الراقية كلها إنما اكتسبت عناصرها الأصبة من معاجه اقوية المقدسة ، وأن الامة التى تقوم قوتها على هذه التربة السامية لا يمكن تحلل أن تعاب أو تسبق ما م تعبر أو يبدل فيها ، ولا سيما فيما ناقصها وبما كسب من كل وجه

فصل

قال : ونحن فى هذه الحرب نشهد سياسة لتحصار من يدعون فى تقوية هذا الإجماع أشد مما أمة ، ويعمل كل منهم بكل وسائله وأساليه على إفساح عنه قدره وكفائته وشخصته التى لا تغلب ، ويقاها أنه يهتده بشدة ولكنة سيتنصر على حكن ما يقف فى طريقه ، ويحتزم ككن اعتصم والمشكلات والامات .

فقال : هذا هو برهان الساطع ودليله القاطع على صحة هذا التربة فاعلموا أن أولى الأنصار فى هذه الحائث المتسلسلة ، فمن بحث على المسلسل أن يدعو اعتقادهم على تربة دايها فمن هؤلاء معاده نصده ، مع أن مهمه بقا نصه ومن بعد اندحر ، وعقيدته على ما يقف واحد ، لا بشرى كيف سيع لهذا المعروء عقده أن يدعو المسلسل أن تحسوا هذه هؤلاء المسحاريين ثم تمهم ومدربهم فى هذه الأصول ، نصيبه التى هى أساس المسلسل (١) ويركوا عند قادة أصحابه وخير القرون كاحمد الماربع وسعد بن أبى وقاص وحامد بن الوليد وغيرهم من الصحابة ومن تبعهم من أهل القرون المفصلة الدين هدوا بروح الأمة لنصيبه التى هى أكثر مهمه عدة وعددا تربة الدين واسقوى ، تربة لبراق والسنة . من التربة حارة نقاد ، كان كانت هذه تربة التى

(١) مع معرفتهم بعداوتهم لهم ولدينهم

دعا اليه قد عرف صحتها من انتصار البعض فقد عرف فادها من ابدح
 المريق الآخر ، بخلاف تربية الصحابة وأنشأهم فانه لم يوجد فيه من جس
 هذا الذي وجد في هؤلاء . هذا لو لم تكن هذه التربية مضادة ليس وقدحا
 في رب العالمين ، فكيف وهي الكفر الذي ليس وراءه كفر ، وظلالها واضح
 شرع وعقلا ، وإقناع الشعوب الزائفة ليس هو كنه يهده ، لأننا نعلمه التي هي
 أشبه شيء بالاحلام . بل إنهم يشجعونها بالطرق الصحيحة في الحث على
 العمل واستعمال الضرر ولتروى في الأمور ، وأن يحسب بكل شيء حسابه
 والتفكير وتقلب الرأي وغير ذلك من لطائف المروفة ، وكل أحد يعلم أن
 الدعايات وطرق الاقتاعات في بعض هذه الشعوب المتخلفة كانت واحدة ،
 ومع ذلك اختلفت النتيجة اختلافا متباينا . فكل أن إقناع بعض هذه
 الدعايات والتربية الزائفة لا يحصى شدة ، لأن " نتائج أول دعاية " وسأنتها في
 لصحة وانصاف ، ولو كان هذا الرائع الذي مسكه من عقل ، يخرج منسبين
 كتنا باسمه أعلا ولا يبعثكم في تصور ليس كالتقضاء ، فقد رآه يستدل على
 صحة ما يقول بأما فاده هذه الحرب من غشس والامس ، عدهم ويرفض حكم
 قادة الاسلام الصحيح الذين كانت لهم المواقف المشكورة . لا يمتلأ أحد منهم
 عينه ولا يراه شدة تذكر فيسمى عن شمس وصر من السوى ، وما كان
 عن هذه التربية الخبيثة ثم الامسلا على ولا أن هذا " غراب " لا يقع احبده
 في نشر هذه الخباياث المدعوة في أم كب عسره وأررها من امس من منجر
 بها ومعارضها بينهم

ومن يكن الغراب له دليلا يسره على جف كلمات
 ثم قال ، وقد كان رئيس احكومه المعلقة في هذه الحرب من أمه
 الرجال وأعظمهم لبراعته العجيبة وقوته اسجارية على إقناعه نفسه وإقناع
 الشعوب البريطانية بل إقناع كل الشعوب المتحالفة انفسره على الضرر وعلى
 هزيمة الاعداء

فيقال : هذه الدعوى كالتى قبلها في السقوط ، وهذه البصنة لأن يكون قد حان أقرب من أن تكون مدحا ، فإن هذا الرئيس لم يظفر بالنصر بمجرد هذا الاقتناع ، ولو كان لاصاعه هذا أثر كبير كان أثره في الشعب الألماني والإيطالي أكبر ، فليس هنر ولا موسوايى بدونه في معرفة إتمام هذا الاقتناع على شعبيهما ، بل ربما كان هنر أبرع وشمه له أطوع ريادة على ذلك ، ولهذا رح بهم في هذا ثيار ملطم مستمكا يحيط هذه العقيدة الواهبة التى لاقى وبها وبين ما شاء ، ولو سلم من هذه المعسدة وحسب بكل شيء حسابه لكان أولى به ، ولكن شيطان هذه الأعز ربع به كما ربع أبطاله وغيرها فآلوا الى نتيجة ما اعتقدوه في هذه التربة المدخولة

والخاص أن الأبحاء نرس ببقية أكثر هؤلاء القادة إنما يقصد به التشجيع والاطمئنان ، وإلا فهم يسمون من : ه ليس تكبر دالة الى الأمور الحربية الكبرى ، ونحن لا نكر أثر التشجيع واثث على الصبر والثبات وحسن الدقة ، وإنما نكر ما يدعيه من هذه التربية الحثثة والاستدلال عليها بهذا الأبحاء وعليق النصر به ، فإن هذا ادعاء في غاية مساد

فصل

قال ، ولا شئ أن أذنبها نفسها بما استعدت لحرب العالم ، وعبأب قواها الصنية المحدودة لهذه الحرب بأيمان وشجاعة تملأ العوس كلها حتى نفوس أعدائها بخاء ودهشا ووقفا ، وإياها ! ما وقعت — وقد صرست عليها الحقيقة باحكام وتصيى من كل جانب باصل مواد بشرية وغير بشرية تفوق موادها البشرية وغيرها عشرات المرات فصلا هو أعظم من أن يدعى بطولة أو أن يسمى شجاعة أو أن يقال انه انتحار الاحرار الأبطال بهذه الثقة بنفسها وبهذا الأيمان نفسه ،

فيقن هذا المعروف يريد أن يمدح كل من لم يؤمن بالله سواء كان
عبريا أو موصورا ، أما المسجون من أولهم إلى آخرهم ولم ين عيهم في شيء
قط ، مع ما جرى لهم من الضر والشاب ومكاخة لمصائب لعصبة التي لا
تطاق والنصر الذي لم يسبق له نظير . وهذا كله ليس بشيء في عينه ، أما هذه
الندول لأخرى فانه أثني على كل واحدة منها سواء كانت ظافره أو خاسرة ،
وطرا أثني على الألسنة في طشها وخارصه هذه ، كما أثني على اليابان في آخر
الكتب أيضا ، ثم هو مع ثباته عدوا ادعى أن قوتها محدودة ضئيلة ، فيقال
له : إذا كانت قواها محدودة ضئيلة وأنها في دحولها هذه احترت إنما تحترت
العالم كله فمن يكون محدوده في هذه المحطرة ويؤي عليها بهذا القدر دو دين
وكره وعقل . مع أنها ليست مضطرة أي دحول احترت من دحولها محدودة
ذلك ، أفتيس الذي رغب أن هذا كله هو زماها أصل هذه التريه الطائفة
أن في إمكانها أن تتعب على كل شيء ، وأن قدرتها لا حدود لها ولا قيود .
وأنها غير محجدة في عون ورعايه وأن قدرتها صالحة وحذيرة لأن تمك بها
الدنيا ، فأيمانها بهذه الحق هو الذي أثني في عتقها حثلا من مد ربطت به
نفسها وجمسه في يد غيرها ، وإذا كانت بهم أنها إنما تحارب العالم كله
أو أكثره وأن قوتها محدودة ضئيلة بالنسبة إلى من ستحارب فكيف سحبل
هذا المأرق الحرج لا شك أن عبي هذه الحق وشيطان هذه تربية هو الذي
صدها عن السبل ، ودفعها إلى هذا لعذاب الويل ، حتى جمعت عدوها لصرب
عينها الحق بصيق ليس له مثيل ، ولو أنها ثبتت على متاعب وجددت
واحتشدت في مضاعفة التسليح الذي هوت به غيرها ووارس بين قواها وقوى
غيرها وصبرت سنوات قسوة حتى تأق ما الفرصة لكل من المحتمل أن تترك
مطلوبها ولم تدمر نفسها هذا التدمير الذي جعلها في قيود أعداء بسبب هذه
التربية الفاسدة ، ولا شك أن المحرفة والثور تصدان البطولة والشجاعة
ويذهبان شمرتها المقصودة ولا يخصص بها إلا الحية والخسران كما قيل :

الرأى قل شجاعه اشجعان هو أول وهى المحلل الذى

وكذلك نقول فى انصاف وغيره كالتقول فى "لما"، لكن ليطالب أقرب
الى هذه الترية ولهذا كات أحط درجة فى أخلاقها. وكل أمه منشأ على هذه
الترية فلا بد أن تكون أمه عائشة بحافة بقوتها دون حساب ولا بد أن
تصنع ديبه حاسره، وكل أمه آمت بهذه الترية قد سقطت ولم يتمتعها هذا
الايمن لم رأب بأس لله ندى صه عليها، يذى أحداها وأعوانها على
الكفر وأعدائها على لاداء، من سنة الله التى قد حلت فى عباده وحشر هالك
الكافرون

ثم أحد فى مدح هذه تربية مكررا هذا المعنى. وقد عرفت ما فيه، وذكر
أن المسلمين يرون أنهم لا قدرة لهم على العمل وعمل، وأنهم عاجزون،
وأهم عن لا عمل الاخرى. وقد عرفت أن هذا كذب وخود وبها
لا يفتى على عاقل

فصل

ثم شرح بعد هذا بقول عن المسلمين اعتقادهم فى "نقصاء" ونفسر. فقل
عنه ما شاءت شيوته من كذب والفجور، وصرت صفحا عن عقائدهم
أهمه المشهورة وكسبه المعتمدة التى لا تعد ولا تحصى ولقد كان من
الواجب المبرور من على أنه بقول كلامهم الذى يعتمدونه فى هذا الأصل من
عقائدهم وكسبه انعموا بها. ولكنه يبرهنه لو فع هذا لتساعده نقول
على ما يشاء وشئى، بل يكذب بكذب صريحاً ونصاده عابيه ولا يمكن أن
يسقيم له مدح فى هذا الأصل "العظم"، فيها حاد عنه وخأ الى الخرفة اليهودية
وهى الهب والفجور والتحريف المنكر

فقال : هذا هو القضاء والقدر عند هؤلاء القوم الذين يلقون بهذه التعاليم
والأوهام بين المسلمين ، راعين لهم أبنا يوحنا الايمان بها ؟ يقولون ان
معنى لقضاء والقدر أشياء أولها أن الله سبحانه يحسن على الانسان منذ الأول
كل أعماله ويربطه بها ربط لا يفكك منه ، بحيث لا يحدى معه الارشاد ولا
النصح ولا محاولة الخروج ،

قلت : هذا الذي ادعاه على المسلمين في تفسير لقضاء والقدر كتب وغور
ظاهر ، فالمسلمون لا يدعون هذا ، فلا يقولون في معصية الله ربط
الانسان هذا الربط الذي لا يحدى معه الارشاد والنصح ومحاجة الخروج ، في
أى كتاب وجد هذا التفسير عنهم على هذه الصور التي ادعاه : ولكن في
تكذيبه . ثم يعلمون أن الله أنس الكتب وأرسل الرسل لهدائه احق وان
الارشاد والنصح الدين اشتملا عيبا قد أنزاه كثير من حقيق حتى حرجوا
من الصلوات والعبادات ، فلهذا يدعى في ذكرها عنهم بهذه الصفة كذب وزور
لا ريب فيه ، ولو كانوا يعتقدون ذلك لم يوجوا الارشاد والنصح والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر وعمومات والتعريفات بأوعاها ، وهذا كله
معروف بالشهادة والحق ، فكأنه مكابرة ، وكونه سبحانه عم ما اخلق
عالمون وكتب ذلك لا يدل على أنه ربطهم ، فليس العلم بشيء الذي سبق
ربطه ، فالربط شيء واعلم به شيء آخر ، فإذ اعلم الانسان أمور متقع من
أقوام فلا يقال به ربط أولئك الأقوام . فاعلم ربطا لا يحصى لهم عنه

ثم قال : شبهها - أن الله أوحد في الانسان الذي يعمل الشر الاستعداد
للشر في أصل خلقه وطبيعته دون الذي يعمل الخير ، فله تعالى خلق فيه
الاستعداد للخير دون الشر ، فقد فرق بينهما في أصل الخلق والطبيعة . فلا
يستطيع أحدهما أن يخرج عما خلق مستعدا له ، كما لا يستطيع بذر القمح أن
يخرج شعيرا أو بذر الشعير أن يخرج قمحا ،

فيقال . وهذا أصابته وجور كالمدي قبه . فما حكاها هنا على هذه الصورة على المسلمين ليس بصحيح . ففي أي عقيدة معتمدة وجدته . ومن حاصل هذه الدعوى أنهم يعتقدون أن الله تعالى حقق الحق من عنصريين متضادين لا سبيل أحدهما ما يقبله الثاني حين مثل ذلك بالقمح والشعير ، فاقمحه لا يقبل طمعه الشعير ، فلا سبيل شعيرا . كما لا ينبت الشعير قمح . وهذا كنه من الكذب الباطل . قال المنذر بنون أن الله تعالى حقق بي آدم من نفس واحد وخلقهم جميعا في نفس واحدة ، ففصلتهم بعد ذلك ، ولكن منهم من بعد فصرته لسبب إتيان صاحبها ، فبعضهم من تعاليم الله . ومنهم من تركوا فطرته كما تقدم الكلام على حديث الطهارة . وهم يدعون أن الله يخرج الخبيث من الميت ويخرج الميت من الخبيث . فيخرج الكافر من الإسلام ، ويخرج المسلم من الكفر . وقد سمع الكافر فيكون من المتقين ، وقد سمع المسلم ويسلح من الذين فيكون من الكافرين أو الملحدين . وأما القمح والشعير فليس كذلك . فلا يخرج القمح إلا قمحا ولا الشعير إلا شعيرا ولا يقبل أحدهما أو طبيعة الثاني ، وكوهم يقولون أن فيه الكافر والمسلم لا يتصل أن يكونوا على ما ذكره . فإن القمح قد يخرج فيه فاسد بالمرة ويخرج منه ما هو طيب صحيح وما هو متوسط . وكذلك الشعير . ولكن لا يستل أحدهما إلى صقع الآخر . فالدعوى كذب ظاهر لا ريب فيه

ثم قال ، ثانيا . أن الله قد أرصد طرق حفيه غامضة في سبيل كل اسم ما يوجهه بانهوة إلى الأعمال التي يعملها ، أو التي تطهر عنه إذا احترا التعبير الصحيح . أسباب حفيه (١) ويدون أسباب . فالخائن العاجز الضعيف مسوق

(١) كثيرا ما يصرح عن المثلث العبا بالأسباب الخفية إذا أراد أن يفتح فيها ويشوهمها ، ويلاحظ ذلك

الى جنه وعمره وصعفه بقوه لا يمكنه اخلاص منها. والشجاع القوى الجريء
مصدق أيضا نفس هذه الوسيله وانظر بقه بحيث يعجز عن المخالفة ، وهكذا
كل إنسان بل كل مخلوق .

فيقال : وهذا أيضا كالذى قبله بهت وجور ليس له نصيب من الصلحة ،
فن هو الذى ادعى هذا على هذه الصفة . بل المسبون يقولون ان الله خلق في
العبد قدرة واختيارا و ارادة بها يعمل ويرتكب ، فإما شاء ومن وان شاء تركها ،
وهو حر في فعله وتركه غير محبور ، كما - أن كما فيه هذا النص ، ولكن نحن
إذا احسن لتعبر الصحيح فـ : هذا هو عين ما تدعيه أنت في قدرة الانسان
وفعله ، فإنت قلت فيما تقدم ، والموجودات الموصوفة بالكائنات اجله ليست
إلا من الماده الحامدة ، والوأمس ان يحكم - أن تحكم بكنائس الحيه - إني
ورثها من أصلها الذى هو الماده . فلا عباره ان في كون الوأمس واحده
متفق في الحى وفي الخاد ، هذا كما ملك بحره ، وهو صريح في أن الوأمس
المولودة من الماده الحامدة هي التي تحكم الانساق وغيره من الكائنات الحيه ،
فهم مربوطون بطا قويا وثقا تحكمها لا خلاص نه منه أبدا ، فهو إني بحرى
ويعمل ويفعل بحسب ما توجه اليه فوجد حقه ، لأن حاكمه حكما طعما
ولا بد أن يكون سيرة مسجما مع روحها لتأمر بالعسورة الطاعيه ، فهو
يعمل مضطرا مقسورا على فعله ، فهذا من ادعيه بها وروا على المسبين
هو مقصى نظر شك واعتقادك ودعائك ، فكيف ترميهم بدلائل وتصهم
بهاك ، فعلى دعواك هذه في الوأمس الضيعه لا بد أن يكون صاحب الشر
مربوطا بقوى شريرة ، وصاحب الخير كذلك ، بدون اختيار ، بل بالاضطرار
الذى لا حيلة له في دفعه

ثم قال ، رابعها - أن الانسان الذى يريد الخير أو الشر لا يريد شيئا منها
بنفسه ، وأما الله العلاب هو الذى يحصى لإرادتين فيه لأسباب غير

معلومه (١) أو لأنه يريد أن يصل بعض الناس وشقيهم ويدخلهم النار بمجرد أنه قادر خالق؛ فإذ خلق هذه الأداة الشريرة في نفس الإنسان لم يستطع أن يعمل غير الشر، فسدع إلى الأعمال الشريرة بهذه الأداة، فيصير شريرا ولا بد.

فيقال وهذا أبصا من غلط ما فيه، بهت ورور لا صحة له لبنة كما يدعى، وانظر إلى الشر الخبيث في حذقه مقابل ما ادعاه في الضلال، فإن المقام يقتضى أن يقول: وإنا إذا أن يهتدى بعض الناس فيدخلهم الجنة برحمته خلق هذه الأداة الخيرية، إلى آخره، ويذكر هذا، بل اقتصر على قسم للضلال شوبها لسمعه نفسه، مع أن ما ادعاه في هذه الأداة على هذا الوجه كذب وجور فإن الناس مجمعون على أن الشر ليس إلا الله من الشر طمى سلبى، معناه عدم وجود أثر الخير، فالإنسان من حيث ضعه ووجوده غير مهتد وغير مستحصل على حبه لولا ما خلق الله فيه من بدور لحظرة الطيبة لتي هي موضع قبول خير، فمضى أعرض ولم يقس ما به تقوى وطرقه وتفسير من مصادر الكمال والقوة ولو كان شريرا، فلا يمكن أن يريد نطقه الخير ويريد الله منه الشر أبدا، بل إذا قدر الله له الاتصال فلا بد أن يكون هو يريد الاتصال (٢) فلا يكون إرادته لعدم متصده مع إرادته الله أن يمنعه الهداية إذا أرادها، أبدا بل هو برحمته عن العبد على إهدائه وإلإته والتوفيق، ويفرح بتوبة التائب كما وردت بذلك المصوص

وانظر إلى جور هذا المجد في ادعائه أنهم يقولون أنه يريد أن يصل

(١) من فوهم الحكمة لا يعلمها إلا هو، بقوله: لأسباب غير معلومة، فإنه الله ما أحصره على غلط الحقائق

(٢) كما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع، راجع ص ٤٤ العقل والعقل

بعض الناس ويدخلهم النار بمجرد انه خالق قادر ، ألا فحدث الله ما أحرصك
على الفجور واحتلاق الزور ، فبالعاس زمانه من هو الذي قال ان الله يضل
بعض الناس ويدخلهم النار بمجرد كونه خالقاً قادراً ، فانه لو كان هذا هو
السبب بكل الناس في احكام سواء فان سنة خلق الى الخافية والارادة سواء ،
والله سبحانه قد من بأوضح بيان أن دخول النار سببه المعاصي والكفر لا
سبب لقدرته والحق ، فلم عدل عن كلام الله وتكلم رسوله وكلام أهل العلم
في تعيين ذلك وذهبت بخرع خوراً من رأسك تسبق فيه ثم تحميه على
المسلمين حرصاً عن إثباته بهم من أعين الله عليهم ووجعه على ورحمة
عوم يؤسرون

ثم قال حامها أن الاسلام ليس عاملاً ، لا طاعاً في الحقيقة ، وليس
له القدرة على العمل على شيء ، والاسلام عديم عن مقتضى فهمهم التمسك
وتمسكهم الاسلام لا عمل اخلاق ، فكل الأعمال خير من الشرير التي
بعمها الاسلام في الظاهر أو عدا فيه عما هي تحت الله وصحة وحده ،
ولعل ليس له فيها الا الخيبة ، أي كونه محلاً له .

وقال فحدث الله وفتح من بعد كلامك ما أخص الكذب عنك
وأشد عداوتك لبيد وأهله . واعذوا الله من أن وجدت أن المسلمين
يعتقدون أن الاسلام ليس إلا محلاً وشرفاً لأفعال الله ، وأن الأعمال التي يعملون
في اعمد ما هي إلا أعمال الله وصحة وحده ^(١) في أي عقيدة معبرة وجدت
هذا ، ولا يحب من الربيق المرء انملوه قلبه حقداً على الاسلام وأهله لا
بل أن يقول هذا ويحوه ، فان تعالى في المفقين بآية "اعوذوا من الله فأنهم الله

(١) فادن كل خور بعمله لان من يعم فيه فهم يدسون به تعالى ، فانك
الله ما أعظم عداك للاسلام

أى يؤفكون^(١) وليس في المسلمين من يشك في أن من ادعى أن كل أفعال
تتم في الإنسان هي فعل الله ليس بعد فيها صنع وإنما هو ظرف لها أنه
كافر بخارج من الدين ، فكيف يكون هذا هو اعتقادهم ، وهم لا يشكون في
كفر من اعتقده ، وسأبقى كلام شيخ الإسلام ونقته الإجماع على أن العبد
فاعل حقيقة باختياره ، وسأبقى قول أنه الأشاعره كما صاحب العقائد المصنفة
فانه ذكر فيها أن العبد فاعل محض حيث قال ، وللعبد أفعال اختيارية مشهور
بها ويعاقبون عليها ، الخ

ثم الطائفة الأخرى قوله بعد هذا ، وقد عموأ أن من اعتقد أن الإنسان
فاعل حقيقته أو موحد أسمه حقيقته فهو الضرك^(٢) ، انتهى ، فكيف تصح
إزالة العداوة المسكرة للإسلام وأنه تصحها ، وكل عاقل يعلم أن حماد
أهل السنة على أن الإنسان فاعل حقيقة كما سمع شيخ الإسلام في عقيدة
الوسطية (عن أهل السنة والجماعة حيث قال ص ٢٣) وأما فاعلون حقيقته ،
هذا لفظه وسأبقى كلامه كله ونقله الأمام ابن القيم في (شفاء العليل) عن أهل
السنة ، ونقته شارح الطحاوية وغيرهم ، وأما كون الأساس نحن لأعمال الله
وظرف لها فهذا لم يقل به أحد من المسلمين ، بل كلهم تكفرون من يدعي ذلك ،
وأما ينسب القول بالخبر في الجهمية وقد كفرهم أئمة السلف كما نقته شيخ
الإسلام ، ونقل الإجماع على كفرهم الإمام أحمد في رسالته لمسدد^(٣) ونقته
الإمام الدارمي في الرد على المريسي ، ونقته عند الله بن أحمد في كتاب السنة
حتى نقل عن الحسن بن عيسى أنه قال ، ومن يشك في كفر الجهمية ، وتكفير
الجهمية أمر مشهور . فكيف ينقل هذا المنع عن المسلمين أنهم يكفرون
من يقول أن العبد فاعل مع أنهم يكفرون من يقول بالخبر المحض والأئمة

(١) مختصر طبعات الحاملة ، وهي أيضا في المدخل

بقوا الإجماع على أن العبد فعل وفي القرآن والسنة من إساد الأفعال إلى
الإنسان مالا بعد ولا يحصى من النصوص . ونعني لا شعيرة الدين بعدوهم
معالين في لقدرة لا يقولون أن الإنسان من وطرف لأفعال الله من يقولون
أن للعبد كسبا حقيقه ويمتنعون في إضلاق كونه محلا أو طرفا . و يعدون ذلك
مروفا من الدين ، ولهذا قال "سوي كما مر" . وبعد أفعال اختيارية يشوب بها
ويعاقبون سادها ، فليست لهم من أن كانت هذا المجد وأن يقول أن الله لا سلام
ليعرف أن هذا المجد لا يتم بمقدرة من الله وأحد من بيت وسبوعه
ثم قال . وقد كبر في هذه المسألة . وفي المعبود من الله صلال
فقط . لهذا في أن لا ينسج موجد فعه في أنه صادر عن فعل حقيقة
لا بحسرا . وهم سمون من يقول بقدره لا ينسج في المعطش
للإنسان قد به .

فمن كانه عطف به الحسن منه أحسبه عن معرفة دين الإسلام
ومداهب أهله ، وفداق . وهم سمون من يقول بقدره لا ينسج بقدرية أي
المعطين للإنسان قدرة . فمن هو الذي توجه له هذا القول المرور
المكذوب الذي لا يخفى فساده عن أي علم وكبر بكمهم المعبود له
يقوهم أن فيه قدره عن فعل حقيقة لا بحسرا ، وهم يحملون على هذا كما نقله
شرح الإسلام أن سببه في (تعقده الواسطة) ونحوها ، والدين كفروا
المعتزلة لم يكفروهم من أجل نسبة "فعل" إليهم حقيقة ، وإنما كفروهم لأنهم
جعلوا أفعال العباد غير مخلوقة لله أي خارجة عن مخلوقته . ونعنيهم أنكر كونه
يخلقها وأنه لا يهدي صلا ولا تقدر على ذلك مع تحريرهم بخصب كأكار
العلو على العرش وأكار السمع والبصر وأسمائهم . كلامه تعالى مخلوق ونحو
ذلك . وأما اعتقاد أن العبد فاعل حقيقة لا بحسرا وله قدره على فعله حقيقة
فهذا هو قول أهل السنة ، لكن المعتزلة يدعون أنه عمل بدون امشيئة .

وحقيقة قولهم أنه يعصى قهراً عنه ، فهذا هو الذي أنكره المسبون عليهم
 لا نسبة الفعل الى العبد حقيقة ، وقد بينا فيما تقدم أن هذا المعرور أسند أفعال
 العباد الى الطبيعة وبواميسها ، وصرح بأنها هي التي تحكم العلم ، وعلى هذا فالعبد
 ليس فعلاً لأفعاله حقيقة بل محبور عليها بحكم قوانين الطبيعة ، فهي التي تدفعه
 اضطراراً الى الفعل ، وهو محب وطرف لأفعالها وأحكامها ، وليس له اختيار
 وحرج عن مقصده هذه التواميس الطبيعية . وقد صرح بأن من حاول
 الخروج عنها هلك ولا يحسن ولا يفعله من يقول أنه مسلم ، ومعلوم أن الطبيعة
 ليس لها عقل ولا علم ولا رحمة ولا حكمة . بل عملها بعد عن اضطرار
 قسري ، فما حصل من تصرف منه من هذه حقيقته ، فصار هذا المبدأ أكثر
 من علاه الخيمته وأكثر من المشركن بكلمة القديس الحبر ، لأن أولئك الذين
 ادعوا الحبر حذروا منه هو لم يعلم . وإنما هو فقد جعل الطبيعة هي لمصاعلة
 وهي التي تجبر الناس على أفعالهم ، وأما رب عيسى فهو عنده معزول عزلاً
 تاماً عن ملكه ، ولهذا لم يستند إليه شيء من التصرف في هذا الكون في كل
 أغلاله ، غله الله بها ان يوم الله

ثم قال من قول إحدى العقائد المضمومة المبدوءة في الآخر انسى
 على عقائده على أوجهه مضمون مسلم . أو انسى يحاول هذا الاملاء ويسميه له
 املاءين . من قول إحدى هذه العقائد في تحريد الانسان من قواه

ومن يقن ، قوة المودعة وراك مدعى فلا تلتفت

أي من يقل بأن في الانسان قوة على أعماله أودعها الله فيه فهو مبتدع
 في الاسلام لا تمتثل به . هذا هو فهمهم للقضاء والقدر . وهذه هي مرلة
 الانسان بدينه .

فيقال : كل هذه التعاري في سائر هذه الأقسام كذب وخور لا ينبغي على
 من له أدنى إلمام بمذهب المصلين في هذه المسألة ، وحاصل ما ذكره

عنه أنهم يقولون بالخبر بل أشنع من الخبر، حيث جعلهم يتعرون أن الإنسان كالطرف والمحل لعمل غيره، وإنما طول هذه الأقاوس وتوابعها ليوم أن المسألة فيها اضطراب واختلاف وزاع فيجب طرحه، ومن عمق حشده وحببه ليكتسب الحق وعط الحقيقة أنه ذكر قول عدالة الخبرة من الحميه وقول المعتزلة فقط، وتجاهل ما عليه جماهير المسلمين الذين كان يدعى سابقا أنهم أهل العلم والدراية وأهل البصيرة في الدين وأهل أساع السلف، وهو مذهب أهل السنة والجماعة الصريح الواضح المدون في كتبهم بقرره ورواه في كثير من أمحاء المسلمين، فترك هذا الواضح الخلى وصرح به صراحة، وهو أن المد فاعل فعله حقيقة لا بحرا وله قدرة وإرادة واختيار على فعل واستترك، ولكن لا يفعل شيئا ففرا على الله، بل يدينه، هذا المذهب أعرض عنه كما يأتي كلام أنه المسلمين في تقريره، ولو أن هذا المذهب معروف كتب أهل السنة ويقرأ كثيرا منها لكان له شيء من بعد، ولكنه لا يريد من الحق، وإنما يريد أساع هواه، فهذا عمد لي أشنع قول قل في هذه المسألة ويدعي أن هذا هو اعتقاد المسلمين في هذه المسألة الأصولية يشوه سمعها بقصد رخصه، لأن المقصد الحقيقي هو الرخص فوصل الله بالشبهة فهو ذكر الحق لم يستقم له ما يريد، ولهذا انحدر سرعا إلى الاستشهاد بهذا البيت وبتدليله على الأقوال التي ذكرها بأن لسان طرف والمحل لأعمال غيره، وأنه ليس بفاعل، ومعلوم أن البيت يبين فيه أدق شاهد لهذه الدعوى، وليس في البيت ما يدل على أن من ادعى أن المد فاعل حقيقة فهو كافر كإرعم، غاية ما فيه أن صاحبه أسكر أن تكون الأشياء فاعلة بطبعها نساب أو بقوة فيها، ولم يتعرض للسان بل كلامه في القوى التي في الأشياء، والادسطة يعلم أن للسان اختياراً في أفعاله، فقد أثبت أن للسان كما وذكروا في المظومة نفسها كثيرا من الواحات والمخرمات وهي وأمر، ولو كان يرى أن الإنسان كاتطرف ولا قدرة له لم يؤلف العقيدة ويدعو إليها، من الظروف والحداد

والاشجار والحيوانات معجم لا تحاط بهم الكتابية ، وما دالك إلا لأهلها
لا قدره لها على هذه الأعمال وفهمها ، فهذا أدت ليس فيه دليل على ما ادعاه
بروجه من الوحوة ، هذا لو سلم أن العمل عليه وأن الملايين الذين ذكرهم
يعقدونه . وإلا فذنى عاقل يعلم أن هذه العقيدة فضلا عن هذا الدت من
حسن غيرها من العقائد التي يدرسها بعض بطونك امتنسه الى السنة وأن كان
فيها اعراض عن طريقة السلف بل كثير من العلماء المحققين كالحلقة وغيرهم
من أساع سلف ممنون أن هذه العقيدة بها ساع لا يصح الاعتماد عليها ،
وحماهر أهل السنة يخافون لكثير منها . من الأساب عندهم تؤثر بالقوة
المودعة فيها ، وانعد وعمل مؤثر بالقوة المودعة فيه كما صرح بذلك الامام ابن
لقيم وعنده كما ترى (١) وهذه العقيدة وأمثالها هي من أساب ضلال بعض
المطرف من الذين تمذهب في زمانهم فيطنون أنها هي عقيدة المسلمين وأن
أصل الإسلام هو ما اشتبهت عليه ، وما قرأ هؤلاء من أكار الحجة لقصد
بكار هلو هو اعراض وانكار تأثير القوى طل أن هذا دين الاسلام ولم يعلم
أن الحق عكس ما ادعاه صاحب المنظومة ، حتى ان صاحب العقائد لنفسه
وهو من أصحاب هذه المنظومة صرح أن المعاد أفعالا الاحبارية
يتناولها وما فهمت عليها . فالاستحاء الى هذا البيت في الاحتجاج دليل على
ربح هذا المجدد ، ساعه خواه ، ودعوه أن هذا البيت يدرس في الأهر لا
يت على أن المسلمين يعملون بمقتضاه ، فالأهر يدرس فيه عقائد كثيرة ،
حتى أن هذا الزائع يدعى أن عقائد الزايدة ويريد تدرس فيه ، وليس وجود
عقيدة واحدة تدرس في حاش من حواش ذكرها أحيانا دليلا على أنها هي
عقيدة المسلمين ، وإذا كان الأهر يريد إملاء عقائده على ملايين المسلمين كما

(١) ونقدم أيضا نصرة من بحث آخر بحث السابق

بدعى فيس إملأوه هو هذه العقيدة ، بل هو على عديم عقائد كثيرة^(١) وبعض الأقطار الإسلامية لا يحبرون إملأه هذا البيت ولا القول به لأنه باطل بلا شك مع كونه لا يدل على ما ادعاه كنته

ثم أخذ في الاستهراء بالأشعرية والسحرية بهم متبعها إليهم ما لم يقولوا به فقال : « فالإنسان ليس فاعلا وليس له قدرة على الفعل ، ثم احتلوا بعد هذا^(٢) هل يسمى كاسا أو يجل عليه بهذه التسمية وهذا لشريعتهم . قالت طوائف لا تسمى كاسا وإنما هو خير "سحت" والطريقة "سحت"^(٣) والاضطرار انطلق في أصغر ولأجل . وقالت لطائفة التي تدس آؤها وعقدتها في سر المهدي الإسلامية^(٤) وهي "طائفة المحسنة عن الأشعرية المنسوبة إليه اسماء أهل السنة^(٥) قالت هذه الطائفة بن سمية كاسا ، ثم عادت وأعملت معاول لتفسير وتأويل في معنى الكسب وبكاس مودته إلى خير المحسن تسمى لأعماله ، فقد قيل لها من العدد عن حقيقة قالت لا . قل لها

(١) وهذا المفروغ منه قد صنف منه سماعا (شيوخ الأهرم والزيادة في الإسلام) فادعى أن شيوخ الأهرم راغبين في الإسلام مبتدعين فيه ، وصلحهم في ذلك وادعى أنهم محللون لأنهم مسلمين في هذه البدع ، فكيف بها بمنح بوجود بيت في قصيده واحدة قد يقرأه بعض الناس في الأهرم كأنها هي التي يشتم عيبا فيه وحدها (٢) هذا صريح في أنهم اعفوا على أن الإنسان ليس بماعين وليس به قدرة ، لأنه قال : « ثم احتلوا بعد هذا »

(٣) من ثم هؤلاء الطوائف من المسلمين القائلون بأجر البعث والطريقة البعث الخ ، فانظروا الله ما أجزأك على الكذب

(٤) هذا كذب وخبر ، بل أكثر المعاهد الإسلامية لا تدرس هذا (٥) لكن أهل السنة عدد الاطلاق ليس هم لأنهم به وحدهم بل أهل السنة هم أوسع السلف وأصح الحديث كما في أوسع

من هو شريك في الفعل مشاركة حقيقية فقالت لا . فقبل لها هل هو سب حقيق في وجود الفعل الواقع فيه . فقالت لا . فقبل لها هل هو موجود له . فقلت لا . فقبل لها هل يستطيع أن يمنع من فعل ما وقع عليه من الأعمال ، أي هل هو مختار في حدوث الأعمال الواقعة فيه وفي عدم حدوثها . فقالت لا . فقبل لها ما معنى كونه غير محذور . فقالت هو أنه كاسب . فقبل لها وما معنى كاسب . قالت هو كونه كاسبا . فقبل لها هل هذا له حتى . قالت معناه مستلنا عقول^(١) . فالكسب عند الأشعرية هو الخسر في المعنى عند الحرورية ، والسمية بكاسب وكسب لا معنى لها . بل مذهب الحرورية أوضح من هذا لمذهب ، انتهى

وكل هذا ترثرة وهوس لا طائل تحته ، فانه اخبر ع ما شاء . وحافظ نفسه نفسه . وقدر أشباهه بعقله وأدبها وأجاب عليها . فهو مضطرب من الحرورية من هم . وهال هم من المسلمين حتى يحج علي بن أبي طالب . ثم هو مضطرب بما نقله عن الأشعرية في تفسير الكسب وهو لم يبين شيئا من هذا . ادعى أن الأشعرية يقولون بالخسر إلزاما لهم مع أنهم يسمونه صريحا^(٢) وهو من أعظم أساس مشافة ومعاذة لمن أمره بتصريح قوله . من ألزم الأشعرية هنا بأنهم يدعون أن لا عقول لهم ، وقد أفصح في هذا وغيره عن

(١) هكذا ادعى أن الأشعرية يدعون عن أنفسهم أنه ليس لهم عقول سلاسل حيفة يتعب الإنسان في نقلها والتفتيه عليها

(٢) وذكر أن الكسب لا معنى له فكسبي يفهمه لا معنى له عن إفاضة برهان على رده ، ولولا كراهة التطويل لقب كاسبا . وله وجهان . الأول ما تقدم في سنده (البروق) حينا ادعى الدجوي في كلام ذكره أنه لا معنى له . فحكم به هذا وذكر أن كله لا معنى له . لا يكفي . وأن كل أحد يفهم على أن يقول منها وأطاني ذلك ، ولكنه سقط على أم رأسه واضطر هذا إليها وإلى أمثالها بما رمى به أعداؤه

السرى الذى طرد من الأزهر بسببه من حس هذه المحاذي ، وفتح للناس باب
العدو في أعدائه الذين يصلوه وطرده مما أسح به في هذه الاعلال وغيرها
ويكفى القارىء أن يرجع الى كتب الأشعرية التي لا تعد ولا تحصى
فيجد تكذيب هذا القول الذى عراه اليم صريحا ، فاتهم صرحوا بان للانسان
فعلا اختياريا وقدرة على فعله وأنه غير محبور ، وهذا ادعى عليهم جبر وأن
الانسان ليس له قدرة على عمله . ولا ريب أن من أشهر ما يعمد عليه
الأشاعرة في العقائد هي (العقيدة السبعة) أول مؤمنها فيها ، ونعماد أفعال
اختيارية يشاؤون بها ويعاقبون عنها ، واحسن منها رضى الله تعالى ، وانقيح
منها ليس يرصده تعالى ، ولا استطاعة مع معص ، وهي حقيقة بمقدور أن يكون
بها الفعل ، ويقع هذا الاسم على سلامة التكليف والالات والحواس ، وصحة
التكليف تعتمد هذه الاستطاعة ، ولا تكفى لعدم نيس في وسعه ، تنهى
فانظر كيف صرح بأن العباد لهم أصل حاديه . ومعلوم أن المحر عسير
محار ، وكلامهم في هذا الأصل معروف مشهور وكله يقص نكده
ثم ذكر أن هذا الذى قاله عن الأشعرية في معنى التكليف من امداه
التي تقال مع تحردا من الحقيقة والمعنى ،

فيقال له : لكني عجزت عن الرد عليه ، وحقيقه كلامك هذا كله تحرية
واستبزاز فقط ، وقد كان من الواجب عليك إذا كنت تريد نقدر أيهم أن
تنقل كلامهم وترده بكلام صحيح معقون بدون نهك واستهزاء ، وأب لم تفعل
شيئا من هذا ، فنكتفى بمنع ما ادعى والمفاد تصحيح ما نقته ثم بيان فساد
والعجب كل العجب أنه أصال في دم الأشعرية وصار يدور على مداهم ،
وأعرض عن مذهب حماهير أهل السنة لدى نقه شيخ الاسلام ابن نميه
عن أهل السنة والحاجة ونقله ابن تميم وعمرهما ، وهو يعلم أن عقيدتهم صريحة
في أن الانسان فاعل مختار له قدرة وإرادة ونائير في عمله كما سيأتى ، فاقصر

على ذكر مذهب الجبرية والمعتزلة وبراء غيرهم . وهذا عين الحق بالباطل
وكنتم الحق مع العلم به

ثم قال مشنعا على أهل السنة رحمه بعد كلامه المتقدم : . فأعظم معاني
القدر عند هؤلاء وأظهرها أن الإنسان ليس فاعلا ولا عاملا ، وإي الخالق
هو الموحد لفاعر كل شيء ، ولا إنسان لا يعدو أن يكون محملا لما يسعى
أفعالا له . ونصاء هو التراجع من ذلك . فالعبد عندهم مجرد من كل شيء سوى
الطريقه . فهو عاجز عجزا تاما ، والله لم يخلق له قوة يفعل بها ، ومن قال بهذا
فهو كافر في رأيهم ، وعند المعتزلين منهم فاسق فقط .

فيقال لهذا المصحح لا محذور أكبر يهودي أن يدعى على المسلمين هذه
الدعوى احسنة كتب وخبرنا إذا كان مجرد ادعاء الإنسان على عبوده
سواء من يدعون دين وحياة نفس في الفرق بينك وبين اليهودي . وقد
تذكرت بها ما ذكره بعض المصلحين على حقيقة أمر هذا المعروف قال . حري
بهم وبينه مودة في مواضع من كتابه . فقلت له قد ذكرت أمورا كثيرة
في كتابك وعرفت بها إلى المسبب مما ليس له أصل . بل قد يكفرون من يقول
بها وأنت تدعي أن لها ما وكسرا من الطلبة يعرف مذاهب الناس وآراءهم ،
وهذا يقضي تكذيبك ورد كتابك كتهورهم قاموا عليك . قال فأجاب قائلا :
كل الذي قلته في كتابي في إمكان أن أخرج به معنى ولو بعيدا ، والأول غير
مبوع ، وأما المصنف "كتاب المعاني والنسبة" (١) من للرعياء والرؤساء ،
وهؤلاء أكثرهم لا يعرف حقيقة هذه الأمور ولا حقيقة مذاهب الناس فيها ،
وهم الذين تأييدهم أمره الأمور ، وهم اذ شاءوا تصده لا يمكنهم جمع العلماء
وسؤالهم لأن ذلك صدم . وقد يختلفون بينهم فيكون ما قلته موافقا عليه

(١) أي الذين يعرفون مذاهب الناس

معصم على الآخر . لأنه لا يمكن أن يقوم أحد منهم بمقتضى في هذا ، وقد
 تيقنت أن من هذا أساسا موافق لي في هذا ، وذكر كلام طويل هذا معناه .
 ولا شك أن ما ادعاه هذا يؤيد ما ذكر عنه تأييد طهر . فله أن إلى أمور
 واضحة قد صرح عنده الاسلام بها كمر فبدعي أنها مذهبهم وأنهم يكفرون
 من فعلها ، ولهذا نسب الأشعرية إلى الخسر الخس وأنهم يقولون أن العبد
 ليس إلا ظرفا لأعمال الآخرين ، وأنه مجرد من كل شيء سوى الظرفية ، وأنه
 عاجز عجزا تاما ، وأنهم يكفرون من يقول أن الله خلق في العبد قوة يفعل
 بها ويستقيمه . ومعوم أن الأشعرية ينكرون هذا وأكثهم يكفر الجبرية
 المختصة الذين يدعون أن العبد طرف لأفعال الله وأعمال الآخر من لا قدرة له
 على عمله

وقريب من كده هذا وفيه ما سمعنا وسمعه إلى فقهاء الشافعية بأنهم
 يوحون على الالسان أن يتوصأوا . قال إذا كان الماء فيبلا لا يكفي للوضوء
 حيث قال في ص ١٤٦ وهذا عطه . وما يقرب من هذا وإن كان ليس منه
 ما ذكره فقهاء الشافعية فأولوا واحد جماعة من المسلمين ماء لا يكفيهم للوضوء
 برهم أن يقولوا به ثم يتوصأوا منه ، انتهى لعطه بحروقه ، فب هذا القصور
 إلى فقهاء الشافعية ولم يذكر مصدره ، وقد علم الخصاص والعام أن الشافعية
 يحكمون بنجاسة الماء إذا كان دون عتلتين مجردة ملاقة النجاسة وإن كان لا
 يدركها طرف وأنه يحرم استعماله في وضوء وعمره ، وكلامهم مشهور في
 رد هذا لهت في أدنى كتاب من كتبهم وفقهه (١)

(١) وبهم استغذ عن المسلمين بأنهم يرون الجمال ثم لعصاف ، مع أن شيع
 الاسلام محمد بن عبد الوهاب ذكر في كتاب شكبائر أن الجمالة من لشكائر واستند
 عليها بالنصوص ، وأمثال هذا كثير جدا

ثم قال ، وقد اشتدت المسارعة في تصور الأولى إيمان نشوء الفرق والمذاهب وتكوها بين هؤلاء الذين يسمون أهل السنة وبين المعتزلة ونقابوا بكل سلاح استطاعوا الحصول عليه ، ولكن كانت تعبته في سبابة لمن يسمون أهل السنة ، فاندحرت جيوش الاعتزال بل قضى عليها حتى لم يبق لهم اليوم بقية معروفة . واحتجبت كتبهم وانقرضت وصارت عقائدهم لا تعرف في الغالب إلا من كتب خصومهم عندما يذكرونها لثلبها ونسبها ولتشهير بها وبهم ، فاصح للناس كلهم إلا من شاء الله من أهل السنة أي من الأشعرية ومن إخوانهم المشايخين لهم في كل شيء (١) .

فيقال : كل هذا حجة عليك ، فانك عقلت بأن القول بهذا المذهب يوجب الضعف والتأخر ، وأن مذهب الاعتزال عندك في هذه المسألة أصح ، فلم لم تضعهم هذا الاعتماد وقد مكثوا مئات السنين على أكثر منه ولم يقم لهم فائدة ، بل عسيهم هؤلاء الذين تشيع عندهم وتسمى أن مذهبهم في القضاء لا يمكن أن يتقدم به أمة . ثم دعوك بأن الناس على هذا المذهب دعوى كاذبة ، فقد علمنا الثقات بخلاف مذهب الأشعرية في القدر والقضاء أهم لا يقدم ولا يخصهم إلا الله ، بل قد يكونون أكثر منهم في سائر الاقطار الإسلامية ، وقد ثبت أن مذهب أهل السنة والجماعة هو خلاف مذهب المعتزلة وأقرب إلى الاثناس من مذهب الأشعرية كما يأتي في كلام شيخ الاسلام حيث قال في (العقيدة الوسطية) التي ذكر أنها عقيدة أهل السنة والجماعة . فقال في مسألة القضاء والقدر ، والمدد معلون حقيقة ، والله خالقهم وخالق أفعالهم ، والعبد

(١) فبحث الله ما أسرع انحرافك ، وقد ذكرت في كتابك الأول أن أئمة المسلمين من أهل السنة وأتباع السلف كافة يحذرون لاكثر أصول الأشعرية ، وهذا يدعي أنهم إخوانهم مشايخهم لهم في كل شيء ، فهل هم مشايخهم لهم في هذه المسألة والكلام والتحسين والتفحيع وكثير من الصفات الخيرية وغيرها

هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلّي والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ، ولهم إرادة ، والله خالقهم وخالق إرادتهم ، فانظر كيف صرح بن للعباد قدرة على أعمالهم وإرادة وأنهم فاعلون حقيقيه ، فاعتقاد قدرتهم وإرادتهم واحتيازهم في إيقاع أعمالهم لا ينافي كون الله خالقهم وخالق أعمالهم ، فانه سبحانه هو الذي خلق العبد وخلق حواسه وقدرته ومشيئته ، فكله بحسبه وروحه وعقله وإرادته وأبه مخوف ، فاعماله من أجل هذا بخوفه لله ، لا أب فعل الله ، فيجب أن يعرف العرف من الفعل والمفعول ، فانعد هو الاصل الشارح المصنوع ، وكله وشره وحسنه وخوفه من مخوفات الله ، لا أن الله سبحانه هو الذي فعلها من عند هو الذي فعلها حقيقة لا محذور ، وسبب في توضيح هذا ، خلق الشيء بمحض المراد ليس دفعا له على فعل ما لم يرده من يرد بقبضه ، فخلق شيء وإرادته المختار امر في شيء آخر ، وليس تعرض بشر هذه المسألة مراد به وإنما تعريضة لأن هذا موضعه كتب الأصول المبسوطة ، وإنما المبسود بيان كنهه وأن ما ادعاء على المفسرين على هذا الوجه كتب ظاهر وبرهان على عداوته لهم وأنه يحاول به انتفاع لعداوتهم من البرهان والعباد وبإثارة الفتن لأغراض قد نبهنا عليها فيما سبق

ثم ما فرغ من فن هذه الأقوال وأصاف لها ما شاء من مثبت والمحمود أحد في الشيع وحمل في آخر وصعب عليها وعلى لعناء لقائين بها على عادته في بحرنة أوهاجه بن بصورها على غير حقيقته ، وقد ثبت أن ما ادعاء كذب ، وداطل الاصل عريف بطلان لمصر وعرف أن سب لنا آخر غير ما يدعى ، ولو لم يكن من ذلك إلا أن لمعتله لا يرويه ومع هذا صرو أعظم في سبنا آخر من اثنتين له ، فسب لنا آخر هو تقصير في حمل المكتات ولسته ، فهو التقصير بالاستقصاء من نور الله وأحد القوة من روح المكتات العريز الذي جعله الله هدى وبورا وشقاء ورجفة وبصائر لمن آمن به وعمل به

وعنى على كل من أعرض عنه واتى الهداية من غيره

فصل

قال : نادى فى جموع المدين منكر اعدىهم احبصصهم بادل والاستعداد
دون العالمين . فابهم سحسوك انه قصص والقدر . من شاعر أو صاع أو
رارع الخانة أنت صعب فقير ، وفلان من الاحباب يملك الصاع والمسدح
والمصاع والاموال العصبه ^(١) فسحسك أصا ^(٢) "قصص" واقصد كتم من
شفت لما شئت منكرا أو مدسا أو مسفهما ^(٣) فسيسمع اخواب أصا ^(٤)
القصص والندى . فتمقصه ونقدر هما ^(٥) . وصبح انقص . وهما شيب الصاهر
المعقول فى كل فذل وفى كل هو ان وعوده . وفى كل غروصه وفقره وفؤس .
فقال كل هذا كذب وجاهل . وليس به أسس من نصحه . ونحن نكسب
فى دحر هذه الدعوى بان نتحدثه فتقول له . ان كنت قد دعا فى دعواك هذه
فادخل أنت فى جموع المسلمين . وند هذا سدد . فى أجوبك بهذا فأنت
صادق . ولكك لا تظف بهذا لإحابه أند . ولا تسمع عاقلا واحدا يحدث
هذا الرعب الذى يدعيه . ويلينك بحرب هذا الصغير "الصغير" والعن وبنصف
فى وجهك ووقع فى ورطة لا تخلصك منها

يا طعام زمانه . لو كنت هذا لستاد لادوك أنواع العذاب والتكال
وقالوا لك بعد "فمن لك ما تستحقه" . بها يسوب والمعاصى والإغراض عن
الدين والتفرق والاحلاف وعناد الاحلاق وتحكيم الطواغيت فى شرع الله .
انك لو ناديت ألف مرة أو أكثر فابهم لا يجيبوك إلا بهذا أو ما هو معناه .

(١) يعنى من هذا أن كل مسلم صغير ففقره . وكل كافر كبير ناجر عظيم كما نرى
(٢) فعلى هذا لو لم أحد أحدنا على الرما والسرقه لأجاب أنه انقصه والقدر .
هكذا تكون المجاهرة بالقصة .

يدل على هذا دلالة واضحة حلية ما هو مشور مشهور في الكتب والمجلات
والجرائد المعتدلة وغيره ، فان ليس فيها كلها ما يدعيه ، فبعض منهم أحد
يقترن اذ ما بحث في أسس النحر على انحصار والتقدير ، ولا يعرف عاقب
تفوقه ، بل كل منهم يتكلم ويعلن بما يراه من الأسس الأخرى التي حاصرها
التقريب والتقصير في الأمور الدينية وسيبويه ، أما أن أحدا منهم ما ينعم
رمانه — يحمل عبدة كل مصلحة على قضاء قط كما يدعي فغير صحيح ، بل هو
من الكتب النادرة والهدايا المردودة ، ونؤمن بهذا الرأي الذي تدعيه
لشرويه وعموده وكل معروف مشهور ، الذي الحاصل والعام ، فإذا كان الأمر
خلاف هذا فكيف يحبون من ينادي به **العلماء** خلاف ما قالوه وكسروا
وصرحوا بخلافه ، فلهذه الثورات والاعتراضات التي تدل في سبيل
كل مصلبه ، فمن نظر إليه يثورون ويرعون وتقومون "تقصير" وقد إذا
كانوا يحضرون العلة في ذلك كما تقول ويدعون سبل ولا حياء . يا بلعام
رمانه ومطبخه شطاه ، فمن لتاجر أو صانع أو عارف مؤمن : لماذا أنت
صغير فقير في هذه الأمور دون بعض "الكبر" ، فلهذا عليك من ذلك سبب
تصل وتقصير في طاعة ربي ، وحين تعرف هذه الأمور فهو قلت له
فلماذا كان الأحسن أكثر منك صانعا وعارفا وهو أشد فقرا بطاق انصافه
بل لا بد منه ، فيقول لك ليس كل أحسن أكثر من صانع وأكبر نازله ،
بل يوجد في الأجانب ملايين لا يحصى أقل من تجارة وصيانا مع ما هم فيه
من المصائب المتنوعة ، وإذا وجد فيها من هو أكثر من في المسلمين من هو
أكثر منه ومن كان مثلي منهم ، فإعني الله من حلاوة الايمان ونشاط
الروح وقوة القلب وعمرة النفس والأسس به تعالى خير مما أعطاه الله من الريادة
بالنسبة إلى ، ونفهي في التجارة أسهل من تقصير في الدين ، وقد حصلت
المساواة بيني وبينه في نوازم الحيلة الضرورية . وأما ما أراد عن ذلك فان يكن
راد على في نوع واحد كالتجارة فقد رتب عليه في أنواع أخرى من صروب

الحياه ، فيس لي واحدا منهم زاد على في كل شيء حتى اقتنعتك أني قد زدت عليه من ناحيه أخرى ، ولو لم يكن من ذلك إلا عزة الايمان وراحة الصميم ، وعابه ما عندك أن تدعى أن فيهم من قدر زدت على في التجارة ، وليست اللذة كلها محصوره في التجارة فقط بل كم في الدنيا من تحرة مريرة قد أهلكت صاحبها ، فأسباب اللذة والنعيم ولراحه كثيره جدا . والتجارة سبب واحد منها ، فلا يسوع في أن أبيع . أن من في دني وغيره من أسباب الملاد الأخرى سحره عسير تحته . بعد . ونسب . كما لا يسوع لك أن تتجاهل وتدعى عمالدي من فضله وحسنه والفرح بذلك وتجمعه شئنا صغيرا وتعظم أمر التجارة وعن أحد من الخصال . أنا أرى غير رأيك وأعرف من نفسي ما لا تعرفه أنت . هذا هو المنهج الصحيح في كل مؤمن عاقل ، أو ما هذا معناه . أما أنه يحسن نفسه عن نفسه والحمد فقط فهذا لا يفعله مؤمن أبدا . بل لا يهمل إلا من هو من يحزنك لمبغضين تشكر في الله ودينه ، فيحزنون أنفسهم ونفسك أنت لأهوائهم لا إيمان بها كما قالوا و أعطهم من لو يشاء الله أنطعمهم . ثم لا في صلاتهم) والمسلم اذكر القضاة و عدد أجيال عند المصائب . بعد . فليس مقتول صحيح ، فلا يذكرهما محررين ويحبسهما . بعد . أو هما سبب المضيئة لا لاجل دس ونحوه . والمعجب من جرأته في قوله . بعد . نفسه . بعد . هذا الواضح المقبول ، أع ، فلا بد من هذه . بعد . أو وحى من الشيطان أدخله في روعه . أم شيء هدى به ولم يعرف معناه وعشى تبعه ويراقب بيحته ، أولا أنصرت عيابه أو عينه وطوى سمومه هذا الكرماع المواصل والمشرعات الدائمة والثورات المتتاعه ، وكم لم ير هذه الأعمال المختلفة المتنوعه التي يقوم

بها المسلمون من المعارف والعساكر ودرجات والمجارات والصناعات وغير ذلك ، فلا شيء وصفت ، ولا شيء بذلت ، ذلك كان القضاء ولقد هما العذر المقبول ، أفلا يسبح قدر ملعه من علم أن يتعود بهذه الترهات المحرمة والفصائح المكشوفة ثم دعواه على المسلمين بأنهم يحتصون بالدليل والاستعداد دون العالمين بهذه رحى رحى وإضافة حيث إلى حيث ، متى كان المسلمون محتصين بالدليل والاستعداد دون العالمين ، وأنت ترى أنما كثيرة في عهد من أذكر من معارفها تسمى بمقصود ما لديها أن لم حصل لها من العلم والسادة منس ما حصل للمسلمين ، مع أنهم ينكرون لقضاء والقدر وقد لا يوافقون كما يعرفون المسلمون وقد تقدم ذلك أول الكتاب أن هذا الاستعداد لم يخص به المسلمون بل احتاج غيرهم ، فكيف تدعى هنا أنهم احتصوا به من دون المسلمين ، وكل مسلم من كل عرق يعلم أن عثرات التي فقد المسلمون فيها عزمهم "منظم" ويحدهم "كثير أقل من عثرات التي صرت بها هؤلاء العربيون بالله والاستعداد ، فإن أولئك مكثوا آلاف السنين في أصعب حياه وأدلى استعداد بخلاف المسلمين فاهم بأولاهم بالمجد وصحابة الشأن وغزو لسيده دون ألف سنة ولم يفتقدوا ولا بعض عزمهم في منازعات قصيرة سبب إعراسهم وعصيرهم في أمانهم "عثرات" والله المدين قامت عليها حياتهم ونجاتهم وعزمهم ومجدهم الأصل

والعجب الآخر من حثه العمق في قوله ، وهما العذر الواضح المقبول في كل فتن وهول وعودة ، وفي كل عجز وضعف وفقر ونزول ، وسكت عن صدق ذلك ، وكان عليه أن يقول ، وهما الخفة في كل نصر وعز ونمكين وقوه وعنى وثروه ، فانه من المعلوم أن من يحتاج بالقضاء ولقد في شيء من أمور فانه يحتاج بها في الخير وأشر مساواة ، ونحن نعرف الكفة في ذلك وهو إنشاء هذا الأصل الديني بكل وسيلة ، وأن الإيمان به يجر إلى الشر دون الخير

ثم رجع فأخذ في تكرار ما سبق بأن المسلمين يرون أن الإنسان ليس
 بفعل وأنه لا قدرة له على الفعل ، وقد سبق الجواب عن هذا مرارا كثيرة
 ثم إنه أورد على نفسه اعتراضا أحدهم بالحق ، وذكر ، أنه لا يصح أن
 يرفع من شأن عقيدة القضاء والقدر ، ولا أن تحمل كل هذه الأعمام ، لأن
 يرى المسلمين عامة يعملون أو يحولون أن يعملوا ، ولم يرم تركوا العمل
 محتجين بالقضاء والقدر ، فهذه العقيدة على حسب ما ذكر هنا - وإن كانت
 باطلة - إلا أن المسلمين لم يفهموا منها ترك العمل أو ترك القسم بالواجبات ،
 هكذا أورد هذا السؤال الزكث ، وهو وإن كان قد أوردته وصاعه على
 حسب هواه وشهوته لا على حسب الواقع فهو يضل دعواه من أصلها وينقصها
 نقضا بيضا ثم إنه أحال على جوابنا ، قط حيث متناهى حاصه أنهم لم يعملوا
 جازمين بالسحاح ، بل حقيقة حواه أنهم لم يعملوا كافرين ، نقضاء والقدر
 والمشيئة ، ولو فعلوا ذلك لتجمعوا ، فقال :

« إذا قل هذا قيل في الجواب ما أعظم ما نحى على الإنسان نفسه ونحو
 عنه حقيقته (١) أجل ، بل المسلمين يأبون شيئا كثيرا من الأعمال الصغيرة ،
 تدفع إليها في أعالي العرش كما تدفع المخزقات الأخرى ، أو يدفعهم إليها
 انقصر القنق المشوش (٢) أو يدفعون إليها رغبين بهم مأمورون بها بعدد
 وتكليف فقط (٣) كما كفوا بالصواب والدعوات ، لا لأنها بعيدة بها ، أو

(١) يقال هو ذا أنت ، أي ، حيث عدت لما كنت من المحب واليه وانسكرك ،
 فلم تعرف قدرها فوقع في ، وقعت فيه

(٢) هذا منقوص بأن الفكر نفسه لا يدفع أحدا ، بل يدفع متعلق الفكر ، ولا
 يد من يراه

(٣) هذا منقوص بالافعال المدونة المحض ، ومعلوم أن أكثر الناس لا يفعلها
 تبدا ، ثم لو فعلوها تبدا حقيقيا لكان أقوى

يدفعهم غير ذلك من الأغراض الصغيرة^(١) . ولكن هل اعتقدوا أن أعمالهم تسعدهم ونسقيهم ، أو تفقرهم وتعنيهم اعتقادا جادا ، أو اعتقدوا أنهم أحرار يختارون فيما يأتون ويدرون ، وأنهم إن شاموا فعلوا ولا يركوا ، أو اعتقدوا أنهم فاعلون عاملون حقيقة^(٢) . أو أن لهم قوة دابية . أو أنه بس هناك قوة حفية - وهو ما يدعونه بسر بقدر - تعمل أندا على توحيتهم عيم الحبة التي يقصدون ويريدون . إلا سب غير أنهم صاف عارون ، وأها هي - أي العوام^(٣) - قاهرة قوية . أو اعتقدوا أن النتيجة تأتي على قدر الوسيلة دائما حرام وفاقا . هل اعتقدوا شدا من هذا ؟ وهذا كله اعتقادات صحيحة لا يشوبه الشك ولا يردده الرب . كلا ! لهم لم يعتقدوا شيئا من هذا ، فكيف إذن يرحى هم أن يعملوا نعم ولا تفصى بهم إلى السحاح والجحيم لمن .

قلت : فلينظر المسلم المنتصف الميور على دمه إلى مافي هذا الجواب من الفقاق والاضطراب وانتهت وكفر واحاثت في لا عصى . ولدى أولجه إلى هذا المحور والعش والتهت اعطيت محاربة الحصص من هذا الايراد لدى هو كالمعدن الذي حققه نفسه فطش طشه . وولا أن الله تعالى ذكر عن أعدائه ما بسوه إليه من "معدن" في محكم ليدل على استطاعت أعدائنا أن تفن من هذه الكفريات والجراة العظيمة على مقده الربوبية شدا

(١) من أين له أن لاغراض التي يدفعها صغيره . هذه دعوى مجردة لا أساس لها منجارية

(٢) قبلك الله على هذا الهذيان . نعم هذه الأعمال إذن ، هل اطلعت على قلوبهم . لو أنك قلت ، هل عملوا كافرين بالقدر ، لا تحشرت الكلام واسترحت من هذا الطوخ والتبجح المرير

(٣) ليبر اسم ميور إلى هذا الكفر اعطيت . من أحد سب لله تعالى وقبح في مشيئته وقدره مثل هذا الرشد الملعون . أن عبادة دينيه على لاسلام فلن الله من قال هذا ورضى به

فقوله «وسكن هل اعتقدوا أن أعينهم تدمدم أو تشقيهم» إلى قوله
«إنهم فاعلون حقيقي» فقال في جوابه

وليس يصح في الأدب شيء إذا احتاج التبرير إلى دلس

ولا شيء عملوا هذه الأعمال، أترام عملوها مصادفة وحنوا وعضلا،
وهؤلاء دلس هل كانوا قبلوا في ثورا بهم وعبرها أترام فصررو فيها وعلوا،
لا ثبث لهم من عملهم ريث الأعمال لا اضطرب لها من السعادة والشقاء،
معتقد أنهم فاعلون حقيقي، وأنت لو تاملت أليس ليسك في أن فعله
ليس محالاً بل هو حقيقة كل من لم يعرف الفرق بين الحقيقة والمحال لا
يشك في نفسه أنه فاعل، وكان يجب عليك أن تبين أن أعمالهم محال، لأن
الأصل الحقيقة وأنت مدع خلافها، وسكن نحن نعلم أن مرادك أنهم لم يمدوا
كافرين، فقدور، يقول حدث لا ثبث في أكثرهم، فمن كان اعتقده الله
وفدوره، فإن كان لا بد من وجود هذا الشرط عندك في الإحراج، كما صرحته
به في المواضع الأخرى، فثبت أنهم مستبعدون فقد حلت من غير أن يعتقد
لقصده، والتقدير كما اعتدده لمسلمون وقد برزت في هاوريت، الحقيقة وما خرجت
عنها وما كان، يعني لثبث من هو على عقيدته في الإلحاد أن يكذب عليه
الحسرات، وتثبت نفسه بهذه الأفعال البعيدة، فدعى هذه الدعوى طوبى
ملتونة، ومعها مفهوم عند كل عالم، وقد بينا أن أئمة المسلمين من أهل
السنن واجماعهم يسمون على أن العبد فاعل وكاسب غير مجبر، وأنه فاعل حقيقة
كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (مباحثه) ص ١٢٧ ح ١ «وأما سائر
أهل السنة فيقولون بل فاعل العبد فعله حقيقة، ونقدم قوله في (عقيدة
أبواسطية) وللعبد فاعلون حقيقة، أي قوله، وللعباد قدرة على أعمالهم
وإرادته، ونقدم قول القس في عقيدته المعتمدة عند لأشاعره «وللعبد أفعال
أختيارية يتأبون بها ويعاقبون عليها إلى آخره وهذه العقيدة تدرس ويعتمد

عليها أمر هذا مذهب المسوع ، فكان ما ادعته على مسير كده وبها
معلوم الفساد

وقوله : أو أن فيهم قدرة ذاتية ، يقال هذا مكرر مع ما قبله ، فإن عذبت
أن فيهم قدرة ، ضاع معلون بها سبون قدر وقضاء ومشيئة وإرادته ، بل لو
شاء الله منهم فعلا وشاءوا هم فعلا ، أحر غالت مشيئتهم مشيئته لله - فهو ما لم
يعتقدوه ، وقد اعتقدوه بعض الملاحدة في معيهم وإن أردت أنهم فاحسون
بأنقرة المودعة فيهم أي فاعلون حقيقة بمشيئته تعبدا فقد مد أن هذا قول أئمة
المسلمين فلا حاجة لك فيه .

وقوله : أو اعتقدوا أنه من هناك عم من حصه - وهو ما يدعونه بـ
القدر - فصل أولا على توجيهم غير أخيه في بقصد من أخيه .

يقال : نعم فالمسلمون لم يعتقدوا أن هناك عوامل حصه هذه الصفة ، وإنما
اعتقدوا أن هناك مشيئة على مهيمنة على كل الوجود ليس لاحد وقد ه على
قهرها ومعادها ولا تنصار عيبا ، واعتقدوا أن عملهم في أقدارهم الله على فعلها
نعم مشيئته الله لعامة ، وأنه سبحانه العزيز الرحيم يهوف الله هو أرحم بعبده
المطع من لوالده بولدها ، انعيم حكم الكريم الذي وسعت رحمته كل شيء
فشمس فصله وإعناهم حتى المجدد من برزوه بأسب وتقدح وهم يسرحون
ويبحسون في معرفته انصافيه ، فكل هذه حيزت واعتدت الموحدة في الدنيا
التي تنقلب فيها هذه الخلاق المتوردة العانة إلا تقيس فيها أثر رحمته وكرمه
وهجسته . نعم هم علموا أن فوقهم مشيئة الله التي رخصوا بها ومولى ، فمنهم
المولى ونعم النصير ، ولكنهم لم يعملوا على أن يعاملوا حبه موصوفة بالصفة
التي ادعيب الله إلا أن يكون هناك ما يقون يرون هذا وأنتك منهم ،
فهذا هو الذي يطابقه ما تدعيه وتدعو اليه

يا لعلم ربه ، أين وجدت أن المسلمين يعتقدون أن بينهم وبين الله

عبادة ، وأن سرّ التقدير يعمل أساساً على توجيههم لغير الجهة التي يقصدون ، وأنه
 بحسبهم شرف زعمهم أناس رعوهم إلى آخر ما هربت به ، ولعلك كنت تعتقد
 هذا فيما سبق فصدر من الأساس التي أوقعتك في الزلة والاحاد ، وقد تقدمت
 آياتك التي تدعي فيها أن الأساس برادع كذا إرداد حوره وكفره ، وأن
 أساس والدينا حوائج من كفر وحار ، لا شئ أن من يعتقد هذا فقمين أن
 يعتقد العوضي وأن يرتد بعد إسلامه ، ولا سيما إذا ضم إلى ذلك أن حيث
 اعتقد على وجه الأرض وهو الكفر بالقضاء ، وتقدير الذي يحكم العالم
 ثم انه زاد خيئاً إلى حقه في قوله ، لا سبب غير أنهم ضعاف عاجزون
 وأنها - أي العوامل - قاتلة قويه ، تجعل هذا الملاح كل عقوبة وملاء بسبب
 ضعف الأساس ، وقوة الله ، وصحة صحتها عن هذا "كفر العليص ومصادرة
 الله للأول" ، بلعاض واحد ، فم يحسن مقومات أثر الأساس ، بل حدها
 سبب التقدير وعدم الأساس ، ومن وراء هذا كفر وزندقة ، وقد نسي هذا
 المحدث أنه أسند هذا إلى "والمسألة الطبيعية" فهي عنده التي تحكم العالم ، وهي
 "وهي التي تجعل هذه المظاهر محركة" ، لا أن لا رحمة لها ولا علم ولا
 حكمة ، والأساس صمد لا قوة به عن مصروفه وهي لا تسمع ولا تجيب ،
 وهذا عين الفوضى ، وكل مسلم عاقل يعرف أن عرشه من هذا السب وقدر
 هو تشوّه سمعه الأول ، وانتهى عنه وعن أصوها كالمصموم ، وأنه
 تعالى لا يصرف في ملكه ، وأن الإحسان والعدل وأبين الحكمة على مقتضى
 نظامه ، ولم يذكره رحمة ولا فصلاً عن عبادته في أعلاه كلها ، بل جعلها كلها
 محوياًها معاً ، فأنكر دعاءه ونسبجه وعبيده وتقديسه على المسار
 وعبادته في المساجد ، وحسن ذلك شراً ، فدى ومصرفاً حيثاً ، ومشيتته جعلها
 قوى حمية معانده الأساس ، وفي موضع آخر يفتي وصفه بالحكمة ، ثم قصد
 إلى أن كل فاعله وهو مع شخص "شرك" تصرّح بوجهه ، إلى غير ذلك من
 الغصاع التي لا تعد ولا تحصى

وحاصل كلامه رفته في الحواب على هذا السؤال الذي أحد منه بالحق
 أنهم لم يعدوا حارمين أن نواصب لضبعه هي التي تحكم العالم ، لا دخل لقضاء
 وقدر ومشيئة في سيرها وتفاعلها ، وأما هي التي تسعد وتشتي وتفسد وتعدل
 وتقدم وتؤخر ، سادتها ، فهو فعلوا ذلك سحجوا . وقد علمت أنه حواب في
 نهاية السقوط ، فإنه يوجد شعوب كثيرة ملحدة مضروب عليها أعظم الذل
 وهي لا تعتقد بقدر ولا بقضاء ، وما معها هذا الاعتقاد شيء . وأقرب الناس
 إلى هذه الأمة هم المعتزلة في بني المعتز والقدر وهم أدنى وأرذلهم يتقدموا في
 وقت من الأوقات على غيرهم من المانحين بالقضاء وقدر ، فهم أن اعتقاد
 القضاء وقدر ليس له أي علاقة في السحر الذي يدعيه

وقد سبق كأنهم هذا المعروف واسمهم في ذلك الخطيب الذي حث الناس
 في خطبته على السعيا ، وأن الناس لو دعوا مؤمنين ، لاجبة لأحدهم أو لآخرهم
 دعوا غير مؤمنين ، لاجبة لهم بحقوقهم . وسرأ أنه على هذه وتلك كلامه غاية
 انتباهكم كما سبق . وهذا عرض عنه أن الناس ممنون أعظم من أصلة
 ومع ذلك لم ينجحوا أحدا . والكلام في حاشية أبيه لا ممنون كما هو من القدر
 حارمين ، السحج ، فهو فعلوا ذلك سحجوا . فسر كيف انقلب على رأسه وانفصح
 وتناقض ، فيه من المعلوم الذي لا يسر في عائق أن عمل الناس في دنياهم
 واجتهادهم في تقابل والخير من عاينوا وتعلمه عندهم ونوحه الهمة إليها أعظم بكنية
 من اجتهادهم في الدعاء والصدق والاحسان فيه . وسعدنا بمصادره وبه ، وأن
 سولهم لا يحكمهم انديونة أعظم من تأنيدهم لا يفرحهم الدنيا بكنية ، بل لا نسبة
 بين هذا وهذا عند عامة الناس إلا نفس ، وهذا كانوا ينجحوا في الأعمال
 المسمى بقوة تسلوا مهجهم فيها وأعطاها العادة عامة ، فكيف يسمى نص بأعمالهم
 الدينية كالسعاء وبدعي أنه لم يحصل منه بذجة مع صواب التبع البكثيره ومع
 كونهم لم يجتهدوا فيها هذا الاجتهاد ويختص به هذا الاخلاص وأتوا بها على
 أحسن وجوها ، فبعضهم يدعي من لا يستطيع أن يقدم نفسه أو يؤخرها

ولا يملك لما موتا ولا حياة ولا نشورا ، وبعضهم يحرف صفات الله وينحيز
على فلك مسمياها ، وبعضهم متعمس في عبه وانواع هواه وشهوه نفسه فيجمع
بين الغصير في هذه الأعمال الدنيبة ثم في الكتب عليها وعلى ما ينبغي احسنه ،
ولا شك أن أعظم أصول الفقه السبأى هو الإيمان بأن احرام من حسن
العمل ، وأنه تعالى يجرى الله من أسماء مما غموا ويجرى الله من أحسنوا
الحسن ، وأنه سبحانه لا يصف أحرا من أحسن محلا ، من من كرمه ورحمته
أنه يجرى الحسنه عشر أمثها واليسه منب أو يعمو ، وهذا عابه انكرم
ولا حسن أما كون الانس يقصر في حق ربه أو يؤدنه بتور وكس
وصصف همه قد أحاطت به شكوك وشبهات والشبهات من كل جانب ثم
يحرص كل الحرص على حق ربه وحق حسنه مما قد يكون له فيه مصححة
ديونة طمعة فيقته ويخلص به هأنه الاحلاص ثم يريدون اليه أن يصره
و يؤدنه على عبده ويعطيه السب ، والسعادة لأنه محقق لذلك بمجرد انسانيه
ان السب ، لا للعمل ومطابقه الحقيقة ، فهذا غير معقول - لا شرعا ولا عقلا -
كما تقدم السب على هذا ادلائمه بدور على هذه الأصول فلا بد أن يكون
الجوابه دائرا معه

ثم نقل كلاما عن كتاب لم بين اسمه في الاعتماد على انفسه والقدر ، وأن
صاحب الكتاب قال فيه بحسب على الانسان أن يعوض أموره الى الله تعالى ،
ولا يتكلف في إرهاب نفسه في طلب ما لم يكتب له ، وأن المختار الانسان أن
يخمس الظن بالله ويعوض أموره اليه وقد ترك اسم مؤلف الكتاب وقال :
طوبت اسمه عن هذا المقام ،

فيقال اذا طوبت اسم هذا المؤلف واسم كتابه طوبت الإجابة عنه ، وكان
لا بد من بيان اسم لقائل ووجه الدلالة من كلامه . مع أنه لا حجة لك فيما
استشهدت به عند المناقشة كما هو ظاهر ، فليس فيه حث على ترك العمل ،

واعماله إيجاب حسن الظن بآفته . وكفى هبة أرفاق النفس في لا يحب . فان كان هذا اليأس كبيراً عندك . كما هو اللائق بفذلك الحدث . فان هذا هو الحق الذي لا شك فيه . ولكن لا حاجة لنا في ما تشك هنا فان هذا الأصل العظيم الذي خالفت فيه الأمة كلها لا يمكن فيه الاستدلال بقول محمد عن كتاب محمد . عن مصعب بن عمير . فان كثيراً من الكتب فيها كبر وشر وبعطل للصفات واعتماد على الأسباب وتوكل عليها . وبنية واسعة بشواخص السحر وغير ذلك . وقد تقدم قولك . انه ليس كل ما يقال وشر حجة على المسلم . وانه ليس المسلم لصحيح الاسلام هو الذي يسمع حجة المحققين وأعمال العاقل . فما الذي سوتج ذلك لاحتجاج الناس من الحجة في شيء . والمخالفة الى ما نهيت عنه . ولكن لو جعلنا قولك :

« لو اصفوا كنت المقدم في الأمر »

بين أعيننا وعند أذهاب لعمري انه كل ممدود ومراد في مصداق هذه الاعلان المطبوع كلها

فصل

ولما كل هذا المعروف . بعد أن عقدت القصة . والقدر ثابته في الكتاب والسنة ثباتاً واضحاً كالشمس . وأنها من عقائد المسلمين الراسخة التي لا يمكن حجبها ولا رحرحتها من قلوبهم ما دما يدينون بالاسلام . ذمى من أركان الايمان . بذل جهده وصرف همه الى تحريف معناها لانه اتخذ النصوص كالصائل عليه بدعوه الأسس والأسس . فان أمكه حجب المعنى والمعنى حجه كما جحد كثيراً من الأحاديث الصحيحة . وان عجز جحد المعنى وحده وحرف الدليل على ما يوافق هواه . ولو خالف الناس كلهم . وقد طرد هذا الأصل

الحدث هنا قسفه آراء جميع ما فاه أئمة المسلمين في هذه الأصول فجعل معنى
 القدر شيئاً واحداً وهو خلق هذه المحسوقات المحسوسة على هذا المقدار
 المشاهد ، وصار معنى القدر عنده هو خلق الأشياء على مقاديرها في حكم
 والكيف على هذا الشكل الموحود بدون أن تكون الأحداث متعقبة بالمشقة
 والقدرة . وقد أسهب في نظرين المعاكسة والعد في تقرير ما يدعيه ، ونجر
 عن أن ينقل قولا واحداً عن إمام واحد من أئمة المسلمين أو عقيدة من
 عقائدهم . على كذا بها ونوعه . ما تصح دعواه ، سوى أنه نقل أثراً عن عمر
 رضي الله عنه لا علاقة له بما دعيه كما بين ، ثم هو مع هذا أطنال في التشديق
 والاضطراب مخرج وصوم لا يرب مع تقرير في هذا المعنى ، فقال في أول استدلاله
 على أن القدر هو خلق ما على هذه المقادير المشاهد

« أما القدر فهو في مادته ما حيز من التقدير ، أي جعل الشيء ذا مقادير ،
 أي ذا حدود . يقال من شيء قدر هذا ، أي محدود بحدوده . كما قال
 في مسائل أوديه قدرها . وقال : قد جعل الله لكل شيء قدراً » وقال
 في ومتعوهن على الموسع قدره وعن أعدائه قدس . وقال : إن كل شيء خلقه
 بقدره . وقال : والله قدر أميل وأظهر . وقال : وكل شيء عنده مقدار .
 وقال : وخلق كل شيء بقدره . وقال : والله قدرناه مسال .
 ويقال قدس الثوب أي جعلته على مقياس حسن أي مشد ، أي محدوداً
 بحدوده . ويقال قدر كذا ، كما قال : به بكر وقدر ، فصل كيف قدر
 ويراد به التفكير والتروى في الأمر ، وهو راجع أيضاً إلى جعل الحدود
 للشيء ، ولكنهما قد تكونان حدوداً مادية ، وقد تكونان معنوية . أي قد يكون
 المراد تقدير الخطئة لنفسه وعيوبها فكر . بحيث يحسن وفق الأمر لدى
 وقد يكون المراد تصور شيء بمقاييسه لمادية وجعله معذوراً دائماً من عيوبه
 معنوية . وقال : يشرح المشكك والروح إليه في يوم كمال مقداره خمس ألف

سنة) وقال برهان من شيء إلا علة حوائثه ، وما قزله الا بقدر معلوم (١) وقد حرير

جاء الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر أي كانت الخلافة له كفوا وكان هو لها كمرا أصا ، أي إن الأوصاف الموجودة فيه هي الأوصاف التي تشترط في الخليفة وتوحد في الخلافة الحقة ، من جمع هذه الصفات جاءته الخلافة فهو خليفة ها وهي به حليقه ، كما قال الآخر في هذا المعنى

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

وكذلك نحي موسى به أي عن من وود في المعاني والصفات (٢) وفي هذا المعنى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) والمراد أن الخلافة جاءت ممدوح بمجرد الله أي بمجرد المشيئة بقدره (٣) من غير استحقاق (٤) ولا أوصاف خاصة ، وأنه حينئذ يكون أقرب إلى الدم منه إلى المدح والكرامات ، وقال شاعر آخر :

(١) الله من الاستدلال بالآيات أن كلام الشعراء ، وترك الأحاديث جانباً لأنها صريحة في ما يدعيه

(٢) هذا التفسير باطل

(٣) لكن ليس فيه ما يثبت أنها جاءت بالمشيئة وهدية ، بل فيه ما يؤكد ذلك فانه قد شاء الله له ذلك لانه كفوا لها ، وقد عرفت من هذا أنه صرح أن بغير المشيئة والقدرة ، وعرفت فوجه فيما مضى في هذا المعنى وأنه صرح به هنا لم يزل قوي حقيق ، لأن مقام لا يحتاج إلى مدح وثناء

(٤) ومن هو الذي كان من المشيئة والهدية تجري لمن لا يستحق ذلك حتى يتبين هذا المراء على الهواء

تقفون والتفك المدر سائر وقدرون فتصحت الأقدار

أى تصفون لأمانكم بل سجدت حدودا وأرمانا ، ولكن الأقدار
المحولة تبطل عليكم هذه الحدود وللك الأرمال المعدودة محدوده ، وتقلب
عليكم لأمر ، لأن الأقدار هى نظام الوجود وهى سر الحياة ، وأنتم لا
تقدرون ان سعدوا على كل الحياء والوجود تقدير نكته وأمانكم .

قلب هكذا ساق هذه الآيات واستشهد بهذه الاستشهادات تمهيدا لما
سيقره فى معنى القدر على ما يذهب هو إليه ، فقال بعد هذا الاستدلال

فقد قدر بحملته وحملته استعمل لأنه يراد به تقدير ، أى جعل الشيء ذا
مقادير معلومه ، أى يراد به جعل شيء مقدر فى كنهه وكيفية . . . فقد قدر الله
معاده أن الله خلق قدرته ، فقد أوجد هذا الوجود السماوي من
والأرضيات ، مقدر المقادير بحكمه هى أدق فى عظم ومقاييسها ونسبها من
أعظم من كنه كنه فى فاه من كنه وتقدير عجزه وصعد به أروع الكليات ،
وأدق من أدق صاعدة فيها آلاف الآلات التى يدع فى وضعها أربع عشر
من شيء فى هذا الوجود سواء أكان مضمونا أدب (٣) أو مديا إلا وقد صطت
مقاديره وأحكمت نسبه وهذا الضغط فى القدر جاء فى الأشبه بالنظر إليها
مستقيمة ونسبها إليها متصلة بغيرها - أى إن صفتها أخرى على اعتبارها
وحدة مستقيمة وعلى اعتبارها حرما من العالم فصطت هى فى نفسها ، وصطت

(١) يلاحظ أن مثل هذه الكلمة كثير ما يستعمل إذا أراد أن يقرر أملا
حيثما أصل الدين ، يجعلها جذعة للمعنى ووضعها لتضار وتناقض أن يجعلها
فى غير هذه المساق ، وهذا الصنيع كمنع من يستعمل شيئا ليدل أن أراد أن يخرج
أحد اسم أو شئاً كرها فيحصل ذلك سبباً لاستدراكه

(٢) ينظر ما معصوده من تفيد المصطفى بالآية حاصه

مع سواها ، أى إنها مصبوطة مستقلة ومضبوطة مشتركة مع غيرها . ولهذا جاء هذا العالم منظم صالحا للانفعال وسجيا وللاستقرار فيه وعينه ولولا هذه المقادير والنسب لما كان صالحا لذلك . انتهى كلامه في تعريف انقدر فسيحان واهب لعقول .

ما يسع الاعداء من جاهل ما يسع الجاهل من نفسه
 وفى نفسه دساقه من الآس والثواهد على ما ادناه ها . وكأنه ظن
 أن المسلمين يرون أن هذا العالم لم يخلق عن أنقن صنعة وأحكامها فلماذا أطال
 فيها هو خارج عن المقصود ، لأن الكلام في أعمال الحق لا في تركيب العالم
 ومبطله بسببه وحدوده ، فإن هذا لا خلاف فيه ، وفى كلامه من الطيبة والقبلى
 والاحسن والالسان ما لا يحصى عن فضل وسبق هدمه قريبا ثم شرح هذه
 الخلة المظلمة التى دعاها فى معنى الأمر فقال

وشرح هذا أن العالم مركب من عناصر أحصى منها الآن أشياء كثيرة .
 وكل شيء من هذه الموجدات أحد من هذه العناصر ساومقادير معاملته
 نسب والمقادير التى أحدها غيره . ومن هنا حصل الاختلاف والنسب
 المقصود المقصد . وهذه النسب والمقادير التى أحدها أو تسمى أعطيتها روعى فيها
 الدوام والوسط . يكون متعلقا بمعرض أى أحد منها ثم هذا الشيء فى نفسه
 قد روعى فيه من ناحية الكم مقدار معين ووزن معين لأجل أن يكون اجتماعه
 مع غيره ممكنا ومفيدا . والخص ثمره ليرتقى مثلا فيقول . هذه ثمرة
 ناحية لكيف ودرجة "كم" أما ناحية لكيف فقد عدت لنسب
 والمقادير فيها من العناصر تعينا متق . وهذا كات يرتقلا . وكات شبيهة
 لديدة مستتعة . وهذا كات أيضا دقة معدية . ولو فقدت النسب والمقادير
 من هذه ثمرة لما أمكن أن تجمع الموائد التى جمعت . فالقدر هن هو الذى
 جعلها بهذا لكيف المحكم . وأما لكم فأن لم تحدد لكم معين أو قريب من

التعيين ، وكان من الممكن أن تنمو عموماً مطلق بحيث تصبح صحيحة جداً .
لكانت غير متناسبة مع شجرها التي تحملها ، ولا مقدرة بطاقة عيذاب التي تمسكها ،
ولكانت النتيجة حينئذ هذه الشجرة وعجز أعصابها عن حمل ثمرتها ، فتبوى
بها حينئذ إلى الأرض . ولكن شجرة البر تقل إما حلقاً ناسقة صاعدة لا
متعددة ولا مفروشة على التراب ، أما الرحلة فإنها لما كانت قوية فإن ثمرها كان
ثقيلاً فكان التناوب صحيحاً والتقدير موصوفاً ، وأما الطيخ فإنه لما حقق متعدداً
متنى كان من التقدير والتناوب المقبول أن يكون ثمره أكر وأعظم منه لأنه
لا يحمل (١) وهكذا يقال في كل شيء مع نحت بصراً وعيلاً

وأخواب أن يقال ، هذا تقرير الذي ادعاه في معنى التقدير ليس تصحيح .
بل هو ، بل هذا المعنى ، فإن الفصاء والتقدير في مراتب عيابه تعمل بهذه
المحولات كلها بل حقيق ، وكما أنه قد ، وشمسه ، وحقيق لها وهو أقصر على

(١) التيس الذي ذكره في التمهلة وشجرة والصبح غير مصدق ما ادعاه ولا تصحيح
في نفسه ، فإنه جعل منه وكو ، برعاً لا دونه ، بل أصل ثباته ، وهذا باطل لأن الأصل
متناسب أبداً ، وكل شجرة مثابة وقد اختلف بعضها ، وكل الحق أن تدب
أول متناسبتهم ، بل إنهم مع سبهم في نفسها ، وأما حملها وكثرتها وثقله فإنه من
أجل المددمة المدولة لحظتها ووجودها لكثرتها وريدها عليها فيلجأ لاجن حباتها ، ولا
فشجر لبيادته من جديدها ومع ذلك شجرة دونه أو مددوم لأنه غير محتاج إلى رية
مثلاً ، وأما الرحلة فإن حملها معنى صورته عن شكلها ، من العدد كمنحة مستقلة صعبه ،
فمنه الب في الشرايح في العدد كمنحة الحوص في الجريدة في التبي . وهكذا كل
شجرة ، لأن ثمره الثمرة له معنى صورة أوري مدته في رأس عصب . وأما الصبح
فلاجل تماهته كان صبح رعيه دونه كشعره في الصبح ولتفاهة ، عكس الرحلة قائماً
قوية وحملها كذلك شتمل على مواد قوية (فيتامينات) وهو يتناسب العمل لدى
يعيش به ، وليس الغرض شرح هذه الأمور وإنما ينه على فساد تشبيهه هذا

مرتبة الخلق فقط ، ونهور فيها ، ولم يشككم عن الحوادث المتعاقبة ، بل اقتصر على ذكر المحوقات المادية في كتبها وكيفها بكلام مدحول محين غير مستقيم ونبيين بطلان ما ذكره من وجوه :

أولاً : قد علم أن الرباع بينه وبين خصومه من المؤمنين ، بقدر إيمانها هو في أعمالهم أعماد وأعمالهم ، لا في حق السموات و الأرض والأشجار وبحر ذلك ، فليس لذكر هذه المحوقات المادية ما مناسبة أصلاً قبل ادعى خصومه أو أحد من السكهار أن المحوقات خلقت على غير نظام ، أو أن خلقها غير متسلسل ، أو أنها غير صالحة على هذه الهيئة ، حتى سبب في التكلف في هذا التعريف الاحتمالي عن هذا المقام ويطلب منه ، وهل كان معتبره وقدره الموجودون في آخر عهد الصحابة والقرون المفضلة يبدلون في انتقال خلق هذه الأشياء حتى يشككم الصحابة ومن بعدهم في القصص والتقدير وصلوا أو نك ومن أهدى بهم ، وإنما قصده التجاهل والتخلص من التنبؤ من نصريحه في تقرير هذا الأصل فعدل إلى المراوغة وهيات

ويقال شيئاً لا مناسبة بين سياقات الآيات وأشواهد الأدلة الأخرى ومن تعربك بقدر ، قال الآيات التي استشهدت بها حجة عليك ، قال الله تعالى يقول (قد جعل الله لكل شيء قدراً) وقال تعالى (كل شيء خلقناه بقدر) وقال تعالى (وكل شيء عنده بمقدار) وقال تعالى (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) فأحرر سبحانه بأصريح بيان وأوضحه أنه خلق كل الأشياء بقدر ، وأنها عنده بمقدار ، وأنت عدت هذه "نصوص" فأحررت أكثر الأشياء من خلقه ونصرت ، فإن الأعمال والحوادث والمعاني وغير ذلكها داخله في هذه المحوقات لا ريب ، فأنت نص الأشياء من أنفس مادي الله أعمال الرسل والأنبياء والملائكة والمؤمنين ، وأنت تريد إحراجهم من أن تكون واقعة عجيبة الله وقدره ، فتجعلها غير مخلوقة ، فلا يهدي من يستهديه ولا يمين من يستمين

به ، فكيف تستدل بالآيات وهي حجة عليك

ويقال ثالث : ادع من هذه المزاولة والاتجاه الى الاشجار كاستقلال
والطبيع والخلق ، فالحال ان شئ آخر غير هذا الذي هربت اليه ، وهو أعمال
الخلائق كلها خيرها وشرها . أحسنها من تعرف بأهلها من مخلوقاته تعالى التي
خلقها ، أم خارجة عنها . فان قلت خارجة عنها فقد صرحت للناس بأهلك
مخوسى ، مع كونك منزهة من صفات الدنيا لعالم حقيق سابق للأعمال
وحقيق هربها . وان قلت هي من مخلوقاته رجعت الى قول ربه أمك
وسقط اسم الصلوة من أساسه . فلهذا من المعلوم أنه تعالى لا يخلق شيئا إلا بحسبه
وقدرته مشيئة . فان قلت به حتى فهم قوة يقدرون به على فعله وانكرت
اختياره فان شاءوا فعلوا وان شاءوا تركوا . قلنا . هل فهم الذي يفعلونه
بهذه القوة المحبوبة لهم تتبع فيها عليه تعالى ومن غير عبادة أو مادية . فان قلت
من فعلهم تقع قهر عليه ومن غير عبادة أو قهر عليه فلهذا قد أظهرت للناس
أنك شر من المخوس لأنك حكمت على الله من عبادة قهره . وأنه أحدث في
ملكه ما لا يريد ، وأن إرادته غلبت إرادة الله . فان قلت بل فعله يعلم من الله
وإرادته فما لك : هذا هو الذي سألته . وبطلان اعتراضك من أصله

ويقول رابعاً من المعلوم أن كل موجد - سواء أكان مادياً أو معنوياً ،
أدب أو غير أدب - كائن بعد أن لم يكن . والعبد - بصفاته كلها - من هذه
المخوقات . فهو سبحانه الذي خلق العبد جميعاً بصيراً متحركاً فاعلاً مختاراً
عاقلاً . وكونه يقضى بالقوة التي يحبها الله فيه لا يبق أن يكون فعله مخلوقاً لله .
كما أن ثمرة البرتنقال خارجة من شجرتها مخلوقة لله . فان حروبنا نادى الله
ولو شاء الله عدم حروبنا . فخرج ، وفعل العبد وقع بإذنه ولو شاء الله عدم
فعله للأشياء لم يفعل . فان قلت : ولو شاء الله ما فعله) ، (ولو شاء الله
ما أفتلوا) . (وما نشاءون . لا أن يشاء الله رب العالمين) فالشجرة بثمرتها

والإنسان بعينه من مخلوقات الله ، فالأعمال والنتائج والأسباب والمسببات
— سواء أكانت مادية أو معنوية وسواء أكانت اختيارية أو اضطرارية — كلها من
مخلوقات الله تعالى . فلهذا يريد أن يحمل في هذه المخلوقات ما هو مخلوق عنه
وما هو مخلوق لغيره . فلا إله إلا الله فهو محمدي أو شرعي . قال تعالى ﴿ والله خلقكم
وما تعملون ﴾ . فإن كانت (ما) هنا مصدرية فظاهر ، وإن كانت موصولة فهي
دال على أنها بأن عملهم مخلوق ، فإن الـ **الشيء** والصحة فعلهم بلا ريب ، بخلاف
المادة الأصلية فإنهم لم يعملوها فصار عملهم محمدا كما قال تعالى ﴿ لا وخلق كل
شيء فقدره تقدير ﴾ ، (**إنما كل شيء خلقناه بقدر**) .

ويجب هنا أن نعلم لفرق بين فعل به ومفعوله وحلقه ومخوفه ، وأنه ليس
بالحق الذي هو نفس الفعل هو الخلق الذي هو أثره ، فالأشياء المخوقة إلى
وحدث بصفة لا بها هي فعله ، فاسكون شيء والمكسوس شيء آخر ، هو أثر
التكسوس . كما قال تعالى — **إنا أمرنا** — الشيء إذا أمره أن يقول له كن فيكون .
ولا يجوز وصفه على شيء من مخلوقاته حدثه في غيره . فإنه إذا خلق فعلا
في محل عاد حكمه **بأن** يفعل إلى ذلك المحل . فاصلا عنه فعل قائم بالعد والعبد
هو المصلي وهي مفعولة له بمعنى أنه من هو الذي حصل العبد المصلي ، فهي
صفة لغيره ، وهي من مفعولاته التي هي أثر فعله . لأنه هو الذي خلق الإرادة
والقدرة والاختار في العبد حتى حصله مصيب . فالفرق بين الفعل والمفعول
ثابت . بل من لغوي الإجماع من أنه ليس بفعل هو عين
المفعول كما يأتي تقريره .

ويقال حاميا . كما أنك ادعيت أن الأشياء لمادية في كل أفرادها مقدرة
بمقادير ونسب وحدود فكذلك نقول : والأعمال والأقوال مقدرة أيضا بمقادير
ونسب وحدود ، إما تقدير شرعي أو كوني أو شرعي وكونيا معا ، فالصلاة
وهي أعمال وأقوال مقدرة تقدير شرعي من ناحية الكم والكيف ، بل كل

ركن فيها قولها أو معينا - مقدر تقدير في غاية الصبط والانتقال والمناسبة لحل
المصلي والرمان والمكاتب بصفة لا تقبل الزيادة والنقص ولا التبديل ولا
التحويل ، وكذلك يقدر في الزكاة والصوم والحج ، فالوقوف ، معرفة ولطواف
كل ذلك مقدر بمقادير لا يمكن لأحد تبديلها وتحويلها ، وكذلك الأعمال
الشرعية الأخرى كعمود السكاج والخلاق والحيات والحدود ولقرائن
وغبرها ، وهكذا الأمور العديدة من الأكل والشرب والوطء ونحو ذلك مقدره
تقدير امصوط متناسما مع معيقه من كل حيوان ، فهذه الأمور كلها مقدره
بحدود وقبوض وبسبب ، فهو أبدي آخر حب عن حلق به ومشيتته وقدرته
وإن كنت تعرف بهذا فلا حاجة إلى المعصية ولا حاجة إلى معرفة
ويقال مادام ، تقدر الله تعالى هذه المخلوقات على هذه الصبغ والحدود
والهيئات والنكافؤ والناسب والاستحسان برهان واضح على علمها وقدرته عينا
وبمتنع مداهمه أن صدر بعزم مشيئته وإرادته ، وهو علم بها قدر عظيم ،
فعله بها وقدرته عليها ومشيتته لها مقدمة على حقيقتها ، إذ لا يحضر وجودها
على هذا الصبط التام والأحكام الدقيق بدون هذه الأمور ، وفي حدث عند
الله من عمره ، أن الله سر مقدم الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض
بمحمسين ألف سنة وعرشه على الماء ، رآه مسلم وغيره ، وهذا كانت كلها إماما
وحدث بالمشيئة والقدره والإرادة بمقتضى علمه بها وكتائنه لها بهذا هو القدر
الذي يؤمن به الناس ، فاهم يؤمنون أن هذه الأمور قدسرها عليهم أي
أجراها وحقيقتها بمشيئته الصادره عن قدرته وعده وحكمته ، وكتائنه لهذه
المقادير برهان واضح على أب في غاية الصبط ولأحكام وعدم الفوضى التي
تعتقدها الملاحدة وأصراهم حيث أسندوا أمور العالم إلى بوايس الطبيعة .
فلا علم ولا إرادة ولا كناية ولا غير ذلك ، بل تفاعل وحوادث قسرية تجري
على حسب المصادفات ولملكه تصرف اللسان ، وهذا هو عين الفوضى ،
بخلاف الأمور التي تجري على ما ذكر في النصوص فانها غاية النظام المحكم .

قال تعالى : ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نمرأه إن ذلك على الله يسير . وقال تعالى : وما سقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين . وقال تعالى : وكل شيء أحصيناه في إمام مبين . إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة . وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين قال : حدثت على النبي ﷺ وعقلت ناقق بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال : اقبلوا البشري ما بني تميم ، قالوا : قد بشرت فاعصوا أمرنا . ثم دخل عليه ناس من اليمن فقال : اقبلوا البشري يا أهل اليمن ، أدع بقبها سو تميم ، قالوا : قد فلك رسول الله . وقالوا : حتماً يسألك عن هذا الأمر . قال : . كل الله ولم يصبر شيء غيره . وكان عرشه على الماء . وكنت في الماء كل شيء ، وخلق السموات والأرض ، فإدى من عاد . ذهبت ببيت باسم حصين فاسطقت ودا هي يشق طع دواب السراب ، هو الله لو دذب أو كنت تركبها ولم أقم . وفي حديث عادة من الصامت . أن أول ما حقيق الله الفجر فقال : اكتب . فقال : يا رب وما أكتب . قال : أكتب مقدير كل شيء حتى تقوم الساعة . رواه أبو داود والنصوص في هذا كثيرة ، يدل على أن هذه المحلوفات وما فيها من الحوادث كلها صغيرها وكبيرها خيرها وشرها مقدره بالعلم والكتابة والقدرة والمشيئة ، كما أنها مقدره في كتب وكتبها . فإذا اعترضت عن هذا كله مع دلالة النصوص الكثيرة عليه ، وهو لنظام الباهر ، فالذين آمنوا بالقدرة هذا المعنى هم الذين في الحقيقة آمنوا بنظام الله في شرعه على أنه رسله ، بخلاف الزادقة ومن شاكلهم حيث كفروا به . وآمنوا بالمعوصي ، من كفر بمشيئة الله وعلمه وقدرته على هذه الحوادث فكيف يكون مؤمناً بنظام العالم

ويقال سائعا : قد تصافرت النصوص التي لا تعد ولا تحصى بأن حوادث العالم بما في ذلك من أعمال العباد كلها من غير استثناء صادرة عن مشيئة الله

وإرادته وقدرته ، ولم يصدر منها شيء قهراً عليه وحارحاً عن علمه وقدرته
 وإرادته ، ولأدلة في ذلك أكثر من أن تحصر ، وقد عدل هذا المعروف عنها
 وذهب بتفسيره في حق سموات والأرض والأشجار ، مع علمه بأن
 المشرك مفرور ديث ، وأنه لا حاجة في بيان ما ادعاه ، فاهم مقروء
 موحداً بوجه ، وأنه هو الحق لا ريب ، وقد حكاه القرآن عنهم ، وإعنا
 كان الكلام في أمر الله في أفعال خلقه خلاف ذواتها فقرر الكتاب
 في الأصل ، قال هذا القرآن : أنه من هديه شرح صدره للإسلام .
 ومن رد أن نصه يحسن قدرته تحت حرج كأي تصعد في السماء ، كدلت
 بحمل الله لحيى على أنه لا يؤمنون . وقال تعالى : ولو شاء ربك لأمس
 من في الأرض كلهم جميعاً . وقال تعالى : كذلك فصل الله من شاء ويهدي
 من يشاء . وقال تعالى : كذلك يبايئكم الله منهم . وقال تعالى عن
 نوح : ولا سمعكم نصحي إن أذنت أن أتصيح إليكم إن كان الله يريد أن
 يعذبكم فهو لكم وليه . رجوع . وقال تعالى : في قلوبهم مرض فزادهم الله
 رجساً . وقال تعالى : كثر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يختلي له من يشاء
 ويهدي له من يشاء . وقال تعالى : وأدمها جوراً وقواها . وقال تعالى
 : وما يساءلونك أن يشاء الله . وقال تعالى : ومن يؤمن بالله
 يهديه الله . . . يهدي به الله من ينصحه يسر عليه السلام ويخرجهم من
 الظلمات إلى النور . . . ويهديهم إلى صراط مستقيم . وقال تعالى : إن
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم . وقال تعالى : فربما
 هدى وفربما حق عليه الفصاة . والآيات في هذا المعنى أكثر من أن تحصر
 وهي في غاية الصراحة في أن أعمال العباد واقع بمشيئة الله . وإرادته وأنه
 لا يمكن أن يجري شيء من هذه الأعمال في ملكه بخلاف مشيئته وإرادته
 المكونة ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأن كلامه لما خلق له ، قال

الإمام ابن اسم في شفاء العيب (١) كتاب ثلث عشر في أربعة الأربعة
مراتب القصص والتقدير وهي مرتبة خلقه سبحانه الأفعال وتمكنه ورعايته
لها وهذا أمر متفق عليه بين المسلمين، وعنه انبثقت جميع الكتب الإلهية
والفطر والعقول والاشهر، وحالف في ذلك محوس ما قد أخرج صاحب
ملائكته وأبدنه وورثته وعدده المؤمنين وهي أنه في مائة من رسله
وتكليفه ومشيئه، من جعلهم في حاشية ولا يعق ما عيشه ولا يندح
تحت قدره، وكسب كلوا في جميع أفعال الحيوانات الإلهية، فعدده أنه
سبحانه لا يقدر أن يهدي صالا ولا يضل مهتدي ولا يندح في عمل المسلم
مسلياً والكافر كافراً والمصل مصلياً والتأديت بحملهم أنفسهم كسب لا يحمله
تعالى، وقد نادى القرآن بل الكتب النبوية والله وحده هو صاحب
هم أهل العلم والايان من أقطار الأرض وصف حرك الإسلام وعصاة
الرسول وعكزه التصانيف في الأدعية، وهي أكثر من أن يحصيا إلا الله
تعالى، ولم تزل أبدى السلف وأئمة السلف في أفعاليهم وبوصفهم تحب أرحمهم،
إذ كانوا يرون باطنهم بحق محض وتعميم الله والله لا يقوم في شيء
فكأنهم معهم كهل الله مع المسلمين، إذ لا يفتد به ربه ربه ربه ربه
بها، وقاسوا بأفعالهم من حسنة وفقوا بعد محبور على أفعاله
مهور عساه لا يثربه في وجهها ولا هي وأفعاله برارته واحتبته،
وعلا علانهم فمالوا إلى غير أفعال الله ولا ينسب لهم إلا على المحار والله
سبحانه يوم العبد ويعاقبه ويغديه في النار على ما لم يكن به فيه صبح ولا هو
فعله، بل هو محض فعل الله، وهذا قول الجبرية، وهو وإن لم يكن شرا من
القدرية فليس هو بدون في البطلان، وجماع الرسل وانطق الكتب الإلهية
وأدله العقول ومطر والعين تكذب هذا القول وترده، والطائفتان في عبي

عن الحق انهم وعصاوا المستقيم . ثم يدفع ان القيم في الكلام على معنى
 القدرة والاستطاعة والتأثير وذكر أقوال الخوائف ، ثم ذكر القول المختار
 الصحيح الذي هو قول أهل السنة واجماعه من عقولهم ، قائم بشئون قدرة الله
 على جميع الموحى ذات من الأعيان والآثار ومبنيها على ما به ، وهو هو عن
 أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ولا هو ومع تحب مشيئته ، ويشنون لقدرة
 السابق وأن عباد ممدون على ما قدرته الله وقصده وفرغ منه ، وأنهم لا يشامون
 إلا أن يشاء الله ، ولا يفعلون إلا ما بعد مشيئته ، وأنه ما شاء كان وما لم
 يشأ لم يكن ، ولا تخصيص عتدهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه ، والقدرة
 عندهم قدرة الله وعليه ومشيئته وخلقه ، فلا تحدث درة في فوقها إلا بمشيئته
 وعلمه وقدرته بهم المؤمنون بلا حول ولا قوة إلا بالله على الحقيقة اذا قاموا
 غيرهم على الجواراد العالم علويته ، سعة وكل حي من فعلا كان فعه بقوة وه
 على انفس ، وهو في حول من يرتضى من ومن ومن يرتضى ومن ومن يرتضى
 ومن ، ويرتضى الله تعالى لا أحد وية مؤمنون من يشاء الله فلا يصل له
 ومن يصل فلا يهديه ، وأنه هو الذي يعمل المسم مسلما والآخر كافرا
 والمصل مصليا والمتحرك محركا وهو الذي سير عبده في العرش ، وهو
 المسير وعنده لدر ، وهم يحركون وتعد المسحرك ، وهو المقيم وعنده القائم ،
 وهو الهدى وتعد هدى ، وأنه المصطفى ، عبد الصمد ، وهو المحيى المميت
 وأعد الذي يحيى ويموت ، ويسون مع ذلك قدرة الله وإرادته وأخباره
 وفعه حقيقة لا يخفى ، وهم معقول على أن نفس غير المفعول كما حكاه عنهم
 ليعرف وعبره ، في كائنه واعتقاده هم أنفسهم حقيقة ، وهي معجوبة به سبحانه
 بحقيقة له حقيقة ، والذي في رب ع وحل عليه ، قدرته ومشيئته وبكويته ،
 والذي قام بهم هو فعلهم وكسبه وحركته وسكسانهم ، وهم المستبون
 القائمون القاعدون حقيقة ، وهو سبحانه المقدر لهم ذلك القادر عليه الذي
 شاء منهم وحقيقه فيه ، ومشيئته وفعله بعد مشيئته ، ثم يشامون ، لا أن
 يشاء الله ولا يفعلون إلا أن يشاء الله . انتهى

وقال في شرح "الطحاوية" (١) في حقيقة السلفية ص ٢٦٥ : اختلف الناس في أفعال العباد ، فذهب الحنابلة ورئيسهم أحمد بن حنبل إلى أنه من أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى ، وهي كلها اضطرابات كحركات البرق والبرق في مادة وحركات الأشجار ، وذهب أصحابنا إلى الحق بخلافه عن حنبل بن حنبل بن حنبل بن حنبل إلى محله ، وقادهم المدعية وقالوا : إن جميع الأفعال الاضطرابات من جميع الخوايات مخلوقة لا تتعلق لها بتحقق لله تعالى ، واحتجوا بما يذهب أن الله يقدر على أفعال العباد ثم لا ، وذلك أنه الحق "أفعال" مادها عبارة مطعنة وعصية ، وهي محروقة لله ، والحق سبحانه وتعالى مع ذلك خلق المحركات لاحاق لها سبحانه بالخبرة عنه التي كانت أقدم من أفعالهم أصح "بعد أصلا كما تحت المشبهة في زئات الصفات" هو ، والمدبرة بعد عدم جميعها "أفعال حائض من مع الله تعالى ، ولهذا قال بخبر هذه الآية من أردنا من الخوض من حيث أن الخوض أنموذج حائض وهم أنموذج حائض وهدي أنه المؤمن أن السلة لها احتضوا فيه من الحق والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . فكل دليل يجمع بقيمة الحرية فأنه يدل على أن الله خلق كل شيء وأنه على كل شيء قدير وأن أفعال العباد من محله بخلافه وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا

(١) حق الفاضل بين الشيخ محمد نصيب أن شارح النص، وبه هو العلامة علي بن علي بن محمد بن أبي العز الآتي على الحق ، وله ترجمة حافلة في (التهليل الصافي والمستوفى بعد الوافي) لا من يرى بحدود في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الدين في المطبوعة ، قال الشيخ محمد نصيب : وقد نقل أريدني شرح الاحياء في الجرم ١١٤ ص ١٤٦ سطر ١١ في صحت كلام الله فضلا من شرح الطحاوية ص ١١٢ و ١١٤ ، ومنه تأكدت نسبة الشرح إلى ابن أبي العز الآتي لأن نسخة المطبوعة في المطبعة السلفية يمكن كانت حافلة من ذكر اسم شارح

دع على أن العبد ليس ماعين في الحقيقة ولا مريد ولا مختار ، وأن حركته
لا خضارته بميلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار . وكل
دع صحيح يقمه القدريّة فأنما يدل على أن العبد فاعل فعله حقيقة وأنه مريد
أنه مختار له حقيقة ، وأن صفاته وسمته أنه بصفاته حق ولا يس على أنه غير
مقدور لله تعالى ، وأنه واقع بغير مشيئته وقدره . هذا صمم مامع كل
طائفة منهما من الحق أن حق الآخر فأي ذلك على مدعيه أنه
وإن كتب الله الله أنه من عبده قد أنه ومشيئته جميع ما في الكون
الآعيان والأفعال ، وأن أعدادهم على لأوضاعه حقيقة وأهم — وحواس عيوب
المذبح واسم ، وهذا هو الواقع في نفس الأمر ، فإن أدله الحق لا تتعاضد
والحق يصدق بعضه بعضاً انتهى

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " ونؤمن بالله وحده " فله من الله ما يشاء
الجنة بعد القدرة خيره وشره . ولأنه : " أقدر على درجتين كل درجة تتضمن
شئاً : فالدرجة (الأولى) إذ يدل أن الله يتم ما أحسن عباده بعبده فقدمه
بشيء هو موصوف به أولاً ، وعم جميع أحوالهم من الصفات والمفاتيح
والأركان والاحوال ، ثم كتب الله في الموضع المحفوظ مبادئ الحقائق . فأول
ما خلق الله انعم قال له : اكتب . قال : ما أكتب . قال : اكتب ما هو كائن
إلى يوم القيامة فما أصاب الأساء بكل لحظة . وما خطه لم يكن
عبده ، حققت الأفلام وطويت صحف . كما قال تعالى : " أم تعلم أن الله يعلم
ما في السموات والأرض أن ذلك في كتاب . إن ذلك على الله يسير . " وقال
لا ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن
نبرأها أن ذلك على الله يسير . وهذا التقدير الذي لا يعبه سبحانه يكون في

مواضع حملة وتفصلا ، فقد كتب في النوح مخصوص ما شاء وأذا خلق حيث
الجنس من روح فيه سمعت الله ملكا منه من رقع كذب فقال - اكتب
رفقه وأخيه وشقي أم سعيد ونحو ذلك ، فهذا قد كان بيكره عملا
انقذ به قديما ومكروه اليوم فيه ، وأما ما رجع عليه فهي مسئلة الله
النافعة وفترته اشده ولايمان أن ما شاء الله كان وعلم يشاء بك ، وأنه
ما في السموات والأرض من حركة وسكون لا يمشيه الله تعالى لا يكون في
ملكه ما لا يريد ، وأنه سبحانه عسى كل شيء فليس من المخلوقات
والمعدومات ، فمن مخوفات في الأرض ، لا والله لا الله جالسه سبحانه
لا حاق غيره ولا رب سواه ، ومع ذلك فقد أمر العبد بحاجته وضاعفه رساله
ونهاهم عن معصيته ، وهو سبحانه يحب المسكين واليتيم والمقتصد ويرضى
عن الدين آموا وعمه الفاضحات ، ولا يحب الكافر ولا يرضى عن القوم
الفاشين ولا يأمر بالمعشاه ولا ينهى عن المنكر ولا يحب الفساد ،
والعبد لا يخلو حقيقه والله حزين فدهمه وتعبه هو المؤمن وسكاه وشر
والحر والمضي والصلوات ، ولعمري قد علم من نعمته ، وهم يراد ، والله
خالقهم وحاق قدرتهم ورازقهم ، وهذا المرحه من القدر تكذب بها عامه
لقدرية الذين مماجروا بين يديه بحسن هذه النعمه ، وعلو من قوم من أهل
الانساب حتى سبوا بعد قسريه وحيد ، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه
حكمها ومصلحتها ، انتهى ، ونعمه بول الله ، وللعباد أفعال اختيارية يثابون
عليها ويعاودون عليها ، ونعم الله على من في ذلك أكثر من أن يحصر ،
مكلهم بمحمول على أن أفعال العبد مخوفه لله تعالى ، وأنهم ما فعلهم ، فكأنها
فعلهم لا يقتضي أن يكون حادجه عن مخوفه تعالى ، فانه سبحانه لا يعصى
قهر أبدا ، وهل يظن مسلم أن الله يريد شئ ونعمه يريد شئ آخر وأن
إرادة العبد فخرت إرادة الله فوقع مراد العبد ، فان هذا أكفر الكفر ، من

الله إذا أراد من العبد شيئاً فلا بد أن يكون العبد مرئياً له مائلاً إليه ، فلا يشاء الله شيئاً إلا والعبد قد أراده . فلا تتعاضد إرادة الله وإرادة العبد في فعل ما ، غير أن التعاضد على عكسها ، أي وإن كان مائلاً إلى المعصية بطبعه ولكنه يكرهها لله ، فعليه الله ويصير بها عنه إذا علم منه الإخلاص في كراهتها وحب الله تعالى ورغبته في الإحسان ، ما عاضد كلكم صان إلا من هديته فاستمروا أهدكم ، فبولا إرادة الله تعالى لعجز لاسان عن حجب نفسه الزمارة بسوء عن لسانه ، واللاس عن منع فيه الميل إلى الشيء مع كراهيته سوفوق فيه وشهوته مع حبه لخدمته بسوء . اتباع الهوى واسراع الدين .

ويجب أن لاحظ في هذا المقام أن إرادة الله تعالى . إرادة قهريّة كونه حجة ، وإرادته أمرية سرعية ، وهذه الأخيرة هي متضمنة للمصلحة والرضا ، وأما كونه أمرية فهي امتداده لجموع الحوادث ، فهو كقول الله تعالى : وما كنتم دوني إلا أن يشاء الله رب العالمين . وقوله : من يشأ الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن أراد أن يصير بعض صدره متيقاً ، حرماً كما يصعد في السماء . وأما الإرادة الشرعية الدينية ، فكما هو عليه تعالى . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يريد الله أن يثبت لكم ويهديكم من الدين من قبلكم وتثبت عندكم وأنه عالم حكيم في قوله : يريد الله أن يحجب عنكم وحلق الالاس صهيحاً ، والعرق ثابت بين إرادة أمرية الله يفعل وبين إرادته من غيره أن يفعل ، فإن أراد الله أن يفعل فعلاً من هذه الإرادة متعلقة بعينه ، وإذا أراد من غيره أن يفعل فعلاً وهذه الإرادة متعلقة بفعل الغير ، وكلتا النوعين معقوب بنفسه ، والأمر الشرعي يستلزم الإرادة سلبية دون الأولى ، فإنه تعالى : إذا أمرتكم بأمر فقد يريد عامة الأمور على ما أمر به وقد لا يريد ذلك بل يريد به إرشاداً ، فهو مستحابه أمر الحق على السنة

رسالة كما ينفعهم وبها هم عما حرمهم وأوضح لهم تفريق بين لهم الأسباب التي
 بها يحصل النجاة والعطب ، ولكن منهم من أراد أن يحقق فهمه بأن يعينه
 ويوجهه فعلا لما أمر به تعالى به ، ومنهم من خلق فيه الاستطاعة على
 الفعل ولم يخلق فهمه ، ثم حقه سبحانه لأعمال العباد وغيرها غير جهة أمره
 للعبد على جهة الارشاد والبيان ، هو مصلحة للعبد أو مقصده ، وهو تعالى
 في أمر فرعون مثلا بالإيمان كان قد بين له ما ينفعه ، ومصلحته إذا فهمه وقد
 خلق فيه الاستطاعة على الفعل والله تعالى لا يترك عبدا أمره بهذا وبين له طريق
 إبعاده أن يعينه ، فإنه قد يكون غير مستحق لإعانة الله تعالى به ، بل قد يترك على ذلك
 من مفسد وقواب مضاع أخرى من حيث كون الإعانة فعلا له تعالى وإعانة
 لا من حيث كونه أمرا وارثا ، فإنه سبحانه يخلق ما يخلق الحكمة ويأمر بما
 أمر به الحكمة أخرى ، ولا سيما كان من الأمور به مصلحة للمأمور
 بالله ، فإن يكون مصلحة للأمر بالله هو أو وجب الآخر فعلا له تعالى به ،
 ثم الحقيق غير جهة الأمر ، وهو قد من ليس بأمر غيره ومجاهد موصحا له
 طريق "السعادة مراد للصيحة" وبين ما ينفعه وإن كان مع ذلك لا يريد أن
 يعينه على ذلك ، فمن لم قد يترك على الأوامر من المفاسد من ناحية أخرى
 من حيث إعانة لا من حيث الأمر والتصحح والبيان ، أنه من كل ما كان
 مصلحة في أن تأمر به عبده وتصحه يكون مصلحة له في أن يعينه أنت
 عليه ، بل قد تكون المصلحة في إذهابه مصادره أو وقوع ما يصاد ما أمر به به ،
 جهة أمر الإنسان أمره بصحا وشاؤا وبغير جهة فعه لنفسه ، وإذا أمكن
 للمؤمن في حق المحلوقين فهو في حق الله تعالى بالإمكان مع ثبوت عدل الله
 وحكمته ورحمته وحسابه من أمره وتعالى على فعل المأمور كان ذلك المأمور
 به قد نفع به خلقه وأمره ، أنه قد حقه ومجته ، فكان مراد جهة الخلق
 ومراد جهة الأمر ، ومن نفعه على فعل المأمور كان ذلك المأمور قد نفع

به أمره ولم تعالى به خلقه عدم الحكمة المقتضية تنعق اخلق به ، إما لعدم قبول المحن أو لغواب حصول الحكمة المقتضية خلق صده أو هذا وهذا ، ولا شك أن خلق أحد القديس سفي خلق الله الآخر ، فإن حتى المرض بشي العافية ، كما أن خلق القديس سفي وجود صده ، ووجود اقتصاد أمر لا بد منه لما في ذلك من مظاهر النبوة والاسماء وصفات ومعرفه الشر والخير والبلوى وبغاية العلم والخل وعبر ذلك مما لا يعد ولا يحصى ، ولو كان الدس أمة واحدة لاحتج وحين أمور عظيمة في هذا العلم وحمل قدرها .

فاعد يظهر حسه أحد ويصده تقي الأشياء

ومن عرضنا ههنا من وجوه الحكمة في تفاوت والاقتصاد في سده هذا الأصل العظيم من حيث تدعى تقوى بلا حرج عن موضوع الكتاب ، وقد بسط كلامه عنه العلامة ابن القيم في شفاء العيب ، فمن أراد ذلك فليراجعه ، ويكنى المسلم لعاقب أن يعلم أن الله سبحانه وب كل شيء ومليكه وأنه العليم الحكيم الذي له العدة في أمور حكمه ، وليس من ثمره وجود حكمه لله أن يطلع لئلا علم كلها ، وأنه سبحانه جعل في أحد صفة واحدا على الفهم والذكاء ، وأنه سبحانه يكرهه ويصر به ويحب من أتى ما يقصه ، وأنه سبحانه لا يحلف عبدا ولا مملوك وأنه يعين من يحب طاعه ويذل السامع وسوءه تنصرع وصدق وإخلاص ويهديه وييسر له أمور ، وأن من نمرده عليه وشتج تأمعه عن طاعته وأباعد رصده وكله إلى حسه وحين بيته ويبس حتى نقص وقطع عني قلبه ، وليس للعاقب ممكف أن يدحض من الله ومن عباده فيشعر نفسه بما لا يعنيه في مثل هذه الأمور العينية فيقول مثلاً كل كذا وكذا ، وإد كل كذا كل كذا وكذا ، في أمور القدر ، فإنه يسمع أن يكون الاستسار بحيث لظن بالله ويعقد من صميم قلبه أنه عليم حكيم وأنه رؤوف رحيم ثم يذهب تعنت في أمور القدر مجاورا الأباط شرعية ، والفرق واضح لمن

نور الله يصيرته بين قولنا ان الله خالق فيه ضرورة واحتماراً عن الفعل والتترك
وقولنا ان الله خالق معه وان فعله محبوس فيه وانه لا يفعل الا ما شاء الله ان
يفعله ، فقد ثبت ان الخلق ليس هو عين الخلق ، وان الفعل ليس هو عين
المفعول بل هو أثره ، فأفعال الانس من حيث كونها معمولات لله داخلية في
خلقها لا أنها فعله ، فهي فعل الانس كما ان الأكل والشرب والقيام والعمود
والصلاة والصيام فعل الانس ، اختاره مصنفه له حقيقة لا محمداً ، وهي
معمولة لله بمعنى أنها وقعت بصدقه ومشيئته لا بغير علمه وحكمه عليه ، لكن
الطاعات لا بد أن تكون فيها إرادة من الله بمعنى إيمانه ، بخلاف المعاصي فان
الله يكرها ويمقتها ولا يعين عليها ، ولا يبرم من خلق تقصيرة والاختيار
والإرادة في الانس وجود الفعل مطلقاً ، فان الاستطاعة التي هي مناط
الطلب في الأمر وهي لا يبرم أن يكون مقدرة للفعل ، وإنما الاستطاعة
التي يحب معها وجود الفعل هي مقدرة له ، فالأولى كقوله تعالى : والله على
الأسرار حيّ الدت من استطاع الله سبيلاً ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : من حضر
صلواتي ، فإن لم استطع فلهذا ، فإن لم تستطع فبني حنثه ومعصيته أن
الحج والصلاة تحب على المستطاع سواء فعل أو لم يفعل ، فهذا لا يجب أن
تكون مقارنه بفعل ، وأما الثانية فكقوله تعالى : من كانوا يستطيعون السمع
وما كانوا يصرون ، من كانوا لا يستطيعون سماعاً وهذه حال من صده
هواه أو رأه لعاصد عن استماع كتب الله المبركة وأنشأها واشتعلت بصددها ،
فهو لا اشتغاله عنها بصددها وكرهه لها لا يستطيع ذلك ، وهذه الاستطاعة هي
المقدرة للفعل الموجبة له كما قررته الشيخ بقى الدين وابن القيم وغيرهما (١)

(١) راجع ص ٢١ و ٢٢ ج ١ (العقل والنقل)

فصل

ثم انه اطل في تقرير كون هذه الموحودات لمدينة مقدره من ناحية الك
والكيف ، وكرر الكلام في ذلك ، وقد بينا لك أن هذا خارج عن مح
البراع واسد بقوله تعالى : قل انك شكرون لدى حين الأرض في
يومين وتعملون به ان اذا ذلك رب العالمين وحين فيها رواسي من فوقه
وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة ايام سواء تسائلن ثم اسوى اى
السماء وهى دحان قدس لها وللأرض اتيان طوع أو كرها قالنا أنما طاعت
فقصص سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمورها ، والسماء الذ
مصابيح وحفظ ذلك تقدر العزيز العليم ثم قال بقوله : وقدر فيها
أقواتها ، وقوله : ذلك تقدير العزيز العليم ، يراد به القدر الذى ص
الناس وصيره عامل ركود واخضاط مع أنه هو القوة والوثوب والنشاط
والمراد بتقدير الأقوات جعلها ذات مقادير ونسب كما سبق ، وختام الآيات
بقوله : العزيز العليم هو كالتدليل على أن المقصود بتقدير وضع الأشياء
في مواضعها وخلقها متناسبة متكافئة وبعده كل شيء ما يستحقه وما يصلحه
ويفيد^(١) فان العزيز هو اقوى العالين والعليم هو الذى يفعل ذلك ويقدر
عليه^(٢) لأن من لا يصع ذلك فالمصاع له إما أن يكون غرا وإما أن يكون

(١) يرم أن المسلمين يقولون ان هذه المخلوقات غير متكافئة وغير متناسبة وأنه
تعالى لا يصع الأشياء في مواضعها ولا يعطى كل شيء ما يستحقه ، وقد بينا لك ان
هذا الذى يحكون رعى المسلمين به هو مذهب املاحدة الذين يسدون الامور الى
الطبيعة

(٢) يرم أن المسلمين يقولون ان الله لا يفعل ذلك ولا يقدر عليه ، وأنه ليس
بقوى ولا عالى ، وإلا فأى داع الى التكلف فيها هو معرووف عند كل عاقل من
المسلمين

حجلاً . وهو ليس معاجر ولا حاحل لانه انور العليم (١) ولو كان التقدير ما يفهمه العامة من لقدر لكان المناسب أن يقال في اختتام الآية ذلك تقدير العرير القبه الظالم النمر (٢) تعالى الله عن ذلك وقوله به وبورك فيها إشارة الى سر القدر ولما به وعينه (٣) وقوله به تباضوعا أو كرهاً إشارة الى فائدته والى أنه منه محتومة لا يعير ولا بدل . وقوله به ورينا اسماء الدين بمصاحح وحفظ به إشارة الى قانون اخذية العام فانه هو الذي يحفظ هذه المخترقات من اهوى والتصادم . وهذا هو احفظ وترى والزواشي هي الخيال . يعنى أهايته فى أما كنه لا تهاى ولا تتغير مع دوران الارض ودورانها معي معها ، وكل هذا يرجع الى قانون احادية .

هذا كلامه بحروفه . فهو يعبر القرآن كيف شئت شهوره وهواه . لانه المقدم فى الأمر كما يقول . وقد سكت عن تفسير يوم من لانه يصادم ذكره فى حلقها وأها مكنت ملايين الناس كما ترى . ولو شاء لحرف ليومين وجعلهما سنين أو أشهراً أو أياماً أو غير هذا كقوله فى غيرها . وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى الكلام على هذه الأيام الستة (ص ٨٩) قسم ثالث مجموعمة رسائل ابن تيمية طعة المار : والرمل أحمرت بحق لأفلاك وحلق الرمان

(١) لكن بيان كلامك أنه حد نفسه حدود لا يبعدها وحواجر لا يخرها . الى غير ذلك ، وأنه لا يتصرف فى الاسباب بمصع . . . وهذا تصريح بمجره عن تعبير بواميس الطبيعة

(٢) على هذا كل تصرف يعمله الله فى جمعه وهو بحال رتب فى بواميس الطبيعة فهو ظالم وشر وسع . ولو كنت تعتمد أن كل فعله تعالى قائمه على العدل والحكمة لم تدع هذا . والعامة الذين تير اليه قد أدبت عن اعتقادهم بأن الله عنهم يتصرف فى الاسباب كيف شاء . هل هذا عندك هو السعة والظلم وشر

(٣) هذا هو سر القدر عنده

الذى هو مقدار حركتها مع إحراقها بأنها خلقت من مادة قبل ذلك وفي زمان
 قبل هذا الزمان ، فإنه سبحانه أحسن أنه خلق السموات في ستة أيام ، وسواء
 قيل أن تلك الأيام بمقدار هذه الأيام لمقدرة بطوع الشمس وعروبها أو قيل
 إنها أكثر من كمال نعيمهم أن كل يوم قدره ألف سنة فلا ريب أن تلك
 الأيام غير هذه الأيام وغير الزمان أبهى هو مقدار حركة هذه الأفلاك ،
 وتلك الأيام مقدرة بحركة أحلام موحدة قبل خلق السموات والأرض ،
 انتهى

والحاصل أن ما ذكره هذا المأمور فكله يدور على أن القدر المذكور
 في هذه الآية هو القدر ، وقد رتب جميع الأحداث الصريحة على خلاف
 ما ادعاه ، وقد عرفت بطلان كلامه وما سبق

فصل

قال : وقد جاءت أحاديث وآثار عن السلف يدل على أنهم كانوا يهتمون
 القدر على ما ذكرناه ، فمما جاء في ذلك حديث جوع عمر بن الخطاب ومن
 معه من الصحابة والمسلمين عن الله لما أن مروا من جبل وعادوا أن يطاعون قد
 وفد إليها ، وقد استشار عمر ابن الخطاب جوع وأشار مشيرون بأن يرجع
 وآخرون بأن يمضي ، فاختار بمصته سابقه وبصرته لشدة الجوع ، فقبض
 له ، أفرارا من قدر الله ؛ فقال : وأعجب لي قال : « نعم » من قدر الله على
 قدر الله . ثم قال للمعتز : أرايت لو هبطت واديا فيه مكان محصب ومكان
 محصب ، قال رعبت المحصب رعبته ، قدر الله ، ورعبت المحصب رعبته ، قدر
 الله . ثم حدث عن أبي ارسول عن الصدوم على الزمان فسر بذلك . ثم أخذ
 يفرغ على هذا الأثر على عده وبحكمه على هواد فقال : وهذا صريح في
 أنهم فهموا القدر على خلاف ما فهمه المخبرون ، إلى آخره

فيقال أولاً : قد ذكرت فيما يأتي قريباً الحديث الناص على أن عمر تقرأ من نسخة هذا إليه ، وردك للحديث مع تصحيح العلماء له مصروب به وجهك لأنه متى عني أنك المقدم في كل أمر ، وحشد ولا يسوع لك الاحتجاج بهذا الحديث أصلاً

وقال ثانياً : قد تقدم ما ذكرته أن عمر كان يمنع من كتب الأوتار ولتوراة الإغريق ونصاف على ذلك ، ثم جعل هذا العمل من المقاصد العظمى في نأجر المسلمين ، وصمد به المودة ووطنه لآفة لم تقلها هناك مع ثبوت ذلك عنه . وهذا احتججت بما بينت أنه قد تقرأ منه

ويقال ذلك على فرض ثبوت هذا وأنه سيرا منه هو في غاية الصراحة في الرد عليك . فانه في رد جميع ما قررته في تفسير القدر ، لأن حاصل كلامك أن الحوادث المسنحة وأفعال العباد ليست بحقيقة صادرة عن مشيئته وقدرته ، إذ لو كانت تقرر بذلك لم تنازع المسلمين المعتقدين هذا ، فان عمر رضي الله عنه ثبت أن وقوع الوفاء في هذا المكان دون ذلك المكان من قدر الله ، ومعلوم أن وقوع الوفاء أمر حادث من الحوادث الكونية ، فهو دليل على أنه تعالى هو الذي أمره في هذا المكان ، وأن كون الإنسان يأتي إليه من قدر الله وكونه بهر منه من قدر الله ، ومعلوم أن الإتيان والقرار أفعال حادثه فهي من قدر الله ، ويوضح هذا أنه مثل الإتيان والقرار بالمرعي في المكان المحض والمكان المحض ، ومعلوم أن رعي الأرض فعل حادث فسماه عمر قدر ، فان هذا من كلامك الماضي والآتي في قولك في تعريف القدر والقضاء أن معهما ، أن الله قد أوجد هذا العالم مقدراً بمقادير مضبوطة محكوماً من لا يقل للتعبير . وأنه تعالى قد فرغ من ذلك فراعاً لا يعقبه تبديل ولا تعديل ولا زيادة ولا نقصان ، فهذا صريح في أن الحوادث لا تصدر عن مشيئة الله وإرادته وقدرته ، بل هو خلق هذا العالم وتركه

يتفاعل بنفسه ، وعمر رضى الله عنه أثبت أن فعله من القرار وإتيان الأرض
كرعى الأرض وسبى ذلك قدرا قس أن أفعال لعاد من القرار والإتيان
والرعى وجميع الأعمال كلها من قدر الله . كما أن الأسباب المادية ومسبباتها
كلها من قدر الله لا تصدر إلا بإرادته ومشيئته قد شاء كان وما لم يشأ لم يكن .
وقد قلنا فيما مضى إما أن نقسم بأن هذه الحوادث كلها من أسباب ومسببات
من الأجسام والأقوال والأفعال تجري بمشيئة الله وقدرته وإرادته . وإما أن
ندعى أنها خارجة عن مشيئته وقدرته ومشيئته . فان التزم بالآول فلا معنى
لفلسفة كسرة والمعاكسة واعباد انطون كما سبق . وان ادعيت الثانى فقدم
أسكرت بصرف الله فى ملكه وتديره له وجعله معرولا عنه . وهذا أعظم
الكفر . ولا حاجة الى هذا الحدغ والمليس والمناقضة لظاهره

ولو أن رجلا من "نطاعون" ثبت هل بطل أن ساس المقربين بالقدر
يقولون أنه مات من غير قدر ، ومن نظر أنهم يوحون على الاسباب أن هو
نفسه الى الهلكة ويقولون هذا هو الالهي بقدر حتى تسدل هذا . من هم
يوحون على الانسان أن يفعل ما فيه صلاحه وفلاحه ويهبونه عنه هلاكه
ودماره . ويقولون كل من الفساد والصلاح والوصول الى دين من القدر
وكذلك الهلاك . كما فى الحديث : اعلموا فكل مسر لمسا خلق له . وكما قال
تعالى : وانى قدر هدى الله فهو مسجده إذا قدر للعبد شئنا فلا بد أن يهدى
لأسائه لى توصله الى ما قدر له . وقال تعالى : انى أعطى كل شئ خلقه ثم
هدى . فهذا نص فى أنه أعطى الانسان خلقه وهداه لما قدر له كما فى الآية
المتقدمة خلق الانسان على صفته عقداره وحدوده وهبته ثم أعطى حبه من
أقوال وأفعال ومعلومات كلها مقدره عنه بحقيقة الله تعالى ليس لاحد فيها
خلق الله

ثم قال : قد ذكر اس حشر لعقلان فى شرح البخارى قال أحرج

الطحاوى باسناد صحيح أن عمر قال ، المهم إن لم يمسحوا بثلثيها أنا أبرأ إليك منهم ، رعموا أني فررت من الطاعون وأنا أبرأ إليك من ذلك وسأقضية الثلاثة وهذا يجب أن لا يكون صحيحاً ، إذ كيف يبرأ عمر من شيء أمر به الرسول ، ومن شيء فعله ووافق لصحابه عليه واحتج له ذلك الاحتجاج المسكت .

قلت : هكذا ساق الحديث واكتفى في رده بما رى في قوله ، يجب أن لا يكون صحيحاً ، ثم على أنه إذا قال قولاً أمراً لم يمسحوا بثلثيها ، وأنه هو المقدم في كل أمر ، وحيث أن موافقه أحدث هو شرط من شروط صحة حتى وافق هو هو صحيح بلا سب ، ومنى حقه هو كذب بلا شك ، فكان هذا الحديث غير صحيح لعدم وجود شرطه فيجب أن لا يكون صحيحاً ، وكيف يكون صحيحاً وهو لم يوافق هو ، انتهى إلى وجب أن يكون المقدم في الأمر وأن يرد الطلب وانحصر وأثره ، هذا لا يكون عن مقصدي قاعده أبداً ، وإلا فرجل يذكر حديثاً يخرجها باسناد صحيح وقد صححه من غير رده بقوله يجب أن لا يكون صحيحاً ولا يذكر الحديث في ٤ كان غير صحيح لاشك أنه ، في نسخة الحق في إيصال الأحاديث ونصيحته مجرد تحكيم في شريعة الله ونصحه ، ولو أنه ذكر أن أحداً ضعفه أو أسكره أو جعل في صحته نظر ونحو ذلك لكان أسهل ، أما يجب عدم صحته فكيفما قلنا وجنون ومجاعة ظاهرة

ثم ذكر الحديث انتهى فيه أنها سألو رسول الله ﷺ وقالوا يا رسول الله أرأيت أدوية تتداوى بها هل ترد من قدر الله شيئاً قال هي من قدر الله ثم قال . وقدر الله في الحديث هو ما شرحنا

فيقال قد تقدم الكلام على ما شرحناه وأنه لا حجة له فيه ، بل هذا الحديث يؤيد ما يعتقد المسلمون ، فإن التداوى أفعال والأدوية أكثرها

معمونة مصنوعة حديثه (١) فإذا كان الذي يثبت قد جعلها من قدر الله فقد دل على أن أعمال أعاد وأعمالهم كلها بما قدر الله ، وأنها كلها من تصرف الله في المتحدد المستمر في ملكه بقدرته ومشيئته ، وهو يدل على أن الأسباب ومسبباتها كلها من القدر الذي هو مربوط بالمشيئة والارادة ، ومعلوم أن بعض الأدوية لا تنفع من فيها ما يضر ، والله تعالى هو الذي قدرها أدوية للأمراض ، كما أنه هو الذي قدر الأمراض ، ووحدة فقد يدلك فيما سبق أن جميع ما في الكون هو تحت قدرة الله وإرادته ومشيئته ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فمن رعى أنه كونه في ميث الله ما لا يشكوه فقد عاد الله حمار ، فلا حاجة من أن يدعى الاسلام ويحتم عذاب النفاق ودله الخداع .

فصل

ثم ذكر بعض السحري وشع عليه في رأيه في القدر ، ثم ذكر بيت من هاني الذي يقول فيه :

ما شئت لا ما شئت الأديا فاحكم فأنت الواحد القهار

ثم قال والله كما يجب أن الأقدار هي القوى الخفية الخبيثة الطالمة التي أرسلت على هذا لائن تسوسه شر سياسة ، وتطرده وتسد به بدون أن يلقى غوة ، وبودده عن الوصول إلى أعراضه وعن الاستمتاع عواشه وأعماله (٢)

(١) كما قال ما (والله خلقكم وما تعملون)

(٢) ذلك الله ، من الذي جعل الأقدار بهذا الوصف ، ومن الذي أعطاه

المواهب يستمتع بها ثم ذاه عنها

فلننظر المصنف الى هذا المبحث كيف استند بهذا بيت ثم ركب عليه هذا
الحديث وجعل المسلمين يرون أن القدر هو القوى احق به الخيثة ، ثم بها قوى
حقبة حشة حيث ذكر أن اجمع ذهبوا الى هذا - ولا ندع فيمن عادى الله
ورسوله والمؤمنين ومن اجراً على اللقاء الأقدس أن يكلمه هذا - ولو قيل
لهذا الرديق بين لنا من هم اجمع الله ذهبوا الى أن القدر قوى حشته ثم يجد
من المسلمين نراً واحداً يدعى هذا ، اللهم إلا أن يجد الله في نفسه بسميه
مسلياً فقد يكون ، والعرض الحقيقى من هذا هو تشويه سمعة هذا الأصل
الدينى وركبه كراهته فى السموس ، ولا فهو يدعو أن المسلمين لا يشكروا فى
كفر من اعتقد هذا فى مشيئة الله تعالى وقد به وقصائده وقدره ، فانه ينتقم
منه إنه عزيز ذو انتقام .

مصل

ثم سلك فى عصر القضاء مسلكه فى تفسير القدر سواء ، فادعى
أن معناه أن هذه المخلوقات قد قضى من حلقها على هذا التكوين لطبيعى .
فكان معنى القضاء والقدر سواء وهو خلق الأشياء المادية والاحداها على هذا
التكوين المحكم ، وقد علمت بما سبق أن مسألة اعتقاد خلق العالم على ما هو
عليه من الانتقال والإحكام أمر لا سارع فيه أحد من المسلمين ، من المشركين
مقرون بهذا كما تقدم بيانه ، وانما الكلام فى الخواص المشهوده من الأعمال
والأفعال وغيرها ، فالمسلمون يقولون كل ذلك قضاء الله وقدره ومشيئته لها ،
والدهرية والملاحذه ومن سلك سبيلهم يدعون أن ذلك مصادفات من تفاعل
الطبيعة لا تعنى للإرادة والمشيئة المتبينة . وكلام هذا المبحث يقرر هذا فى
الحقيقة ، وإلا فلا معنى لاعتراضه وبراعه ، فقد وهو حاصل كلامه فى القضاء
والقدر :

« بالقضاء والقدر معناهما أن الله قد أوجد هذا العالم مقدرأ بمقادير

مصروفة ، محكوم ما يستل لا تقبل التعديل ، وأنه تعالى قد فرغ من ذلك قراءاً
لا يفتقره تبديس ولا تعدد ولا زيادة ولا نقصان ، لأن ذلك هو شأن
الضعفاء أو الجهلاء أو السخفاء ، وتعالى الله عن ذلك .

فيقال له : ما معنى التبدل والتعديل والتقصان هنا ، أتريد أنه تعالى
لما فرغ من خلق العالم عمل نفسه عن التصرف وأن هذه الحوادث المشهودة
لا تعلق لها بمشيئته وقدرته وإرادته ، أم تريد أنه فرغ من ذلك وكل ما في
العلم يجري على مقتضى خلقه وأمره ، أم تريد أمراً آخر ، فإن أردت
الأول فقد جازى الكفر وحملت بعد تعدد معلومة عن التصرف في ملكه
وأنه معروف عنه ، وإن أردت الثاني فهو قول المفسرين فلا معنى لعداوتهم ورد
أهم . ونحن نعلم أن هذا ليس هو مرادك ، ولكن هذا على فرض التبرل .
وإن أردت غير ذلك فلا بد من بيانه فإني حاذعت هنا كثيراً كما ذكرت في
كسر من هذه الأمور من حال خوف وإرهابة وإلا فتصوّر ذلك معروف
ثم اسكتك التبدل مصاد لقوله تعالى : يوم تبدل الأرض غير الأرض
والسموات ، وقوله تعالى : ثم بدلنا مكان سيئتيه الحسنين ، وكل الحوادث
لمسجدة ما هي إلا دل على حواشي داهية ، وأما التعديل فلا بد من بيان
معناه ، وحديث يظهر الجواب عنه ، وقد علم أن المفسرين لا يقولون إن العالم
بحاج إلى تعديل ، وأما زيادته فإني قررت أن القسم كان كسبه واحدة ثم
أعجزه فوقاً فكان شمساً ، ثم ولدت الشمس من ليل ، وولدت الساعات
الآثار على ما مر في حديثك ، وهذا كله زيادة في أصول العالم ، وقد أطلقت في
قرر التطور . ومعلوم أنه زيادة لا شئ ، فإن كانت الزيادة التي أسكتك من
هذا الباب فتدقق ، وإن كانت من غيره فلا بد من بيانه ، وكذلك
النقص فانك لم تنب حقيقته من هو في الكليات أو في الأفراد أو في غير
ذلك ، وقد قال تعالى : **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تُصْنَعُونَ** ، أي الأرض تنقصها من أطرافها

والتحول المشهدي أفراد كثير من المخلوقات وأرواحها نقص عكس
التطور. ولخص أن كلامك هذا هيبال ليس من التحقيق في شيء،
ومقصودك منه إبطال القضاء والقدر الذي يعتقده المسلمون، وإلا فقد بينا
أنه لا بد لك من أمرين إما الإقرار بتعلق المشقة بجميع الموحودات، وإما
استكثارها، وحديثه يسكشف حماك وعماقتك، أما انتطويل التهويل
والندبة في خلق العدم فهو تملص لا سمع ولا نهي من الحق شأ
ودعوات أن هذا شأن لضعفاء والجهلاء والصفاه

نقال قد تحكمت على الله في القدر. قل هذه أمور عبية. من أس لك
أن تصرف الله في ملكه على مقتضى عيه وحكمته هو شأن هؤلاء، ولا
يرم من عدم اصلاخ الخلق على حكمه الله أن يكون ذلك سببا وجها لتعالي
و مقدس. من مقتضى نفسك وتقريرك أنه تعالى بهذا الوصف، فأك حمته
قد وكل عبده أن اطاعة وواميسها تحكم بهم كما أدت، فهو معجزة مره
لغيره يتصرف فيه بما شاء، ولأنه لا يعرف كنهها وحرمتها، ولأنه بعدم
رحمه وحكمته لا يبالى بما يصيبهم، ولا يعرف من من أطاعه وأطاعه ومن من
عصاه وتمرد عليه، فاعلم كالمسيء سوء، أما من اعقد أن الله عفو رحيم
عدل حكيم قائم على كل نفس بما كسبت فأنه بالقسط فلا يجعل من كان مؤمناً
كمن كان فاسقاً، بل حكمهم أنهم لا يستوون وأنه يدير الأمر، ويبدد الملك،
يعز من يشاء ويذل من يشاء بده خير، وأنه يحول ما يشاء وشد وعده
أم الكسب، وأنه كل يوم هو في شأن. من اعقد هذا نفس معقود إلا
ما دل عليه نظام الله وشرعه وكسبه لغيره الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

وقد قال هذا المحدث في البحث العاشر الآتي وجاء في النصوص أن
الوجود كله في تغير وتغير مستمرين في طريق الكمال الخ، فكيف هذا بقول

أن العالم يحكمون فستن لا تقل العير وان ذلك هو شأن الضعفاء الخ . وهذا شأنه في القلق والاضطراب

يوما بحروى ويوما بالعقيدى وبالعهدى وما وبوما بالخليص .
وناره تنسجى بجدا وآونة شعب العوير وطوره قصر تيم

الكلام على المبحث الثامن - فى التوكل

عنوانه فى أغلاله هكذا :

(لتوكل أحصه لاس فيه كف يحب أن بهم)

هذا هو عنوان هذا المبحث . ولما كان هذا المبحث مؤسسا كنهانه على هدم أصول الدين وقواعده الأساسية ، موحها سها به إلى وجهه وفله ، وعلم أن أصل الدين وقاعدته هو توجه الإنسان بقلبه وقامته إلى ربه بترك وتعالى واعتقاده عليه وإبرال اتفاقه والاستعانة به فى كل مهمة وقصد ، وهذه الأصول كلها تدور على الدعاء وتوكل وملاحظة نقصاء والمدد - فهى أصول لمادة - جعل لكل واحد من هذه الأصول وما يتعلق بها من الخطب والصلاة معمولا وسلاحا يفتحه من أصله . يقطع العلائق الدنية بين الله تعالى وبين عباده ، وما يقطعها به عنه يحصل اتوجه إلى الطبيعة وبوامسها ، لأن معرفة ذلك فى رأيه لا تنفق مع الاعمال بالله واليوم الآخر وهذه الأصول أبدا . فاجتهد فى إزالة هذه الأصول وإبعادها عن طريق دعائته الإلحادية ، فأمره للتوكل هذا المبحث . وسلك فيه مسلك بضائره من أصول الدين التى حاول هدمها . وقد أودم لاس من أصداء الاسلام وغيرهم من الخلاء أن المسلمين يمتقدون أن التوكل هو ترك العمل بسا . والمعز والنوم والكس ، وترك القيام بكل ما يفهم فى معاشهم وديارهم ، وأنهم فعلوا ذلك ففكوا عاجزين متأخرين . وغرضه من هذا الافتراء هو حمل عبدة كل مصيبة على

الدين وأصوله كالنوكل ، على عادته في حمل المصائب على الدين وأهله كما تقدم وكل مسلم عاقل يعرف دئنه يعلم حقيقة العلم أن هذا الذي ادعاه بهت وجور ومكارة واصححه وتروى على المسلمين ، ولا يمكن له أن يحسد ما يصدقه في كتاب من كتبهم المعتمدة وعقائدهم المعصدة ، وأن النوكل هو هذا الذي ادعاه ، ولو وقع المشاهد من أحوال الناس حاضتهم وعامتهم خلاف ما ادعاه ، فإن معاملاتهم وسيرهم وراء دعائهم الكبرية المحسفة ميرا حيثما يناقض ما ادعاه ، فالناس إنما أتوا من حيث تركوا النوكل لأمس حيث فعلوه ، كما يأتي توصل به ديت قول المحدث

• النوكل - أخطأ الناس فيه - كيف يجب أن يمه

أراد أحد سلاطين الأبرار في أواسط القرن الثالث عشر الهجرى أن يدخل النظام الجديد الغربي على الجيوش عثمانية ، فهاج الشعب وهاج الأكثارية ، فؤدعهم شبح الاسلام و"صدر الأعظم قانس" أنه لا يجوز أن تكون عساكر الاسلام مشبهة - كعساكر - فحدثوا شعاعا عظيما في العاصمة وغيرها ، وفاموا يطالبون بقتل السليمان ومن معه من الأوراد الذين يريدون التنظيم الجديد ويريدون إفساد طهارة الإيمان بأفهام الشيعة ، ونشروا منشورا فيه أسماء الرجال من عصاة سؤوفه الذين يضربون قتلهم ، وقد ذكر لهم أسماء أولئك الرجال شبح الاسلام عظام الله فؤدى ، فحمدوا في ذلك حتى قتلهم ، ثم حرقوا في الطرقات مآدوا أنما السطان المعشوش بهذه التعاليم سببت ألك أمير المؤمنين ، وعوصا عن السكات على الله القادر العظيم الذي يبدد في دبقه واحدة الجيوش الكبره أردت أن يشبه الاسلام بالسكفار ، وأغصت الله ، فكيف يسوع نك أن يكون أمير المؤمنين ومحامدا عن الدين ، فالعساكر المحافظة على كرميك لم يبق لها ثقة بك ، والمملكة أصبحت مضطربة ، فوجب عليك أن تلاحظ وأن تفصل على كل شيء شرف الإيمان

وسلامة الاسلام ثم أصدروا استفتاء فيه . السلطان الذي يحالف القرآن هل يترك على تحت السلطة . فكانت الفتوى كلا . ثم صاحوا قد صار معلوما عندكم أنه بتحت عرش السلطان ، فما فوسكم الآن ، هل تملكون له أن يفعل ما يحل بالاسلام فصحت العياكر كلا كلا . لا نقصد سلطانا ، فليعمل . وفي هذه الأمر حللوا هذا السلطان ثم ففوه وأرغموا من حياء معده . د . البطام الجديد الذي أراد إدخاله على حيوس الدولة . (مصدر التاييح الاسلامية)

ثم قال : هذه حادثة ستقام بدل بها على ادوة الحقيقة التي سقطت الدس فيها من حراء فهمم التوكل . بحيث صار أحد الأمراض الاجتماعية النفسية الاعتمادة على تألب عليهم حتى سبوا الخول والقوة .

و خراب أن يقبل ونحن يد نقضا ما سفته دس به مقدار الهوة العميقة التي سقطت فيها من حرك لا تشعر من حراء فهمم لهذه الأصول ، حتى صار الجهن تعرض والرسوخ في العودة احتقه حقا ضيعها ملا ما لك ، في أشبه حاك في استشهادك . هذه الخي به عما شهب . به سيقا بحر إخوانك في لإحاجة حين قالوا : أحر حواء آل لوجد من فر تكلم إتهم ناس يتطهرون . قال بعض السلف عابوهم بغير عيب . وهذا المجدد لما كان يرى أن محاربة القرآن أمر لا ناس به . بل ربما يجب . استدال بهذه القصة . فقم على هؤلاء الذين رقفوا على هذا السلطان الذي حالف القرآن في إدخاله لضمم الحديد الذي حالف فيه القرآن . ولهذا لم يحكمهم مستند به أنه غير محاب له . من ساق القصة دليل على أنه معروف بذلك . وحكته . أي كما رأى بعض المكودس المكويين أن محاربة القرآن في الأمور السياسية لا ناس بها . من سمون المنقيد بأحكام القرآن حامسا حاملا . وهذا صبروا باحوود واحول تحت أعد نه والارتكاس لقطيع . وهذا المجدد عاب على هذا تشيح واستفاده هو وشعبه الهاجين على هذا البطام الخبيث العريب لعرق وعدم استلامهم له مع اعتقادهم أنه محالف للقرآن .

ثم ان هذا الفعل ليس بمجرد رأى رأوه من هو باستعته وفتوى صادرة من
أهلها ، ومعلوم أن هذه الدول الملتحدة التي قد وهبها هذا الزئاع كل ما قدر عليه
من إجلال وثناء وتعظيم وتحيل أو حاول أحد رؤسائها ادخال نظام عريب
عليها بمجرد رأى رآه دون موافقة أول الرأى أو لشعب خاسخ الشعب كله
ولم يشعروا بالرئيس أو غيره منهم كل الأمر ، هذا مع كونهم لا يرون أن هذا
النظام الذى يراد تمثله مرآت من عند الله الحكيم لعبيد الرحمة ، ولكم حاكمت
هذه الدول من وزير أو كبير أراد تحريك أمر واحد من أمورها بمجرد رأيه
وقمته أو حنسه حسب هذا فصلا عن غيره وطرده ، وما من دولة من هذه
الدول المتحدة إلا وقد حاكمت رعيا من رعيتها أو أكثر ، وأوقعت به أشد
العمومات من أجل هذا الأمر مع كون هذا من رأى رآه كرها مخالف
الأديان ، ومع ذلك فقد أنى عليها أن أعظم الله وسبح محمد وهدى عظم
النفيس ، من رعبه إلى حد أن جعله شريكا في تعذيبه في شخص صفة وهو
العلم بكل شيء والشعب على كل شيء ، وما أن حصلت هذه الخاتمة إلى مصمومها
إبكار ما عتق القرآن والغيم على من حاول ذلك حرج صدره وصوت عليه
الأرض بما رحبت وحمى ذلك مشكله كبرى ومصعبه عظمى ومرضا اجتماعيا
نفسا اعتقادا قد ألب على الناس حتى سلم أحول والقوة قصار من الذنوب
التي لا تعمر ، أن جعله حجة يفتح بها على المسلمين في أعلاله المشدودة في
عنفه بانه لعجب ، كيف جيب على دولة تدعى أنها على مبدأ الاسلام
والقرآن بأن إليها أعداؤها بدست من معونه فهو وجوب على رئيس من رؤسائها
ثم يريد هذا الرئيس أن يقبض نظامها ومدها إلى تمتد الله به ثم لا يجر له
أو تقتله وهذا الرأى قد مدح مصطنع كمال لما غير دينها واختار أن تكون
لا دينية ، وقد أعجب به وبرأيه (١) هذا الذى يضاد القرآن ، وليس هذا بكثير

(١) ذكره في سنة (كيف كان المسلوب) ، وسبأن مدحه له ما أيضا

من مثله . فان لم يدق لا بد أن يكون هذا مبدأ ، ولا بد أن يؤمن بالحيث
والطاعون ويقول للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا .
ثم أن عيب في قولهم أنها السلطان المعشوش بهذه التعاليم . وهي لتعاليم الحق
للقرآن . نسبت أنك أمير المؤمنين ، وعوض عن الكتاب على المصادر العظمى
الذى يبدد في الدبقة الواحدة الجيوش الكبر . فان هذا كله صحيح ولعمري
استكثر أن يبدد الله في دققة واحدة الجيوش الكثيرة . وعد هذا بحرفة منهم
ولم يفت . بما فعل بالأمم الماضية المكسبة للإسـل كيف أهلكها الله وبندها .
بل وبسكتة ذلك في الضافة ليدبره لى أخر حيا الله على يدي عباده في وقت
رفض الآدميين وشيوع ارتدقة والاتحاد . وهذا هو الوقت الملائم . ينتقم
بها من أعدائه ومن نصرهم وتحت يده أو من موضع انتقده قولهم . وعوضا
عن الكتاب على المصادر العظمى . يعنى لم قالوا هذا تقول لأن الذى شكل على الله
وسمك بالقرآن . وبذلك النظام الخديد الذى يصده هو عنده جاهل رجعى
منتقم من الله على أصله أن الله . قد منح أخرى هى المصيبة والعبودية . فإذا
كان هذا هو الذى خطر على ناله فسمع أنهم يردوا هذا التدم يقدموا تقدما
عطيا . ولم يصبروا . وأما أصابهم ما أصابهم حين عادوا فأدحوا
انظام الحديد وأمناه فمروا فعير الله عليهم . به الله التى قد حست في عباده أن
الله لا يعبر ما يقوم حتى يعبروا ما بأنفسهم . هذا مع ما هم فيه من المخالفة في
أمر أخرى كشروع مذهب الجهمية المكسب لعن الله على عرشه وعباده
قصور الأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم في شدائد والعبودية كثير من
نظريات الصوفية الباطلة

والمقصود أن سياقه لهذه الحادثة مستوحا بها هذا المبحث منتقدا بها على
المسلمين بما يدل على كثرة حجاجه . لأنه لم ينتقم منهم . إلا أن يؤمروا بالله
العزيز الخيد الذى له ملك السموات والأرض . وأما الخائف أن ارتكبا هذه
الحياة المعباء بحته الشديدة وولوعه الأعمى في حب الأنظمة الجديدة ولا سيما

اذا كانت إلحادية محضة ، ومقتة للأخلاق الدينية الأولى ، فإنه مطبوع على
تتبع الخبائث وكرهه لطيات ومقتها والبعد عنها ، وطبعه هذا هو الذي أعماه
عما به يستدل ، وهذا كله سار لا على تقدير ثبوت هذه الحادثة على الصورة
التي ذكرها ، والا فالمرء أنهم قاموا عليه لما أراد بحاجته مفرقا صريحا .
ثم انه صاع الدعوى على حسب ما يقصبه شهوده وإرادته ، واحتج بها فجعل
الدعوى هي الحجة ثم بنى عليها دسائسه ، وهذا خطأ مسبق . ثم هي مع هذا
كأنه يرميها بأفصح أصناف دعواه على المستبر في التوكل كما يأتي أنه الاسلام
والسكسل وترك العمل واحداً به صفت احد والقيم واجهاد وحشد الجوش
فلو كان الامر كما ذكر لم يجعل لها جوش بحربه وأسلحه وعددا عظيمة ، بل
استسكنت وطست من الله ما شاء واشتمت على رعمت بدون جوش ،
ولكنه على معنى "لقب والصيرة في كل ناحية من آرائه وأوكاره حتى ملنا
من لئسه على كثرة ما قصه وم . . . كلامه في كل جملة ومحيفة الاماندر

فصل

ثم شرع بين معنى التوكل المعنى المعتقده المسبون ، ولكنه صاع فيه كما
صنع في معنى انقصه ولقد ، فلم يذكر ما يفهمه المسلمون على وجه من كونه
الاعتماد على الله في جميع الاعمال والأقوال المشروعة من الأسباب الدينية
والدينية ، بل عكس المعنى لأنه يريد أن يصدق أصول الدين على صده من
قواعد الاحاد ، فيعكس المداول فمحتم اشرك بوحيدا والتوحيد شركا كما جعل
العلم جهلا وخس علما ، ادعى أن التوكل على الله هو الاعتماد على الأسباب
وهذا عبادة الهت والمكابر ، خسر عبادة الله هي عبادة الأولات ، طاه لا يختلف
المسلمون أن التوكل من أنواع لعبادة وأن من توكل على سبب فقد عبده ،
كما نقل في الاقناع وشرحه الاخراج على أن من جعل بينه وبين الله وسائط
يدعوه ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماع ، وبرهنوا على هذا الأصل بأن ذلك

كفعل عابدى الأوثان قائلين : ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فجعلوا التوكل من العبادة . من هو نفسه قد صرح في كنهه السابقه أن التوكل من أنواع العبادة (١) فكيف يدعى صرف هذه العبادة لعبير الله . ولا شك أن الأسباب كلها مخلوقة لا تخور عبادتها ، فمن عبد غير الله كفر . وسيأتى تصريح شيوخ الإسلام بأن الاعتماد على الأسباب شرك محرم . ولم يعلم أحداً من جميع الكفر والمشركين بالاديان ادعى أن التوكل على الله هو التوكل على الأسباب سوى دجال هذا العصر هذا الزيدى . وهذا مع كونه مستهتراً واحد من شرايع السابرة فهو فحة سافرة لا تحصى إلا على سيد كالأنعام

وقد رتب له شيطانه أن يقول : على الفقهاء أقوالاً لا أساس لها من الصحة ثم يستدل أقوال معموله لبعض الصوفية لحظ الحق بالباطل ويصدق دعواه فيما عراه إلى المسير . وقد كثر أنتم الإسلام في معنى التوكل كلام ابن القيم في شرح المسائل وعمره كما نرى في شرح الإسلام ان بيعة وغيره من علماء المسير في عقائدهم وكسبه المعتمدة . وفردوا بما حذر على له مع محله . لكتبت الذين كتبوا واسعة وأحو وعسير . فان شئ كتب من هذه الكتب راجعه الأسس يجد فيه أن التوكل على الله هو الاعتماد عليه أو الاستسلام له والوثوق به . أما كونه عند التوكل عليه هو هو الاعتماد على خلقه من أسباب فهذا لا يمكن أن يوجد أبداً لأنه يتصاد مع معناه مصادرة صريحة فقال :

وقد اختلف الصوفية والمزهدون والفقهاء كذا . ثم في تحديد معنى التوكل

(١) قد نقلنا شيئاً من كلامه في المبحث الأول . وسيأتى نص كلامه بأن التوكل ركن من أركان الدين

اختلافاً كبيراً^(١) وكثروا فيه كلاماً كثيراً، وأوردوا تعريفات لمعنى هذه الكلمة الاصطلاحية لا يمكن حصرها، ولكن يمكن تلخيصها في كلمة أو كلمتين :

فعمدتم أن من اهتم بشيء في هذه الدنيا أو عمل له أو اعتقد أن شيئاً فيها يوصل إلى شيء آخر أو أن شيئاً من الأشياء لا يمكن بلوغه إلا بأسسه أو أنه يستطيع أن يفتح نفسه أو يصرها أو أن أحد كائناتنا ما كان يقدر أن يسمعه أو يصره أو أن أمراً متوقفاً وجوده على أمر آخر أو أن أمراً معيلاً بأمر فقد خرج عن جميع حدود التوكل ومن كل أنواعه .

فيقال هذا للخبص الذي ذكره من وجور ظاهر نرده كسب المسلمين المعتمدة كلها كما يرده لحسن والصروة ولعل ، فليس في المسلمين من يدعى أن هذا هو معنى التوكل ، فلا يمكنه أن يستشهد بقول عن أحد يعتقد بقوله ، وإن كان قال هذا اتحاداً أو من لا يفتقر قوله فلا يجوز به أن يستشهد به إلى المسلمين ، مع ادعاء أنه ليس المسلم هو الذي يتبع أخطاء الخطئين وأخطاء العاطلين . ثم أهوال اتحاد الصوفة والجمعة ونحوهم لا تعد من أهوال المسلمين ، ولو أن يهود ادعى على المسلمين ما عمنه من قصة من سب الصحابة ونكاههم في المستقبل بمجرد كون الرافضة سبب نفسها للإسلام لكان دعوى هذا اليهودي من حسن دعوى هذا الذي سبق سواء ، وقد كان يجب عليه

(١) غرضه من ذكر الاختلاف أنه شيء غير منضبط فيجب رفضه ، وقد كذب ، ليس في أصله اختلاف ، اختلاف التعيم في حدوده لا يوجب الاختلاف في أصله ، كالحب فإن لم يسير هو به وإن اختلفوا في حدوده ، وكذلك البعض ، فالتوكل يعرفه أدنى عامي فضلاً عن غيره ، فإنه يقول توكلت على الله في اعتمدت عليه ، وإذا قبل له اعتمد على الله أو توكل عليه فهم من العارفين معنى واحداً

في مثل هذه الأمور أن ينقل كلام أئمة الدين في معنى التوكل من عقائدهم أو كتبهم المشهورة ثم يحجب عنه . ولكنه أصغر وأحق من أن يسلك هذا الطريق الصحيح ، وإنما غايته أن يبدع إلى احصاة اليهودية ، فهو اذا اضطر إلى ذلك وجره الأمر وأغوى به الحجة اسعمل البتة والتحريف وليس الحق بالباطل شأن كل متافق هدام . ولكن يجب أن يلاحظ قوله ، أو اعتقد أن شئنا فيها يوصل إلى شئ آخر . أو أنه يستطيع أن يصنع نفسه أو بصرها ، إلخ فإنه قصد بادن الله . وهذا نظر المذموم ، أما اذا اعتقد حصول ذلك استقلالاً من دون الله ومشيئته فليس هذا حال حاكم حدود التوكل بل حرج عن حظيرة الاسلام ، فإن من اعتقد أن نفسه أو غيره مستغنى عن مشيئة الله وقدره ، وأنه يقدر أن يوصل لنفسه بما أو صرأ أمرأ على الله فهو كافر ، أما إذا اعتقد أنه قادر على سبب الأسباب أن وضعها الله لذلك باده تعالى ومشيئته فهذا حق ، هو الذي يعتقد المسلمون ، قال تعالى **لِيَبْلُغَنَّ إِلَى قَدَرِ** لا أمك نفسي بما ولا صر . لا ما شاء الله ثم وقال تعالى **وَمَا شَاءُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** وقال تعالى **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَوْفِيقًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** .

ثم قال ، وعدم وعد الدين أحدوا عنهم أن الوجه على المؤمنين المتوكل أن يستسلم وأن يفرح أعداءه وأنقذه كلها على الله ، منها نفسه للهدوء وراحته ولكن الله وحده . معتقدا أن الله سيفعل كل شيء بأسباب يوجد لها أو بلا أسباب .

ويقال : وهذا أيضا من طاهر . فهو مطالب ببيان الأحذ والمأخوذ عنه انتهى قال هذا يقول ، وإلا فهي دعوى عدو على عدوه ، بل دعوى زنديق على مؤمن ، فيجب طرحها نهائياً كنظرها

ثم قال : ومن رأيهم أنهم كلما عاوا في هذا الاستسلام وهذا التحلي عن

العمل والتفكير في المصير والعاقبة لله التفت الله إليهم وسارع إلى قضاء حاجتهم وإعطائهم ما يشاءون . وأن إيمان المرء وإسلامه مقيسان مقدران بهذا الاستسلام والتخلي ، فكما تخلى التاجر والزارع والصابغ وكل عامل ومفكر عن عمله وتفكيره لله ، إذا الله تجارته وصناعته ورعايته وعمله وتفكيره بنعماء وبركة وسداد أو شادا ، وعلى حسب اهتمامهم والاهتمام إلى أعمالهم يكون تخلي الله عنهم ، وعلى قدر تخلي الله يكون المصلحة والخسران .

فقال : اخواتي عن هذا كالمدي قلة ، بها كلها حاشا اخترعها رنديق ويرى ما المسلمين وضرب من اساس أن يصدوه في شجر د دعائه يدور رهان ولا حجة ، فطاب لمرء والافضل ربها ، وكفى في تكديسها أن أدنى كتب من كتب المسلمين يحرم الصلاة ويوجب العمل ، وأنعم الله على الناس المظورة احب لا تخفى ، مع أنهم يعتقدون التوكل على الله ، ولكن من يرد الله وسنته ولن تملك له من الله شيئا

فصل

ثم قال : وقد ذهبوا إلى أن التوكل هنا مأخوذ من الوكالة الموحودة بين اساس ، وهو أن الموكل يذهب في بيته ويترك لوكيله كل عمل وتفكير في تدبير ما وكل إليه . وأنه كما تخلى صاحب الكس عن الاهتمام بالتفكير في شأنه معتمدا على وكيله وعلى إخلاصه وعمله وحنده كان ذلك النحى أدعى إلى رص الوكيل وإلى إخلاصه .

فيقال : ومن قال لك أن التوكل على الله هو معنى موكل الناس بعضهم لبعض ، لا بد من اشتداد هذا ، مع أنك لما أردت أن تقرّر معنى التوكل عندك فسرت ما يقارب هذا التفسير كما يأتي . ثم إن الموكل لا يقضى حاجة موكله بدون عمل من الموكل وضاع له واسعا لكل ما تحتاجه الوكالة ، ولو أن إلهنا عدى إسانا وعانده ثم طلب منه أن يكون وكلا عنه في كل ما يحتاجه

أو في أمر من الأمور لم يحصل له ذلك وكان هذا المتوكل بما سفيها وإما
مجنونا ، ولا سيما إذا كان الوكيل عطيا ، فليس كل توكيل مقبولا حتى في
الإنسان ، فالقياس باطل مع كون الدعوى باطلة من أصلها
ثم قال ، ونحن هنا ثبت ما ذكرنا من عبارات ، فرأى بعضهم أن المتوكل
لا يكون متوكلا حتى يفقد التمييز .

فقال من هو هذا البعض الذي قال هذا القول ، في أسفه ركب ، فولا
سميته حتى تعرف حاله ومكانه العلمية من العلم والدين والأمانة ، وحتى يكون
لك في ذلك شيء من الحجة . فالذي يريد أن يضمن في أمم يدعي أنها تنبع
أربعائه مليون ويدعي أن دسها مخوف . لا يكفيه أن يدل بقوة قال بعضهم
وقال أحدهم وهكذا ، من بين عقلاء كثير من الكفار يتحاشون من نفوذ
بهذه الادعاء ، لأن هذا من السخافات والترهات التي هي أوهى من
العنكوت

ثم سأل أقوالا سابقة كلها يقول منها وقال بعضهم . ورأى بعضهم ،
ومن رأى فريق ، ومن قول ضائقة أخرى ، وقال أحدهم وهو ذلك . ومعهم
أن من يريد أن يجمع جناب الخياء ويرفع العقل والدين في إمكانه أن
يكتب محذات على هذا النحو وأهدين النارد ، ثم تداركه اشقاء فقتل عن أبي
يزيد ودي الثون المصري وأي عدد لله القرشي . وكلهم من انصوفية - أقوالا
غير مفسوة الى كتاب ، ولا شك أن حكم هذه حكم قوله . قال بعضهم . ثم
أدركه البلاء فقل عن أبي يعقوب الزيات وعد الله من اجله (١) أن المتوكل

(١) ومن هو أبو يعقوب الزيات وعد الله من اجله المسكين ثم كل
هؤلاء قد شرطوا للمتوكل شروحا كثيرة معروفة كما قرره العدائي في الاحكام وغيره
كيف أعرض عنها

لا يدحر شيئا ، وسب ذلك الى الاحياء للفر الى ، وهكذا تكون حال من
 اذسلح من الدين واسع هواه . ثم انصب على وجهه فحق عن أنى سليمان
 الدار الى ودى الثور وسعيا من عينه وعرا ديت الى (بنس ايليس) . وهو
 يعلم أن ابن الخوى ابدى من كلامه رده ورد أمثله . فرفض كلام من
 الخورى في القصد وبما عرى اليهم وهو استدلالها ، فانظر الى هذه الحارى
 والفصائح المتابعة

ولعجب أنه قل عن ابن الأثير أنه قال في شرح غريب الحديث : معنى
 كون الله الوكيل أنه هو بقدر تكفينه في العباد وحقيقته أن يسأل
 بأمر الموكل به . هكذا قل عن ابن الأثير ، وهو حق وصحيح ، قال تعالى
 ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رقبته ﴾ الآية . فهذا المحدث يدفن ابن
 الأثير في كون الله قائما بأرزاى عبده . وابن فسرع الفرات . قال دعوى . قل
 من يردكم من الله والارض لله دابة . قال تعالى ﴿ أقمن هو قائم على كل
 نفس بما كسبت ﴾ . وقال تعالى : الله يسقط لى لمن يشاء ويقدر . الآية
 وهذا كله لا شئ للأسباب . قل لله أمر بعبادها . وما رأيت أحدا ترشده
 اعتيادا على القدر أو الوكيل . ومن نظر عاقل أن أمة أو صنفه من الناس
 تركوا أمرهم أو عهدهم ولا على الله أو عتبروا على قدر من دون نفس
 الأسباب . أنه لا يمكن لعاقب أن يدعى هذه الدعوى أبدا لأب وجه ومكارد
 لا شك فيها . وليس في كلام ابن الأثير حث على ترك الأسباب حتى يسأل
 به . ثم إنه مره بخلاف ما ادعاه المحدث من أن الوكيل على الله هو الاعتقاد
 على الأسباب . فقد بين ابن الأثير ذلك . أنه لم يجد ما يصدق دعواه فيما عراه
 الى المسلمين . فإنه لم يظهر قول واحد من يعجز قوته يشهد لما ادعاه . وكتب
 العلماء مشحونة في الحث على العمل وطيب بررى مع كونهم يوجون التوكل
 لأنهم يعلمون أن الوكيل لا ينفيه أبدا . بل العمل مع التوكل هو العمل
 القوى الدافع الصحيح . بخلاف العمل مع الاحاد والبردقة فإنه عمل قاصر .

فأكثر الشعوب الملتحدة إنما يدفع عائلها إلى العمل دفعا قهريا ، وإذا حصلت نتائجها تكون وبلا عني أهلها أو على من هم على مدايم كما قال تعالى ﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم في حياة الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كافرون ﴾

ثم قال ، وفي قواميس اللغة : توكل على الله وانكل استسلم (١) .

فقال : ومن في هذا ما يسرك أو ما يزيد مدعيه في معنى التوكل كما أن قلنا في هذا : لا معنى لتوكل وأنه لا إسلام لله ولعلك تريد أن يكون توكل معناه : من الاستسلام لله هو الإسلام ، فقد شهدت على نفسك أن قواميس اللغة فسرت التوكل بالإسلام إلى الله كما هو صريح في قواميس اللغة وغيرها ، فأنهم قالوا : توكل على الله وانكل استسلم له . قبل فلو أنه كل على الله اعتمد على نفسه كما اعتمد ، أو هو في هذا في العمل ، فإنه لا يعتمد معنونه في العمل ، وإنما يعتمد في العمل المستسلم إلى الإسلام ، وعن هذا فكل الأمور المشروعة وإباحة لا بد من الإسلام ، فإنها إسلام بمعنى أنها امتثال لأمر الله وعمن يحضره . من الله لا يبيع ما ينقي لتوكل الله هو الإسلام له . ولا يسح معانده . ولا شك أن الطاعة وترك العمل أو ترك الأكل والشرب من الإسلام لأن ذلك يحذره لم أسره الله به من الأوامر المشروعة وهذا المعروف اسعرت بالإسلام لله واستكثره . وهذا سام هذا كلام في معرض الاستعداد . معنى هذا فهو يريد بالتوكل معانده الله والخضوع لأحكام المدة ، فقد تقدم ادعاءه أن من حاول الخروج عن قواميس اللغة هتك ولا محجة ، ومن سار معها إلى ما سعى ، كما تقدم ادعاءه

(١) لدى في قواميس اللغة : استسلم إليه . وفي حديث : إليه ، تحريما ومعنية

بأنه يجب منارعة الله في عمله وقوته وفدته مع فاعله لله والخضوع للأسباب
هي التوكل عنده كما تراه ظاهراً من كلامه . ولا شك أن من اعتمد على
الأسباب وحدها من دون الله فقد عاين الله ولم يرد كنهه لإيمانه أو لبائنه
وحدان أعدائه . بل الأصنام هي التي لا تسع من اعتمد عليها . ولا تفرق
بين أنباصع والعاش والمؤمن والخاص . وسبب عطفه هو أنه فهم فهمه
الحامد أن الاسلام بعد ربك المصطفى . وهذا من كنهه حجة . ولو
لزم هذا لزم بطلان الأعمال الدسيسة والسيوية المشروعة . وقد يب أن الأمور
الصناعية وعوفا كلها من الأمور التي أمر الله تعالى بها عبده بحسب الحاجة
واقصد . فلا تنافي التوكل . وإنما يرد على الله وعصاه والاعتماد على
النفس والمير من كل الأسباب . لأن هذه كلها من ماسلام الله وان كان عليه
من هو ان كان على غيره . فما ذكره حجة عليه كما هو مذهب

فصل

ثم انه بعد أن ذكر هذه الأقوال التي قد عرفت مذهب . شرع يطلع في
الهواء وبحارب الخيال وبجاد لشهر والدمر . وقد أصل وأضرب في التمسك
على المسيئين بأنهم يعتقدون هذه الاعتقادات . وأنهم يلتفتون بها من الناس
وأنها تطايرت في السكس ومرروا عليها فأصبحوا مأخوذين . فلا يمكن أن
يتقدموا وهم قد أعادوها ونقضوها . وأصل من هذا الهراء وانحاجه القارعه .
وقد عرفناك فيما سبق ما عليه المسلمون في هذا الأصل وعيره في التوكل على
الله . وأنه غير ما اخترعه وادعاه . فهو إنما يرد على الهواء واحالات التي لا
وجود لها أصلاً . فالأطباء في تطويل الرد عليه تكرر لا طائش تحته . لأنه
شاء على غير أصل . وهو إنما يقصد به رفض التوكل وقطع علائق من الله
بعلل وبين عباده الصغفاء . فطعن الله عنه علائق الرحمة عند حاجته اليه .
حيث صدق عن سبيل الله واستعاضها عوجها . فجميع ما ادعاه هذا إنما يرد على

إخوانه من الملاحدة أو من أحدى الكس وقطع أوقاته في مواضع
 اللهو والزفص والخلاعة والفحور لا يعرف صلاه ولا صوما ولا غير ذلك
 من الأعمال تدببه كما لا يعمى في غم سوى في ينمى منه ونفسه . فان
 هؤلاء هم الذين عني عبة من "كسل ونسطة وفساد لأخلاق ، وهم لا يعرفون
 التوكل ولا يرويه شيئا ، فانهم لما حبلوا أحاطهم وتعاليم دينهم ولم يرفعوا بذلك
 رأسا ركوا التوكل وتركوا السعاء وعموا عن ملاحظه لقضاء والقدر فقطعوا
 صميم الله تعالى واستعصوا عيب صبه "لعانا وأثمن وأعمسوا في شهوات
 أنفسهم ولهساد ولغو صي والسرقة واللمصص وأكل موان الناس بالباطل من
 الخيل لموعه والرشوة وغير ذلك ومعهم في أنهن هذه الأخلاق هم أعد
 الناس عن التوكل كما أجه بعد "ناس عن الأعمال لصحبه لافعة . وانك
 لنجد أحدث لاس نف واكثرهم حربه وأكلهم وغريم هم "العداء عن الدعاء
 وشه كل وملاحظه القضاء وغمر وأمثال ذلك من أصول الدين ، وهذا أمر
 معروف بالحس والعيب ، بل لا توجد "موصى ولا اضطربات ولا في الموضع
 ان تعد منها هذه الأصول أو تصعب في سمعا كثيرا فذهب لمسلمين الذي
 نصره ها وهو المذهب الحق في التوكل هو اعتناء الإنسان على ربه تبارك
 وتعالى في جميع أعماله المنروعة والمباحة التي يعمها بعثه ومعاده ، فعمل
 تصديق وإخلاص معتمدا على الله تعالى متوكلا عليه مستعينا به على قصده
 وإرادته معتقدا أنه لا يقصع أحمر من أحسن عملا .

ولا كان على الله هو الإسلام به تعالى في المصائب التي تنال بها الإنسان
 ولا حيلة له في دفعها فيحتسب ويدعو الله ويأبه العفو والمغفرة ويخو ذلك
 هو في المصائب ، وأما في الأعمال فيعتمد على الله في إيصال النتائج صحيحة
 نافعة ، ويحذر في العمل بمباشرة الأسباب ويطلب المعونة والسديد في عمله كله ،
 فاسوكر في سعيه لأسباب والأعمال كلها كإداة الخساسة في الأشياء الخية
 وإنامية ، فهو الروح والروح فهي دحت الحياة الأجسام القابلة لها نفعت

بحسب استيلائها ، ومنى ففقدت تلك الروح صارت ميتة أو ضعيفة جبانها . وقد
 بنا فيها مصي أن الأحسن أنواع . أحدها ما يخص الأمور العينية الكونية
 كتجفيف المطر وحصول العاصف الأخرى ، فالأكمال على الله في مثل هذه
 الأمور أن يستعين بالله ويدعو عما شاء في قضاء حاجته ويسعفده ونشوب إليه
 وأمثال ذلك ، ويسلم للواقع ، ويعلم أن الله سبحانه حكيم عليم رؤوف رحيم
 بعباده ، وأن ما فعله في خلقه فهو بسبب دواب أقرقوها ، وأهم مستحقون
 ما هو أعظم من ذلك ، فهو الحكيم العليم العدل العلي الذي لا يظلم مثقال ذرة ،
 ومهما أصاب الإنسان من بلاء فهو فرجه بما أنصاه من السراء والدمعة والترح
 ، العافية لم تعد إلا أن تلقين مع كثرة الدواب والخطايا والوعر لثاني الأمور
 الدنيوية وهي كثيرة ، مثل أن يصيبه بلاء وهو غير قادر على مقابلة ما لم يست
 مقاومته واحدة سرعا ، فيتكل على الله ويسر له . فان شاء دعا عليه وبسبب شاء
 ترك ، والله لا يصعق حق أحد على أحد في الدنيا والآخرة . والوعر لثالث
 الأعمال التي جعلها مثل الحساد والصعقة والاراعه وسحاره وغير ذلك ،
 فالتوكل على الله في مثل هذه الأمور أن تقصد إلى الله الطريقة المباحة
 فيوكل على الله في همه فيها ويستمد منه الإعانة والتوفيق ويعمل بمحدد واحتياط
 بحسب الحاجة والقسرة ، ويعتمد على الله في نوع النجاح ، وحسن الظن به في
 سلع مقصوده وتقوية همه ، ويعلم أنه إن حصل له فصور أو تعوق في هذا
 لعمل فاعلم ذلك الخلق في همه أو لدواب أقرقوها فيجمع الإنسان بين العلم
 والعمل ، فالعلم هو الدرس والاستعانة بالله . والعمل هو مباشرة الأحسن على
 وجه صحيح ، فهذا هو أصل التوكل لله على (١) فمن علم به الإنسان فانه أن
 يحجب عمله أبدا ، وأن يوقى الإنسان من ناحيتين : إما من ضعف التوكل

(١) كما قال النبي ﷺ : حرص على ما يعمدك ، واستعن بالله ، ولا تعجزن ،

والاعجاب بالنفس والعلم والمغن وسوء نص الله تعالى ، وإما أن يكون له دنوب إما في عمله هذا - وهذا أشد خطرا - وإما في غيره . وإنما ما كرهه الملاحد من دعوى كون النجاح في تلخيص الاسرار أنه هو الذي يوحده عمله بدون معنى (١) ، وأنه هو كقول ابن رشد ، فهذا مع كونه كافر وناضلا وليس فيه نجاح ، بل هو عين الوهم ، وقد بينا ذلك فيما سبق فلا حاجة إلى إعادته مرارا

فصل

قال : لنصور من لا يستطيع أن يفسد إلى حقائق علم نفس الكرى طفلا يولد في بيئة من الداء . نجد هذه الشبهات في هذا الفصل بأن حوته قوه غالبه عريضة لا يتمتع عنها شيء ، وأن هذه القوه على سموم لأن جسمه كل ما يشتهي في كل وقت وفي كل مكان بدون عناء وبدون عجز وبدون تمنى سوى أنه يستسلم لها ويركن إليها ويتوكل عليها وشق - ثم يؤمن هذا الفصل بهذا التعلم إيمانا خاصا - لنصور من لا يستطيع يعود إلى حقائق الكرى حالة هذا الطفل : كيف يمكن أن يكون وكيف يمكن أن يحياه أحده ؟ هل من الجائز أن يصنع مثل هذا الطفل خيرا أو أن يقوى على شيء ؟ ثم ليعلم أن شرا من ذلك الطفل أو الرجل الذي يعلم هذه التعاليم الاسكالية وبلقي كل هذه المعتقدات للاسلام والاسطار .

والجواب أن يقال على وجه نقص كلامك هذا مناقض في نفسه ، فتقولك بدون عناء وبدون عجز وبدون تمنى سوى أنه يستسلم لها ويركن إليها ويتوكل عليها ويتق بها قول بقص أوله آخره ، فمن قال لك أن الاسلام والركون والانسكال والوثوق على وجه الصحيح ليس شرا وليس فيه عناء . أتريد أن يكون هذا مجرد اعتقادات بدون أعمال مضطفا ، أم تريد أن

الأعمال الدينية ليست شمس - وهذا هو مرادك - ولو أردت الأول قبل لك
هذا تمتع الوجود على لوجه الصحيح ، فالإسلام والركن والوثوق
الحقيقي متى قام بقلب فلا بد أن يدفع صاحبه لبعض شيء لا أقوى منه شيء ،
ولا بد أن يسأل الأسباب المشروعة تسولا صحيحا ، ولا بد أن تكون مسجحة
صحيحة ثمرة لأن الإسلام هو الاعتقاد واسع الأوامر ، وإن أردت أن
هذه الأعمال والاعتقادات من الإسلام والاتكال والوثوق لا تنتج خيرا
ولا تقوى على شيء ، فبذلك هذا مصداق ، فقد جعلت نفس دعوتك لئلا
لك ، فصارت دعوى ودعلا معا ، فهل مع مساوئك إلا في هذه الأصول .
فالخاص كلامك أن الإسلام والله كل على هذه فهو حرة لعالية
وأوثق غير دفع ولا مفيد ولا يقوى على شيء ، وهذا ادعاء محض قد
تبين فساد ، ويمكن أن يقال لك هنا : كانت هذه بقية من البرة ، أي
الله القاهر كل الوجود وكله تحب بهته ومشيته ، وقد وعد من آمن به وتوكل
عليه ووثق به وركن إليه وإسلامه على لوجه صحيح بأنه لا خوف عليهم
ولهم يوم يحاسبون كما قال تعالى : من آمن بالله ثم استقام فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون . فأى مانع لمن فعل هذا أن يؤذنه الله ويحفظه وينصره
ويسخر له من الأسباب ما لم يحسب له حساب وهو يبدد ملكوت كل شيء ،
فهل في الدنيا أمة وثقت بالله واستسلمت له وركنت إليه وتوكلت عليه بالمعنى
الذي أمر به فلم تأت بحيز ولم تقوى على شيء وأسلمه حصن هاشم ، بل نحن نعلم
أن الذين هربوا من هذا الإسلام والركون والاتكال والوثوق طامس بالله
على السوء مختفري هذه الأصول شديداً يؤفهم عنها قد ردوا في دركات
سحيقة ودارت عليهم دائرة السوء وعموا باللاهية والدة فلم يحصلوا أحيرا
ولم يصلوا إلى ما أرادوا ، ونحن نرى هذه الدول الإسلامية كل من كان منها
أقرب إلى الوثوق بالله والإسلام له ولركون إليه على المعنى الصحيح صار
أعز وأعظم استقلالاً ، وكل من كان أشد بعدا من هذا صدر أعظم دمه

وإهانة ، وهذا طاهر لا حياء به ، فدعواك أن الطامل اسبى يقن هذا لتقن
 لا يصنع حيرا ولا يقوى على شيء فوال في بهمة السقوط ، وإذا قلت أنا لا
 أعنى بالأكال الوثوق عن وجهه الصحيح سقط كلامك من أصله ، إذ يكون
 الاعتناء لا يحل له ، فلم يقن أن يركب العمل مطلوب شرعا ، يوضح هذا
 ما يقوله على وجه المعارضة وهو أن يقن بصورة لسان العاقل ضعلا يولد
 في يده من لذات الحشيشة راحة هذه السنة في تقن هذا الطفل بأنه ليس فوقه
 غيره أو بغيره ، وهو حير أنه ميت بسماوات وأرض عليم حكمه روف
 رحيم وليس أمامه جنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب وإنما أموره كام في حكم
 الطبيعة المطبقة العانية ، فهي أن مره وبعده وبعده وتؤخره وأن كان ما في
 الوجود هو من "موانئ" نطبعة من آلام ولذات وأفراح ومصائب وغير
 ذلك ثم يؤمن هذا "نفس" بهذا التعبير فيعمل في ذلك كما يعمل الجذام في جسمه ،
 ليتصور الإنسان هذا جيدا ثم ليصور كيف يخرج هذا "نفس" وكيف تكون
 حالته وكيف تكون نتائجه ، هل من الجائز أن يصدر من هذا المذموم الحدث
 إلا انوما ، وأن كان من قرب منه من ضيق المراح ولا بد أن نفسه انمدوى
 والمرص لقائن ، وهل من الخثر أن يصدر من هذا حير أو أن يقن نفسه
 الخير ، بل لا بد أن يخرج أرباب حدثا رندا ما لا يصدر منه تغيير الفساد
 والمواحسن من ممسا في الشهوات والذات في هذه الحياة التي اعتقد أن لا حياة
 له غيرها ، فصدق صورة هذا "نفس" أن يكون كالكلب الذي عابته أن يمش
 ويومع بحرارة إلى فصاء شهوانه الخاضعة وإن كان قد يشق صياحه فقط
 لا يضطراره ، وإذ قبل هذا وحده من حرجه عن غير هذه الحجة مع هذا
 لتقن ، بل هذا المذموم ، فلا بد من حرج عن خلاف هذا أن يكون في نفسه
 شيء من الأخلاق حسنة الضية التي هي من آثار الأنبياء وأهل الدين ، ولهذا
 كل أكثر الاضحة ومواحسن ويحوي في الملاحظة المحسن ، ولو قصر حرج
 بادر فيمكن المعارضة بالآلاف والملايين الذين خرجوا وتقدموا وصاروا على

عبية من العر والبيدة ما فوق والركون والالكال معاب الصحيحة ، ولكن
يجب أن يعلم أن شرا من هذا انطعن الذي بهذه الصورة وأحدث منه هو ذلك
الرحل الذي بقي منحسرا على حامي الرحل المديني المخلص ورحل المجدد المخاهر
الصريح فصار مددنا بين هذا وذاك ، ويزداد هذا الرحل حشا وشرا فيما اذا
كان يأخذ معنى احقائق الصحيحة المقدسة فيقلب الى معنى الخدعة الدخيلة ثم
ينقل معنى الدخيل والحدث الى معنى حق وثور ، ويأخذ بصوص لا يبياه
ولأبوار السماوية فيحتج بها حدث مع اعتق ضيات برده والالحاد ، ويأخذ
أحلاق أكفر بحق الله فيصمم ان المسمى ، ويأخذ أحلاق أولياء الله فيدعيها
للملاحدة والمذمومين ، لاشك ان هذا هو شر الثلاثة من شر عديدين

أما على فوق واعتماد في تنوكل فصور المسمى لمفعل صلا بول في
ذه من لئذات يأخذ هذه الله ، يتقن هذا بطلن وتقر به بأن ربه الله هو الذي
به انكسار المطلق من جميع اوجوه المصنف كمال لعم وادكمة ورحمة ولقدرة
والرأفة والمطف المهيمن على كل ما في السموات والارض ما من دابة ولا هو
أخذ بتأصيتها ، قد أمره هذا الرب الكريم الخار ومهر بأوامر عالية أخبره
بها وبه عن أمور أخرى بينها له ، فقد علم أن ربه أعلم منه بمصالحه ومضاره
عما لا يحاط له شك ، ومن له بأن ما أمره به مصداقه بخصه بئدة اليه وما نهاه
عنه شر محض عائد ضرره اليه ، وأنه غنى عنه وعن عبادته ، وما أمره بذلك
من أجل أن عمله هذا هو الطريقة لوجده تركية نفسه وتطهيرها وتنويرها
من نقائص طبيعتها الالهية وعيوب وحاسها ، لأن حقيقة هذه الاعمال اتصال
واستمداد من مصادر انكسار المطلق والروح والنور اللذان هما مادة الحياة
ونورها ، فأخبره بأنه ان امس ذلك هاه سيؤيده وينصره ويعينه ، وإن خالفه
هاه سيحلى بئنه ومن نفسه وسدقطع عنه هذا السب الذي به حياته الصحيحة
ونوره المستمر ويكون عرصة للظرد والاعداد وسوء العقبة ، وان تماهى في

الأحد بهذا النظام الذي فيه أوامره وبواحيه ولعمري به جوري بقدر طاعته
ومعصيته ، فمقدار ما يقوم به من هذا النظام يكون إعماله ونصره وتوفيقه
وتسديده ، ومقدار إضاعته له وتقصيره فيه يكون صرده وإعاده ، وإن شك
في هذا النظام أو احتقره أو سلب به غيره فقد أساء الظن به وعن أمره ، فلا
يمكن أن يمنع به بحسب ، ثم انه سبحانه أمره بآيات كثيرة حقيقها له وعينها
وفصلها ، من من أعظم القواعد التي جاء بها هذا اللون تحرير العقل وإطلاقه
إطلاقا حرا كاملا من احتمالات الموروثه وسلبه الأعمى ، وقد أحده أنه إذا
أحد بهذه الآيات أحده قويا صادقا بحد واحد واستعان به أعين ونصر
وأيد ، وإن ، فمن هذه الآيات أو سمعتم عن غير وجهها خري أن لا
يخص على مقصوده ، وإن قصر فيها أو أحد بها أحدا ضعيفا وقد يكون بحاجة
ضعيفا . ثم إن هذا الطفل إن نشأ على هذه تربية السامة والالام بها زماما
قويا للصواب ، الأسس لهذا هذا الفعل وكيف يكون حاله ، فمن من أحتر أن
يظهر هذا الطفل حينئذ أو حاشا في أمانيه كلها ، يدبها أو لصا أو سارقا أو

(١) ليس في اثنين حرف واحد يمنع حرمة التمسك ولتظهر الصحيح في كل ما يمنع
بالأدور الديبوة السامة ، ولكنه يمنع القوصي في الإحصادات اللدنية لأنها من عالم
الغيب التي يستحسن على النفس إدراكها والإحاطة بها عن وجهها لمصوب ، وكل ما
حرمة الشارع ضرره أكثر من نفعه من عالمه ضرر محض ، ثم إنه لا يوجد في الدنيا
كلها نظام واحد لا محرم شيئا ولا يحظر على أمه شيئا ، وأكثر الملاحدة جامدون
مقلدون لقرساتهم ، والفعل الذي ينشأ في معاهد الإلحاد يرى أشاء كثيرة لا تسحقها
العقل ، ولكنه يصطلي في قبولها ، لأنه إذا عارض فيها ونصر منها سب إلى التلاذ
والله والرجوع إلى التوراة ، فيقول ذلك على مصص لئلا يخطئ عركته بين التلاميذ
بالشكود وسوء الفهم ، فأمر الإلحاد وإزده كل جهالات عنقه وتخلق بها
أعداء الأسبأ الأولون ورثتها عنهم جفاؤهم استأخرون

حائسا أو كسلانا أو جانا أو سقيها أو ردىء أخلاق أو يظهر على غاية من
الدهاء واللفطنة والرجولة والعقل والمروءة وحب العدل والاحسان والشجاعة
والصرامة محافظا على كرامته ، انسانيته ودينه ووطنه وقومه وكن ما يتعلق
به ، وريية الدين أعظم تربة وصت اليها الانسانية على اختلاف أطوارها ،
وأنت ترى الشيع والسنن والمذنب العاصدة لا تعد ولا تحصى تظهر وتطيش
وتزول ولا تثبت عند كثر من لا تخرج حتى تقوم مكانها مبادئ أخرى ،
مختلف مادتها أصورا ليس من عادة الله والتوكل عليه والوثوق به
والاستسلام له فان هذا المبدأ هو من أول الدين اني آخرها لا يزال موجودا
ولا تزال أكثر البشر به معرفة فخره وعظمته وأنه هو لأصلح بشرية فهذا
كل هو مباحا الوحيد عند تشدد وعد بهار غيره

ومن أعجب أمحب أنه اصغر الوثوق بالله والاستسلام به وأنه كل
والاعتماد عليه ، وحسن ذلك ثبت من تكبير ولا يوصل الى عيه عطيمه كما
يدن عليه كلامه ، وما علم المسكين الا بيان بهذا الشيء أكثر شيء وأقله على
أكثر البشرية كما قال تعالى لا تترك على المشركين ما تدعوهم اليه ^١ ومعلوم أنه
قال ^٢ وما أمرنا الا بمعصوا الله بحسنين به الدس حنفاء ويقيموا صلاتهم واثابوا
الزكاة وذلك من قيمته ^٣ ومعصوا أن هذه الأصول تضمن عيه الاستسلام
والوثوق والركون ، فان الاستسلام هو انقياد ولا يصح ان يسم حل ما أمر
الله به فانحرديا في الاسلام ، وان عدل ^٤ ومن سلم وجهه الى الله وهو
بحسن فقد اسلمك ما عروده الوثني والى الله عاصمة الامور ^٥ ولو قلش ذو
مكر سليم وحدان لعينه في أصوات أكثر البشرية هي عدم الاستسلام
والركون والوثوق بالله أو لفص من ذلك ، وهذا لمجد لله بما كفر وجمع
ريقة الاسلام من عنقه لأنه صاق به ذرا وثق عليه الاسلام والركون
والوثوق ، وإلا فلو كان وانقاد بالله راك اليه متوكلا عنه مستسلما لطام الله

لكان له شأن آخر . فالمرسل كاهن دعوا الناس الى هذا الفئ فاب أكثر الناس
إلا كفورا ، فما أثقل هذا الفئ وما أعظمه على أكثر النفوس ، وما أنفسه
وأخيه وأحمل أثره لو حى به على الوحه المطلوب ان كل شر وشرك سئل
والمعاصي تحمض أو اعيا بما هي نقص في الاسلام لله والكون اليه والوثوق
به والاتكال عليه

ثم هل هؤلاء ليس تركوا هذا الاسلام والركون ولتوكل والوثوق
استجدها على مقصدهم ومآلهم . لا شك أن أكثرهم بانه سوء العاقبة في
الديار والآخرة سوء أثره في الأكثر الأعلى كاف في فساد ، بخلاف من
حقق هذه الاصول واعتمدها ، فهو خير سيرة لصحيحة في الدنيا والآخرة
كما يحسن من اخلاق وانما كما قال تعالى : وما كان ربك ليهلك لقري عطلا
وأهلها مصححو

وبهذا يقين ان ما ادعاه في جمع هذا البحث ابدى بدور كله على هذه
الجملة كلام سائق لا محل له ، مع ما به من شئس وفساد عقيدة ، لأنه يرى
الى الخت على الاخذ ورأس لادى

فصل

ولما كان هذا المجدول يعلم أن الله كل ركن من أركان الله ، وأن الصلوات
القرآنة والأحاديث النبوية صريحة حدية في الأمر فلا يمكنه حجده وكنتمه
وإيمانه خا الى الحرفة اليهودية فاستعجب في تحريف معاده ، فان هذه الحرفة
هي صلاحه عند المصاف فعمس فيه عملاء يسقه به أكفر كافر في الدنيا مع
كونه عملاء مصحكا مكباً ولو أنكره بحرفة لكان أسير به ، يد أنه مفسر
التوكل على الله بالاعتماد على الأسباب ، فمفسر توكل على الله تقطع الطر الى
الله ، وحقيقة هذا أن عبادة الأسباب هي عبادة الله ، ولو أن رساله كتاب
صيد فاعتمد على كلبه في الصيد من دون الله فقد توكل على الله ، لأن الكلب

سبب في صيد الأرب ونحوه ، ولو أنه طرده هذا الأصل وقال صريحاً والصلاة
للأسباب صلاة لله لكان من حقه ، فان التوكل الديني الاعتقادي عادة
كالصلاة ، لا خلاف ، فمن توكل على الأسباب فاعتمد على من دون الله فقد
عبدها ، وقد تقدمت دعواه أنا إذا أردنا أن نعطى الله فنعظم بحقه ونعطيها
نخلو فقه نعظم له ، وباحله فادنى عالمي فصلا عن غيره ، فذلك مع هذا التفسير
وحسنه وسقوطه وأما مكارمة وعكس طاهر لمعناه لشرعي وبه في ، وقد
خالف جميع قواعدها ليعلم كما خلاف جميع كتب في هذا التفسير ، لأنه
المقدم في الأمر فقال : نعم ، التوكل جاء في أكثر من ألف مكرر ،
وجاءت الأديان كلها أمراً به ، وانفق المسلمون على أنه ركز من أركان دينهم
وليس الخلاف في حقه ووجوبه ، ولكن في تفسيره ومعبوده فظاهر من
الخاصة والجامعة أحده على النحو الذي قدمه فكانت عاقبته وبطله .

فيقال قد سبق أن ما ذكره هذا وبسببه إلى الخاصة و"عدمه كتب طاهر
وهو مكشوف ، أفاده وبسببه أيها وغير غيره أن يسببه إلى فقيه من
أئمة المسلمين أو إلى عقده واحدة من عقائدهم على كثرة ، فلا مند لما ادعاه
وما يقفه عن فوائس اللغة ، فقد ثبت أنه حجه عليه لأنه حجة صريحة وقد
يب أنه الاعتقاد في الله ونحوه من الأمر "به ولا سلام وكون الله مع
فعل الأسباب المشروعة التي أمر بالأخذ بها ، يعني لا بد أن يأخذ
بالأسباب ويعتمد على الله في نوع ما ، وسببه ، فمعنى الأسباب
لا يبنى التوكل اتفاق المسلمين كما هو مقرر في كتب الدين المعتمدة

إذا تبين هذا فقد رأيت أيها المصنف أن هذا الرجل اعتمد على أن التوكل

(١) أنه تعالى أمر بالأخذ بالأسباب ، وأمر بالاعتناء به ، فلا بد من
الأتيان بالأمرين جميعاً

من أركان الدين ، وأنه قد حاث الأتباع أمرة به . ومعلوم أن من المحال في العقل والدين أن يحكي هذا الركن "المعظم على جميع الأمة في هذه القرون الضويلة ولا يعرف معناه أحد منهم غير هذا الملتحد ، فتلقى جميع كتب التلعة والتفسير والأصول وغيرها ثم خرج هو من رأسه المصدوع معنى هو ضد ما قررناه هؤلاء كلهم وعمره . ثم يرحب على الناس اسعده . ولهذا يحذر عامة العجز أن ينسب هذا الرأي الذي رآه إلى عالم من علماء الأمة كلهم من أولهم إلى آخرهم . ونحن جدد توبة لحدث أن يوجد له عالم واحد ادعى أن التوكل على الله هو الاعتناء على الناس . فإن هذا لا يجده أبداً . وسوضح ما قبله ولائحه في بعضها

قال : أما معناه على حسب ما أيا ، وعلى حسب الدلائل المختلفة . فهو ما سنذكره .

قلت : قد ريت أنه صرح هنا أن ما سيقوله في معنى التوكل . عما هو على حسب رأيه . وهذا مما لا يمتنع في رث الفجور والمكارة . ومعلوم أنه إنما لجأ إلى أنه في هذا الركن اعظم لعدم وجود ما يشبهه وأن الملتبس على خلافه ، إذ من غير المعقول أن يكون معنى . لكن الله غير معروف عند غيره . وبشكل لما رأى أن رأيه لا يوافق آراء من ليس كلهم في معناه سمع رأيه وحده وحق به ذلك . فإنه من غير المعقول أن يطابق رأى البرهاني المحدث أي لا ينفذ وثقة ليس من سيف واحد . فلها نحن معناه على رأيه الحديث (١) فقال :

وإن وكنت وكلا ليس ببحث في أمر من أمورك ورصدت بوكالته وصا مطلقاً واعتدلت عليه أعماراً . فما لا شك منك ولا تردد في عمله ، فمضى هذا

(١) معنى خلاصة ما يقرره في قوله وإن لا يمكن معناه الواحد بالوسائل مع الاعتناء عليها وعلى بحاجتها . وهذا محروقة . فحين الاعتماد على الوسائل والاحتياط بها هو التوكل . لا الاعتماد على شيء والاحتياط بالوسائل

أنك معتقد بأن أعمال ذلك الوكيل وما يقوم به من أساليب وما يصنع من وسائل لا يحاج العايب التي يراد إيجاحها ، أعمل مؤدية إلى العايب ، وأسباب موصله إلى المسببات ، ووسائل مقررة إلى النتائج وكذا اردت اعتقاداً صحيحة أعماله وأسبابه ووسائله وتوصلها إلى أهدافها اردت عليه توكلاً وبوكالته غطته ، وإرادته هو - أي وكيلك - رضا عنه ومروراً بتمامات بوكالته . . .

فيقال : ما شاء الله (بالشمس التي في غير برحها) من عليك هذا التعبير العرب الصح - ولعله من كسور حتمت الألفة الأندية - أن هذا الوكيل على الله أو هو معنى الوكالة ، وليس كلمة إلا من شاء به يوكن بعضهم بعض ولا يهملون هذا ولا يعرفونه ، ويؤكلوا يعرفونه بشيء ، فهدده وكالات الناس على اختلاف مداخلهم وشروع وكالاتهم يوكن بعضهم بعضاً ولم يقل أحد في توكيله لوكيله لا بد من معرفته ربط الأساليب بالمسببات ، والوسائل بالنتائج ، وهذه فرق كثيرة تدعى أن الله بعض عند الأساليب لا بها ، اقتطعت وكالاتهم حيث لم يعتقدوا هذا والعجب أن الله أعزهم فذهب يصر الوكالة لا التوكيل ، وقد تقدم كلامه في قوله وقد ذهبوا إلى أن لتوكيل مأخوذ من الوكالة الموحدة من الناس إجماع ثم شاع عندهم في هذا مأخوذ ، وهذا أحد يصر لتوكيل معنى الوكالة فتدقق في ذلك حصاً على أخطاء لا تخصي ، يصر الوكالة دون توكيل ، ولعله قد حذره بحته في حب المعاصيكه وتحرره انصوص فطرح كيه في محرفه فراح يصر الوكالة بصر لتوكيل ، فسبحان من طمع على قلبه ، وقد عم احاصي والعم - من علم وعامى - بليد - أن الناس يوكن بعضهم بعضاً ، بمعنى أن الموكل يفعل لئسب الذي به تحصل الوكالة ويعوص التوكيل في الأمر لدى وكته فيه إذ عرف كعمانه للوكالة ، فيوكه مقوصاً أمره إليه بأن يفعل هذا العمل من غير أن يطرأ على تعلق لوسائل بالنتائج والأسباب بالمسببات هل هي له تها وطعمها أو لقوة فيها أو أن الله يفعل عندها لا بها ولو أن رجلاً وكل وكبلاً وذهب يتغنت عليه في تعلق

الأسباب التي معه ودرجتها بمسبباته ويتحكم عليه بأن لا يتصرف فيما تحت يده
وفي ملكه ولا يعبر فيه شيئاً بعينه وحكمته بل تكون الأسباب حاكمة عليه
بطبعها لا حاكمة هو عليها بقدرته وقهره وحكمته وعلمه ، لكان هذا الموكل قد
طعن في الوكيل طبع ظهراً وأسسه لظلمته واحتقار دونه إلى الضعف
والقصور وعدم الكفاءة ، لكان هذا الموكل معدوداً من الخلق والموكل
والأعيان ليس لا يعيرون ، والعجب لآخر أن هذا الملقب نفسه قد تم عن
كتب قواميس اللغة معنى "توكل وهو الاستسلام ، ثم تراه ههنا صادماً
كلها ، فإن ما ذكره ليس بسلاسل لوكيل بل تعنت عليه بل إهم له ، وإنما
هو استسلام للأسباب والمسببات أو وسائلها وبناؤها فقط ولا شك أن
الذي يتوكل على به كهدى المتوكل الذي ذكره ليس موكلاً عليه بل متوكل على
الأسباب ومسبباتها ، ولا فهو كل يعتمد في الله بقدرته الحكيمه ويصرف
المطلق والحرية في إيصال الشئ وضعف وأنه يعين من طاعته وإيقاده وركن إليه
وحافظه على نظامه ويعاونه من عاينه وحاجته واستعراؤه وتكميل نظامه وجمع
حكمه فتدعوت أحسن من حكمه - ما اعتمد على أسباب فقيهه إلى غيرها وركن
إليه واستسلم لها وتوجه إليها وأعرض عن حقيقته ، فإن فهو نص وعياد على
الله تعالى ثم اعتمد على الأسباب وحدها وجمعها هي الفاعلة لطبعها ، بدون
تعلق مشيئة الله وقدرته بها وإن الله لا يقدر على صرفها وخلق أعداد سطوتها
وعوقبها وتصرفها عن وجهها وقد استغنى عن أن يتوكل على الله فهو بص
الأمر إليه مع "إتمام ما أمر به من أسس الأسباب الدنيوية والديونة بقوة
وإيمان صادق ، فهي الإنسان أن يؤمن بعناء صادقاً بشرع الله ونظمه ويستعين
أنه عهد واحتياط والله لا يصيب أجر من أحسن عملاً ، ومن يتوكل على الله فهو
حسبه إن الله يطلع أمره قد جعل الله لكل شئ قدراً
ثم قال ، أما إذا شككت في الوسائط والأسباب والأعمال التي يؤيدها ، أو
شككت في إيصالها المطلوب ، فإن توكلت عليه بضعف ، وإيمانك به .

فيقال : هذا مردود ، بل نعم ، يصعب توكل إذا شككت في عاقبته في
وكفائه للوكالة وقدرته على الأسباب ومساكنها خاصة به ونظرت إلى
الأسباب فقط ، فإنه — داخل هذه — يصعب توكل على عبه . أما إذا أحسنت
الظن به واعتقدت أنه لكفائه مع الصبح معه فإن توكل بقوى ولا يس . وإنما
يصعب حين إذا صرف وجهي إلى من ذر به ومن هو في قبضه وعلقت
أما على ذلك دونه وأهسته في عدمه القدرة على التصرف فيما نقصه رخصته
ولم أره كفواً لأن يعتمد عليه من تكفؤ هي لأسباب ومساكنها . فهذا هو
الذي يوجب إوهش والضعف . بل هذا أسوأ من أن يكون وسسته إلى أحرار
هو التوكل على هذا الوجه توكل ساقط . فما ذكره ههنا من
التحقيق والنتيجة المطلوبة

ثم قال : وهكذا اضطررت إلى "توكل على الله" ، هو توكل صحيح عبه هو أن
أشئ ثقة مضيق في أن ما وضعه الله من أسباب ووسائل يسعهم عابهم هي
أسباب دونه بل مؤداة إلى مساكنها وسائر ما يحرف .

فيقال : نعم ، هذا هو التوكل الصحيح في اعتقاد الزنادقة الذين يريدون
أن يجمعوا بين تكفير والائمان ، وأن يجمعوا معنى توكل على الله هو الايمان
بالأسباب والاعتماد عليها فكون معنى الاعتناء على الله هو معنى الاعتناء على
الأسباب فهم لا يؤمنون إلا بالأسباب المادية في نفس الأمر وسائر كلام هذا
المجند في قوله . أن الايمان مع الله الواحد بالوسائل مع الاعتماد عليها وعلى
إحسانها ، وكذلك قوله . هو التوكل الصحيح إذن هو أن تؤمن بنوايس
هذا الوجود ، وأن تعقد بأن الخلق قد وضعها سبباً لا استعصاء فيها ولا
محاماة ، وأنه قدر بين العبد وأفعولاته ، انتهى . ولا تسأل إذا عجزت عملاً
واعتمد على الله في إيصال سببته فليس تتوكل على الله في رأيه . فإنه ادعى أن
معنى الاتكال الواحد بالوسائل مع الاعتماد عليها ، وهذا عين ما يجعله

الملاحدة وعن ما فعله جميع أعداء الرسل الذين حاربوهم وقاتلوهم ، فجميع الكفار خصوصاً ملاحدة الدهريين يكتوبونهم أعظم الناس توكلًا على الله لأنهم يأخذون بأموالهم وتلزمهم مدون عليها ويجعلونها مربوطة بنتائجها ، بطا لا يمكن الحكم كما أن لا تشعر به ومن يرى رأيهم من يدعي أن اكتساب ليست عللاً لمعولانها ، وإنما الله يفعل عنده لا بها ، فمؤلاً عنده شر من الكفار من هذه الناحية فلم يؤمن بركن الدين الذي هو التوكل ، لأنه قرر أن التوكل ركن من أركان الدين فله لم يتوكلوا على الله لأنهم لم يؤمنوا بأن بين العلل والمعولان خطأ ما يتطعن ، وأن كل سب مؤد إلى مسبه لا تحجب وحقيقة هذه الدعوى ومعاها أن لا يمكن على الله هو الكفر بقدرته على دفع الأسماء وخبره بديها ومن سخطها ، من كفر بقدرته على تعيين الأسماء والحجوة منها ومن سخطها ، فقد توكل عنه ، أي من آمن بالطبيعة وبأسمائها وأما هي المسيطره على الوجود وهي التي تحكمه ، استخدام الإنسان لها بقدرته المادية ومد توكل عليه تعالى ، ومن آمن به على أنه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء ويرفع الملك من يشاء ويد من يشاء وينزل من يشاء هذه الخبر وهو على كل شيء قدير وأنه يحجبه من شاء وينزع عنه أم الكتاب وأنه أن جعل الملك لأحد من ولا الدين آمنوا وحجوا صاحب كالمسدس في الأرض ولا امتنع كالمعز ، فله على مقصي دعواه لم يكن متوكلًا ، بل يكون فوضوه ، قد اعقد الاضطراب والحاجة والثبوت ، لأن تصرف الله في ملكه على ما يقتضيه حكمه وعنه ورحمه عذار بدقه والملاحضة شوبش وحاجة واضطراب كما ك هذا لأصل مرارا ، وهو واضح لا عذر عليه وإنما قررته بألوان من ادراج وصروب من النفاق لما قام بقله من عوامن الخوف على منزلته وشعفه بالمبادئ الالحادية ، فأراد أن يجمع بين هذا وهذا كما تقدم بيانه

فإن هذا المحدث سلفه بدقه من اليهود وأمثالهم في التحين على إبطال

الحقائق بقلب مسلماتها وبحرمتها عن مواضعها ، وقد علم أن الله سبحانه وتعالى قد ميع من احتال على صيد السمك فردة وحذير ، فكيف من احتال على قلب أعظم مصم للرؤوسه وهو تدير الله نعماء ونصرته فيه مما تقتضيه مشيئته وحكمته فسماه تشويشا واضطر ، ومحمد ^ص قال الامام أبو السحيان في أصحاب الخيل : ينادعون الله كذا ينادعون لصان ، هو أبو الامر عيانا كان أهون ، ولهذا تجد هذا المجد فيه شبه قوى من حبره فانه شديد الصفة من الأشياء الطيبة والمقدسة مضاع الى حد بعد ان الخائن وأهله من الملاحمة وام ، دعه وأساعده يعرف ذلك من يدركه وعرف حبه ، فانه في هذا أراد أن يجمع بين لاخذ ولشدين فبقا ^أ يقول غير هذا الهراء ، لأنه كان مضطرا ان الرده حتى لو لاها عظم عن ثديه لشد كل معش به بدعوى الدين

تكلت في إيصال شرع مقدس ربي الله منك اشعر ، حذر لصدا
ثم انه شرح هذا لتوكل الصحيح عنده فقال :

والعلاج الصحيح للمواقف من كل وجه للمعرض - وهو سب من
الاسباب - مؤد بلا ريب الى لشقاء ووضع السدر لصحيح اسليم في التربة
السيمه الصالحه لامات ذلك السر ، مؤد بلا ريب الى الإنبات ، ثم الى الإثمار
اذا ما سبق وحفظ من الآفات . واحتلاط المذكوره تقادره على الإحصاء
بالاثوثة القادرة كذلك مؤد الى وجود الولد إلا أن يوجد مضاع من الموانع
الطبيعية وسبب كثر في احياء سلوكا سليما من الفناء والزلل مؤد بك الى التجاح
إلا أن يكون هناك عقبة طبيعية وهكذا القول في كل ما يدعى أسبابا
ووسائل . فكل أرددت ثقة بهذه الاسباب ^(١) التي جعلها الله كدبك أرددت

(١) لم يقل - كل أرددت ثقة بالله الذي سببها أرددت توكل - بل جعل الثقة
بها نفسها ثقة بالله

توكلا عليه ونفقة به واحمله وصديقا احب به حبا أكبر بأن الأسباب موصلة
الى عاياتها ، انتهى

وكأنه طر هذا الأمر ثم اذ كثر منه ، وكلامه - كما ترى - في التمثيل في
الأسباب المادية . أم الأسباب الدنيوية فقد علت بما مر أنه كبرها وحاربها
وشتمها لخمها بكثرت وشه ، وملها وحشا ، وعوقها ، فبما صن هذا من يقال له :
والدعاء من القاب المخصص لصديق مستجاب كإحداث عيبه صرائح النصوص
والنحارب ، إلا أن يكون هناك مواع وعوارص دنيوية . فلم كفرت بهذا
وأكرهه وجعلت حبه لحث والتعويق والمهلالة فإن أت كافر ما توكل
إذا كنت تقرر أن الامم تكون الأسباب من بوطه نتائجها لا تخلف هو
التوكل . ومعلوم أنه ليس في النصوص حرف واحد يدل على ما ادعيت ،
بخلاف الدعاء والذكر والصوات فإن لنصوص السماوية وأخبار الله تعالى التي
لا تحصر دست على أن ذلك سبب لإحاطة وسوق وكركت تقوى وسائر
العبادات من أعظم الأسباب في حصول الخيرات ودرء العقوبات ونحن في
الديان والاحكام كما قال تعالى ولو أن أهل ثغرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم
ركاب من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فحرمهم كما كانوا يكسبون ، فهذا
نص صريح في أن الأمن والتقوى سبب لفتح البركات في الدنيا كما هي سبب
لحظ في الآخرة ، وإن الكفر سبب للاستقام وفلاك ، وأمثال هذه الآية كثير
جدا ، فلم عاكت هذه النصوص وحاربها ورفضها ولجأت الى إحصاء
المراء وأمثلة من الأمور المادية . وقد علم أن حصولك لم يذكر وهذا فقط
وأنت تكبر ما علم بالضرورة من دين الإسلام مع اعترافك به من قبل ،
وقد علم أن "كثرة والمسيين يعسوب أن الله في الأرض ينت إذا كانت
الأرض قالة والله صا وحصلت شروط ونقصت الموانع ، فالناس اذن
كلهم موكلون على الله بهذا المعنى فلا فرق بين مسلم وكافر ، فأى تخصيص للمسلم

به ، وماى شىء يكون هذا ركنا من أركان الدين ، من كثير من ينكر الدين
والتوكل يؤمنون بهذا أيضا ، بل ربما كانوا أعظم الناس إيمانا بهذا ، فهم إذن
أعظم الناس توكلا ، وقد تقدم لكلام فى قصبة تأييد الحق ، فيكون إذن
هؤلاء الكفار أعظم من الرسول وأصحابه توكلا لأنهم أشد اعتمادا على هذه
الأسباب ومعلالة فى ربطها بغيرها بدون تحلف ، فمن هذا راء من المحدثين
الذى يستنحى كثير من الكفار من عبودته تصور محنته وفساده وبكارتة

ثم قال : وإذا شككت فى الأسباب وانظر فى الى جعلها الله ، وحورت أن
لا توصل الى شىء فقد نقص توكلك على الله واجبات سخطه وأصيب بيقينك
بأحارته ونصحت من لك كين غير موكلين .

فيعال : أما أولا فقد ثبت أنك كفرت بالأسباب الدينية فكيف أن
تكون أسما ووسائل ، وأنكرت وجودها بغير حق ما تقدم .

وثانيا هذا مقصود مما ذكرته من الرواية فى تأييد الحق ، فان الرسول
عليه السلام طس أن سائر لا يسمع وأنه يوصل الى شىء ، وقد ركة نصيحة
وطبوا أنه سب لا يوصل الى مسبه ولا الى بخته ، فيكون عليه السلام هو
وأصحابه إما شاكون فى الأسباب وإما جاهلون بها فيكونون شاكن فى الله
لأنهم شاكون فى أسبه كما يسعى فيما يأتى أو جاهلون به وقد أصيب بيقينهم
بأحارته فلم يعرفوا أحار الله تعالى لأنك جعلت لشك فى الأسباب والتجويز
بأنها لا توصل الى شىء مصيبة فى اليقين بأحارته معنى وهذا قدح صرخ فى
الرسول عليه السلام وأصحابه وأن توكلهم . نقص وإنما هم سخط الله غير قوى
ويقنهم بأحارته قد أصيب فكانوا من تشاكن غير المتوكلين لأنهم جوروا
صلاحهم بدون تأييد ، ومع هذا فلم تأمرهم الرسول عليه السلام بالتوبة
من هذا الذنب الذى هو الشك وضعف اليقين وعدم الايمان بالله حين طهر
الامر بخلاف ما ظنوا وكان الملاحدة ويطراهم ومن اتقى آثارهم من هؤلاء

ارتادة أعظم منهم توكلأ وأفوى منهم يقبأ وأعظم إيماناً سظم الله لأهم لم يشكوا في الأسباب ولم يحو وأ أن لا يوصل إلى شيء كما ادعيت بل اعتمدوا فيها أعظم اعتقاد وأعظوها غاية الثقة واعتمدوا عيبا عليه الاعتقاد ، وهذا هو حقيقة ما يقوله هذا الملحد كما هو ظاهر

وقال : ليس في الشك في الأسباب إيمانه وكبرها مربوطه سائجها كبر أمر في الدين ، والخلاف في رطلها معروف أني تكلمت عنه ، وكل دي عم مدته بعم أن الرجل إذا لم شرع الإسلام وعاش عم أطول لا ولم يعرف الرطل من هذه الأسباب ومسبباتها ومبانيها على ذلك أنه لا نقص من إسلامه شيء ، ولم يتقن عن شيء يستدل به عم فمنا كبره لربط بين الأسباب المسببات أو في عدم حذف السبب عن مسبباتها الطبيعية ولو كان ذلك من عظام الأمور لدسة وأنه نقص في التوكل ونقص في الإيمان أن ينظلم الله وضعف يقين بأخباره وأنه يأنى سوكل زحمة قطع (١) وكف لم يس لهم هذا الزكر أبدا هو من أن كان الدين بهذه لصفه ويعرفه الملاحدة والكفرة دون المؤمنين ، وهذا خلاف أساس الدين ومسبباته ومسبباتها وسائجها وأن كل سبب فهو مربوط بنتيجته ، فالقرآن كله في هذا الأصل كما قال تعالى : وما من ديمكم ادعوى أستحب لكم ، من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجيبه حياة طيبة وقد تقدم كثير من الصوص ولبراكين الدانه على ذلك

ثم قال : ولا شك أنك إذا وكنت إلى مهندس تصميم مسرك ووكنت إلى مثله القيام بذلك المنزل فقد آمنت به واعتمدت على عملها ، أما لو ارتنت

(١) وهل يشك عاقل في أن الشك في كون الكلب يصيد الأرنب أو الثعب إذا علم يندج في الأيمان وأمثال هذا ، ولكن هذا المحذور لا يستحق ولا يبالى بما يقوله

فيها وفيما يصعان من تصميم وهندسة ومن آلات رفع وأدوات بناء لما وكلت اليها أمر معرك ، ولما أمكن أن تكون متوكلا عليها . ولو جرت أن لا يكون البيت صا في النهاية للسكن وجرت أن يجر بعد الفراغ منه إما خطأ في هندسته وتصميمه وإما لصعب في مواد بنائه ما عدت من ماضيها ولا متوكلا عليها ولا واكلا ليها الأمر وكأنه صحيحه .

يقال وهذا كالذي قلناه من باب بارد . فقله فقد آمنت به واعتمدت على عملها كلام في نهاية السقوط . من إذ اعتمدت على عملها كست معتمدا على الصدأ التي قامت بها من لقدرة والبر والحق . وهذا بخلاف ما لو اعتمدت على الأسباب التي هي موضوع حمل كآلات وبحرها فهي لا أكون إذ معتمدا عليها بل منها فما بالبحر وأنها غير قادرين على الخوض عن طاعة الأسباب ولا تغييرها . إذ من المصعب أن أعتمد على أسباب وهي تحت تصرفها ، وإنما أكون معتمدا عليها وعلى عملها وحكمها في التصرف إذا فوجئت أمرى ليها واعتمدت على كبرياءه ولقدرة النعمة وسبح وأن الأسباب التي نعمها رهن مشيئة تصرف فيها كيف أراها بما يقصده عليها وحكمها . وهذه حقيقة الانكار والوكالة . ثم إن البحث في التوكل عليها لا على أساسها . وحينئذ نقول هل الأسباب توكل على الله مفوضا أمره اليه ، أو على فعل الله الذي يسميه بعض الناس عمله . أو على أسسه المخلوقة الموصوفة تحت مشيئته وقدرته وتصرفه وورادته . فكيف نفعت من أقوام وأصرت بأخريه ، ولم أصرت من قد نفعتهم ونفعت من أصرت بهم أحيانا أخرى ، وتلك الأيام ماؤها بين الناس

وكلام هذا المبتدئ - كما يرى - قد أدخل فيه من التلخيص ما لا يحق . فهو على ما فيه من ركاكة وحداغ متناقص . فانه مثل بائس^(١) ولا داعي إلى التلخيص

(١) أي مهتدئ وبناء

ماشيين ، فان المسموم لم يتوكلوا على طين كل مهبط له عمل ، فان المهندس والبناء
كل مهبط له عمل ، ثم المثل كله معكوس عليه أيضا ، فان الوكيل على البناء اذا
وكلته على بناء منزل معناه موصى اليه أمر لبناء حبيبا أحدثت بأسباب الوكالة
فيما ترده في هذا المنزل فاعتقدت أنه سيحرقه على الوجه المطلوب ، فادأ
اعتمدت عليه على هذا الوجه كسبت موكلا عنه انكالا صحيحا ، أمسا اذا
صرفت همك واعتقائك الى الوساوس والآفات والعزل والحشب
والخص والآخر أو طين مثلا ونحوه عن كيمه ارتباط كل سبب عنده هل
هو بطبيعته أم لا وذهب سعت في معرفه ككل العسل وشربهم وكيف
يعملون وكيف يكون صواب المسامير في الخشب أو الحد وعن أسباب ذلك
ومناخه وأهل ذلك فأتى عن مكل عليه ، من منهم له مستهريه نعمه
طوبى له طوبى سوء ، ولكن فمضت هذا واعتقدت ذلكا على ضعف عقبك
وأنت سمعنا الحق ، والمكن هذا الوكيل حرياً أن لا يفعلك ولا يقضي لك
أمر أن يكلك ان ما وحيث همك فيه تحقق وجهك وسماهك ، فذكره
من المثل غير مطابق ما يريد ، من هو حجة عليه بلا ريب

ثم قال : وكذلك لو درست فيما وضعه الله من أسباب وما علم من طرق ،
وحورت أن تتخلف نتيجة وأن لا تكون الأسباب موصيه ، لكنت من
المربوبين في الله وفي أعماله وفي كتبه وتعدته لتدين حاموا دالين على الأسباب
وعلى ماها من قيمة .

فيقال فما الذي جعلك إذن على معانده أنباء الله ومعاكسهم فيما جاءوا به
وأحموا على أنه من أعظم الوساوس والآفات التي لا أكبر من قسمها ، فأعظم
سبب جاءوا به هو إساءة وخذائهم وإساءة عليه وعبدده الله كما قال تعالى ﴿ ولقد بعثنا
في كل أمة رسولا أن عبدوا الله واجتنبوا لما نهى عن فجعلت هذه العبادة التي
جاءوا بها ملهة ومصرفا حيث وإياها ليس بوسيلة وليس لها من فائده فصرحت
على رموس الأشهاد أنه لا فائدة فيها بعد أن قررت أن الدعاء هو العبادة بلا

خلاف وعمدت الى أعظم مظهر من مظاهر الايمان بالله والثناء عليه وتقديسه وهو خطب يوم الجمعة فجعله من لسكات . ثم عمدت الى صوت الله (١) التي ادن الله أن رفع ويدكر فيها سمع يسبح له وهو بالعدو ولا يصلح أن يجعلها أدت شرما يؤدي وجعلت الأخلاق الدسة لها شئح أخرى غير نتائج المجد ، فحاربت كتب الله وأسماءه الذين على هذه الأسباب التي لا تقدر قيمتها إلا الله تعالى . من الحياة كلها في الدنيا والآخرة دون وصف جعلها كلها لا قيمة لها لا قيمة ولا كثيرة . ولم تكلف من جعلت قيمتها شروحت وتلويح وجعلت المتدينين منهم على اختلاف دون هم وأحاسيسهم وأغبيسهم لم يهروا أخية شينا ، شملت هؤلاء لا قيمة لأسبابهم . أمم ، يحسون من الأديان فصرحت بأنهم هم الذين وهوا الأخياء وصنعوا هذا المعلوم المستحضر ، فأى خاربه سكك الله وأسمائه أعظم من هذه الخربة . من حقيقة هذا أنهم ما جاموا إلا بالنشر لهذا العلم . ولم تكلف هذا حتى ذهبت سبع كل مفاله حيثه لأحدث . دعه اعلم وملاحظهم والى لكنت الممودة بحسبه الله وأدبه وأسمائه (٢) فصدت تلك المقالات ومرفت أصول هذه الكتب وركبت من اجمع فواعد هذه الأعلام وادعت بأن شجاع موقوف على الأحكامها والدمار موقوف على تركها ، ولم تكلف بذلك أيضا حتى طست تحكيمة في الأمر وإفردت بالرعة وانزله . وهذا عين الخنوع والخرام والهديان ، قد مع أن كثير من الناس يعرفون هرس حياتك صفحته صفحته مكانا ورمانا ، فدعنا من لشعوبه والتلاعب . لشع قد تم تعضه (بعد الشاهي بهصر لمصاويل)

ثم قال : وأما غير المتوكلين فحقهم أو ثبوت الله لا يتقون دستة من

(١) أي المسامحة

(٢) ككتابات الآراء والمعتقدات

سبحان الله ولا شاموس من نوايسه ، فيجوزون عليها الاختلاف راعين أنه
لا صسط ولا حساب ولا حدود ولا رسوم يحرس عليها ولا يحرج جان عنها .
فقال الجواب عن هذا قد تقدم في أمثله . ثم هم هؤلاء الذين هم بهذه
الصفة ، أما سبه الله الذمة فقد تقدم الجواب عنها في مواضع كثيرة ، وبينا
أنك حلفت جمع أحد الدين فيها . وأما سب انفسه المذمومة فقد بينا حوانه
فيما ذكرنا على حديث تميم النخعي فيه . وذكره نخبس الرسول وأصحابه ،
وعليه فلا يكون متوكل على الله . وقد أكثر من اسطوس والشوول في هذا
الأصغر الحديث في مائة نوايس وقوانين والنظم والسموة في دين ، وكل
عارف بدنه يعلم مقصوده من دين وهو توجهه نظر الى الصبيحة ونواميسها
دون الله ومشيتة وحجته وتوجهه الى الله . وقد بينا فيها تقدم أن أعرف ساس
بهذه الأمور قد علموا ودمروا قديمها لا سبق له نظر ، وأن هذا العلم لم
يعن عنهم من الله من شيء لما تعرضوا عن الله واعتمدوا على أنفسهم من دونه .
بل لا بد في كل أمر من الأمم الصاعقة والمديبة وغيرها من فعل الأسباب
والاعتماد على الله والتوكل عليه . وقد بينا أن الله لا ينكر لربط بين
الأسباب والمسببات والوسائل والنتائج وأن فعل الأسباب أمر لا بد منه ،
ولكن كل هذا لا يمنع معاً صحيحاً مستمراً ما لم يكن مؤسسا على دين الله
وطاعة والتوجه والاعتماد عليه ، فهو الذي خلق الأسباب ومسبباتها والوسائل
ونائجها ، وهو الذي ربط بعضها ببعض ، وهو الذي يخلق أحيانا ويقطع
ترابطها أحيانا أخرى ، وقطع مراتبها من سنة التي لا تسد لها ولا تحويل
فانه أحسن مدلت فما أحسنه فهو من سنة التي لا تسد لها ولا تحويل ، وهذا
الاكل والشرب من أعظم الأسباب لحياة البدن ، وقد يكون سببا في موت
بعض الناس ، وقد يشرق الانسان بالماء البارد ، وهذا المثل قد يكون سببا في
بيل الجاه والشرف ، وقد يكون سببا في قتل صاحبه وعذابه ، ويكون سببا في
مرصه أو سجنه أيضا . وقد يأخذ الانسان سلاحا للمدافعة فيقتل به . وهذا

العلم من أعظم الأسباب في نيل رضا الرب تعالى والشرف في الدنيا وقد يكون
سببا في الشقاء والدن في الحياة الدنيا وقال تعالى ﴿ مَا آيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ مِنْ
أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ الآية وفي حكمة شعر
ومن العداوة ما يثاب نفعه ومن لصداقة ما يضر ويؤلم

وهذا يراد به أن الله تعالى هو المفضل وتصرف الأمور فهو الذي
يعطي الخير وينزع الشر وأن كل سبب محكوم مفهوم لا يمكن أن يؤثر إلا
بشروط ومواضع ، والشروط والمواضع لا تقدر على حكمها حكم صانعها إلا الله
تعالى

وقد قدمت آيات من المحدثين إلى أن صرحوا بأن الخليل سبب
للسيادة والسيادة ، وأن ليس وليا محمد محمد صاحب الخليل ، وأن
الأسباب يرداد كلها رد حواريه وكبرياءه كذا راد كبره ، بل وإن لأسباب
كلها أسكر فصائل الرد في بين الله ، وأن العقل صواب من الحق ، كل
هذا صرح به في أسانيد المقدمة ، وفي أسانيد أحد دعاة تعويض أعظم مما
دعا له هذا المحدث في هذه الأسانيد ، وهذا هو الاعتراف من الله في خلقه
ومحاولة تبديلها وتحولها ، ولكن هو هذا دأبه ، يرمى للناس مدته ويبتغى بها
ليس له

فصل

فان وقال عليه السلام . من اسرق أو كثرى برونه من نوكل رواه
الترمذي . وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله ﷺ . يدخل أحده
من أمي سيعبر ألفا غير حسب ، بين من هم يارسول الله . قال الذين
لا يكتفون ولا يسرفون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون رواه مسلم . وهذا
لأن هذه الأمور ليست من الأسباب الطبيعية فكان الاعتماد عليها رجوعا إلى

فصل

ثم أنه جاء بداهية دعياه فقال :

« لب أن يدان أقول إن التوكل هو الأحد بالأسباب مع الاعتقاد بأن الله قد يدح فيها ^(١) فيحملها من شاء أساساً وجعلها من شاء غير أساس أو مع الاعتقاد بأنه تعالى قد يفعل من غير الأسباب ، فإن هذا هو الصفه والفوضى التي لا ضابط لها ، انتهى »

هكذا صرح هذا المالحد بدون من لالة بأن صفه و«فوضى» التي لا ضابط لها هي أن يأخذ الإنسان بالأسباب معتقداً أنها تحت تصرف الله ومشيئته من شاء جعلها أساساً منعه إلى غايتها ، وإن شاء جعلها غير أسباب . فقد عرفت أيها القارئ العزيز أن هذا المنهج لا يقتنع بالأحد بالأسباب وامتنع لها مع الاعتقاد على الله والاعتماد بأنه يتصرف فيها بكل ما شاء ، بل لا بد عنده من الأحاد بها والمكسر بمشيئته الله وتصرفه فيها والاعتقاد بأنها آليه طبيعية سائرة إلى ما يشاء من شاء أن يتصرف فيها من قوتها فوق كل قوة ، فهذا عنده هو التوكل الذي أحسن في تقريره وتحريره في حاشيت هذا الذي قاله . كأن يعتقد الإنسان أن الله قدرة على الأسباب ، تصرفها في أحد . وهذا هو الصفه و«فوضى» التي لا ضابط لها . وكذلك أيضاً . يعتقد الإنسان أنه تعالى يفعل بغير أسباب فإن ذلك صفه و«فوضى» لا ضابط لها أيضاً ، فلا هو تعالى ونقدس وحيث عظمته بغير أسباب ولا هو يتصرف في الأسباب ، فعظمه عن ملكه عطياً كاملاً وجعله عملاً بغيره بغير من يصم حيز من إله لا يتصرف في ملكه فلا ينفع من أطاعه ولا نصر من عصاه . وهذا المنهج لا يعترف في نفس الأمر

(١) قوله . يدح . يعني يتصرف أو لا يعطى يتصرف ويدخل تشويهاً للصفة

تدبير الله لحلقه

بالربوبية ، وإنما يلجأ أكثر الأحياء الى هذه المخادعات ترويحاً لدعايته ، وإياها
 تتكلم معه بمخاطبة لظاهر كلامه ليبيان خطابه ، وعاية ما يدعيه في هذه المخادعات
 أحياناً كونه تعالى خالق العالم فقط ، ومعلوم أن إبليس معترف بهذا ، وكذلك
 سائر الكفار حتى فرعون فإنه في الباطن معترف بذلك كما قال تعالى عن موسى
 عليه السلام : **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَهْلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رِبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَصَافِرُ**
وَأَنِّي لِأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مُثَوَّرًا وهذا الملحد جحد تصرف الله في ملكه الذي
 أقر به كثير من الكفار فضلاً عن المسلمين ، بل لم يعم أحداً من الكافرين
 جحد تصرف الله في ملكه سوى ما يذكر عن الملحدة المختص ، فالمسلمون اليوم
 وويل لئوم وكذلك أهل الأديان السماوية وكل من يقر بالصانع ويصرف
 بتصرف الرب تعالى في ملكه بما شاء كل هؤلاء كفار أعداء الله لأنهم نسبوه
 الى سفه والفوضى لئلا يصطنع لها - على أنه - فاعتقدوا أنه يتصرف في
 الأسباب فحسب رب شيء أسماها وإن شاء غير أسباب ، وكفر هذا أعظم من
 كفر مشرك العرب وعبرهم من أعداء ربهم ، فإن أولئك كانوا مقرين بأنه
 تعالى هو الخالق الراقي المدبر للأمر وإن عبدوا بعض الخوقات معتقدين أن
 فيها سره رابية على الوساطة في تخصيص الشئاعه ونحوها ، وكثير منهم تعلق على
 الأسباب المادية وبوجه اليها واعتمد عليها وهذا كفر صريح ، فكل من اعتمد
 اعتماداً كلياً على غير الله فقد عده ، فإن الله أرسل رسوله وأنزل كتبه ليوجه
 اليه ويدعي ويستعاض به وتصرف اليه الرجاء والاعتماد ، وهذه حقيقة
 العبودية التي خلق الله الخلق لأجلها

وهذا الملحد جحد أعظم مظاهر الربوبية وكفر به وهو تصرف الله في
 ملكه بمشيئته العامة ، ولم يكفه ذلك حتى وسعها بالفوضى والسفه فحججه الله .
 وهذا أعظم في الشئاعه من كفرهم من قالوا أيد الله معولة غلت أيديهم ، فإن
 هذا جعلها معولة عن التصرف في ملكه فلا يتوقى الملك من يشاء ويرجع الملك
 من يشاء ويمن من يشاء وبذل من يشاء بيده الخير وهو عن كل شيء قدير

ولا يجوز ما يشاء ويشت وعنده أم الكتاب . ولا كل يوم هو في
 شأن . أي غير ذلك كما هو صريح كلامه . وقد بين في هذه السفة وفوضى
 التي لا صبط لها وهو تصرف الله في ملكه . وهذا ينبغي لك معنى السفة
 والعوضي التي طالما كررها ورددها وحذر عنها بان ذلك هو تدبير الله للملكة .
 تقتضيه مشيئته لعباده وإرادته الكاملة . تعالى وتقدس عما يقول الظالمون
 والمعتدون علوا كبيرا قال شيخ الاسلام ابن تيمية في المباح صحيفة ٩٢ ح
 ٢ . هو (أن الله) مسبب الأسباب وحائق كل شيء مسبب منه . لكن الأسباب
 كما قال فيها أبو حامد وأبو الفرج بن خوري وغيرهم الانشغال إلى الأسباب
 شرك في الوحد . وبحر لأسباب أن تكون أساسا يعبر في وحدته لبعض
 والإعراض عن الأسباب بالكلية وروح في الشرع . وأنتوكل بمعنى انتقم من
 التوحيد والعقل والشرع . فالله وحده أنتوكل لا يسبب إلى الأسباب بمعنى أنه
 لا يقطع اليها ولا يثق بها ولا يرجوها ولا عاقبها . ليس في الوحد مسبب
 يستقل بحكم . بل كل مسبب فهو مقدر إلى أمور أخرى يضمها . وبه موافق
 وعوائق تمنع موحده . وما في مسبب مسبب بالاحداث إلا مشيئته الله وحده فما
 شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وما شاء خلقه بالأسباب التي عدها وتصرف عنه
 الله امع . ولا يجوز التوكل إلا عليه كما قال تعالى (لا تصركم الله فلا تأب
 لكم . وإن يجركم في الذي ينصركم من بعده . على الله فليسوكل المؤمنون .
 إلى أن قال . والعلل التي تأتي نوات أحدهم أن نعتمد على الأسباب وتتوكل
 عليها وهذا شرك محرم الخ . ومباني قيمة كلامه

ثم قال . ولو أنت رحوث من وكيلك أن يدبر وكأنه على هذا يجوز
 لكنت راجيا المحال والظلم .

فيقال . بل لو رحوث من وكيلك أن يتصرف في لأسباب التي في قصصه
 وفق مصلحتي حيث وعدني بذلك ويعينني في عملي ويقضي ظلي رحمة منه وكرما

وإحسان الرحمة والاحسان وكنت محنا الظن به وهو أهل لذلك .
 بل لو اعتمدت على الأساس "تي في قصته من دونه واعتقدت بأنه عاجز عن
 التصرف فيها أو أنه لا يمكن أن يعبرها من يجعل لي كما جعل مدونه وعدوى
 لكنت قادحاً فيه ومشبهاً له ، الأصنام التي لا تفرق بين الأحيين والأسباب في
 أديانهم ومداهمهم فلا تميزهم بمعنا ولا صراحي لو اعتقدت هذا في وكيل
 بأنه مكشوف الدعوى ما كنت معتقداً لنفسه ونفوس "تي لأصانه لها ،
 هذا مع أن تمثيله هذا وقياسه فيه مافيه ، لأنه تشبيه محض بتجسيم ولو كالة
 بالتوكل ، ومع هذا فهو حجة عليه . ثم إن من زعم أن رحمة الله إلى رحمة وعني
 إلى عذبه قصر قدره الله بالعجز عن تمثيل الأسباب ، وقصر "تمثيله" مساواة
 المسمى بالحقس والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فيفسد في الأمرين وقصر
 الحكمة بما قصر به العدل أيضاً ، وقصر لأن لا حصار للأسباب ،
 وقد تقدم الكلام على ذلك في المبحث الأول منصوصاً من رحمة أن شئت لأن
 أكثر كل ما مكر ، فإما أن هذا عجزاً عن تعريفها وأحدها عجز وهي قوته
 . ولكن التوكل هو الايمان بقدره الله وعظمته وحكمته و"جبره" ، فقد
 بناها حيث أنه قصر هذه الأمور بعد تفسيرها اختفى ذلك حول تطبيقها على
 هذا الإلحاح . تكون الأسباب هي المصروفة بها ، وأنه لا فرق بين الأساس في
 ذلك فلا تأثير لطاعات ولا ذنوب لرب الله ولا لقدرته في ذلك أيضاً ، وقد بنا
 لك أن هذا هو اعتقاد جميع أعداء الرسل وأهمل ما قالوا "أبديه الله وحار يوم
 إلا لا بهم اعتقدوا أن ما معهم من الأخلاق "لديهم" لا تأثير لها في تقدم ولا
 تأخر ، وحقيقة أعلاله التي فرح بها إله هي حالات المشركين الأولين كانت
 محتفية تحت أنوار العلم والدين وأفرع هذا المسجد عليه جهنم في تشبه وتوحه
 الناس إليها ، وهذا هو عجزه خفيهم والرجوع إلى الوثنية محض

فصل

ثم قال: ولا شك أن الاعتقاد بأن الله يدخل "١" في الأسباب ويدخل
 بها وبينها لا حدس بها فيجعلها حينا أساسا لأنه راض عن الآحاد بها، ويجعلها
 أحبا، أخرى غير أساس لأنه غاصب على الآحاد بها. ويجعلها في يد فلان
 أساسا، وفي يد فلان ليس أساسا. ويعطي أحبا بها ويعطي أحبا يدونها،
 وقد يمنع أحبا أخرى بها. ويفقد إحسانا ويلمع كل آمانه. ويأخذ بها
 إسان آخر ثم لا يبيع نيت من آمانه "٢" وهكذا تصرف نقضا ونشأه في
 بوائمه وحلائقه على حسب رضاء وسخطه وكرهيته. وعلى حسب اختلاف
 الأديان والمذاهب، وعلى حسب تغيير مشيئته. ثم إن الاعتقاد بأن الله هكذا
 يصنع ينافي التوكل على كل احتمال. انتهى

فصل. إذا كان هذا كله على ما كان في معنى تدبير الله لمملكته وتحكمه فيه
 وكونه بعد من شاء ويدل من يشاء وكون أمك من شاء وبع أمك من يشاء
 وبيده الخير. وما معنى رغبته وكرهه لا شاء من شاء ولا من بعد
 مشيئته. وما هو الذي تريد أن يفعله الله بحقه إذا كان غصسه لا أثر له في
 الأسباب وحده لا أثر له أيضا، فأرى فيه وبينه وبين أمي لا يملك لمن
 عبده صرا ولا نفاق. وما هي أفعاله تدعى وتقدس التي يطبق لتوكل هات
 لم تجعل له فعلا استهوى ما تدعيه "أحب" بخدعه أنه خلق الله فقط، ومعلوم
 أن إبليس وأعداء الرسل لم ينكروا ذلك. ولكن هذا كله تقرير ما تدعيه من
 أنهم متروكون لنواميس الطبيعة وفوائدها تتحكم فيهم، فهي التي تعز وتذل
 وتدبر أمر هذا العالم على ما سبق من كلامك. وهذا إنما شأني عن أصل

(١) تقدم معنى هذا، وأنه أساس بعض تصرفه ويدخل بها

(٢) هذه ختمه الأخيرة أوحياها مع طه. وإلا فهو يعلم أن المسلمين لا يقولون بها

الاتحاد المحض وهذا الرديق الملحد قد بلغت به الخرافة والرقاحة الزائدة
 الى أن قام يشرح الله في تدبيره ملكه ويقول إنه سعه وفوصى ، وإن ذلك يتأق
 التوكل ، مع أن النصوص الدينية كلها قد قرئت ما بعده كما قدمت شواهد ذلك
 عبر مره كما قال تعالى في أم حسب لدين استرحوا السيثت أن يجعلهم كاندبين
 آمنوا وعموا صالحات سواء محباهم ومحباهم سواء يحكمون ، فين معان أنه لا
 يحفل هؤلاء ك هؤلاء لافي المحيا ولا في الممات أيضا ، وهذا صريح في أن ثواب
 الأعمال الصالحة ليس مقصورا على حرمة الآخره ، بل حتى في الدنيا ، وكذلك
 قوله تعالى : أمن كان مؤمنا كس كان فاسقا لا يسوون ، وهذا اراتع جعلهم
 سواء حيث قل في تفسير الايمان بعد الله ، والايمان بعده يوجب الايمان
 بالنسوة من الأحسان بالأسباب بدون نصر الى الأسباب أي لا تنصل بذلك ،
 وبدون نظر الى أدباهم ومداهم من أحد بالأسباب مع مسه ولا فلا ،
 تلك هي العدالة الشاملة ، أي ، هذه العدالة لشاملة هي سورة من الاحدين
 بالأسباب يعر المادة لما علمت في سبق الدعاء عنده ليس بوسيلة وليس له
 من فائده ، وأن الأخلاق الدينية لها شأن آخرى غير شأن المحمد ، عدالة هي
 النسوة بين المسلمين والمجرمين والمنافقين والمتقين والمؤمنين وعاسقين ، فمن
 أحد من هؤلاء ، السب بلغ مسه ولا فلا دحل لإعانة وتسيده وتوفيقه ،
 ولا نصر من نصر دينه كما لا يحدل من حده وحدل دمه ، إنما هي طبيعة من
 أحد بها حصل على السبحة والإلا فلا ، ولمصلحة أنه جعل هذا هو عدل الله فلم
 يقتصر على كونه رأيا محصا بين حقه دبا يداي الله به ، فاعادة لا دحل لها
 في الأسباب ، وكذلك المعصية ، وهذا هو محور كلامه ، وهو شهادة صريحه
 صد الشعوب الإسلامية التي تدب باحق وتسقط لهمهم وعرائهم ، لأنه إذا
 صار العر والعل والتقدم والتأخر عند الأسباب المادية فلا شك أن هؤلاء
 المستعمرين أكثر سلاحا وأقوى فلا فائدة في الثورة عليهم والقيام صدم ،

لأن الله مع الأقوي كما بدعى فيما سبق ، أى فلا ينفع هؤلاء إيمانهم ولا هم
ينصرون

واحاصل أن هذا المجد لم يقتصر على أن يطلب له أنه أن يكون هو
المقدم فى الأمر بين تسس من محوور الى أن أر د أن يكون هو المقدم حتى فى
تدبر لعالم ، فهو يريد أن تنصرف الله على وفق هواه ومشيئته كما ترى كلامه
فتأمله فسمعه الله حيا وميتا ما أحرأه وأخره . ومعلوم أن الرب الذى لا يدبر
ملكه وينصرف فيه بمشيئته وقدرته فينصر من أصاعه ويد من عصاه على وفق
من تقتضيه مشيئته ورحمته غير مكترث . بسبب ومصلحتها هو رب عاجز
بأقصر كالمحبوب . فأى عاقل يرضى نفسه أن يكون به وميك بهده صفة ،
ويرب الذى له الخلق مفضل هو القادر على ان ينصرف للمدبر لأفوار خلقه
بإعصاه ونسج وإوحيى وتقطع ونمردى . الذى يش من أحسن له
سبحه ونسج وحصى معه فى معاملاته . وينتم من عصاه ونمرد عليه ، المظن
على لسرته وما يكره صباير ، "فأمر على كل نفس بما كسبت" . الذى له العلم
بأسرار وأحكامه لا يهتدى لا يصح عيب أحد . لا ساءتاه لمن شاء ، ومن
ساوى من عدوه انصاع الخبيث المفسد المتمرد الممالع فى محاربه وعداوته الصادق
عن مبدله المصنع الطريق الذى يحوون قلب طامعه وبين وله اعرض الصادق
فى معاملته لئلا على أن يسهل لمساخ فى بيده وتغديه والندوة إلى مديته فلا
شك أن المحرق الذى يفعل هذا بين عدل ولا حكيم ، فكيف الرب العظيم
الذى أنكر عية الانكار على من حبه يسوى بين الذين آمنوا وعملوا
الصالحات والمفسدين فى الأرض ومن لم يقن ولصغار ، وثق حل وعلا قائم
، "لقسط بين عباده" . وفى كل نفس بما كسبت وتعطى كل محوور ما يستحقه وبأسسه
جزء وفق بلا مغة ولا موصى لا يطمث منقار ذرة ، وإن نك حسنة يصاعها
كرما منه وإحسانا ، وهو الرءوف الرحيم مائة ، الحكيم العليم فى أفعاله
وصنعه ، لا يعرف عنه مثقال ذرة من ملكه وهذا مدحه سبب أحدث مسبب

على وجه الارض فيما لا يعد ولا يحصى من كلامه ، ولهذا ذهب في آياته السابقة في أشنع صروب انقوصى ، فادعى أن الجهل هو سبب العر والتقدم ، وأنه تقدم . ما يكون الانسان من احدثه والعداء تكون حاله في الرياسة والجاه والعر وثرأ ، ومقدار ما يكون من العلم يكون حاله من الثوس واشتاء والدله . بل عقر عنده صرب من الفقر . فاعل أبه السابقة في المسحت الخامس تجدد أنه على عانة من سوء الظن بالله تعالى وأنه موصوى حيث الى حد بعد . ففصح به من صد عن سنده وصدف عنها راسعاها عوجا وحمه عمرة مدده المؤمنين

ثم قال : وان حكمومه بعامن شعبها هذه المعامه فلا تسون بينهم على مقتضى الأسب والاعمال ، من تفرق منهم وتفرق بين تنفع أسبهم وأعمالهم ، لأنها تفرق منهم في الحب والامعص ، لأن منهم لموقف ومنهم المتعلقين على حسب الأحرار والمبادئ . ولاشباه الأخرى . من حكمومه بفعل ذلك معدودة من شر الحكماء ، وهي حكمومه لا يصح الا بخل عنها ولا لاعتماد على حكمها ولا الايمان بحكمها . فكيف يسوع نعم أن يصف الله بهذه الصفة ، انتهى

فيقال : هذه اسمه لا تصح بمرضا على اسمه التي قلها لما فيها من النقص في نفسها ومع ما قلها . وقد جاء بها مشبهها ، يدبر الله خلقه جملة على الله تعالى وسبيلاً لرخص ديه ، ثم غلط في آخره بقوله فكيف يسوع بمقابل . مع أنه هو الذي وصف الله تعالى بها ثم قال فكيف يسوع بمقابل . فاطر أن هذه معاطة وانتلاع المسكر ، فمن هو الذي ادعاه منه حتى يقول هذا القول . وكل عارف يعلم أنه إنما يه به نصاً أنه يعنى يحكم لعدم كونه الحكم على حد سواء ، والله سبحانه لا تحي عليه حايه . ووكا يعتقد الزبونه حقاً لم يحاسر على مثل هذا القدح لطبع فيه تعالى . مع كونه فاسد مخادعة على خلقه فأوجب عليه ما لم يوجهه على نفسه . وهو تعالى لا يسأل عما يفعل وهم سألون . وهو سبحانه إنما أوجب على نفسه نصره بمؤمنين كما قال تعالى

ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم بموعود بالبينات ونقمنا من الدين أجر مواب وكان حقا علينا نصر المؤمنين.

على أن نقول أن يعكس هذه الدعوى عليه بالمعارضة بقول : وإن حكومة تمام شعبا بالسوية بين المصلح والمفسد والثقة والخيانة والمجدد في سبيلها والمحاب لها والمتبع لأمرها والمسرود عيها والمخلص اصادق في اتباع نظامها وأوامرها وبين الخلف لها لشتمه لها قصد لضمها لعدل حمده في حقد حقوقها وبين الخامد لها المني على يداعيها وبين امقتر عيها الكايد لها . على حكومة تعد من شر الحكومات . ولا يمكن أن تستقر هذه الحكومة أو يرضى عنها أحد من هي حكومة في صورة صاعية سقيمة . وهذا الملحد قد وصفه تعالى بهذه الحكومة . فهو : يد : لا يفرق هذه الحكومة بين الأسباب والمسببات من أجل التفرق بين الحب والبغض . فكيف لا يفرق بين من أحبه ومن أبغضه وبين من وافقه وبين من خالفها . وهل هذا إلا من أفسد ما يقال ذلك مع أنه أتى على هذه الحكومات لطاعية الكرامة وهو : لها تفرق بين رعاياها في الحب والبغض والموافقة والخلاف . بين : هم يحكون من أجل أن يخالف ما تقتضيه أنصمتهم بين وشقون ويسخنون ويضربون كل من آذوا منه فعل ما يخالف نظمهم ومبادئهم الأساسية ويعدون ويرفعون كل من سعى في صلاحهم وإصلاح قوايهم . هذا كله فعله مع هؤلاء ورآه أحسن شيء . وأما الرب الكريم فانه جعل رذته للمطيع ومحبته له دون العاصي فوصى وسفها . قبحه الله ما أكثر حوائثه

فصل

قال : ومن الإرشادات النبوية الطيبة الدالة على ما ذكرنا من معنى التوكل ما جاء أنه عليه السلام قصي بقضاء بين رجلين فقال المقصي عليه له أدبر حيي الله ونعم الوكيل . فقال عليه السلام : ان الله يلوم على العجز . ولكن

عليك انكيس ، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله و هو الوكيل ، . وعن أبي أمامة قال قال رسول الله ، ان الله يلوم على العجز . فإذ لم من نصبت الجهد فان علبت فقل توكلت على الله ، وعن ابن مسعود قال : جاء رجل الى النبي وترك ناقته على باب المسجد ، فماتت الرسول عنها فقال ضيقها وتوكلت على الله . فقل عليه السلام ، اعلمها وتوكل ، انتهى

قلت : هكذا ساق هذه الروايات بحجها ، وهو لم يرد لها ، مع أنه لا يصل ما في الصحيحين إمام يوافق هواه ، ومع أنه قد اختلف في تحريف الروايات ولو اختلف ما يوافق هواه ، وهو بهذه العملية في مكانه أن يجعل نصوص القرآن والسنة شاهدة لكل ما يقوله ، لأنه يشهد ما شاء من آية أو حديث أو قول علم فيجعله على هواه ويوجب على الناس اتباع قوله ونسبه رأي كل من حاله كان ما كان بل ولو خالف اللغة ، وهذا يكون دلائل نصوص شوهة على كل ما يريد ويشي . فقال في تحريف هذه الروايات التي ذكرها

، فقول لرجل حسبي الله ونعم الوكيل نعم مريم في النقص يوم أنه يفهم من كون الله وكلا أنه يتصرف وقصى على مقتضى أهواء الناس ومصالحهم وما يريدون لأنفسهم ، لا على مقتضى الأسباب والتواميس التي وضعها وقصى بها على خلقه قضاء لإرادته ،

فيقال له : من أين لك أن الرحمن فهم هذا ، بل أو أن أحدا من المسلمين حاصتهم أو عامتهم من له عقل يفهم أن الله يتصرف على مقتضى أهواء الناس وما يريدون لأنفسهم ، وليس في الحديث أيضا ما يدل على ما فهمته أنت من أنه تعالى يشير إلى هذا ، وحاشا أن يكون الله سبحانه يحكم وما يلواميس والقوانين لا يتحكم هو فيها ويحكمها على مقتضى مشيئة وحكمته ، فانه لو كان يتصرف على مقتضى الأسباب لكانت هي الحكمة عليه لاسيما وهو قد ادعى

فيما سبق أن الإنسان هو الذي يستخدم هذه التوابع والقوانين ويصرفها على مقتضى ما به من القدرة والملكية وهي التي تحكم لعلم، فمن الإنسان هو الذي يتصرف فيها، وهذا قيد الله تعالى بالصرف لا على مقتضاها، والله أعظم وأجل من ذلك، بل هي بحكومة حاصصة شبيته وقدرته وحكمته، فهو يتصرف فيها بما يشاء، وهي بحكومة طوح المئين في القسط والعدل ولا عطاء والميل وحكمته وعدله وقدرته كلها من صفاته المقدسة الباقية في معنى اسمه بخلاف الأسباب بخوفاً صغيره، ضعفه، عدمه، وكل ما فيها من قوة إنما هو قبض من آثار حكمته لا وسع كل شيء، فالأسباب بحكومة صغيرة للمئين ولا راد، بل اسمها الواسع الذي قد استعملت الأسباب القوية أن وعد الله بالصبر من اسمها، وهو كرم الله لا يحلف المهاد، ومن رخصه واعتمد على الأسباب به دونه وأعاد الله وما كس واحقر دينه لم يزل إلا عكس مقصوده ولا بد، ولا شيء إذا كان منافق يدعي الدين وهو في نفس الأمر يحقر دين الله ويرى أن الدين كفر وأهدى من الدين آمنوا سبيلاً

ثم قال: «فأرشد مرشد الإنسانية إلى حفظه وأوجه أن معنى كونه تعالى وكبلاً أنه وضع الأسباب والمسببات وربط بها ولا أمكان، فالوكل عليه يجب أن يكون معناه الانعكاس إلى ذلك^(١) والآخر به والاعتقاد عليه، وليس هو اليوم أنه يفعل الحوادث والمعجزات، بخلاف الحوادث، خارقاً لتوابعها متجاوزاً لحسود بني حدها هو،

فيقول فعلى هذا فقد جعل الله وبين الأسباب والمسببات حواجز وحدوداً لا يمكن أن يتجربها أو يتخطى أو يسدها قبح الله ما أوجب

(١) أي إلى ربط وعدم الانعكاس، فكذلك

كلامه ، فمن لأسباب إلا محبوبات عاجزة صعبة تجرى طوع المشيئة
و لا إرادته بمعنى ما يشاء ويحكم ما يريد وهو الواحد القهار ثم هل في الحديث
ما يشير إلى هذا الهدى وتورثه العارفة حتى يره الله عنها منه الكريم ، وهل
هذا إلا جراه ظاهرة على مقام النبوة وثقوب له بما له يقفه ولا يدل عليه كلامه
المتة ولا غيب فلا للمجد الذي يريد إفساد دين الإسلام قول غير هذا وما
في معناه ، ومن أين أنه أهمه أن معنى كونه وكبلا أنه وضع الأسباب
والمسيبات وربط بينهما فلا انفكاك ، وأن اشوكل عليه يجب أن يكون معناه
الانكشاف إلى ذلك أى الربط ، وأنه إذا حده والاعتماد عليه ، فعلى هذا يكون
الرسول هو الشخص في قصة تأثير سحر قد سحر عوا اشوكل وصروا فيه صلا لا
بعد بحيث لم يلبسوا إلى هذا الربط وما يحدونه ولم يعتمدوا عليه ، ومع
هذا لم يهن عنهم أنهم سحروا من دينهم وسوداه ، فكيف يفهم الرسول
عنه السلام هذا الأسس أن اشوكل هو ربط بين الأسباب الذي لا انفكاك
منه ، وأنه الاعتماد على دينه والاحكامه ، مع أنه رآه وأخبر أصحابه بذلك فهو
بدن قد تكفى كفى الدين الذى هو سوكى ، أو كان حاملا فيه هذا الركن
لا يعرفه على رعم هذا ، من الناس في هذا الأمر على ثلاثة أقوال منهم من
يقول أن بينهما ربط وثيق ولكن الله تعالى لا شيء يضع ما بينهما كما وقع
ذلك ، ومنهم من يقول بل الفصل لله تعالى وما نسب علامة للمسلم فقط ،
وليس بينهما ربط بقوة مؤثرة كما يقوله الأشاعرة وغيرهم ، ومنهم من يقول
بل بينهما ربط لا ينفك أبدا بل ربط ضيق أرى ، وهذا قول الدهرية
والملاحدة المحض ، ولكن هؤلاء لا يدعون الإسلام بل يصرحون بالكفر
المحض ، وهذا الملحد أراد أن يجمع بين مذهبهم وبين الإسلام فيدعى في
الظاهر الإسلام ، ويقرر مقتضى ما يعقده في الباطن فيجعل الأسباب تفعل
بطعها ليس لقوة من القوى أن تقف في سبب أو تتحكم في هيئاتها ، وقد

مقدم كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ^(١) في أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، وبحسب الأسباب أن تكون أسباب تغيير وجه العقول والأعراض عن الأسباب بالحيلة قدح في الشرع، والتوكل ملتزم من التوحيد والعقسل والشرع، فالوحد المتوكل لا يلتفت إلى الأسباب بمعنى أنه لا يظن أنها لا يثق بها ولا يرجوها ولا يخافها، فانه ليس في الوجود سبب يستقر بحكم من كل سبب فهو مصغر إلى أمور أخرى تصد إليه، وله مواع وعواقق تمنع موجه، وما تم سبب مستقل بالأحداث إلا مثبته الله وحده، فما شاء كل وما لم يشأ. لكن، وما شاء خلقه بالأسباب التي يحدتها ويصرف عنه المواع، فلا يجوز التوكل إلا على الله كما قال تعالى: ^(٢) **إِنْ يَصْرِكُمْ أَنْتُمْ فَلَا تَالِكُ لَكُمْ أَنْ يَحْدَلَكمْ مِنْ دُونِهِ لَيْسَ بِكُمْ مِنْ عِندِهِ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ** المومنون. وما سبق من علمه وحكمه فهو حق، وقد سلم وحكمه بأن الشيء لعلاني يحدته هو سبحانه بالسبب العلاني، فمن نصر إلى علمه وحكمه فمشهد الأحداث بما أحدثه، وإذا نظر إلى الحدوث فلا سبب منه لم يكن شهوده مطابقا لعلمه وحكمه، فمن شهد أن الله تعالى خلق الولد لا من أبوين ليس علمه وحكمه بهذا شهوده على بل يشهد أن الله تعالى خلقه من أبوين ليس علمه وحكمه بأن يخلق الولد من الأبوين والأبوان سبب في وجوده، فكيف يجوز أن يقال أنه من الله وحكمه يحدونه فلا سبب، وإذا كان علمه وحكمه قد أثبت لسبب فكيف أشهد الأمور بخلاف ما هي علمه في علمه وحكمه، وأبعد إلى تنبي مواع: أحدها أن تعتمد على الأسباب وتوكل عليها، وهذا شرك محرم، والثاني أن تترك ما أمرك به من الأسباب وهذا أيضا محرم، بل عليك أن تعده بفعل ما أمرك به من الأسباب، وعليك أن تتوكل عليه في أن يعينك على ما أمرك به وأن يفعل هو ما لا تقدر أنت عليه بدون سبب منك، انتهى كلام شيخ

الاسلام وانظر الى تصريحه بأن الاعتماد على الاسباب شرك محرم ، وهذا الملحد جعل ذلك هو التوكل وادعى أنه ركن الدين وكلام المصائب وأنتم من المسلمين كلهم على هذا ، ومن أراد ذلك فراجع كتب النعمة والتفسير وغير ذلك من كتب الآمة الاسلامية ، وأى عاقل فانه يعلم أنه لا علاقة بين ما قرر من التعليق على هذا الحديث وبين نص الحديث ، وأن الرسول ﷺ لم يهمل الرجل هذا الربط ولا الالتفات ولا أخذ ولا اعتماد على الاسباب ، بل قال له : يا الله يلوهم على لعمر ، ولكن عليك ما كسب ، فإذا عليك أمر فقل : حسبي به ونعم الوكيل . هذا القول لكرهه من هذا سملق الحديث بل هو عكس له ومصادمه لعنه . فانه عليه السلام أمره ما كسب ، وجاء عن لعمر ، ومعنى أن أمدد الناس عن الانكسار ثم أكثر الناس عمرا ، هؤلاء الذين ذهبت أعمارهم فرطاً في مواضع اسوء وعشق الصور وغيرها ، أترام فعلوا ذلك انكساراً أم معبوداً محمداً وأساءة لأهوائهم وشهواتهم واعتقدوا بأن الاسباب المادية هي مناص الامور فلا حساب ولا عقاب ، ثم انه أمره عليه السلام بأنه إذا غلب فليقل : حسبي الله ونعم الوكيل ، فانه حجة سما على قولنا بوجود الاخط بالاسباب المادية ولا اعتماد على شيء في محاسنها ، فانه المتصرف فيه عشته وفوته وقدرته القاهره فيجب طلب الاغاثة والتوفيق وسداد ، إذ لو لم يكن له تصرف وبقدرة قاهره عليها لما تطلب منه الاغاثة والسدد والهداية والتوكل عليه فيها ، لانه لا بد أن تجري بضعبه حتماً فلا يحصل بمجرد الالتفات اليه ولو جهته الا لتعويق والمثمة فهذا هو على هذا الاصل جميع جهته وصدقته ، لانه لما اعتقد الاتحاد واحتاج الى الاسباب الى الدين لامر معروف لم يسعه غير الدخول في الرذقه والعقار لا كره فكان كذلك بل بلغ في ذلك الى أقصى حده

وكل مؤمن يعلم أن الاحد بالوسائل ولا يستغانه به تعالى بوحب الايمان

به وجه وتعظيمه وإجلاله لانه هو المنصرف فيها المهيمن عسى ، وهذا يوجب
أيضا انقوة والشجاعة والمواصلة في السر والعين ، فلو كان انهماكها مستحجلا
عليه تعالى لكان ذلك خارجا عن قدرته وهو عاجز عنها ، فلا معنى إذن لقوله
« حسننا الله ونعم الوكيل » ، وانما يكون السكافي الحبيب اذا كان قادرا عليها
قاهرا لها وهي حاصصة لمشيئته وقدرته فكون حينئذ معنى « حسنى الله » أى كافي
« ونعم الوكيل » أى اعتمد لانه القهار العزيم يعاتب على كل شيء فحيث
الكفاية في إعاض أو تعويض عما يموتى عن ما اقتضاه عليه وحكمته ورحمته
ودعواه أنه أرشده الى حفظه كذب طاهر ، فلم يرشده الى حفظه أصلا ،
ولا أنكر عسده ذلك ، ولم يقل له أحفظت ولم يسه سماه ولم ينس لم يفت
« حسنى الله » ومع الوكيل ، وكونه صبه وردة لا يدل على انكاره بل يدل على
أنه استحسن ذلك منه فأراد أن يرشده فانه « تحرى فأوضح له الفائدة في النص
بصه في تقريره ذلك ، في نفس الحديث كما هو ظاهر
وقوله « فلو كل عليه يحب أن يكون معه لا اله الا الله » ذلك ولا حده
والاعتماد عليه .

قال هذا كذب صريح كمر صريح وكف يكون الشرك هو التوكل .
فهذه جراءة عظيمة على الله وسوله ، فليس في الحديث ما يدل على هذا بل فيه
ما يدل دلالة صريحة على نفسه كما تقدم . وكف يكون التوكل هو الالتفات
الى الأسباب ورغبتها بمسانتها لا تمت ولا تمت وقد عر أن الملاحدة والمشركين
الحاحدين للمعجرات إنما ححدوها إيمانها لخط ، فالمعجرات تنافض
الخط المنجحين انهماك ، ولهذا كان المشركون وملاحدة يسكرون بها .
ويحتمل أن الرسول عليه السلام بعث لتقرير كفر المشركون وجمود المعجرات
والتوكل على الأسباب ، فانه بعث لتقرير « التوحيد الذى أساسه التوجه إلى
الله قولا وفعلًا ، والاعتماد به والاستعانة به في كل حال في استعمال الأسباب
وغيرها

وقوله ، وليس هو التوهم أنه يفعل الخوارق والمعجزات محط الخواجز
حارقا التواميس متجاوزا الحدود التي حدتها هو .

فيقال : وهذا كله خور ظاهر لا علاقة له بحدث به أصلا ، وليس فيه
ما يدل على أن الصحافي كان يتوهم هذا ، ثم هذا بين أن الملحد لا يرى أن الله
يفعل الخوارق والمعجزات ، وهذا ينكار صريح لمعتقدات التي احتضنها
من شاء من عباده من الأسماء والأمريسيين . وكذلك النكرات التي حصنها
أنواعهم . وقوله ، محط الخواجز ، نصريح بأن محط حرجها محطها
من الأسباب لا يمكنه أن يتجاوزها . محط أن هذا المحط الظاهر

وقوله ، حارقا التواميس ، نصريح بأن حقائق التوهم لا يمكن أن يحرقها .
وما علم المعروف أن من أفعاله وتصرفاته في حقيقته على مقتضى عهده وحكمته
ورحمته هي التواميس ، وإنما أراد أن تعمل تصرف العلم موكولا إلى التواميس
الطبيعة والله يحكم رعليه فلا تصرف فيه ولا يثبت عن طبيعته ، فحتم
التواميس حكمة عليه قاهرة لا أنه استصرف فيها مذهب عيبه الذي يدرها
كيف شاء فهو الفعال لما يريد

وقوله ، متجاوزا الحدود التي حدتها هو . نصريح آخر ، أنه خلق حدودا
لنفسه لا يتجاوزها (١) . وما علم هذا المثل أن خلقه كله بما فيه من حدود
وقيود ورسوم كله تحت مشيئته وإرادته مصدقة ، فهو الذي يحكم ما شاء

(١) تقدم تصريح هذا لرائع مرار كثيرة أن قدرة الإنسان ليس لها حدود
وأنها غير محدودة وأن ما به لا يمكن أن يكون لها حدود أو قيود ، هكذا صرح ،
وهذا ادعى أن رب العالمين محدود بحسب ذلك يمكن أن يتجاوزها ويحاجرها لا يمكن أن
محطها ، والتواميس لا يمكن أن يحرقها . فبما عينه عقيد محدود وخواجز ،
وأما ابن الحبص هو الذي له التصرف المطلق الذي ليس له قيد ولا حد هكذا يقول
الزندان الملحد ، ولكن من لمسمع

ويفعل ما يريد . ثم من أين علم أن الله حد حدودا وحواجز ونواميس لا يمكن أن يتعداها هو ولا يتجاوزها ، من حقيقة هذا أنه خلق مخلوقات فاهرة له حكمة عليه ، وليس وراء هذا كبر وردقه . وهذا بخلاف قوله تعالى كسب على عيسى الرحمة وكان حقا عليه نصر المؤمنين من هذه صفات له ليست مخلوقة وهي حق أو حجة على نفسه قد عرف بالخاص^(١) حيث أحبرنا به ولم يحرنا قط أنه حد لنفسه حدود لا يسدورها أو نواميس لا يخرقها أو حواجز لا عظامها ، من هذا قول عبه بلا علم ، بل هو كبر صريح لا يربط فيه من عرف دين الاسلام

ثم قال ، وقوله عليه سلام ، يا عبث أمر قس حسي الله ومروكبي ، معه ده أعطيت من عبث استطاع ثم عبث وجب عبثك أن تعلم أنك إنما عبث بالحق ، بالهوابع التي لا تفرق بين من يقعون تحت طائفتها ويحتكون إليها ، وما كان ديث كديث وجب عبث ارضا بحكم وان كان حسا وهرمة لأنه عدل ، ووجب عبث شيء على الحق كم تقاضى وان كان قصاؤه عليك لا لك ، لأنه عادل غير محب ، ولأنه عاد غير جاهل ، ووجب أن تقول : حسي الله ونعم الوكبي . ثم وجب أن تحس نفسك باللوم إن كان ثم ما يدعو الى اللوم بمعجز أو بقصر ، وهذا لأنه قويك . نعم تقاضى هذا مشيرا الى قاص قصى عليك ولكي تعرف أنه إنما قصى عبث بالحق ،^(٢)

(١) أي فلا مجال للعقل فيه

(٢) لكن اندي بكلي اي نواميس تصفة لصفة العامة التي لا تصمم ولا تدفن و تتحكم في مجرد تعاضها م يقص على بالحق ولم يحكم في بالرحمة والامدل والاحسان ، فكيف ارضى بحكمه تعاضم لجائر وإنما ارضى به ان تحاكت الى نظامه الذي شرعه نفسه أو على أنسة رسته ولأنه حينئذ قد حكم على بالحق ، وأما على تلك الصفة فالى حكمت في أوائل طيعيه حنة

قلت : فهذا تطبيقه على هذا الحديث فكأنه يحاطب غوغاء وبرابرة
 لا يسمون شيئا ولا يعقلون ، ولا يظن من يدعي عليه ما في هذا التفسير من
 البتة وفساد لقصد وأنه ليس فيه ماسة لنقص الحديث أصلا ، فأى مناسبة
 بين قول حسي الله ونعم الزكيين وبين قوله إنما غلبت بالحق واليقين التي
 لا تعرف بين من يقعون تحت طائلها ويحكمون ليها . فإن المناسب لهذا
 النص أن يقول : حسي القواين ، لأنها هي التي حكمت عليه على هذا
 ومثله الله وإرادته لا علاقة لها به . فإن هذا المصحح صرح بأن القواين
 هي حكم الله باستخدام لآلياتها حيث كان فيها معنى **فمن وفق**
 لاستخدام هذه القواين . في قوله : ما سعى ، فصار القواين تجري
 على مقتضى إرادة المستخدمين هذا عن مقتضى مشيئة الله وإرادته ، ولهذا
 أرعى ما أتى لا تعرف بين من يقعون تحت طائلها . بها لا تعرف بين المهي
 والمحس وولي الله وعدوه . كالمثل : راحة نفسه للمسيء والمحسن وكالأنه
 المستخدم أن هي تجري على حسب إرادة مستخدمها لا على إرادة نفسها هي
 لا باطبيعة عاقبة بخيرته . وحقيقة هذا أن العلم هو الذي يحكم نفسه بنفسه ،
 ولا فائدة من سجد به . معنى قد نص على أنه تعرف بين المهي والمحسن في الحكم
 فلا يعرف المسلم بالبحر في الخد من كل مذهب بخاري بمقتضى عمله في البحري
 أناس أسماؤا به عملوا ويريدون أن يبين أحسنوا حسي . وكما قال تعالى
وأمجد من اسمه . فالحج من ما الحكم كيف يكون **فأخبر أن هذا الحكم**
 لا يحكم . بدنه أياه ولا يلو به أن لا بد من التفرق بينهما . وكيف يناسب
 هذا القول الذي ادعاء قوه وحسي الله ونعم الزكيين . إنما يناسبه إذا كان الله
 مسجده هو المصروف في حقيقة التكريم الرمزي الرحيم الذي هو حسب من
 يثق به ويلجأ إليه ويعتمد عليه ويستعمل من الأسباب التي شرعها ما في وسعه .
 فقوله ، أن غلبت أمر قس حسي الله . معنى ذلك إذا استعملت الأسباب على
 وجهها بما في وسعك ثم غلبت حق . حسي الله ، أي أنه كافي ونعم الكافي .

أى كافي عن الأسباب التي تاتى ثمرتها فلا بد أن يعوصى عنها أو يبذلها
 بغيرها ويحجر مصيبتى هذه الرواية كالأرواية التي فيها احرص على ما ينفعك
 واستمع بالله ولا تعجزن، فان أصالك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا،
 ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فان (لو) تفتح عمل الشيطان، الحدث
 وليطر انعاش إلى قوله تعالى - فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه
 توكلت وهو رب العرش العظيم - هو في معنى هذا اعتد على توامس الطبيعة
 وما يشير إلى ما ادعاه، من معنى الآية يتضمن الاعتماد على الله والثوق
 بوعده في نصرته رسله وأبيه آميناً، فان معناه فان تولوا أى تمردوا عن
 قبول رسالته رضى الله عنه وهو المتولى أمرى، هو رسوله وهو القادر على
 تأييد رسوله القادر على تمام بورد لدى حيث به رحمه للعالمين، وعينه توكلت
 أى اعتمدت في تبليغ ما أمرت به وفي شتوى كلها لأنه هو القادر القهار
 المتولى من توكل واعتمد عنه، وإني أنا رسول مع، وقد سمعكم ما أرسيت
 به إليكم، وما على الرسول إلا البلاغ هذا حاصل ما ذكره المفسرون، وهو
 ظاهر، فإني دخلت لومس لطيفة وفوق بيها في مثل هذه الأمور، وفي
 الصحيح عن ابن عباس قال - حسبي الله ونعم الوكيل فافهم حينئذ في
 النار، وفالمحمد ^{صلى الله عليه وسلم} حين قيل له - إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم -
 ولا شك أن إبراهيم عليه السلام حين لقي في النار لم يعمل أساءاً مادية أصلاً
 فضلاً عن أن يعتمد عليها، من استعمل أعظم سبب في الوجود وهو
 الاخلاص في التوجه إلى الله تعالى بدعاء والتوكل الذي تضمنه - حسبي الله
 ونعم الوكيل - ولهذا كان لهذا السبب الأثر الأكبر في قلب الله إلى صدها،
 لأنه استعمل هذا السبب الأعظم كاملاً من كل وجه وكذلك نوح لما دعا على
 قومه في قوله لا تدبر على الأرض من الكافرين دياراً - الآية صار
 لدعائه أعظم الأثر فأغرقهم الله كلفه إلا من آمن معه فكان لهذا السبب
 المستعمل على وجه الكمال أثر الأثر، وكذلك ذو النون لما استعمله

خرج من طيات نظر الخوت والبحر لأنه استعمله على الوجه الكامن وأمثال ذلك كثير، ومعلوم عند كل عاقل أن تأثير كل سبب بحسب استعماله على وجهه سواء أكان ذلك السبب مادة أو معنوية، فأكثر سبب مادي لا يؤثر إلا بقدر استعماله على وجهه، ولكن لا يمكن بحسب أن يبلغ مبلغ السبب الديني لأنه دونه ولأنه تابع له، وهذا مما بين لك أن الأسباب الدينية أقوى من الأسباب الطبيعية وأن طبيعتها لا متنوعة، فمن استعمل الدينية فلا بد أن يوفق لما به تحصل سعاده وسعادته، ومن عكس قصد الله وشرعه وانحأ إلى الأسباب الطبيعية واعتمد عيبه وتوكل عليه عكس الله قصده وسبط عليه أسبابه أو أمثاله ودمرته وأدفعه وذل أمره (١) كما وقع لك المني ^{بنيته} لما قيل له ^{بنيته} إن الأساس قد جمعوا لكم - اعتمد على الله واستعمل الدعاء والتوكل الذي تضمنه - حسبما الله ومع التوكل - ولم يمس قد جمع لهم كما جمعوا لنا أو ما هذا معناه، بل استعمل ما في وسعه من الأسباب المساعدة واعتمد على الله واجتهد في استعمال الأسباب الدينية من اتوحد الذي تضمنه المتابعة، ولذلك حصل النجاح العام وساده في - يحصل له نظر فقط

فصل

قال، وأما قول صاحب الدفة أطلقها وتوكلت، فإنه يذهب في هذا القول وهذا العمل إلى أن معنى التوكل هو الاستسلام وترك الحيلة والعقل، مؤملاً أن يفعل الله له ما يشاء وأن ينزل من أجله وأجل نافته جبريل وميكائيل فيبدأ أحدهما حطام وفي الآخر عصا ليعصاه به من الضياع والحرب، فرد عليه الرسول هذا قائلاً، اعقلها وتوكل، مبيناً له أن الاستسلام معناه الاحتمال

(١) قال تعالى (ولا تعجلك أموالهم وأولادهم فيما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا) الآية

بالوسائل مع الاعتقاد عليها وعلى إيجاحها ، لأن من حق الله وشرعه ، وشرع
الله وخلقه خليقان بأن يؤديا إلى الشحاح ،

فيقال : وهذا أيضا من جنس ما منه في الحرأه على تحريف النصوص
وهناك حرمها ، ولا بد من أن علم ما في صغير هذا الصالح حيث ادعى
عنه ما منه لم يطر منه أنه كان مؤملا أن يبرل جبريل ومكانين في يد
أحد من هذه وفي آخر عقل إحصائه ، ولم يكن من هو لدى في يده
الحصم من في يد "عقل" منه ، وكان من حقه يدخل في هذه الفصول أن
من يدت سكن هذا منه ، فإن من علم ما في صمد الصالح فلا بد أن يعلم ذلك
أيضا ، ومن هذه "عقل" وأهمل من وحى الحقائق لا إليه إلا منية أو هي
رؤى رآها آخر من ، دون ذلك من عقل أو حياء لاستجب من التوفه
بده محله وتقتصر "لا لا كلمة" لا بدول ، وكف بعض أن يكون معنى
قول "لا لا كلمة" ، عقلم وتوكل ، أن ذلك هو لأحد بالوسائل مع الاعتقاد
عنها وعن إيجاح لا على الله وحده ، ولو كان هذا هو المراد من الحديث
لقال : عذرا وعقبت له هو "توكل" ، أو من اعتقادها وتوكل على عقبت لها ،
لكنه أمره بالحق والتوكل على الله وحده ، أن "العقل" وحده ليس تكاف
لدى الاعتقاد على الله ، ثم كيف يمكن أن يكون التوكل على الله هو لتوكل
على الوسائل فإن هذا منه بعض لمشركين ، ثم يتوكل على الوسائل
ويعتمدون عليها في الاعتقاد ، وهذا هو حرمها وعقوا علمهم فدعواها
وأنحو "لها على اختلاف أنواعها من أرواح وتوكل وعبر ذلك ، وهذا
هو شركهم لدى كرههم الله به ، كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من
العباد الإجماع على ذلك ، قال في (الفرع) و (الافاع) وغيرهما ، من جعل
منه وبين الله وسائل يدعوهم ويوكل عليهم كغير إجماع لأن هذا كفعل عابدي
الأول ، وهذا السجده قد ذكر فيما يأتي أن أورده جعلت صحتها هي

آلتها التي وحدها وأتت الاشارات بها ، فثبت صعدت هذا صعوده . فعنده أن
تأية الصناعة ونحوها من الأسباب المادية هو السبب في اسحق خلاف توحيده
بـ العالمين . ولنظر اسم المثل أن قوة تدعى عن روح عليه السلام **يا**
قوم إن كان كبير عليكم مقامى وتذكيرى أتت الله فعسى الله توكلت فأجمعوا
أمركم وشركاءكم ثم لا ينكر أمركم عنكم عنه ثم **افضوا الى ولا تنظرون** فهل
يطلق ذو عقل أن معنى قوله . فعسى الله توكلت . اعتمد على الأسباب وعلى
إنجاحها . من الآية صريحة في أنه اعتمد على الله وحده . وقال تعالى عن عبده
هود عليه السلام . **قال يا أشهاد الله واشهدوا** أي يرى في شركاء من دونه
فكيدون جميعاً ثم لا يفلحون . أي ويكذب على الله ويورثكم . ما من دابة إلا
هو أحد شاصيتها . **بـ** رضى عنى صراط مستقيم . **بـ** من يضل عاقل أنه يريد بقوله
بـ أن توكلت على الله . **بـ** رضى عنى . **بـ** اعتمد على الوسائل المادية . **بـ** رضى عنى . **بـ**
من الآية صريحة في أنه اعتمد على الله وحده . **بـ** رضى عنى . **بـ** رضى عنى . **بـ**
الذي هو أحد شاصتها . **بـ** رضى عنى . **بـ** رضى عنى . **بـ** رضى عنى . **بـ** رضى عنى . **بـ**
وإرادته . **بـ** من هذه صفته هو الذي حب أن يعتمد عليه . **بـ** رضى عنى . **بـ** رضى عنى . **بـ**
فأخير كل الخبر في طاعة واشتر كل الشر في معصيته . **بـ** رضى عنى . **بـ** رضى عنى . **بـ** رضى عنى . **بـ** رضى عنى . **بـ**
عنه والاعتماد على غيره . **بـ** وثأمن قوته تعالى عن عبده موسى عليه السلام في
قوله **يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** . فقاموا على الله
توكلوا رثا لا تعبد فتة للقوم الضمير . **بـ** من في هذا ما يدل على أن التوكل
هو الاعتماد على الوسائل المادية . أم هو صريح في نقص ما ادعاه . فانه ادعى
أن التوكل هو الايمان بالأسباب . وهذا ادعى أن الاسكال هو الاعتماد على
الوسائل وعلى إنجاحها . وموسى عليه السلام يقول **يا إن كنتم آمنتم بالله فعليه**
توكلوا إن كنتم مسلمين . فقاموا على الله توكلوا . **بـ** فهو صريح في أن التوكل هو
الاعتماد على الله وحده . وهذا أمر واضح كالشمس . **بـ** قد أحمت عليه كتب
اللغة والتفسير . بل العامة تعرفه . ولولا عربه الاسلام وفساد الصور في كثير

من الناس لما احتجوا الى هذا الايضاح كله ، فان أدنى كتاب من كتب السنة
يذكروه الا انهم يتحدوه للتصریح بأن التوكل على الشيء هو الاعتماد عليه
والاستسلام له ، وما ادعاه عكس ظاهر لعمدة وكلام العلماء كلهم ، من عكس
صریح لموضوع لدن فكيف يكون الاستكال على الشيء هو الاعتماد على غيره ،
وكيف يكون المتوكل على الله هو المعتمد على الوسائط التي هي من خلقه ،
وكيف تكون خلقه وهي شرعه ، ومعلوم أن الاسباب المادية ليست بشرعه
بل شرعه هو عبادة التي أشرفها دعائه والوجه اليه ، وهو قد جعله لا فائدة
فيه ، ثم أرله من النظام السماوي هو شرعه ، وكله يصمم طاعته ، أما
الاسباب المادية فما شرع استعمل في اوجبه الصحيح غير المحقق لشرعه
الديني ، فليست شرعه هي بل هي اذا استعملت على مقصدي شرع يكون
استعمالها مشروعا ، لاصح لا شرعه هي بالاستقلال بل هي شرع بالاستقلال
حينما يستعملها على عبادة الله وشرعه ، وانما أدعى هذه الدعوى معالطة والا
قد تقدم دعواه بل الماء والمسححات شرع ما يؤدي ، وهذا هو أعظم مطهر
مقدس شرعه فقد جعله شرا وحسنا وطلاما وحرافات ، وجعل نواويس
انطبعة هي الحاكم لعمدة ، وهذا فل صريح للدين ومحررة لرب العدين ، وقد
نص العبد على أن التوكل على الشيء دون الله عبادة له كما تقدم ، فمن توكل
على الوسائط وعلى سواها دون الله فهو مشرك كافر بالص والاجماع ، والملحد
نفسه قد اعترف بأن التوكل ركن من أركان الدين ، فكيف يصرفه للاسباب ،
وقد تقدم كلام شرح الاسلام بأن الاعتماد على الاسباب شرك محرم ، والحديث
حججه واضحة في دلالة على بقص دعواه فانه يصمم الاحد بالاسباب ،
والاعتماد على الله لا عليها ، هو كل الاحد بالاسباب كقيام بفتح ان الاعتماد
على الله لان ذلك يكون مبهمة وتعويق لا فائدة فيه ، وفيه بين وجوب الاخذ
بالاسباب ، وأن التوكل المجرد لا يسمى من الله لم أمر بذلك كما قررناه سابقا ،
وتقدم أن معنى التوكل هو الاعتماد على الله وأن الاعتماد عليه تعالى لا ينافي

الأحد والأسباب بل يخص على ذلك ، لأن الأسباب مخلوقة مطيعة لأمره وهو
بيده ملكوت كل شيء . يتصرف في ملكه كيف يشاء ، وهو العليم الحكيم العزيز
القهار الجبار لا أراد لأمره ولا معقب لحكمه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
ثم قال ، ومبني له (١) أن من سبب الطريق لزمه أن يطمش ، وأن لا يجنى
من وراء الأسباب حورا وعدوانا كمن يهاجم دفته المعقولة روح من
الأرواح أو عفريت من العفريات أو شيء آخر حتى من الأشياء الأخرى
الخفة يسرفها أو يصيبها أو يحس عقابها كما يطر سحبا الأرواح ، أو كان الله
يصنع دفته بعض الأشياء التي يرعون أنه يصنعها حروحا على أسس والأسباب
والعادات بقصد الامتحان أو الاستلاء أو لأنه تعالى يحبه والمحبوب مقصود
بالأذى وللحسد كما يرعون ، وهذا ما يشير إليه قوله ، وبوكل ، أي اطمش
ونقي النتيجة إذا ما أحدث بالحيلة الكافية .

قلت هذا آخر نصيره وتعليقه على حديث ، عفلها وتوكل ، ولا حتى
على ذي عقل ما اشتمل عليه هذا سلق من لما كنهه لمعنى الحديث ولله
والمحور وسوء الأدب وإهلام لصاحب ما نعه لم يحظر منه ، وفيه من صروب
المصائب والمعائب ما لا يتسع هذا الموضع لمناقشته ، وقد قدمنا سلام في لسن
وأنه يريد بذلك نواهي الطبيعة أي تفاعلها على ما مر تفصيله ، وقد بينا لك
أن سن الله هي نظامه الذي هو أمره وبه وتقديره وتدبيره ، وأمره
وأفكاره الكونية والشرعية كلها منه ، فقوله حروحا على لسن كلام ساقط ،
من أفعاله وأقواله هي لسن ، فكيف يخرج عنها ، والأسباب ملكه يتصرف
فيها كيف شاء بمقتضى علمه وحكمته لأنه يفعل ما شاء وبحكم ما يريد كما بين
ذلك في كتابه ، فكيف لا يتصرف في ملكه ويدبره على ما يريد . وقوله بقصده

الامتحان والاثلاء لانه يحبه والمحور مقصود الادي والسجدي كلام يس
صحيح، بل من يقول هذا يقول لكنه من الخثر أن يبدل لله عباده
ويعتبرهم ليظهر كيف يعملون، ولعلهم صدقوا وعد السكادين كما دلت
على ذلك النصوص كقوله تعالى: أم أحب إلي أن يتركوا أن يقولوا
آمنّا وهم لا يفتنون كما قال تعالى: وسعكم حتى جاءكم من اليمين
والشمال وهم لا تعلمون كما قال تعالى: أم حسبت أن أتخذهم آلها وما
بأنكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم سألهم وانصروه ولو لم يكون
لأمون والذين آمنوا معه من الله إلا أن يصر به فاقبته وقال تعالى
وليلوكم بنى من الحرف وجوع بقص من الزمور والأفص وأثر
وشر الصابرين) إلى غير ذلك من النصوص التي لا تحصى، فالإسلام في
الدنيا أمر لا يشك فيه للمؤمنين والخير أخص بهم من الدنيا مع ربهم
ونظير عودته، نظم من حصاه وديونه لا وأب حافر فقد بدلي أولا
ينفذ وينفذ، ثم قد يسدح ويوسع له في الحساب، لكنه في الآخرة عدها
كما قال تعالى: لقد صدقوا من من حيث وعدهم، وأبصره لهم
صبرهم، هم لا ادحامه ساء عوا وسكن قست فيهم ورسولهم
الضبطان ما كانوا يعملون، وسواء ما كروا به فتح عبيهم ثواب كل شيء
حتى إذا مر حوايت أو تواتر أحد منهم معه ودهم مسجون، فقطع دابر القوم
الذين ظنوا والحمد لله رب العالمين، هؤلاء المسجون لم يقولوا إن المؤمنين
المحور مقصود بالآدي، بل هذا كذب، بل يقولون إن حبه لعنه لا ينافي

(١) تقدم أن المصائب من حيث هي مملوكة وبغائض طبعية ، وأصداها أسباب وجودية وهصل من الله ورحمة ، فكل ما في العالم من لذة وفرح وسرور فهو فصل من الله ورحمة ، وما سوى ذلك فببب لمد من هذا المصدر الإلهي ، وأعظم مبعده عنه هي الذنوب أو عدم الطاعات ، والشر بببب إلى الله ، والحبر ببببه

أن يصيبه شيء من الأذى في ديبه لرفع درجته ولما يحدث له من التوبة
والإبادة والاستعفار الذي هو من موحات لرحمة وتكفير الذنوب ، فكون
ما يحصل له بهذا الخير العظيم أصعاف أصعاف ما يصيبه من الأذى التافه
الصين بالنسبة إليه كما قيل .

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجساد بالمال

أما كونه بتقصده عبده المحبوب الذي هو من غير من أجل النعمة فقط كما
يبدل عليه كلام هذا المستهتر . فبنت ظاهر ، ولا يرى كيف يقول هذا
المعروف في المصائب والأذى الذي من ليس من نكرها ويحس ذلك من
مقتضيات نوازل الطبيعة ولما أمسك إرساة أصلا ، وهذا هو الذي يدل
عليه روح كلامه ونصوصه الكثيرة لا شئت

ثم قال ، واما من اتوكل كذا من بكر كان قوه من أعظم القوى
وكان مهرا سوى لاسنة أعف سوى في بعض وفي فروع الخلداته .

والجواب أن يقال أولا ليس له أن يفهم معنى ذلك من أركان الدس
فها يصعد معصاة شرعى شعوى ، ثم يتفقه عن فهم معنى المعنى الشرعى
اللعوبه ، فانه لو فتح هذا الباب لحده أسس يفهمون الصلاة والبركة والاصيام
وعبر ذلك على غير موضوعها شرعى ، ثم يضيقونها على مفهومات فيسحقون
بذلك أحكام الدين كلها ، ومعوم أن الحقائق الشرعية ثابتة في نفسها ولو ازمها
الصحيحة ثابتة معها ، فان لازم الحق حتى تبدأ ولازم لتبطل باطل أندافلا
يعبر فهم الشيء على خلاف معناه فهم أحد كائنات ما كان ، فالفهم الذي يطابق
الحقيقة صحيح وصواب ، والفهم المخالف للحقيقة خطأ وصلاح بكل حال .
وهذا مطرد في كل دليل ومدلوله ، وخلاف هذا يوقع في القوصى في فهم
الدلائل والمدلولات ، وكل أحد يمكنه أن يدعى فهم ويحصر الحق فيه ثم يحمل
الناس عليه ويلبى كل أفهامهم وهذا عين القوصى

ونقول ثانياً. لا سلم أن فهم التوكل على ما ادعته يكون قوة ومهارة
 للعمل ، بل لا سلم أن يكون فيه أدنى دعاء على العمل ، بل نحن نعلم علماً
 ضرورياً لا ريب فيه أننا لو لمنا التوكل على النحو الذي فهمته وقررت
 وادعته لكل ما لنا النعمان المحتق بدي لا ريب فيه ولصرنا مصرب الأمان
 في الموصى والمحمدة والمحرر والكنين والانهيار الخلق ، وهذا صحيح لا شك
 فيه ، فإن الانسان لن يجتهد في العمل ، بل يعطيه كل ما في وسعه اذا كان
 عالماً بأنه محكوم بقوة لئواميس الموصوثة التي هي مجرد مصائدات ومجرد
 أعمال بعدد ما ، بل ، فإن هذا قد صرح بأن الناس هم الذين يستخدمون
 لئواميس وهي تجري على استجد مهم ، ومعلوم أن أفعالهم وآراءهم وشهواتهم
 وأهواءهم مضطربة متعكسة فبئس أن يكون نتائج عملهم ، وهذا يوجب
 الحيرة والالتباس فيها والقلق والاضطراب وعدم الاطمئنان إلى العمل وإلى
 النتيجة والأسباب بخوفة معلوم فقرها وضعفها ، وأن كل سبب فيها قد فقره
 سبب آخر واقتصر إلى سبب آخر ينضم إليه ، وكل أحد من بني آدم معه شيء
 من الأسباب ليست محصورة عند أحد حتى يصرف فيها كيف شاء ، بل ما من
 سبب إلا وقد اشترك فيه ملايين الناس ، فكيف يستطيع الناس أن يعمل
 سواء كان رزقاً أو صناعاً أو تاجر أو عرماً وهو على هذه لعقيدة الفاسدة ،
 فلو عمل وهو على هذا امداً لكل عمله في غابة القنور والضعف إلا أن يدفع
 إليه دوماً عنفاً ، ولا يحق ما في العمل الاحباري من نقصور ، وهذا بخلاف
 من أخذ بالأسباب معتمداً على حافها لمهمهم عيباً ليس أمره بالأحد بها
 والاستعانة به والاعتماد عليه ووعده بالاجرة والاعانة والتأييد والنصر اذا
 أحلص معه وحده في معاملته وأنه رموف بعباده رحيم لطيف بهم له الغاية
 في الكمال المطلق من كل وجه ، معتقداً أنه كلب أحد بالأسباب واجتهد في
 الأحاد بها واعمل بها واستعان بالله أعين وأيد وبصر ، وأنه اذا ترك الأسباب
 واسبابها فقد عرط في أمره ، بل لا بد من الأحاد بها والاجتهاد في عملها

والاعتماد على الله والنصح والاحلاص له في عمله هذا ولا سيما إذا لاحظ مع ذلك أنه إذا عاند نظام الله وتمرد عليه أنه مستعرض للحدلان والمقت والانتقام ، ولا شك أن العقول الطيبة تميز بين المدافعين وما يبرمها من النتائج ، وما أصاب الناس هذا الوهم وهذا السكس إلا حيناً تركوا التوكل واعتمدوا على أنفسهم واسعوا آراءهم وأهملوا في الأسباب وغير ما

ثم قال : والتوكل بهذا المعنى روح الانساب ، ومعنى راسد فقد حات وفاتها . وهو بهذا المعنى أيضاً روح الأديان وروح الاسلام (١) ولهذا جاء ذكره في أكثر سور القرآن مأموراً به ومحرم عنه ، وقد كان هذا المعنى إحدى القوى الكبرى التي قدمت لأمر مدح المسلمين ، وأحصت لهم الهمة وقهرت بهم الأعداء ، ووضعت في أيديهم مقاييد الديار الدنيا التي همورها هذه الروح ، والتي كانت وراء ذلك تصور التوكل على نحو ما يتصور المسلمون اليوم الحمد والاستسلام ورجاء ما لا يكون (٢) انتهى

والجواب أن يقال : قد بينا معنى "توكل الصحيح" شرعياً انتهى هو ركن الأديان الذي به حصل النجاح وبه عرف أن نادر المسلمين اليوم هو تقصيرهم فيه ، وإلا فهو كل الأمر كما قول فلا أعظم من جهاد الناس اليوم في الاعتماد على الأسباب الدسوة ولا فؤ من اعتمادهم على الأسباب الدنيوية وما أدمهم هذا الاحساس ، فنه عيبك - يا معصيهم زمانه - من هي الدولة الاسلامية التي تركت التقدم وتعتمد اعتماداً على التوكل ، من أي حرب أو جماعة تركت أعماها وتقدمها اعتماداً على "توكل" ، والتوكل ولا اعتماد على الله ليس له من الآثار أدنى شيء في ترك العمل ، من كل من ترك العمل فبما تركه

(١) حبلك الله ما أجراك كيف تكبر عباد الطيبة روح الأديان وروح الاسلام

(٢) هذا آخر مبحث التوكل في كتابه

معنى لا بد أن يكون فيه ما يتأتى التوكل . والتوكل لصحيح والاعتماد على الله هو روح العمل ، فانه يلبث لقوه واخرص عن سبيل الأسباب على وجهها والعمل بها والاحكام بها . ومعنى أن الصدر الأول قد فتحوا الممالك العظيمة لم يكونوا يعتمدون على الأسباب ويرى أن نصر وطاعة عبيدها وأن الله مع الأقوياء . من اجتهد في الأسباب لديه أعظم من اجتهد في الأسباب امدته ، وتمسكه بالقرآن والسنة أعظم من تمسكه بواميس الطبيعة . لو قد أن هذا أي عكس . ففعلهم عكس فعل الأحرار اليوم ، من تمسك هؤلاء بالأسباب المادية أعظم من تمسكه بالأسباب الدنيوية ، فهم عكس الصدر الأول ، وغدا كان ما لمحة عن عكس ما أنتم قد حصلوا على صدى ولن يحسنوا . لا خرى وليس انهم يمكنوا أن يخلقوا الياسة لصحة أخلاقهم . وقد أن أخلاقهم صالحة . أن أدى كذب من كذب اللغة والتعريف . ولحدث شاهد ما أن رسول الله هو لأخيار عبيده لا الاعمال . عن الأسباب ، فان سبب شر محرم كما تقدم ذكره في الإسلام ابن بيته وغيره ، بل معرفة هذا أمر مفرد مع الله وإليه ووضوحه لم يتحاصر أحد أن تحلقه قبل هذا المبدأ الذي عكس معده عكس صريح وحقا ، فان أدنى عامي فضلا عن غيره يعرف أن التوكل على الله هو الاعتقاد عليه ، من الكفر بعمق هذا ويكروون أن يكون معنى الانكسار على الله هو الاعتماد على خلقه ، فهم بما عارف معده برك له فضلا ، وبما مقرر به مقرر بحافته ، فأما فيه وعكسه الى صده فهو شيء . ثم يسبق هذا الرديق اليه أحد من العالمين إلا أن يكون رديقا مثله . أي أي لغة من لغات بني آدم وحمد أن التوكل على الله هو الاعتماد على الأسباب المخلوقة (١) أو الإيمان بها ، فان هذا

(١) تقدم كلامه بأن كل ما في الوجود فهو من أسباب الله

توكل عليها لا ريب لا توكل على الله ، ثم ما هي العبارة التي تعيد الاعتماد على الله بمعنى التوكل عليه ، فان هذا يقتضي أن يكون الاعتماد على الله أيضا هو الاعتماد على الأسباب والاستسلام لله هو الاستسلام للأسباب وهكذا ، وهذا هو قلب الدين ومصدره ، والنية أنه دعى أن روح الأيمان والاستسلام على المعنى الذي ادعاه فقبحه الله ما أحرأه ، فيكون معنى روح الأيمان هو الاعتماد على الأسباب والإيمان بها ، وهذا كله إنما يجري على قاعدة الأخذ بالمتصور وأنه يجب على الناس أن يتوجهوا إلى الحقيقة ويؤمنوا بها ويرفضوا أحاديث الباطل ، كما قال فيما سبق أن تخرج هو الخلق بقوى الطبيعة وبوهمها ، فبوجه هي روح الأدب والاستسلام لله ، فيبطل الله كيف تذهب العقول وسبحه تعالى ما أوسع عليه رحمه

فصل

خلاصة هذا المبحث أنه فسر توكل على الله ضد معناه الدعوى والشرع كعادته في قلب المسميات الشرعية في أصول الدين ، فانه فسر التوكل على الله بالانكال على غيره من الوسائل الدنية ، ومعلوم أن هذا تفسير قلب صريح لمنادونهم لتوكل به وشرعه ، ولو عرّض عنه لكان أكثره من هذه الحقيقة المكشوفة ، فان توكل على الله هو الاعتماد عليه ، كما أن التوكل على الأسباب هو الاعتماد عليها ، ثم إذا كان التوكل على الله هو الاعتماد على الأسباب - كما رعم - فامعنى توكل على الأسباب إذن أنه الاعتماد عليها أو على الله أو معهما سواء وعن أحدهما هو عين الآخر كما هو مذهب تحادية اصولية . ومن خلع حسب أحوال وأسبغ بتألاعب ، لتصوص فلا حيلة فيه . وادعى اضطرب هذا الحصول إلى هذه نقحة السافرة أنه لم يجد للتوكل معنى مشتركا يمكنه حمل ما يريد به عليه ولو بالتأويل البعيد الغامض وكان لابد

له من ارادة هذا الاصل العظيم الذى وقف سدا فى طريق دعايته الى الالحاد .
 من أجل هذا لجأ الى هذه القرمطة المفصولة

اذا لم تستطع شئنا صدعه وحوزة الى ما نستطيع

قال الامام اس الغنى فى معنى قوله تعالى : وعلى الله فتوكلوا : ان كنتم
 مؤمنين . جعل التوكل على الله شرطا فى الايمان فدل على اسفاء الايمان
 عند استناده ، وفى الآية الاخرى قال موسى : يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه
 توكلوا ان كنتم مسلمين . فمن دليل صحة الاسلام التوكل . وكما قوى
 ايمان العبد كان توكله أقوى . واداء ضعف الايمان ضعف التوكل . انتهى
 وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله . وما رجا أحد مخلوقا ولا توكل عليه
 إلا حاب طنه فيه . فاه مشرك . ومن شرك بالله فكأنما حر من النار فحطفه
 الطير أو نهوى به الريح فى مكان سحيق . فكل من توكل على غير الله فى
 الأمور انى لا يقدّر عليه : لا هو فهو كافر مشرك لأنه صرف نوعا من العادة
 لغير الله تعالى

ولارب أن حاجه من بعد وفاته أى توكل على الله أعظم من حاجته
 الى الطعام واشرب لأن توكل مادة لاس اسن هو مادة حياة القلب
 ونعيمه وسعادته لأديه كإن لطعام وشراب مادة حياة البدن . ولا شك
 أن حياة القلب اية بها يحصل فرجه ونشأته وعمرته أعظم من حياة البدن
 ولده . وان كانت حياة اسن هى فى الحقيقة ناعمة لحياة القلب . ولهذا إذا
 استحكم موت القلب كان مآل البدن الى سيف لا يحته . وإذا مرض فلا بد أن
 يمرض البدن . وهذا عام فى الأفراد واجتماعات . وكل الشعوب الاسلامية
 المريضة . بما مرضت لمصاد غداها لى المعنوى لما به من الاختلاط الفاسدة
 الدخيلة عليه فان أكثرها حافظ لإيمانه الدينى الصحيح بمبادئ إعادته حيثة
 كتحرير الصفات وعمادة الآداب وتحكم القوانين المصنعة والطائفة .

تخطئها هذا هو الذي أمرصها هذا المرض الخبيث هذا ، ولهذا فإن البدن الذي يتعدى بالحبث المحض يكون أمش من البدن الذي يتعدى بأحلاط متصادة متناقضة ولكنه ينهار أو يموت فجأة علنا ، وأما البدن الذي يتعدى بالعناء الصحيح السليم القوى فلا بد أن يكون صحيفا قويا نشيطا .

وليس في الدنيا أصبر على الإنسان من اعتياده على نفسه أو على غيره من دون الله ، من اعتياده هذا هو قطع صلة بيته و من ربه وترك وعاقل ، ومن انقطعت صلته عن الله هي له الحياة والنجاح فالاعتناء على النفس من دون الله هو الداء القديم العصال ، وهو الذي هذه الأمة لمجددة السابقة ولا حقة وان أظنبت الحملاء في نعمته ولذمه وإليه ، وحموده علامة للدهاء والسياسة (١) — فإن هذا من الأعلاط الكبرى التي وقع فيها من وقع بسبب التقاييد العربية المنافية للدين فإن الله سبحانه وعاقب الإنسان في أعظم موقف يقفه بين يديه أن يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فاستعين بهذا الصراط المستقيم فيقول ذلك في كل صوته ، ولا يعترف ضاوطه رايا لا حول له ولا قوة إلا بالله فيستمد في كل عمل بعمله من هذا الإيمان الحار الخار ولعدادات كلمته توحه قولي وفعل واعتقادي ، واستمدد من الله الإعانة والتوفيق والهداية ، كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله فإنه هو الغني الخبير وفي الحديث الصحيح يا عبادي كلكم ضال إلا من هدته فاستهدوني أهدكم ، الحديث ، وفي الدعاء المشهور اللهم لا تسكني إلى نفسي طرفه عين ، وأصبح لي شأن كله ، ولهذا لا سعاد نحمد أحدا سواه أكان فردا أو شعبا - اعتمد على نفسه أو على جسمه من المحنوقات دون الله إلا قد حجب الله أمه وأحط

(١) فأنهم إنما قالوا هذا لقبح معرفتهم تحقيقه بدين وبوحيد الله الذي هو المطلوب منهم ، فإن الثقة بالنفس مطلقا ساقية لثقة بالله والاعتماد عليه

عمله وعومل بتقصيص قصده حسبا ولا بد أن الله يريه كيف عاقبة اعتياده على غيره تعالى . فانه اعتمد على الطبيعة المصنعة المنحطة وما يتعلق بها ، وأعرض عن الله الحي لقيام لقهار الزمور الرحيم . ولهذا نجد الكثرة الساحقة في السموات الملحقة بإيجاد محض مع . فساتها أشبه شيء بالحيوانات لعجم تساق كائنات لقطعان . بل هم كالألاب الصماء التي يعمل بها العمل كيف شاءوا . وكلما كانت الآلة أشد إخمادا كان . فساتها لأوردها أشد عدا . وهذا أمر معروف لا يخفى فيه . لا حاجة من سدا يعرف حقائق الأمور . وكيفيك غيره ما وقع في هذه الأمور التي اعتمدت على نفسها وحسبها من دون الله كيف أمر الله . فساتها ودمرها ، ككوث و"مكات" وأيدي حسبا . فساتها التي اعتمدت عليها . فساتها من بعض بعض وأراق بعضهم بأس بعض ، وفي الأثر الذي رواه الإمام أحمد عن وهب بن منبه قال : أوحى الله إلى داود عليه السلام : يا داود ، وعزقي وعظمي لا يعصم في عدد من عددي دون خلق أعرف منك من يتيه فتكيد السموات السبع والأرضون سبع بلا حوت به من بين بحر حا . أما وعزقي وعظمي لا يعصم عدد من عددي بمحقوق دون أعرف منك من يتيه . فساتها لا قطعت أسبب لسماء من يتيه . وأسبب الأرض من تحت قدميه . ثم لا أألى بأن وادعت . وشواهد هذا الأثر كبره كعبه تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقوله تعالى : ومن يشرك بالله فكأنه ترك من السماء فحطفه طير أو نهوى به الريح في مكان سحيق . أي ولا يرجى له خلاص لئنه .

والمقصود أن لتوكل على الله وحده والاعتماد به هو الطريق الوحيد الأعظم لحصول المقصد ودرأ الشغ المحمودة ، وهو الذي يمد حرارة الايمان بالوقود القوي المستمر ، فمدفع إلى نعم دوما غنفا . ويلب القوي

البدينية ويحبب اليها العمل كما أنه ينشط الروح ويركر في الطاقة الانسانية قوة الى قوتها تتقدم ثابت واستمرار صحيح . ولا شك أن كل من يعمل عملا فلا بد له من استمداد قوة في الصبر والثبات عليه من أمور خارجة عنه وعن من هو في حكمه ، وذلك لا يحصل - بحق - إلا في الايمان بالله والانتكال عليه والاستعانة به وأمل ثوابه وخوف عقابه ، وكل عامل إنما يقصد من عمله ثمرة الى هي نتيجته ، وهي - أي نتيجته - إنما تكون بقدر قوة العمل ، وقوة العمل بقدر قوة الداعي والدافع ، وهذا إنما يكون في القلب وعمل البدن تابع لما يقوم بالقلب من القوة والضعف ليس ماضيا بل حيا والمريض . وقد بين أن حياة البدن موقوفة على عداة المادى ، فان كان ماضيا له صحيحا فويا صار البدن به صحيحا فويا ، إلا ضعف بقدر ضعف عداة المادى ، بل إنه إن لم يحسن له عداة موافق له اضطر الى السعى بالموار الحبيثة القذرة وحينئذ يأول الى الهلاك حتما . وهكذا الروح أو القلب عداة الأمور الدنيوية كالدكر والقراءة والطعام ، فان حرم من هذا أو انحرف عنه اضطر الى التعمدية باستداد ذلك من الخبث المعنوية كالمعصية والملاهي والعسوى والفجور ، واد طال عليه الاستمرار ناص على ذلك حتى لا يستطيع مرافقه الى أن يشاء الله ، فعداة عداة الأبدان ان المادة ضارة وحدثا كسسه عداة بقلوب والآرواح الى الأمور المعنوية طيبة وحدثا ، ولهذا ورد في الحديث تصحيح . ان أهل الجنة يلهمون المسح كما يلهمون نفس ، لأن هذا المذكر لمقدم القوى الظاهر ملائم لذلك المموس لطاهرة النفوية المقدسة ، فتعدي به فتبقى قوتها مستمرة مخلدة في النعيم المقيم

فتدبر لك من هذا أن النتائج ناعمة للأعمال في العظمة والتعاضد والقوة والضعف . وأن الأعمال ناعمة لما يقوم بقلوب من القوة والضعف ، وأن القلوب لها عداة ضرورية كعداة الأبدان من حيث توقف الحياة والصحة

عليه ، وأن الطاعات لها الأثر الأكبر في الأعمال الدنية (١) من قوة وضعف
 وبهذا أيضا يتبين لك سقوط دعوى بعض الملاحدة (٢) أنه إذا كان الله غنيا
 عن الطاعة فلا فائدة فيها وإن الله لا حاجة له إلى أعمال الخلق ، فإن هذا تليس
 وزندقة ، فإن كون الله تعالى غنيا عن الطاعة لا يقتضى أن يكون الإنسان غنيا
 عنها كما أنه تعالى غنى عن يعمه الإنسان في تعبدية بدنه ومع ذلك فلم يستكبر
 الإنسان ، والله سبحانه عني عن حق الإنسان من وحيق سموات والأرض
 ومع ذلك خلق هذا كله ، فليست عنه مشروعية لعمل حاجته تعالى إليه ، بل
 هو شرع ما شرع لحكم كثره منه رحمه بعده ، فإن الطاعة هي سبيل الوحيد
 التي لا سبيل سواها إلى سعادته بعد ووصوله إلى عاقبته ، فهو جعس الطاعة
 سبيلا إلى الحصول على السعادة الدنية كما جعس الأكل والشرب وبحو ذلك
 سبيلا إلى التمتع بهذه الحياة الدنية ، وليس هو تعالى محتاج إلى هذا ولا إلى
 هذا ، فقول بعض الناس لا أفعل الطاعة لأنه غير محتاج اليه كقوله لا آكل ولا
 أشرب أو أكتسب لأنه غير محتاج إلى ذلك ، فعمل اليد مصححة محضة عائدة
 إلى العبد من الجهتين ، فتركه لم أو إحداهما ضرر عائد إليه . وهذا نحن نرى
 هؤلاء الملاحدة يتكفون سائر التكلف في تحسين غذائهم المادي ويصرون على
 المشقة - أي كانت - في تنقته بما يبرونه عملا بلائمه ، ويقطعون أوقاف طويته في
 شأنه خوفا من علة تأتي في أحاسيسهم بسببه ، لأنهم يرون أن صحة الدين متوقفة
 عليه ، فهلا فمعروا معشار هذا في غذاء قلوبهم وأرواحهم من الأمور الدنية

(١) فما ذكره هذا المجد فيها معنى أن الأمور الدنية تشبه أخرى لها نتائج أخرى
 غير نتائج المجد في نهاية السقوط ، فإن الاعترافات هي عوامل الأعمال التي هي أصول
 النتائج ، فتكون نتائج أعمال الدين في غاية القوة تبعاً لقوة دوافعها
 (٢) أي في تعليل العامة والتأسيس عليهم في الطاعات ونشكركم في الدين ، فقد
 كثر مثل هذه الدعاوى في هذه الأمانة العسكرة من دعاة الملاحدة المشككين في الأدب

حقه يروا حسن مائة ديت ، وكيف يدعون أب لم تنفعهم وهم لم يعمدوها بما
مطلقا وإما على وجه الصحيح المستقيم كما دعوا في أمورهم المادية الطبيعية .

وصرف الإنسان همه كلها إلى شهوات النفس ورعاب إعمالها هو حق
خاص بأبهم ولاطفال ، حتى كان الإنسان بهذه الحجة فهو في حكم هؤلاء أو
هذه فإن البهائم لا يعمد إلا لما أدخلته بطوبها وقصبت به شهواتها كما قال تعالى
﴿ وانسين كبروا سمعون و تكون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾^(١)
ولهذا وصفهم تعالى في كتابه العزيز في غير ما يهبط بها ، من حكم عليهم بأهم
أضل سبيلا

ويسمى أن يعلم أن هذا المبدأ منك في هذه الأفعال منك علاوة
الملاحظة وادقهم ، فإنه من حيث أصوله - أسسه على الكبرياء وكنهه
ورسبه وملكته ولوه الآخر واقتضاء والقدر ، لأن هذه الأصول هي
الأسباب المتصلة بينه وبين خلقه ، وهي الموصلة إليه فبهذا يدل على حجة
في أن يحد من أصولها أنها هي أحد المبادئ من لتدبير والمحدث في الحجة
ففي أزال هذا المبدأ الآخر حصل به مقصوده وهو اعتناق الاتحاد ورفض
الفساد^(٢) ولما كان رديقه مرتبة حائضا من تعبيره في محاربه هذه الأصول
مأساة لحده ، فأنه شحلا ملتبس^(٣) ليكون أقل له ، ويعنى به انحصار من
ظاهر معناه ، والتعريف عند الخاحه اليه كعادته في مصدق قواعده الحثية . وقد
وضع لكل أصل من هذه الأصول التي ذكرنا بحثا خاصا لخدمته وإزالة ، ووضع

(١) والتعريف بالمعنى الواحد يحضر الكبرياء هذه الأصول وعلوه شاملا ،
لكن تصرح أنه مصار للأديان السماوية كلها
(٢) لأن حجة الرديق المتفق لا بد أن يكون فيها شيء من اللبس والتمويه قد نحى
على من يجهل حاله

لاصل الإيمان بالله تعالى البحث الثاني (١) وهو الإيمان بالإنسان وعبر عنه بقوله (لقد كفروا بالإنسان . الإيمان به أول) ، يعنى أن الإيمان بالله يقتضى الكفر بالإنسان لأن الإيمان بالله متى على أنه المتصرف فى الكون كله وأن الكون محكوم بأرادة مآره وأنه يعلم كل شىء ويقدر على كل شىء . والإيمان بالإنسان بأنه يعلم كل شىء ويقدر على كل شىء أو أنه ليس فوق قدرته شىء يصدم هذا ، اذ من المحال أن يجمع الإنسان بين الإيمان بالخالق والمخلوق أيها متوكلان فى التصرف والعلم والقدرة ، فلا بد من التفريق وهو يقتضى اختصاص الخالق بآثار دون المخلوق ، وهذا التفريق الذى أوجب الاختصاص على الله - أوجب الكفر بالإنسان - كونه يعلم كل شىء ويقدر على كل شىء وليس له ولا قدرته حدود ولا قيود ، وقد احتجوا بحجة الاحتجاج فى إلهام هذا التفريق (٢) وأصل البحث من أصل ذلك (٣) وجعل الإيمان بالله كفرا بالإنسان ، ولهذا أكدته قوله (الإيمان به أول) أى قبل كل شىء ، هذا حصل الاعتقاد بأن الإيمان به أول حصل للكفر بما سواه وهو الكفر بالله ، وهذا ظاهر لا يحصى ، لا على أى من أسفله .

وأما لكفر بكنهه تعالى ورسله فانه وضع لذلك البحث ثلاث أركان ، وهذا أصل فى بيت المسبب فيها أنهم كرهوا العلم وحاربوه وأحبوا الجهالة والخرافات والآوهام ونحو ذلك . حتى دعى أنهم جعلوا إمرأه عن العلم . ثم انه فسره هذا العلم بمهم قواين "طبيعة وبواميسها والموسيقى ودقائق الفلسفة ونحو ذلك ، وعرضه من هذا أن كتب الدين كلها تستند الأمور كلها الى الله لا الى قواين "طبيعة وبواميسها ، من جميع الكتب وبصوص الرسل فى محاربة

(١) وهو الأول فى الحقيقة . وما قبله كالمقدمة كما لا يخفى

(٢) ولهذا صرح بأن عدم مدارعة الله فى علمه وقوته وقدرته محض مبین

(٣) لأنه أصل الأصول ، فمن بحثه وإسبغ فيه أطول بحثه فى أعلاها كلها

هذا الأصل أى التوجه الى الطبيعة والاعتداد عليها ، بل هى محكمة لا حاكمة
تجربى على مقتضى مشيئة الله وإرادته . كما أن كتب الله ورسله تنص على محاربة
فساد الأخلاق لئلا منها الفواحش والفساد والفساد . وأكثر هذه متعلقة
بالمرأة اذا أطلق في ميدان الفسق والاستهتار والإباحية وأشبه ذلك . فكان
مقتضى ما يحاوله أنه لا يمكن التوجه الى الطبيعة ونواميسها ولا يترك في ذلك
والأحكام عنه والاطلاق في ميدان الشهوات على اختلاف أنواعها المحرمة
إلا ما كسر بما صاد هذه الأمور وهو الأمور الدينية التى جاء بها الكرم
الساوية وأجمع عليها السلف . وحيث أنه سعى ما يدعو إليه من الإلحاد
والخائنات عما لزم من ذلك أن يسمى ما يصاده جهلا . كما أنه حين حرص
كل الحرص على الدعوة الى الإيمان بما يدعو إليه فقد حرص كل الحرص
على الكفر بما يصاده من كتب الله ورسله . وهذا ظاهر . وقد عرفت نما
سبق هنالك معنى العلم والجهالة عنده

وأما الكفر باليوم الآخر فإنه وضع له البحث الخامس . فعبء عن عدم
الكفر بالآخرة (كراهه الله) معنى أن يقال من بالآخرة هى كراهة
الدين . فجعل كل من آمن بالآخرة بعد كراه الدين . وإلا فهو بعم حقيقة العلم
أن الله لم يكرهوا الدين بل صرح بأنهم يحسوها حاصضا ويريدون تخصيصها
بكل الطرق حتى بالمحرمة منها . وسكن النقطة هى أنهم لم يكفروا بالآخرة .
فلو كفروا بها لكان كفرهم هو حب الدنيا . ولهذا أصل في تخطيط هذا المعنى
في ذلك البحث من أحسن هدى العامين الذين تداراهم وهى الخوف من
التصريح بهذا المعنى أى الكفر بالآخرة وحب الإلحاد والحرص على الدعوة
إليه

وأما الكفر بالملك فإنه وضع له البحث السادس وفيه أن (الجهل
بنواميس الطبيعة ما ع من التقدم) وقد بين في هذا البحث أن نواميس الطبيعة

هي التي تحكم هذا العالم ، فصرح بذلك بصر يحال لا يشكل فيه ، وقد أطل في
إلكار ما يرد على ذلك من اعتقاد كثير المدعى والضائع وإلكار الأرواح ،
وأطلب في إلكار الأرواح البدي له إلكار الملائكة ، وهذا طاهر لمن تأمن هذا
الحدث كله

وأما الكفر بالقضاء والقدر فظاهر في البحث السابع منه فسر الإيمان
بالقضاء والقدر ، الإيمان بالأسباب المادية ثم مبرومة نتائجها وأنه تعالى لا
يتصرف فيها ، وهذا هو عين بطلان "كتمان الأسباب" ، وانتفع كما تقدم

ولما كان "وكل على الله تعالى من عباده أصول الدين" وأنه صفة من العبد
وغيره ، وهو يتضمن ذلك الأصول كلها ، وضع به هذا المبدأ حتما خاصا
واحتشد غاية لاحتيا في رسده وإليه ونشويه حتى حرف معناه جهرا ،
فأمر أعدائنا في إصاح هذا الأصل ، وبطلان كلامه

وأما المباحث لأية هـ بانه "كيد وتأييد ما فرده في المباحث الأولى ،
لأن حقيقتها البحث على توجهه إلى ضممه وهو منسبا ومحملة ككتب الدين
وعلماء ، لأن ذلك بعد من ما يدعو إليه ، ثم أنه - لحاه به - لم يكسف تقرير
هذه اشاعات والكهفيات لواقعته حتى حول أصول الدين لجعلها هي عين
أصول الملاحدة ، فسر الإيمان بعد الله وعنه وحكمه وإحصاءه "لا إيمان
تفاعل الطبيعة وأن التوأمين هي التي تحكم هذا العالم وأن الله لا يتصرف في
الأسباب فيجعل إن شاء أمسا وأين شاء غير حسب ، بل هذا هو السمع
والفوضى ، فحين يجب الملاحدة تكون قطعة تتفاعلها هي التي تحكم العالم - هو
عدل الله وعنه وحكمه وإحصاءه كما أو محمدا هـ فيما سبق ، ولهذا أكد هذا
التقرير أحدث بأنه هو الدين الصحيح حيث ادعى من كانه هو المحاولة فهم
الدين وأنه وفق بين روح الدين وروح بعض وجوه ما يصاد هذا الذي ادعاه
دينا باطلا وأنه هو أصل المراتق ، فدين لاصل عنده الذي لا يمكن أن يقدم

صاحبه هو ما يخالف ما قرره في هذه الأعلال . وهذه الآراء الشيعة أكثرها مستمد من ملاحظة لقرن الماضي مثل غوستاف لوبون وأمثه فان غوستاف هذا قرر كثيرا من هذه النظريات لكنه معترف بها مصادمة لنظريات الأديان لأنه غير محتاح الى التماس والريفة كحاجة هذا . فقد قرر غوستاف أن الكون يجري على مقتضى نفعي ضيعي ليس لله تدخّل في أسسه وهياته ، وادعى على علماء الدين - إما جهلا أو تحملا - أنهم ينكرون أن يكون بين الأسباب ومسبباتها فراصدا مطلقا حيث قال ص ١٤٧ (الآراء المعقنات) . لا أهمية لارتباط الأشياء واحداث بعضها بعض عند أولى المفوس الدينية فالارتباط المذكور في نظر هؤلاء ين هو . لا أمر حصص بوجودات عبودية بمعنى عرائنها فقط ، (١) وقد كذب في هذه انه عوى وقد ذكرنا كلام شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم في نقلها نقول - ربط الأسباب بمسبباتها وأن الأسباب تؤثر بالقوة لمودعه بها بقدرة الله تعالى وان ذلك هو قول جماهير

(١) ان غوستاف لوبون قد يكون له شيء من المصدر في مسألة ارتباط الأسباب . فقد وان كان ملجدا حيث لأنه بين أناس - اثن من مسيحيين ووثنيين وعاد قنور وجمعية ، فهو يظن أن الدين هو ما يبرقه هؤلاء الخرافيون الذين حوله ، وهذا من أسباب ضلال كثير من الناس اذ ، وان أناسا من الجمعية الذين ينكرون علو الله على شيء وكلامه وكثيرا من صفاته وينكرون أن يكون بين الأسباب ومسبباتها ارتباط ويدعون الأموات ونحو هذا . فإذ انهم هؤلاء الضالاء صرا ان ليس هو ما عليه هؤلاء ، ولا شك أن هؤلاء هم الذين كفروا ، فإذ انهم كفروا . والذين واحتمروه واددوا أهله واحتموهم ورموهم بالعباء واجهانة جميعا ، لأنهم يحسبون أن هؤلاء هم أهل الدين . ولكن هذا المعارض المحدث قد عرف كيف شخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما حتى تنبش على الدين الصحيح ومنها من يور المعارف ما فيه كفاية لمن أراد الاطلاع على الدين الحق ، فمن هو مثل مشوعة لوبون ، بل هو يعرف الحق معرفة واضحة ، ولكنه كفر استكبارا وعنادا ورعة في تحصيل أمور أخرى

علماء المسلمين لم يخالف في ذلك إلا طائفة من طوائف الأشعرية ، بل عدم تأثير الأسباب هو في الأصل قول الجهمية الذين كفرهم اللفظ بسبب انكار التصافات ، وقد نقل ابن رشد الجعفي القول بترابطها عن جمهور أنصار وروط الأسباب بمقتضاها لا تنصرف لله فيها ، فانه سبحانه يفعل بالأسباب لأن الأسباب تخففة ومنصة فيدمر بعضها ببعض ويقوم بعضها ببعض ويمكن بعضها ببعض فهو سبحانه إذا شاء بطلان أسباب ملخص أغلب أسماء من حسبها بما أكرمها أو مضاده لها في الطبع أو غير فكرة أنها حتى يقع في الأعراس في يفسدها ونظمتها ، فهو سبحانه الحاكم عدها ويعبرها بنفسها ، وبتأثيرها ناراب ويايدي ذهب أحيان ، فربطها من تصرفه فيها ، كما أن حتى تصدده من تصرفه فيها أيضا ، وتغيب قلوب أهم التي هي من أعظم العوامس فيها من تصرفه فيها ، فالعوامل التي تغفل الأسباب لا يمدد ولا يحجب إلا الله تعالى ، كما أن كثيرا من الأسباب العظيمة - فضلا عما هو دونه - قد شوهت بفسادها في كل حال و زمان بل وشواهد إصرارها تأنها في كل حال ومكان و زمان .

وكذلك قول الملحد عوشتاف ص ١٤٨ ، لمن أتم نوره طهرت في عالم التفكير هي الثورة التي أدى إليها أهم رتبة أن الحوادث تصدر عن نواويس مهيمنة لا عن أهواء الآلهة (١) الخ . فان هذا الكلام مني على جهله بالدين وبأهله وقد بينا لك أن قول عبدة المدين كاللاهوتيين والقيم والذهبي وعبرهم صرحوا بأن الأسباب مربوطة بأسبابها وأنها مؤثرة فيها بالقوة المودعة فيها ، بل نقل ابن القيم هذا عن حميد المسيب (٢) كما قرره أيضا ابن

(١) هذه الحجة والتي قبلها من كلام جستانوف نوبون هي من لفظ العامة التي اعتمدها صاحب (الاعلال) وبني عليها أكثر كلامه في الأسباب ، فهذا هو مشربه ومذهبه

(٢) في كتابه (شفاء العليل) وغيره

ورشد ونقله عن الأئمة ورد - كما ردوا - على من خالف ذلك . فإذ كانت هذه النورة التي أعجب بها وجعلها أم نوره هي التي كانت سببا في الصغر ، فلم المادى والحصاره فقد سبق علماء الدين وأئمة المسيئين إليها غيرهم ، وإن غيرهم من علماء العرب إنما أخذوها عنهم . فكيف جازله أن ينقل عنهم بقيصها . وإن كان المقصود من هذا هو أن الله تعالى لا يدر هذه الأسباب ولا يتصرف فيها مطلقا فهذا لم يقله إلا الملاحدة المسكرون الأتباع حقة والكلام مع هؤلاء له شأن آخر ، ويكفي في بطلان كلامهم مشاهدة بطلان الأسباب النورة فترا على أهلها وتعديبهم بها دون من هو دونه . كما أنه يكفى في صدق عقوبتهم إنسانهم جملة الأسباب بدون مسبب أول وأن الخواصث المتطهه المحكمه تحدث بدون يحدث عالم حكيم مريد وإيمانهم بأخريات في هذا دون نظمت مع أن انطيت أعظم وأبدع

ومن أوعى الكفر وامكارة ما فانه في هذا المبحث ان لاسبابه يجمعونها هي التي أوحى هذه الحياه وبت هذا المجتمع وسخرت كل هذه الطبيعه بعبودها وكواهلها دون أن يدعها معنى أو شاكك مشرك ، انتهى فهل أظهر من هذا الكفر كفر حيث صرح الله تعالى أوحى هذه الحياه والمجتمع وسخر الطبعه هو الانسان بعبقه وكاهنه ^(١) والله تعالى من تصرفه في ملكه بل حرده من إيجاد هذه الحياه وانظر كيف صرح نصري لا إشكال فيه بأن الذى سخر الطبعه هو الانسان بعبقه وكاهنه ، ولا يسرى كيف يجمع الايمان بهذا القول والاديين بقوله تعالى لا ألتز أن الله سخر لكم ما فى الارض ^(٢) وقوله تعالى لا وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ^(٣) الى أمثال ذلك من الآيات وهذا المصدق يقول : ان الذى سخر هذه الطبيعه وأوجد

(١) قد فسر هذا الانسان فيما يقدم بأنه المحرف عن الدين المتجمل منه حيث قال : ويوجد الدين صنموا الحياه هم المتحللون من الأديان المحرفون عنها

الحياه والمجتمع هو الالهي . ثم أكد هذا من ذلك كله بعقده وكاهله وبقي أن
 يكون لله تعالى رعاية في ذلك ، والله سبحانه وتعالى يقول : هـ من خالق غير
 الله يرزقكم من السماء و الارض ، يـ وما لكم من نعمه من الله ، لا آمن
 يد الخلق ثم بعده ومن يرزقكم من السماء و الارض أيله مع الله ، الآية ،
 وقال تعالى : هـ أذهب الناس أنتم أممقراء إلى الله والله هو العلي الحميد ، وقال
 تعالى : هـ أذهب الناس أعدوكم أيدي جنهم والدين من قبلكم لعلمكم تتقون ،
 أي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من
 غراب ، فالكم ولا تخموا به ثمراناً وأنتم تعدون ، وفي الحديث الصحيح
 : عـ عني كلكم خائف بلا من أضعفه ، فاستظعموني أضعفكم ، عـ عني
 كلكم عا ، لا من كونه ، فاستكسبون أكنكم ، يا عبادي كلكم صال لا من
 هذه ، فاستبدوني هذه ، أي آخر الحديث وهذا الملاحظ يقول :
 الاله هـ هي أي أحدث هذه حياه والمجتمع ، من وسخرت هذه الطبيعة
 من أن يعيها مع أو يشكها مشر ، فمن الله فاه ما أجزاه على نور
 والمجور ، ثم هو مع كونه كغيره صريحاً فهو مكاره في الحيات ومماهته في
 الضروريات ومسطه في المعفولات ، فله من المعوم بالضرورة والوحدان
 الذي لا يسير به أحد من الناس أن هذه لا سببية كلها بما تعيش في هذه
 الأرض بالكل والشرب وبحر ولرود وهواء ونحو ذلك ، فنقول لهذا
 الرديف من أي خلق الماء فأنزل من السماء ماء وخر الأرض عيون وأهبارا
 ومن أي خلق الحيوان وسائر إلى خلق منها تحبوب واللحوم والآسان
 والادها من الذي خلق العاصر الاصبه كاهو وثراب والحرارة والبرودة
 وغير ذلك كالنيل وأهـ ، هـ هو لا اله الا الله ، هي حة حر دل
 أوحدها الا اله من هذه الحيات وخرتيت التي قامت عليها الحياه والمجتمع ،
 فصلا عن أن يكون هو أي أوحدها وحده بدون إعانه معين أو مشاركة
 مشرك ، غاية ما في ذلك أن يكون كالمعمل الذي أدخل ملكه أو درا واسعة

قد جهزها صاحبها بجميع الأجرة اللازمة التي تحتاجها ، فأمر هذا العامل أن يعمل فيها بألا يتركها مقيمة فيها ، ويعيش من عمله فيها ، فمن يسوع في العقل أن يقال إن هذا العامل هو الذي أوجد هذه المملوكة أو اندار بما فيها من حياة بدون أن يعنه معيش أو يشاركه مشارك . ومن هذا الهراء لا يقوله من يدري ما يقول ، وحليف عقل نحس بفدورات الاتحاد أن يحصد إلى هذه الدرجة النهائية من الرزق وسقى ، فإن هذا المملوكة لما عزم على الكفر احذر أقصى حد يوجد فيه فاعنته ، وحيث أن الرزق وعدوه لأديان وقت أصول الدين أصولا مكفر هو أقصى حد في الكفر فيه حذره واعتقه واصمأن به ودعا إليه (١) . قال الله العجيب عنه وكرمه

وكل تقريره في هذه الأصول هو من هذا العظم في "السفطة والمكارمة والتهت والتماع . ولهذا لم يخف على دور الصنتر كرهه وبخارمه عيسى كما أشرنا إلى هذا فيما سبق

وقد اشتهر ما كتبه شيخ المحقق العلامة محمد بن ابراهيم لما اطلع على أعلاله فكسب في شأنه بأنه حرب صريح للإسلام ودعاه صده ، وقد سمعته غير مرة يقول فيه إنه ملحد وكفره ظاهر . وقد قدمنا في المبحث الأول بعض ما يتعلق بهذا . وجميع علماء المسلمين العارفين بدنيهم لا يشكون في رده عنه ومروقه من الإسلام ، ولو ذهبنا لنقل كلامهم في بكرة هذا الملحد لطال

(١) ولعمري ما في قمة من جدور الصنتر وعداوة الأديان به شديد الولع ، والمجبة لكل من كان أشد كرها ، ولهذا نجد في ذكر اليهود والعلانية وبخارهم محمد كالسين في كين المدح هم ذاتي بأصحم عبارات المدح والتعظيم في كتبهم لهم جراحا ، فإذا ذكر المسلمين ولا سيما أهل نغرون المصلة وأهل الحديث انتقدوا كالكلمة العفورة وأحار في اللجاجة والشنم والسب والنهك والارتداد والفتنة المتناهية

الكتاب جدا كما قال مشايخنا الأجلاء عبد الله بن عبد العزيز العنقري ورئيس
القضاة عبد الله بن حسن وأخوه عمر - كيف يشك مسلم في كفره ومحارته
للدين ، حتى قال رئيس القضاة : أصول دعائيه كلها مناقضة لأصول دعاية
القرآن من قصة صريحه . وكلام جميع علماء الدس الحارثيين يدينهم يرون فيه هذا
الرأى (١) كما شرحناه فيما سبق . ولعلنا نقدر في بعض ما يرى من تكرار بعض
العبارات ، فإن هذا أمر لا بد منه ، لأن كلامه مكرر معناه ، وإنما يختلف في
التعبير فقط ، ولابد أن يكون الخواص مناسبا لكلامه . على أن كل موضع فيه
شيء من التكرار لابد أن فيه زيادة فائدة ، كما أن التكرار في موضع لا بد فيه
منه لا بأس به لإصحاحه أو تأكيد ، وكتب الرد على أهل الباطل لا تحذر من
هذا ولا سيما في الأصول كما يعلم من تتبعها وكما تعلم من أصول الكتاب العزيز
وصنع أئمة الدس من الحارثي وأحمد وابن حريمة وابن تيمية وابن القيم
وعدهم ، أنه أعلم

(١) وقد طبع مجموعة من القصائد الجديدة في الرد عليه كتب عليها الشيخ عبد
العزيز بن باز تقريرا حسنا وبين أن كفره ظاهر لا ريب فيه

الكلام على المبحث التاسع في الاسباب

عنوانه في أغلله هكذا :

(الاسباب - أو هام الناس فيها كيف يجب أن تفهم)

وحقيقة هذا المبحث هو نفس ما قرره في المباحث السابقة في الطبيعة
وواميسها لا يختلف عنها في شيء سوى زيادة التكرار والمخاطبة وتحريف
النصوص الدينية وقد سبق الكلام في واميس الطبيعة وأسبابها في مواضع
كثيرة جدا حتى ملأنا من تكرارها ، ولكن يذكر هنا بعض ما يتعلق بهذا
المبحث : إذه الانصاح ، ودحض لما ظنه ابدى شعبه . وقد تقدم كلام شيخ
الاسلام في وجوب مراعاة الاسباب شرعا وعقلا وأن الاعتداد عنها شرك
محرم ، كما أن عدم الأخذ بها وتركها رأسا محرم أيضا

قال الملحد بعد ذكر العنوان المذكور :

« أقصد الى تربة عذبة باعتبار اللائمة للإنسان والإيمان ، وادرس فيها الدر
الصحيح القوى في الوقت المناسب . ثم اسقها بالماء وفق أصول الري لعليه
الصحيحة . ثم اطر كيف تبت هذه التربة ، وكيف يحيى . سألها : أي سوف
تنبت وإن نباتها سوف يخرج جيد . فلا أن يكون هناك شيء من الآفات
الزراعية . فإذا لم تنبت أو لم تكن - فما صحيحا فلا ريب في وجود مانع
إما في الأرض وإما في الدر وإما في طريقة الري وما في المناخ وأما في أحد
الاشياء المعروفة . أما أن تجمع هذه الأمور وتنتج هذه الموانع ثم لا يخرج
النبات - أو يخرج ولا يكون صحيحا - فحسن .

فيقال : هذا ليس من الحجج في شيء ، بل هو حجة عليه ، فإن كلامه هنا
نصم أن خروج النبات من الدر صحيحا متوقف على اجتماع هذه الاسباب
وانتفاء الموانع والعوارض ، فنصم هذا أن الاسباب كلها ضعيفة لأن كل

واحد منها عاجز عن الاستقلال بالإسباب ، بل لا بد من أن تتعاون ولا بد من أن تكون صحيحة ولا بد أيضا من أن تكون مرتبة ترتيبا طبيعيا على وفق خلق الله لا على ما يريد الإنسان ثم إذا حصل هذا كله فلا بد أيضا من أن تنضم إلى ذلك أمور أخرى وهي اسباب الموانع والعوارض ، ومعهم أن الموانع لا يعدها ولا تحصى أنواعها إلا الله تعالى ، وهي أسباب أخرى تضاد هذه الأسباب المذكورة وتقهرها وتغلبها ، وهي تأتي في أثرها وفي مدح وري الرى ، وتأتى في جميع الأطوار التي تقطع السبب ومعهم أيضا عند كل عامل أنه ليس في استطاعته أحد من بني آدم - من ولا منى آدم كله - أن يمنعوا جميع الموانع ولعوارض ويحددوا جميع الأسباب بقدرتهم المباشرة . ومن العجب أنه جعل من الموانع الأشياء المعروفة ، وكل عامل يعرف أن الأشياء المعروفة عند الناس هي الآفات وأكثرها ليس في قدرته إلا أن يمنعها ويمنع ذلك الجمع إلى المشيئة العليا والقدره الربيه ، فإذا أراد الله قطع المنفعة من هذه السبب سبط عليه آفة وسد من هذه الأسباب الكثيرة التي تحت قهره وطوع مشيئته كأن تمنعها بحب أو براد أو براد أو صاعقة ، ويسلب عليها حيوات أرضية من السوس أو غيره ، فصارت لأسباب كلها لا تستقر بوجود النبتة بل لا بد من مراعاة القدرة والمشيئة الربيه ، فالأسباب قاصرة ضعيفة لا تستقل بوجود النبتة فكيف يجوز أن يعدوا أن تصرف الأسباب وجهه إليها من دون الله ، بل عليه أن يستعملها على وجهها بأحسان ويعتمد ويوكل على خالقها ويستعين به ، وإعانه تعالى هي التي تكفيها وتركيبها وتنميتها ويحصل منها الانتفاع على الوجه الأكل المطلوب

وسبب أن يلاحظ أن المراع يساوي به ليس هو في تأثير الأسباب بالقوة المددعة فيها مشيئة الله وقدرته ، بل المراع يساوي به في استقلالها بإيجاد نتائجها بدون مشيئته تعالى وإرادته ، وأنه تعالى لا يقدر على تغييره وقطع سبب عن مسببه ، فافهم هذا جدا لكي يروى عليك تليسه ، من خداعه في هذا المسح

وهم أن لا يعتبر الأسماء شيئا وأما نفي تأثيرها أو إربطها بنتائجها وأن وجودها كعدمها ، وهذا بقل نه . ولكنه نحن مجادلوه الأوهام التي يصورها هو على ما يريد . ويقال له أيضا من الذي خلق البرية وخلق ربي وخلق اندر والمناخ ولعوامل ورتب ذلك على هذا التأثير الذي لا يستطيع أحد من الخلق تغييره أو تبدله ، ثم حتى تلك مواعيد وعوارض أيضا لا تنبسط أنواعها ، أفليس ذلك هو الله وحده . قد لا يصرف فيه وهي ملكة وطوع إرادته ، فإن شاء أصبح وهذا هو الحب فإن رحمته غلبت غضبه ، مع أن الدواب أكثر من الطغايا ، وإن شاء ألقها عدلا منه وحكمه ، كما أن هذا يقع بالحس والمشاهدة أيضا

وقد تقدم في لمبحث الأول قاعدة في الأسماء ونحوها ويبدأ أن كل مدحه فلا بد من أن يتوقف حصوله على أمر عني ، ونحن هنا إن شئت فادكره هنا حجة عليه

فصل

قال : ثم أقصد إلى أرض غير صالحة للإنبات وضع فيها ماء ، أو صالحة للإنبات ثم لا تنبسط بعد وضع البذر فيها مع منبوع الماء عنها ، أو إلى أرض صالحة للإنبات واستبقا سماء راجيا أن تنبت بدون أن تكون فيها لبذر ، ثم انظر هل من الممكن أن تنبت هذه الأرض من دموع ورحوت ،

فيقال : هذا أيضا كالذي قلناه ليس من الحجة في شيء ، فإن الله وضع لكل شيء قدرا ونظاما وشروط وأركان معينة ليس لأحد من خلقه قدرة على تغييرها وجعل وجود النتيجة متوقفا على ما وضعه هو وجعل الحصول عليها والانتفاع بها ليس بحققا يقينا ، وفرق بين الوجود والحصول والانتفاع ، وذلك أن عمل المزارعة عن مستقل قد وضع الله له سنة مستفنه ، ففرد بها فلا يمكن لمخروق

تدبيرها ، وهذا من أعظم الخلق على هذا الملحد الذي يدعى أن في إمكان
الإنسان أن يقدر على كل شيء وينقلب على كل شيء ، وأنه ليس شيء من
الأمور كائنا ما كان هو قدرته ، فبالله عجز عن تغيير هذا الترتيب أو تبديل
شرط من هذه الشروط ، فذكره في أمثلة الأولى هو الوصف الذي تكون به
الزراعة ، وما ذكره هنا ليس بزرعة ، فان سقى الأرض عن غير وجود بذور
فيها ليس بزرعة ولا يسمى بزرعة ، اللهم إلا أن يكون في له الزادقة وكذلك
وصف الدر بدون سقي هذا محال له لئلا يوصف الله ، ففيه بيان عجز
الإنسان وضعفه وأنه لا يقدر على تغيير هذا الوصف ، فأنه سبحانه وضع هذه
الأصول وشروطها والآثار لهذا العمل بزرعي ، فمن جاء به على هذا الوصف
اسمى وضعه الله عليه وجد مسه وكان وجوده مراعى تحت المشيئة والإرادة ،
ولهذا فالزراع والمنتفع من عرصة لثقف ، وإن لم يزرع عرصة سب آخر
بأن لا يحصله الزارع ، ثم إذا حصله فهو في معرض تلف آخر وهو الحيولة
بينه وبين الانتفاع به فكذلك من زارع يستحصل على ثمرة زرعه وكما من
مستحصل على ثمرة سبها ، وهذا شيء ظاهر معروف ، ومن هذه الأوضاع
الأوضاع الدينية ، فان أحج مثلا فرض ديني أي من الدين الدينية فلا يسمى
حجاً إلا بوجود أركانه وشروطه وأعماله الموانع والمبطلات ، فوجود هذا
كله يسمى حجاً ويرجى منه حصول منتهى أجره عليه ، ولكن الحصون على
الدينية ثم الانتفاع بها أمر وراء ذلك كله ، ولو أن رجلاً وقف بمرقات وسمى
بين الصفا والمروة ولم يصف لم يحصل له الحج الديني به دعا ورجا ، فلا بد من
الإنسان بالتحقق على الوصف الديني كما أنه لا بد من الآثار والشروط في مسألة
الزراعة ، فكل من سواه كان دينياً أو مادياً قد وضع الله له سنة متحدة ولولا
ذلك لاحتلظت الأعمال وشاعت نفوسها فيها ، فسهل الأعمال المادية لتأخرها
كسنة الأعمال الدينية لتأخرها ، واثبت أن الله تعالى وضع الدين المادية وسائل
للدين الدينية ، فان الله سبحانه لما في الأرض جميعاً ليعبدوه ويعرفوه

ويتقوه ، فالسنن الدينية هي العاية الموصلة للسعادة الكبرى في الدنيا والآخرة ،
ومسة الطبيعة وسيلة لها فمن نبي فوائد الأسباب الدينية وأصل نتائجها هو أشنع
من نبي فوائد الأسباب المادية ونتاجها ، ومن رجا وجود رزع بدون أرض
أو بدر أو سقى فهو كمن رجا فائدة حج أو صلاة أو صيام وترك بعض أركانه
فلا ينفعه رجاؤه هذا ولو دعا هنا لسكان دعاؤه دعاء اعتداه قد صادم به سنته
الدينية وقد أحرر تعالى أنه لا يجب المندرس فقال (ادعوا ربكم تضرعا وخفية
انه لا يجب المعتدين) فيسعى أن يعرف أن أصول الأعمال ثالثة لا تتغير
ولكن نتائجها والحصول عليها تتغير دائما بحسب منة الانسان وقصده وعمله ،
لأن هذه الأمور هي التي يقع عليها الخراء والثواب والعقاب ، وكلام شيخ
الاسلام صريح في أن الأسباب تزاى شرعا وعقلا ، أى تعتبر عواملا
وموضوعات للسانح ، وذكر أن التوجه إليها قدح في التوحيد وأن الاعتماد عليها
شرك ، وذلك لأنها لا تستقل بحصول النعمة وحدها بل بمشيئة الله تعالى ،
وهو المسحر لها فيجب الاعتماد عليه ، وهو المتعبد بالسير وحده وإنما وصع
الأسباب محدودة مقدره محدودها ومقاديرها عطف بمساده وامتناعا لهم ودليلا
على قدرته وكما يهتدوا بها وإليها في تحصيل حاجاتهم ، ادلو كانت الأسباب
مختلطة غير محدودة وعقده لتأهوا فيها ولكثر أمتها ولسادت القوضى ،
فما ذكره حجة عليه ، فانه اذا كان يرى أن العه في الاعتماد على الأسباب هو ما
ذكره فكذلك جمع الأسباب الدينية والديونية ، وان كان لا يحكم إلا على
المحسوسات فليترك وجود الأرواح وأمثال من الروحانيات وهذا مكاراة

فصل

قال ، أو أقصد الى كائن حي وامنع عنه الطعام والشراب أو امنع عنه
الهواء أو أقصد به أحد الاعضاء التي لا تكون الحياة بدونها ، وانظر هل من
المحتمل أن يبقى حيا ، أو وفر لهذا الكائن الحى ما يلزم له من طعام وشراب

وهو ما وادفع عنه الآفات وما تكون به الوفاة وانظر كيف بقي حيا ،

يقال : هذا المكين يحول نصر - أي في هذه الأصول العظيمة -

الحدوث المصححة والحدوث البارد ، وهي كلها حجة عليه كالمش لمقدمة

وهنا طفق ، وحرف بموجبه في هذه المسألة فزلت قدمه في قوله وادفع عنه

الآفات وما تكون به الوفاة ، يا مكين من هو الذي يحيط بالآفات وما يكون

به الوفاة ويقدر على صسطها ودفعها غير الله ، ومن أحد من الحق يمكنه ذلك ،

فهؤلاء سادتك من الماديين وغيرهم من الملاحدة قد درسوا كثيرا من معرفة

هذه الآفات من أحصوها وعرفوها وهل قدروا على ما عرفوه فضلا عما

يعرفوه فوجود لطعام وشراب وطواء ليس كافيا في حياة ، بل لابد من

وجود أمور أخرى ، ولابد من هذه الموانع والعوارض - ثم لو كان وجود

هذه الأمور ونقاء موانعها مصححة مقدورا عليهما من كل وجه لاستمرت

الحياة ، والأفاهم لا ينفع معه وجود هذه الشروط وانقضاء الموانع يحصل

علل أخرى لا طاقة لأحد بتدبيره وتحويلها ، وهذا كاف في بطلان كلامه

ثم إنه شرع في الطعن في الهواء كمداه بناء على هذه حمل التي ساق ، وقد

علمت ما فيها ، فذكر أن لأسباب اذ وجدت واقية وحملت المسببات وإلا

فلا ، وقد سبق الكلام في هذا مرارا - ثم شرع في تشويه سمعة المسلمين بأهم

تركوا الأسباب ولم يروها شيئا ، وأن ذلك من أسباب ما حرمهم فقال -

أساء المدون الطن بالأسباب ، وأكثروا من القول في تقين قيمتها

وأثرها ، بل في تجريدها من كل قيمة وأثر ، ومثلوا الكتب والمائر والنوادي

والمجالس كتابة وحطية بأن تحصيل السبب واجب ليس معناه تحصيل المطلوب ،

وأن فقده ليس معناه فقد المطلوب -

يقال : أنت أسأت الطن بالأسباب الدنية بل شتمتها وحاربتها وعكستها

وأكثرت من القول في تقليل قيمتها وأثرها ، بل لم تجعل لها قيمة وأثرا بل

جعلتها صريحا بحسب حث مرتبها ملهة ونعوت ومصرف خبيث وشر ما
يؤذي، ومثلت الآدمي وانصب نصيب في المحنة والخصومة فيها في الآدمية
والمحلس والمحطات، وأما الممار الديني فقد صاحب الله ملك مدعي بأن العمل
بالسبب الديني ليس بوسيلة وليس له من فائدة، والله يعلم أن أعلاك هذه
كلها في هذا الشأن، ومعلوم أن سكنت أسماؤه كلها وجميع لرسن، كما كانت
رئدة رسالهم هي الخث عن الأسباب الدينية والقرآن كله من أونه إلى آخره
قد علو الفلاح والصلاح والنجح عن الأسباب الدينية، وهذا نجد القرآن قد
حصر المحذو وجمع الخث في ثنقون والآدمي والعلم تصحيح، وكذلك السنة،
وليس فيه من الخث على الأسباب المادية سوى شيء يسير جدا عملا، بخلاف
الايان والأعمال، انصحه منه كرا الآداب فيها وتصيب وعصمها وبسبها عاه
البان وعلو السجاح والسعادة ثنائمه علموا، ثم قد عرفت إلى ما عظمه الله
تعالى وعلو الحسية كله عنه فصادمته وحرته وعدته ثنعتة ملهه وشره
وتحذيرا وحلا وصلالا إلى غير ذلك من السبب وثمنه الذي لا يحصى ودهست
إلى الأسباب المادية التي أشرب بها إشارة محمده وعبدرا عن الاعتقاد عليها
فما كنت الله ورده وأبياه وعادة المؤمنين أعظم معكم، فأهلكك
نفسك في الخث على الاعتقاد عليها حتى أخرجت إلى حد الجنون، هذا مع أنك
تعم أن الناس لا يحساحون إلى مثل هذا الخث على ما هم فيه من الدافع الطبعي،
بخلاف الأعمال الدينية فاهم في أعظم نخاخة إلى ذلك فإن الناس في الأسباب
المادية لم يقصروا في الأحد بها واستعده فقد جن بعضهم وقس بعضهم وبجن
بعضهم وصرت بعضهم وكفر بعضهم كله من أجل الأحد بها والاعتقاد عليها،
والقليل انشادر فيهم الذي في غاية المكمل عبق قد انحدر له وسيلة مباحة في

(١) وذلك لعلمه سبحانه بما سيكون، فإن حث الناس وتأكيد الأمر عليهم في هذا
أعظم من الأمور المادية، لأن الشهوات والحاجات كاذبة في سوقهم إليها كما هو الواقع

تحصيل ما يقوم بكفائته . ثم إنك تعلم أنه لو قدر أن أحدا منهم فرط فيها ونساهل فليس ذلك من أجل اشتغاله بالعبادة بل من أجل اتباع هواه وإصابته بوباء النفاق أو الالحاد لا من أجل الدين . ثم إنك تعلم أيضا حقيقة العلم أن الأسباب الدنيوية قد أهملت وصيحت وزركت ورفضت إلا أقل القليل ، وهذه مواضع اللهو عمدة كل وقت والمساعد ورعة إلا أقل الأوقات ، وإذا قيست مواضع اللهو بمواضع العبادات بأنواعها ومقالات الالحاد والاستهتار بمقالات الدين وكتب الالحاد والكفر واشترك تكسب الدين ومجلات الكفر والباطل والرافقة بمجلات الدين وأمثال ذلك ليس لفرق الواضح الجلي بين الرعة في هذا ولغيره من الآخر ، فما بالك عمدت إلى أنفس نفس في الدنيا وترك مهمل مرهود فيه وادعت أن الناس مهمكون فيه وذهبت إلى مصادره وهو السهم في الدين ونحوه من الأمور التي قد مهمكوا بها وهلكوا فيها وادعت أنهم تركوه وقصروا فيه وأساءوا لنفسه ، أسس هذا كله من قبل الحقائق ومن معارضة لله ودينه وعقائده المؤمنين ، فانه يجازيك بعدله أنه سميع مجيب حيث صددت عن سبيله وسعيت حيثما في إضلال عبادك

فصل

قال : وقد صار الناس في هذه المسألة طائفتين : إحداهما كفر من الأخرى صلا لا (١) . طائفة تنكر الأسباب ولاحد بها حملة وتنكر أن تكون لها شيء من الأثر وتظعن في دس من يأخذ بها ومن يراها شيئا ، ورعاء هذه الطائفة كثيرون ، منهم لعراف في كتب منساج العائدين ، ثم ذكر كلاما له ولناس من غلاة الصوفية كما هو دأبه في عرو الاسلام بكلام بعض الصوفية

(١) لو وردت في هذا صلا فليس صلا من أنكر الأسباب المادية ولاحد بها من صلا من أنكر الأسباب الدنيوية وادعى أنها ليست بوسيلة وليس لها من فائدة

أما ما فيه الى الغزالي^(١) فليس بصحيح بل تقدم كلام شيخ الاسلام ونقله عنه بأن إكثار الأسباب عن أن تكون أسبابا قدح في الشرع ، وكتبه كلها شاهدة في الحث على الأسباب . أما علاه الصوفية فقد بينا أنه أقرب لهم في الشبه من المسلمين . فان كثيرا منهم صلاحه ففعلوا ما فعلوه لأجل إضلال المسلمين بدعوى أنهم مسلمون ، وقد تقدم الكلام في كتبهم وأن إجماع المسلمين متعقد على عدم الأحد بظاهرها حتى عند الموافقين لهم ، لأنهم يقولون : لهم اصطلاح لا يفهمه إلا من دخل معهم فيها ثم فيه من المصوف . وكثير من أهل النعم يحرجون علائهم من المنة ، فكيف يحتاج بأقواضه ويجعلها سبها يرمى بها الاسلام مع أنه يرى رد العناء عليهم في كتب أنتم المسلمين مما لا يعد ولا يحصى ككتب شيخ الاسلام وبعده ابن القيم ، ولكن مقصوده من هذا معروف وهو توسيع كل ، أمكنه الى إيشاء الاسلام والتعريف منه ليقول أن أهله على قصد من ارأى محبت رفض كتبهم وعقدتهم ويبدأ لها بأراء الملاحدة التي قررناها في أعلاها عنت بها عطفه ويبدأه وكان من تحسين ثم ذكر الصلعة الأخرى فقال .

وأما الطائفة الأخرى^(٢) لم تنكر الأسباب حمية ، ولكن حرمتها من التأييد . ورعت أنها مظاهر صورية يؤديها الانسان ، لأن الله أمر بأدتها ، ولأن الطبيعة الشرعية تطعن ايها لا لأنها تؤثر أو توضح ،

فقد . هذا كذب طاهر على هذه الصورة التي ادتها ، والتقسيم باطل من أصله ، فان التقسيم الصحيح ما تذكره قريبا من أن الناس ثلاثة أقسام ثم قال : وقد ذكرنا في توجيه المسألة احتياين كلامهم عندهم كفر .

فقل وهذا أصح من وجوب لا شك فيه مع أنه نفي لا يلزم مع ما قبله . ثم ذكر الاحتمالين فقال :

أحدهما بره أن الأشبه بوجوب أن تأكلها بطعمها ، وأن الأسا
تؤدي إلى مسيئاتها بقوتها . وثانيها البره أن من لم يترك عندها بطعمها ،
وكلا الأمرين عدم كفر من اعتقد أن سيف يقطع بطعمه وأن الدار تحرق
بطبعها وأن الطعام والشراب شبع ويرود كسب وأن الكائنات الحية من
طبيعتها تماء واحركة وأن بعض وجب بداهة ، أمر بوجوب إلى السباح
ويصمم من القتل والإملاء ، أو اعتقد أن لأشياء المذكورة عن لما يراد
منها وجب بها كافر برديق مشرك بالله عن ما دعوا .

والجواب أن يقال : ألا الله على "العلمانيين يصدقون عن مسلمين
أقرب ويؤمنونها عوجا . وقد قدم أن هذا مسجود به شيء قوي من اليهودي أنه
والمكافاة والتعريف وقت الفضائل وعمدتها ونعمتها . ومن هم أحسن
حاجات المسلمين وسيدنا أبو وجور والآكاذيب والبهتان مثل هذا الملحد
من أعظم التوب وأنهم يحسدونه على المسلمين أنهم يرون أن من اعتقد
أن السيف يقطع بطعمه وأن النار تحرق بطعمها أنه كافر برديق مشرك بالله ،
وكسب ما ذكره في الشيع بالطعام والشراب من هذا من آخر الوجور ،
وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية ولازم أن تقيم عن حميد هل السنة من
المسلمين أم لا . وهذا أي أن أن "سيف يقطع بطعمه والد تحرق بطعمها
أي ما مود إلى حميد أنه قد ، وكسب طعام وأداء كل منها شيع وبروي
بالقوة التي حميد لله به . فكيف يدعي هذا برديق أن ركب عسدهم كافر
وشرك ورديق ، فإنه الله ما رخص تكذب عده ، وسأني كلام من نيمية
وابن القيم قريبا في هذا

ومن المعلوم أن الناس في هذه المسألة على ثلاثة أقوال كما أشرنا إلى هذا

فيما سبق . أحدها من قول أن الأسباب تفعل بضعها من غير أن يخلق الله
 فيها قوة على أن تفعل ذلك وإنما هي بنفسها هكذا كانت وليس في الامكان أن
 يعبرها الله بل هي مضبوطة طوعا مؤثرا بدون مشيئة من الله ولا إرادة وليس
 لقوة من أقوى أن تفعل في سبيلها . وهذا قول ملاحدة الدهرية وأمثالهم من
 أربابهم . فلا معجزة عديم ولا آية ولا كرامة . لأن ذلك عديم تغيير في طبيعة
 الأسباب . ونشأ على هذا إلكار لنسبات الأسماء تلك إلا بمعجزة وليس في
 الامكان وجود معجزة بهذا الواسع . على أن من عرفا كثيرة يجوزون تغيير
 طبيعتها وانقطاع لطبيعتها عن وسيلتها لأهم رؤاها وعسوه بالاستقراء .
 ولكن سمون هذا فساد الطبيعة فلا يعسول شيء لا مشيئة ولا غيرهما
 والقول الثاني أن الأسباب لها قوة في التأثير ومن خلقها الله فيها . فهي
 بمن وتؤثر بالطبع والعمى في خلقها الله وأودعها فيها . ولكن تقطع بنفسها
 . وخرق بطبع القوة التي خلقت فيها وكذلك "فنعلم شمع بالقوة التي فيه
 وعاء يروى كذلك . وهذا قول حمير أهل السنة من أصحاب الحديث وعيرهم
 وهو الذي حقه شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما

قال شيخ الاسلام في رسالته أقوم ما قيل (١) ومن قال ان قدره لعبده
 وغيرهما من الأسباب ان يخلق الله تعالى بها مخوفات ليست أسبابا أو أن
 وجودها كعدمها وليس هناك إلا مجرد دوران سائر كافترا الدليل بالمدلول
 فقد جحد ما في خلق الله وشرعه من الأسباب واحكم ولم يجعل في العين قوة
 تمتاز بها عن الخلد تبصر بها ولا في القلب قوة يدرك عن حل بعينها ولا
 في سائر قوة تمتاز عن الارب تحرق بها . وهذا لا يكره ما في الأجسام
 الطبيعية من انطباع والعرائر . قال بعض المصلا . تكلم قوم من الناس في

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له إياك إياك أنت تفعل بالماء

وليس عند القوم في نفس الامر سبب ولا عنة ولا حكمة ولا قوة في
الاجسام ولا طبيعة وغريفة . فليس في الماء قوة التعريد ولا في النار قوة
التسحين ولا في الاعذية قوة العداء ولا في الادوية قوة الدواء ولا في العين
قوة الإبصار ولا في الالذ قوة السماع ولا في الالاف قوة الشم ولا في الحيوان
قوة فائلة ولا جادة ولا ممسكة ولا دافعة والرب تعالى لم يفعل شيئا شئ ولا
شيئا شئ . فليس في أفعاله ما تصب ولا لام تعليل . وما ورد من ذلك
فمحمول على به المصاحبة ولا م العاقبة . وادوا على ذلك أن الافعال لا تنقسم
في نفسها إلى حسن وقبيح ولا فرق في من الامر بين انصدى والكذب والبر
والمحور والعدل والظلم والسجود لله وحسن والسخود للشيطان والاحسان إلى
الخلق والاساءة اليهم ومنه احق واشاء عليه . وانما علم الحسن من ذلك من
الفسح بمجرد الامر والنهي . ولذلك يجوز لشيء عن كل ما أمر به والامر بكل
ما هي عنه . ولو فعل ذلك لكان قد قبحا وهذا حسا . وراى بعض محققهم
على هذا أن الاحسام كلها متماثلة فلا فرق في الحقيقة بين جسم اسار وجسم الماء
ولا بين جسم الذهب وجسم الخشب ولا بين جسم الزرع ، وإنما تفرق
بصفتها وأعراضها مع تماثلها في الحد والحقيقة . وادوا على ذلك بأن قالوا
الأعراض كلها لا نبي رما بين ولا تسفر وفيه . فاداحت بين قولهم بعدم
بقاء الأعراض وقولهم تماثل الاحسام وتساوى الافعال وأن المعد لا فعل له
البيئة وأنه لا سبب في الوجود ولا قوة ولا عريبه ولا طبيعة . وقولهم أن الرب
تعالى ليس له فعل يقوم به وفعله غير مفعوله . وقولهم انه ليس بمباين لحقيقه (١)

(١) أي ليس هو المرش . فان المهمة يتكروا أن يكون الله هو المرش كما
جاء في النصوص

ولا داخل العالم ولا خارجة ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ، وقولهم انه لا
يتكلم ولا يكلم ولا قال ولا يقول ولا سمع أحد خطبه ولا يسمعه ولا يراه
المؤمنون يوم القيمة جهرة ، يصدرهم من فوقهم ، سمعت لك هذه الأصول عقلا
وعرض اسمع وريافض وحى ، وقد أوصى الأنبياء عند "تعارض تقديم
هذا المعقول على ما جاء به الرسول

هو أن كنت هاتئني خوته هو عند المدا
لها على ما أتى وانك فعلوا ونظروا بمن سلا
انتهى

وقال ايضا (١) الحق الذي لا يجوز غمسه هو أنه سبحانه بغير من يشته
وفدرة وإرادته وعن ما يحده أسباب وحكمة وعنايات محموده ، وقد أودع
أمره من القوى والطاقات والصفات والمميزات منه قام الحق
والأمر ، وهذا هو جمهور أهل الإسلام وأكثر طوائف أقطار ، وهو قول
الفقهاء قاطبة إلا من حيز نفعه رغبة وبكر أصول تنفعه فمادى فقهه وأصول
دينه ، انتهى كلام ابن القيم ، وهو صريح في أن هذا قول جمهور أهل الإسلام ،
وقد تقدم كلامه أيضا في هذا الموضع في آخر بحث تفسر فليراجع

وانقول التذلل أن الأسماء لا تؤثر بنفسها ، لا بالقوة التي أودعها الله
فيها بل الفعل أخاذت عند أوران السبب ، ليسبب فعل الله ، ولا حراى فعل
الله والسبب علامته ، وهكذا الأسماء ، فانوا وقد جعل الله هذه الأمور
علامة على هذه الأفعول ودلالة على ذلك سبحانه وعن علامته فلا تشبه طرق
المفعولات ولتتبع وهذا القول في الأصل قول جهمية وقد سرى في صفة
من طوائف الأشعرية من لم يحرس وهي من الأمور التي أحدها لأشعرية

من الخيرية وهو قول مرحوح قد عرفت كلام ابن القيم وابن تيمية في رده
 كإدله غير من ولكن معنى أن غير أنه ليس مذهب الأشعرية هو مذهب
 الخيرية بل يذهب فروع ، قال مذهب الأشعرية فيه كثير من مذاهب أهل السنة
 سوى أمور أخرى كهدية حسنة ومبشئ بأشياء بعض نصائح ، قال هذه
 ما حوذه من مذهب خيرية ومعرفته أنه أن هذا القول في مسألة الأسباب
 انتهى بقوله الأشعرية ليس فيه حجة لها ، بل انهم معترفون بسببية
 الأسباب وأن لها نتائج وبما يكرون له ، بل فقط وإلا فهم يقولون بأن السبب
 سبب للأحراق أي دين وعلامته فلا بد منها فهو يوحون استعمال الأسباب
 ولا يعترضون أحدا بترك الأسباب الضرورية من أجل أنه لا فعل لها بل يجب
 استعمالها لآثارها علامته ، ومن فيهم من يقول إن الربيع يحصل بدون تدبير أو
 مني أو أرض وعو دت ، بل يوحون الأسباب بالأسباب ويقولون من
 استعمالها على وجهها فقد سمع من أحد انتهى به تخصص لنسبة ما لم يكن هالك
 مدع آخر ، ومن تركها لم يحصل له شيء ، فليس قولهم ملازم تركها ، من
 سبب إليهم القول بترك الواحد بالأسباب فقد تابع في التبع والمكافئة ، وأدنى
 كتب من كتبهم شاهد على ذلك ، ومسألة القضاء في تأثيرها وعدمه غير مسألة
 الواحد بها ، وقد أورد لمرأي أنه ليس عندنا معين له في هذه المسألة دليل
 على كون النتيجة هي سبب تأثير الوسائط نفسها لا فعل الله ، وادعى أنه
 ليس عندهم إلا كونهم يرون فعل عند الله أن سبب باللسب فقط ، والفعل
 شيء حتى من أن لهم أنه من فعل السبب لا من حقيقة الفعل عنده ويحذر
 الافة أن لا يوحى التعجيل ، ثم أورد مسألة حب المعاصي للحديد فانه شيء
 غير مدرك بالعقل وأصل في ذلك ، وهذه الملحد وأمثله عاجزون عن
 معارضة ، غاية ما عنده الاستبراء والتهت والتحريف بدون حجة ، هذه هي
 هوائه وسلاحه الذي يجارب به المسلمين

فقد نبي لك من هذا أن الناس على ثلاثة أقوال ، وأن المسلمين على

قولين ، فلا كثرون قائلون بأن الاسباب مبروطة بمحدثاتها والعدل معمولاتها
وأن الله قد أودع فيها طبيعة وقوة على التأثير ، وأن هذا قول أهل السنة .
والقول الثاني من يجمع أسبابا لم يكن ينشئ تأثيرها بقوتها ، ويجعل انت تأثير يفعل
الله عندها لا بها وأن هذا قول أكثر الأشاعرة (١) وكيف يدعى هذا الرديق
على المسلمين بأهم يرون أن من اعتقد ما ذكره من تأثير الاسباب في مسببها
والعلل معمولها بقوة فيكون كافر رديقا مشتركا بالله ، فهل في الذب أعظم
من هذا الهت والعجور في هذا الادعاء على المسلمين والمضية أنه عزم المسلمين
هذه الدعوى حيث قال في أول الدعوى : أساء المسبب الظن بالاسباب الخ ،
ومن شيع حشده والمسه ادعاء الحكاء والعلم والفضل مع مسألة لبيب والنار
والطعم والشراب مناعج ، وكل عاق بعرق بين تلام هذه لأشياء ، فإن
الحكاء والطب أعراض وأسباب قاصرة لا تكون لارمة لنجاح كلارمة السار
للأحراق وطمع للشع والشراب يري ، فإن هذه قوى قوية المفصول في
تنحجها خلاف الحكاء وانصب فلا بد من انصام أسباب أخرى وموسع كثيرة ،
وكل أحد يعرف تفاوت هذه الأمور في التمتع ، بل هو نفسه ادعى في أبيته
المتقدمة أن الحكاء والعقل سبب للحرمان وأن الخس سبب للسيادة وأن العقل
صرب من الفقر ، وهذا تصريح منه بأن هذه الاسباب لا تستلزم نتائجها ولا
يحب فكذا كان دأبه في التناقض والاضطراب والحقن والخيرة والعياد بالله

ثم انه زاد الطين بلة فقال :

« وقد نظموا هذا شعرا واستطهروه وأمروا باستطهاره فقالوا في إحدى
المطومات الاعتمادية التي تحفظ وتدرس .

(١) والسبكي وكثير من الأشاعرة يرون أنها مؤثرة بعضها كما ذكره في شرح

الخريدة

ومن يقل بالطبع أو بالملة هناك كفر عند أهل الملة
والمسألة اجماعية على هذه العقيدة النطمية ، انتهى

قلت : فليُنظر المنصف الى هذا الفجور والتحريف الخبيث في الاستشهاد
على ما ادعاه ، والمنطومة إنما تضمنت ثلاثة أقوال أشار إليها الناظم بقوله - أى
في القصيدة المسماة باحريرة :

والفعل في التأثير ليس إلا للواحد القهار حل وعلا
ومن يقل بالطبع أو بالملة هناك كفر عند أهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعة هناك بدعي ولا يلتفت

فصاحب هذه المنطومة وهو أحمد الدردير بن العرق بن القول بالطبع
والقول بالقوة المودعة ، وهذا الملقب حططها جميعا وحصل اجمع كفرا وريادة
وشركا ، والفرق بين القولين ظاهر ، كما ذكر أن التأثير منعه ربه الله أراده
بعباده وهو قول الدهرية لقائس بأن مسند حركات الكون بواميس الطبيعة
وأن الاشياء تعمل بطبيعتها لا أن الله خلق فيها طبيعة وقوة على الفعل وهي تحت
مشيئته وقدرته بل هي نفسها لم تزل كذلك فهي علل للمعومات لديها وطبيعة
تتأصلها بذاتها ليس لقوة من القوى أن تقف في سبيلها أو تنحكم في هادئها ،
وهم ينكرون الربوبية ، ومهم من يقول بقدوم العالم وأنها لم تزل كذلك ليس به
قدرة على تغييرها ، وهذا كفر صريح لا شك فيه بين المسلمين ، وهو الذي
يذهب إليه هذا الملقب ، وأما القول الثاني فهو قول أهل السنة من يحمل فيها
قوة على الفعل حقيقيا لله فيها ، فالتأثير تحرق هوها المودعة فيها وكذلك السبع
يقطع بقوته المودعة فيه وكل هذه لقوى والخصائص تحت المشيئة العليا وأنه ما شاء
الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وهكذا جميع الوسائط مع تأنيها ، وهذا هو الذي
قصده شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأكابر أهل السنة وأصحاب

الحدث ، والقول الثالث وهو اني أشرا به كنظم واحتاره لأنه من بعض
الاشاعرة المنكرين لقوى الموثرة في الضائع ولهذا قال فيمن خالف رأيه
فذلك مدعي فلا تنفك ، ولم يشأ انه كافر مشرك رديق كما يقول هذا
الكاذب ، وهذا لئلا يبي هذا القول على اعتقاده لان معه شيئا من أصول
الجهمية كراهية في أويل لصفات الخلة وبني المذته وانما الحرف والصوت
في كلام الله ، وهذه الأمور ليست مدعيا للاشعري من هو قد صرح في كسبه
كلها كالإلهية وغيرها بخلاف ما ذكره في هذه المطبوعة اسمها بالخريده ،
وكذلك هو موضح بخلاف ما فانه صاحب لجوهرة والنسوي وأمثال هؤلاء
المبشرين في مثل هذه الأمور ، فانه صرح في كسبه ، لاسوءه على لعرش
والمباينة وأسكر على من رغب أن يتولى معنى سنولى ورد عليهم وأمر بجمع
النصوص الواردة على طاهرها ، وكذلك كثير من أصحابه من أئمة الاشعرة
والشافعية ، من طالع عقيدة الامم الصوفى ومن حريمة والحوبي والد امام
الخرين^(١) وغيرهم علم أن هذه عقائد لمذخرة فيها أشياء مخالفة لهم بحلاه
طاهرا ، وهذا الجوسى الملقب منه حرمين أثبت لتأثير في نفس العبد كما فقه
عنه ان القم في شعب الغليل وليس عرصا شرح هذه الأمور وإنما اعرض
بيان أن ما فقه محتجا به فيه من اثبت والتحريف مالا يحق على عاقل

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في فتوى له في النجوم
والكواكب^(٢) ، وهو سبحانه مع ذلك قد جعل فيها منافع لمبدء وسحرها
لهم كما قال تعالى ﴿ وسحر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾ . ﴿ وسخر لكم الليل
والنهار ﴾ وقال تعالى ﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾ وقال
تعالى ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميع منه ﴾ ومن منافعها

(١) له رسالة جلية مطبوعة ضمن لمجموعة المبرية
(٢) المجلد الاول ص ٢٢٤ من مجموعة فتاويه طبعه الكردي

الظاهرة ما يجعله سبحانه شمس من آخر والبرد والليل والهار وإنصاح الثمار
وحلق الحيوان ، السب والمعادن ، وكذا ما يجعله بها من الترطيب والتبمس
وغير ذلك من الأمور المشهورة ، كما جعل في ليلها الاشرار والاحراق وفي
الماء التطهير والسي وأمثل ذلك من نعمه التي يذكرها في كتابه كما قال تعالى
﴿ وأول ما من السماء ماء طهورا لعل في سعة من ربه وتبين مما خلقنا أعبدا
وأناسي كثيرا ﴾ وقال تعالى ﴿ وهو الذي يرسل الرياح ينشأ بين يدي رحمته
حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقاه ليل ليل من السماء ماء فأخرجنا به من كل
الثمرات ﴾ ، كما قال ﴿ وما أرسل الله من السماء من ماء فأجابه الأرض بعد
موتها وثوبها من كل دابة ﴾ من قال مر أهل كلام الله يفعل هذه
الأمور عندها لاها فعليه بحججه لكتاب الله تعالى والأمور المشهورة كمن
زعم أنها مسقية ، المعنى هو شرك بحال فيعقل واسين ، اسبي

وقال أنصار رحمه الله في كتابه (مباح السبه) في الرد على الرازي ص ٢٦٥
ج ١ . ه الوجه الثاني أن يقال بقوله (يعني اراضي) عن الأكثر أن السب لا
تأثير له في الكفر والمعاصي بل هو باطل . من جمهور أهل السبه المشتبه بتقدير من
جميع الطوائف يقولون أن السب فاعل حقيقة والسب له قدرة حقيقة وهم لا
ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية بل يقولون بما دل عليه لعن من أن الله تعالى
يخلق السحاب والرياح ويبدل الماء بأسحاب وسدت المسالك بالماء ولا يقولون أن
قوى الطوائف الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقولون أن لها تأثيرا لفظا
ومعنى ، حتى جاء لفظ الأنثى في مثل قوله تعالى (وكنتم ما تقدموا وآثارهم)
وإن كان التأثير هناك أعم منه في الآية لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير
الأسباب في مسبباتها والله خالق السب والسبب ومع أنه خالق السب فلا بد
له من سبب آخر يشاركه ولا بد له من معارض يمانعه فلا يتم أثره إلا مع خلق
الله له لانه بأن يخلق الله تعالى السب الآخر ويوزن المواضع انتهى فهذا كلام
شيخ الإسلام - كما ترى - صريح في أن جمهير الناس من أهل السنة على إثبات

تأثير العبد في فعله ، وأن الأسباب مؤثرة بقوتها في مسبباتها ، فكيف يدعى هذا الكاتب على المسلمين بأن من ادعى ذلك فهو كافر مشرك رنديق^(١) ولكنه تبع هذا الرافضى الذى ادعى كدعواه في التذبيح على أهل السنة بأنهم يتكروا تأثير فعل العبد بغضا ومقتا للمحالين له في رفضه وعداوته للصحابة ، كما أن هذا فعله حشا وعداوة للمصادين له في رديقه وإلخاده وعداوته للأديان

وأما قوله تعالى ﴿ وما رعبت إدرعبت ولكن الله ربى ﴾ فقال في شرح الطحاوية ص ٣٦٧ ، فهو دليل عليهم (أن على الخيرية) لأنه تعالى أثبت لمسوله ^{عنه} رعبا بقوله ^{عنه} إدرعبت ^{عنه} فعمل أن المنة غير المنى ، وذلك أن الرى له انتهاء وانتهاء هذه الحروف وانتهاء الإصانة وكل ميبها يسمى ميبا ، فالمعنى حيث والله أعلم : وما أصبت إدرعبت ولكن الله أصاب^(٢) ، ولا فطر د قو لهم وما صلبت إدرعبت ولكن الله صلى وما صمت إدرعبت وما رعبت إدرعبت وما سرق إدرعبت ، وما د هذا ظاهر انتهى

وقد تقدم الكلام في الأسباب وتأثيرها والربط بينها في مواضع كثيرة جدا بما يغنى عن إعادته ويأتى له بقية

فصل

ثم استدلل بقصة دى القريين على أن الأسباب هي التي تمسك الإنسان من

(١) أى دى سبق في بحث القدر

(٢) أى لأن الإصابة التي وقعت كانت مسجزة فإن حقة التراب التي رى بها عليه السلام المنكرين حتى دحبت أعينهم وجرموا ليس في استطاعته فعل ذلك ولكن لدى في استطاعته الرى فقط ، فأثبت له الرى لدى هو الحدف ، وتنبى عنه أثره العظيم لدى ليس في استطاعته . فأثبت غير المنى ، وإلا فلو لم يجد نزم ما ذكره الشارح

كل شيء لقوله تعالى ﴿إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا﴾
استدل بهذه الآية وبالقصص ، وهي حجة عليه ، فان الله تعالى أسند تمكنه في
الأرض إليه تعالى لا إلى أسبابه ، وأسند ما استحصل عليه من الأسباب إلى
إعطائه ذلك فضلا منه عن شئته وقدره ، لأنه قال حل وعلا ﴿إنا مكنا له في
الأرض﴾ ولم يقل به تمكن عما آتياه من الأسباب ، أو ان الأسباب مكنته ،
أو انه مكن الأسباب ، بل قال ﴿إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء
سببا﴾ فحري أنه مكنه وآتاه ، فضلا عن أن يتمكن نتيجة
الأسباب وحدها ، ثم انه ذكر أنه آتاه من كل شيء سببا ، ويعظم الأسباب
لا يقتضي استحصال النتائج حيا كما في قصة بلعام ، بل لا بد من حصول الرحمة
والمشيئة وإلا فقد حطل الأساس لاستحصل بها الخير فيستعملها في سوءه
بل يستعمل في المعاصي ويكون ولا عليه ^(١) بل قد يستعملها في شيء نصرة
وهو يراه رأى العين ، فربما صر كعاطي السكران ونحوها فالقصة حجة
عليه ، مع أننا لا ننكر تأثير الأسباب ولا الأحكام لكن سكر أن تكون هي
الفاعلة لذاتها بدون أن يعمرها به وأن يكون له قدرة عليها أو أن يكون
حارجه عن مشيئته وإرادته ، فحينئذ يباح في هذه الدعوى العريضة
ثم استدل بقوله تعالى ﴿ووقفنا بهم الأسباب﴾ وهذا أيضا من عكس

(١) يتمم الله على كثير من الخلق العلم والجاه ليتقوى به على طاعته فيستعمله في
لمعاضى ، ويمطى آخر دكاء ومصاحبه وبلاغة ليعلم بها ويدعو إلى الله وإلى دينه
فيستعملها في عكس ذلك في ممرير الخلد والبرقة والحط على الدين وأهله ، ويمطى
الأسباب قوة في سوءه فيستعملها في المعاصي وكذلك يقال في حسن الصورة وسائر
الأسباب الحسنة التي خلقها الله في الإنسان وللإنسان يستعملها في حسن الصورة وسائر
شعائنه ، وذلك يراه على أن وجود السبب ليس كافيا في حصول المطلوب بل لا بد
من المشيئة في ذلك

الاستدلال ، لان هذه الآية من أبلغ الحجج عليه ، فانه تعالى أحبر عن حال هؤلاء أنهم كانوا متعلقين بالأسباب متوحيين اليها فقطعت بهم وحالتهم أحوال ما كانوا اليها ، فلو أنهم عبقرو آمالهم به تعالى وأحسدوا بالأسباب كما أمروا لاستمكروا بالعري الوثيقة كما قال تعالى : ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور . ولكم به احق ، وهذه العري ودهوا يلتمسون غير ما طيس أن فيه الكمية فقطعت بهم وسقطوا في المساوية الحقيقة فقطعت آمهم ونقطعت قلوبهم وصل عنهم ما كانوا يفترون ، ولو أن الأسباب لا تغير وأن نتائج لارمة لها لو ما داننا ليس لله قدرة على تغييرها لم تنقطع بهم . ن تنق على ما هي عليه ، طوبه واعتقدوا عليه ، فالآية حجة عليه كما هو ظاهر

فصل

ثم قال : وما جاء عن الله ولا عن رسوله حرف واحد في دم الأسباب أو ذم الأخذ بها ، ^(١) يقال بل كل الذي جاء عن الله وعن رسوله من أوله الى آخره في دمها ودم الأخذ بها على المعنى الذي تريده وتدعو اليه ، فانه لم تقتنع بالأخذ بها واعتقاد أن الله يصرف فيحتمل إن شاء أسبابا وإن شاء غير أسباب ، بل جعلت هذا هو السعة والغوصى ، وإنما تدعو الى الأخذ بهم ، والاعتد عليها ^(٢) والكفر بمشيئة الله بأن يتصرف فيها فيحتمل إن شاء أساما وإن شاء غير أسباب . ومعوم أن هذا وأمثاله مما قررته هو لوثية المحضة والزندقة التي لا شك فيها ، وحينئذ قال الله تعالى أرسل كتبه وأرسل رسوله ليحيد

(١) قد عرفت مرارا أناسا لم يدمها ولم يدمها أحد من المسلمين على الوجه الصحيح ، وما الدم فيما يدعوا اليه من الاثراك بها
(٢) كما صرح به في المنعك لماضى وغيره

وحده لا شريك له وأن يتوكل عليه ويعتمد عليه ويركز اليه ويوثق به وأن
يسوجه اليه في كل مهمة ومقصد . فلا يدعى إلا هو ولا يتوكل إلا عليه ولا
يلجأ إلا إليه ولا يزل الصفات إلا به . ومعلوم أن هذا يضاد دعائتك إلى
الأسباب . فانت فترت أن الاعتماد على الأسباب والرجوع اليها
والتوجه اليها هو أصل كل مبادء واخروج من كل ملاء . وهذا هو اعتقاد
المشركين كما مر تقريره . فان شريك كله ليس إلا الرجوع الى الأسباب المحبوبة .
والاحاد كله والصدق كله والبرادة كلها كسب نفس إلا الاعتماد على الأسباب
المادية وتعلق الأفعال عنها وخضوع الحركات لخصلة الله منها . إما قولاً وإما
فعلاً . اعتقاد أن فيها سكرية إما بواسطة سر غيبى أو مداهها طاهراً وقد
أمر الله تعالى أن يقول كل رتب في صلواتك : **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** .
والاعتماد على الأسباب ينافى هذا أعظم المناقضة . وهذا قال بعض العبداء
ان الله جمع معنى دعوة 'قرآن' في 'مناجاة' وجمع ذلك في آية **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ**
نَسْتَعِينُ . فالعبادة تصغر عنه الخب مع عظمة ابدل وانعظم والاجلال .
والاستعانة تصغر المدعى وحسب والافتقار واستبرار الرحمة والضر والتأييد
والقيصر . والذى هو مصدر دعوة كلها . ومن بأمر القرآن كله علم أنه يدور
على هذا الأصل في ضمت التوجه إلى الله والادانة إليه وطلب الرزق والنصر
وكل شيء من عنده . لأن الأسباب التي جعلها طريقاً إلى ذلك قال تعالى : **وَأَنْ**
مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَ حَرِائِهِ وَمَا يَرْثُ إِلَّا بِعَهْدٍ مِّنْهُ وَمَنْ عَصَا عَنْ
وَالْأَرْضُ بِمَا فِيهَا مِنَ السَّابِغَةِ لَا تَطْلُبُ إِلَّا مَنَّهُ . فمن أعرض عن

(١) قال ابن سبينة رضى الله عنه في المنهج ص ٨٨ مجلد ٢ روى الحسن
الصرى رحمه الله أن الله أرب مائة كتاب وأربعة كتب جمع سرها في الأربعة . وجمع
سر الأربعة في القرآن . وجمع سر القرآن في المصحف . وجمع سر المصحف في هاتين
الكلمتين **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)**

صاحب آخر من وذهب إلى الخزن بدون أمره فهو إما سارق تقطع يده ،
أو صن قاصع طريق فله حكمة أو محارب فكذلك له حكمة مع حرمانه ما أاد
ولا يستحصل لا يقبض قصده ، وقال تعالى ﴿ فأتعوا عبد الله الرزق
وعبدوه ﴾ . فقد روي عن جماعة الرزق لأنت مفتح حرائقه ، طريق
محصنه ، من عسى أن الخزن مع علم صاحبها به فلا بد أن يعاقب ، والله
سبحانه من "طريق" . وروى إلى حوائجه وخبراته كلها أوضح بيان ،
فقط من "المر" . روي عن طريقه ، أن يبتوه ويسيروا على نظائمه
وأحرارهم . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
يسير به "طريق" . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
ما لا بد من "طريق" . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
في الأساليب ما يعجز عنه من "طريق" . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
ومرود أعظم من "طريق" . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
نظيره من "طريق" . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
المر" . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
على الله "طريق" . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
واحد "طريق" . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
المارة ، من "طريق" . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
— من "طريق" . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
المكر" . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
الصلاد واللاء . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
المر" . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
اللقوى أن "طريق" . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن
للأحراق . روي عن طريقه ، وروى عن طريقه ، فقلوا ذلك أن

فكان الدعاء وحسبي الله كافي في فسب أو صده ونحوه برنا وسلاما ، لأن ذلك الدعاء وذلك التوجه الذي هو : كبر سب في الوحد - ستمس على كبر الوجوه ما فيه من الاخلاص وصدق لكاس وصل امسب عن سبه ونوسية عن نيجها . وهكذا كانت عقيدة كل أحد برس سب في وجوه وفتوا أبا عنهم بما قدسهم معقدين أن الأسباب فيها كنهه سب . وأن الأمور الدينية لا تقف في سبيلها أبدا ، ومن المعلوم أيضا أن كنه التوحيد لا اله إلا الله ، هي أصل الاسلام ولا شك عند المسلمين أن معبود لا معبود عن الله والمعبود هو الله هو الذي توجه إليه ويعمد فيه في سب حاجات . سب ويبدأ إليه عند الضرورات فمن اعتمد على الأسباب في راحته عنها وتعلق بها فقد دغس معبوده منقصة صريحة وكنهه سب . أن محمد رسول الله تستدعي التصديق باسم وشدعه الحقيقة . فمن شهد أنه رسول الله وجب عليه العمل بمقتضى شهادته ، إذ كونه رسولاً يوجب التصديق الذي لا بد منه أدنى ريب في كل ما جاء به ونحوه سبه وكل ما جاء به في كل أمر ووجب المداومة الخاصة بدور أن يردد : هو رسول الله وجب أن سبه ، فمن كنهه أو ارباب فيما جاء به واسكر عن سماعه أو أي أن غيره أهمل منه سبيلاً من كل مشروع شرعه فهو لم يحقق هذه الشهادة . فقص ومعه أن من تعلق على الأسباب الدنية واعتمد عليها ولم يلبث أن سبب الدنية التي وصحب الله ورسوله وصفا كاملا وأحر أن اسبح موقف على من اتبعه فيها ، فمن خافه في ذلك فقد نهض شهادته وصار منافقا ، من المتدينين الذين قالوا : شهد أنك لرسول الله الله أنك كذب الله شهادتهم هذه لا يهمل لم يقدر مقتضاها من التصديق والاحلاص في المداومة . وهكذا يقال في أصول الدين وأركانه كالصلاة والزكاة والصيام والحج كلها مظاهر واعتماد على تحقيق معنى شهادة وتحقيق معنى المتابعة ، فإما ترجع إلى كمال محبة الله تعالى وعظمته والاعتناء عليه وابدل والخضوع له ودرال الاخاحات والماقة به واستئصال الرحمة والاعانة

والتوفيق والسعادة منه ، والاعتماد على الاسباب والنوحه ليهما بصادم ذلك أعظم
المصادمة وتناقضه أعظم المنقضه ، وهذا مسجده العبد لما كان يعلم أن هذه
الاصول الدينية تنافس روح دعائه في الاعتماد على الاسباب صرى صوته الى
الطعن فيها ، بل كل أعلاه في الطعن في صحتها ولا سيما مظهرها العظيمة
كالسعاد والخطب أباه جمع على لسر وموضع العذاب كالساجد ، منه جعل
ذلك شرا ومبهده ونعوفا الى آخر كلامه ، وقد قل على : كاس من قنكم
كاوا أشد منكم قوه وأكثر أموالا وأولاداً فاستمعوا بحلافهم فاستمعتم
بجلاؤكم كما استمتع الذين من قنكم بحلافهم وحسنتم كآتيهم حاسوا أو : است
حببت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأوتيت أصحاب الله هم فيها خالدون)
فأحبر سبحانه أن لأمم المداصرة كاللهيب من الاسباب والقوة شيء كثير فان
لأموال والأولاد هي الاسباب مدية كآتيهم ترجع الى هذه الشئ فسا
استمعوا بحلافهم ولم ينعقدوا على الله بل اعتمدوا على هذه الاسباب التي هي
الأموال والأولاد حببت أعمالهم في الدنيا والآخرة وبأمن قوله : في الدنيا)
يحدد أن العفو والاحسان والحب من في الدنيا كما تنفي في الآخرة وأنه
ليس ذلك حصا بالآخرة كما أن إثابة الصالحات تجيء في الدنيا أص كما تجيء في
الآخرة ، وهذا يناقض فكره كثير من المذاهب الذين يدعون أن الجزاء في
الطاعات والمعاصي يختص بالآخرة كما دعاه هذا المذهب (١) في مواضع كثيرة

وقال تعالى : ولقد مكهم فيها أن مك كآتيهم وجعلنا لهم سمعا وأبصاراً
وأفئدة فأغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون
بآيات الله وحاق بهم ما كانوا يستهفون به فوجع تعالى أن هذه الاسباب
التي لها محل لأعلى عند جميع الأمم وهي الأسماع والأبصار والأفئدة ، فان

(١) أى في بده (كيف دس المذنبون)

هذه هي التي تناط بها السياسة وبحوها - لم نعلم عن أهلها شيئاً ، بل حاشى بهم
 ما كانوا به يستهترون ، لأنهم أحقروا الأسس الدينية واستهزأوا بها وأوها
 أوهما . وأنه ليس فيه كبير أمر . وأنه لا يؤمن بها كما يدعى جميع الرادقة
 إلى اليوم ، منه مسوعة و طريقة معمودة أنواصوا بها من هم قوم طاعون
 أحذوها خلقاً عن صلب . وسنك تحذ كثيراً من هسده لتسريفة ولا سيما
 الطبقات المتفرقة المتطرفة بحقير الأهل والدينية راحس فيها ، بل قد رادت
 المصصة حتى جعلوا التقوى وصلاح من سيما له والهم سلام ، وادعوا أن
 الصلاح ولتقوى يدوان نسياسة وسبب هذا الفحور أنهم تصوروا شيئاً زرياً
 صغيفاً تصور أنه هو لتقوى والصلاح ثم استرسوا مع هذا الظن فسموا
 هذا الحق تقوى وصلاحاً ، ثم رتوا على ذلك هذه الساتج التي تصوروها ولم
 يفهموا معنى التقوى والصلاح بمعنى الصحيح من هو القوة في الأحذ
 الأخلاق الدينية والصدق والاحساس في هذا المبدأ وما يلزمه من الأمور
 الدينية التي سار عليه النبي ﷺ وأصحابه في إخاء والاحتياط والتهام ومعرفة
 أحوال الزمان وأهله وما يلزمه ومثل ذلك والآيات في هذا المعنى كثيرة
 جداً ، وقد أحرر تعالى عن ابن بوح أنه لما أتى لسبب المادى من دون الله
 معتمد عليه وقت حاجته فقال : يا ربى أى حين يعصمى من الماء ، قال
 لا عصم اليوم من أمر الله إلا من رحمه وحال سهم لموح فكان من
 المعرفين بما فما يعصم هذا لسبب التقوى الذي جاء به ، وقد أخبره بوح عليه
 السلام أنه لا عصم من أمر الله إلا من رحم ، فأسكر عليه نوره لتجده إلى
 هذا لسبب المادى في تلك الساعة أنه إذا جاء أمر الله لا يرد بأسه عن القوم
 المجرمين ، ولا يرد أمر الله ولا غيره ، وهو عليه سلام ركب السفينة اقتداء
 بأمر الله ، واستعمل لسانه فقال سم الله بحراها ومرسها ، لأن السبب للمادى لا
 يكنى بدون السبب الدينى . وقال تعالى : فما أعى عنهم ما كانوا يكسبون . وقال
 تعالى : فما أعى عنهم ما كانوا يمتعون . وقال تعالى : فلم يجدوا لهم من دون الله

أصارع إلى أمثال ذلك وهذا كله شامل لجميع الأسباب ، فدعوة جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم هي صد الاعتناء على كل شيء دون الله عز وجل من جميع الأسباب ، وحصر الاعتناء على الله سبحانه وتعالى فإنه هو الذي يتصرف في الأسباب كيف شاء

ثم قال بعد العبارة السابقة ، بل كان تدريج الإسلامى قبل أن ترتد به هؤلاء قائما على الاعتراف بطائع الأشياء ، وبمكر طبعه من صانعها ، فيقال - لكك حالت - تدريج الإسلامى كله ، حيث تجاوزت حد الاعتناء إلى الاعتناء على الطبيعة وبواعثها ، فدعوت إلى ذلك ، وليس إلا راع في ثبوت الطائع إنما راع في الدعوة إلى الاعتناء عليه ، وأب الله لا يعبر فيها ولا يتصرف فيها ، إنما مقتضى ما تدعيه في هذا التدريج وكونه على النحو الذى تدعونه وقد بيناه أقول لئلا أئتمن لسلام في ذلك وأن ذلك على خلاف ما تدعيه وتدعوا إليه .

فصل

قال ، ومن أعظم ما حمىهم يستنون الطل بالأسباب شئنا أحدهم أنهم حسبوا أن لايمان بقدره الله المصنعة في تصرفها وعملها شئنا الايمان بالأسباب وحسوا أنهم اذا آمنوا بالسب^(١) فقد قيدوا الله به وأرغموه بأن لا يخرج عنه وأن لا يعمل بدونه ، والله عندهم^(٢) غير مقيد في فعل من أفعاله ، بل هو يفعل ما يشاء فلا قيد ولا سب ولا إزام^(٣) ، وثانيهما أنهم وجدوا

(١) قد علمت مما مر أنه لا يكتفى بالايان بالسب ، بل لابد من الاعتناء عليه ، فكان من الواجب عليه أن يقول اذا آمنوا بالسب واعتمدوا عليه

(٢) يلاحظ قوله ، عندهم ، هنا

(٣) يلاحظ هنا قوله ، فلا قيد ولا إزام ، فعنده أنه مقيد ومعلم ، وأما السب فقد بينا أنه تعالى يفعل بالأسباب وليس العمل بالأسباب كالقيد والإزام فإن القيد والإزام نوع من القهر ، وأما العمل بالأسباب فهو كيان لأنه يوجد أن تكون المخوقات كلها خاصة له طوع إرادته كلها بأسبابها

المسببات كثيرا ما تحذف عن أسبابها . ووجدوا أن الانسان قد يؤدي السبب على الوجه الأولي الأكل فيما بعد ، ثم لا يصل به ذلك الى عرص مشود ، كما وجدوا أن العكس أيضا صحيح ، أي وجدوا أن لمرة قد ينحصر حاحته وغرضه بدون سبب^(١) هذان أمران هما أعطى هـ صا^٢ يقوم ان هذا المصير في حكمهم على الأسباب وفي تراجيحهم عند الأخذ بها وفي شكهم فيها ، ذلك الحكم والتراجيح والثبات الذي جعلهم عـ حرين عن الاتيان به صححه سلسلة وافية موصلة الى مسبباتها . . ومن أحد ما سبب شكافيه متراجيح في أحده من يفعله القمع المظبوط الحسم^(٣) لأنه من ثقته ، وإن يثار وبصار عيه وإن يدع فيه ، بل لا بد من الايمان به مع إصرار على هذا الايمان ولا فلا صراح ، ولا بد من الانتقال والمثيرة والمضادة على نفس . ولا فلا أمس في فور حقيق . ولا بد من تقليد الرأي على كل وجوهه عنا عن يمكن أن يكون قد دق من خفي الأسباب وضروب الوشائ^٤ ،

يقال . كل هذا الذي ذكرته هن من الاعتدال عن نوع المسببات مع استعمال أسبابها مع ما ادعيه من المثارة والمضادة والاحتداد ولاصرار كله قد تقدم معناه مرارا وأحد عليه بما تقدم . فانه معارض عنه في مسألة الأسباب الدينية التي حاربها فادعى أنها ليست بوسيلة وليس لها نتائج سوى الشر والتعويق والمهلكة ، هذا كان معترفا هنا بأن المسببات تحذف عن نتائجها لموانع وعوارض وتتحلف بعض اشروط فكيف يعلم فيها هذا المعلوم الذي تخاور به الى حد الجنون والكفر ولم يكن هذا التحذف ما أماله عن هذا

(١) هذا كذب ظاهر

(٢) يعارض مثل هذا القول في الأسباب الدينية كاللغواء وإجافته سواء لسواء ،

فلم عادي هذا وعيد هذا

الاطرام والمعالاة الرائدة والاعتقاد عينا والاهتمام بها ، وأما ادعاء الله والثناء
عنه والصلوات في المساجد والابتن والتقوى ونحو ذلك من الأسباب الدينية
التي عاش في أثرها الخلق فذهب فيها الى عكس ذهبه في الأسباب المادية فخر بها
وعاندها وعانكها أشد المعانكة والعناد والخراب حتى بنى سميتها أصلا فلم
يجمعها وسية ولم يجمع لها فائدة بل حكم عينا نواع لضرر و لحث مع عبه
أن الأسباب الدنية لو كانت تستعمل ويحتد فيها كما يحتد في الأسباب المادية
لما كاد أن تتحلف شيء من مآثها أنه بل هي تستعمل عللا إما صعيقة وإما
معكوسة أو مفهومة أو مبنية على عسدها وضعها ، بل كثير منها يستعمل
مقرونا بما يصاده وخطه كالأحراب التي عطفوا دكا الله ودعاؤه بدعاء غيره
من الأموات والعنيس من الأنداء وإصاحبين والاستعانة بهم في الشدائد
والملمات أو سكثف الضر وهذا كثر وأصح

ف أحب عبه هـ على خلف الأسباب د هـ فهو جوابا عليه في تحلف
بعض نتائج الأسباب الدينية كالإحابة في الدعاء نجاة ومعنوم أن كل سبب
في الوجود لا يمكن بحال من الأحوال أن يحصل بغيره إلا على حسب كفاه
وكمال شروطه وانساع مواعده واستغنيته عن التوجه لصحيح المطلوب منه كما
أوضحنا هذا فيما سبق ، سواء كان ذلك سبب مادي أو كان دينا فالمعالاة في
هذا وحصر الخبير فيه والمعاداة لظلمه من هذه الجهة ومحاربتة والتنفير منه
هو من طاهر وجنور وأصح ثم إن ما ادعاء هـا تحرض وتمحل ليس عليه
أثمة من عثم ولا نظر صحيح ، فهو دعوى مجردة عن أدنى دليل بصحتها ،
وأكثره محل وكذب . وأما نحن في دعوانا في الأسباب الدينية فقد دلت
التصوص الصريحة والاستقراء انما أن للإيمان والعمل الصالح واتمسك
بالشريعة المطهرة أكبر الأثر في حصول المطالب العالية ، وأن من استعمل
الأسباب المادية وهو على هذه لأحلاق فلا بد أن يبصر ويؤيد وتكون له
العاقبة الحيدة كما تقدمت لشواهد على ذلك كقوله تعالى ﴿ من آمن وأصلح

ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فاما من أعطى واتى وصدق بالحسنى
فسيسره يسرى ، ولم تقدم أمة من الأمم قط إلا على أخلاق صحيحة سامية
أساسها عدل والأحسان ، من ثمرات الدين والآمال ، ولم تأخر إلا
بعكس ذلك كالمجنية والوحشية التي هي من صنع الشقاء والاختاد . ثم إن
حاصل كلامه أن أسباب فشل الأسباب أحيد ، هو كون أهلها لم يعملوا عمل
من يحرم باسحاح وسدوا لعابه في الاجتهاد والضرار ، ولذا فلو فعلوا ذلك
لجحوا ، ومعلوم أن هذا اعتدال ساقط ، فإنه يقف به ثم أعرف ملك بأعمالهم
وبالأسباب التي شروها ، وحرصوا عليها وحملت من تحمست فقد بدلوا دماءهم
وأموالهم وفعلوا كل ممكن كما أقروا بذلك وكتبوه وسخوه وهو أمر معروف
بالحسن والاعمال فلا يقل الحدال حتى جعلوا ذلك من مساكن القدر وكثير من
هؤلاء الذين فشلوا منهم من أحرص الناس وأدكامهم وأدوم فطنته في معرفة
الأسباب ، ومع ذلك فقد سقمهم من هو دونه ، ممن استعمل أسبابا دون
أسبابهم وممن عملوا دون أعمالهم ، وكل هؤلاء معروفون بأنهم لم يستعملوا
الأسباب السليبية كما يستعملون الأسباب المادية في الاجتهاد والصدق
والإخلاص ، فكلمهم إلا من شاء الله يعلم أنه مقصر في ما أمر به من الطاعات
وهذا كانوا يعترفون بالذنوب أكثر مما يعترفون بالنقص في استعمال الأسباب
المدنية ، وكما من اسند معه من الأسباب الكثيرة التي تؤهله للتجارة والامارة
واسباده والمناصب الكبرى وقد بذل جهده لموصول في ذلك فلم يصل إلى شيء
عما وصل إليه من هو دونه بكثير ممن لم يستعمل غير بعض أسبابه التي عملها
للموصول إلى ذلك ، وهذا المعترض قد اعترف بذلك في آياته السابقة حتى
ادعى أن العقل صر من 'مقرر' ، بل ادعى أن الحكاء وتعلم بما يوجب التأخر
وأن الجهل سبب تسبده في الدين ويكنى أن يقال به أنت ادعيت لنفسك ملك
المستحق بتقديم في كل أمر (١) وقد بذل أعظم الجهد لموصول إلى وظيفة

واحدة أو منصب رسمي في حصل لك من ذلك شيء ، فاسر هذا وما سببه .
ودعواه أن الإصرار على بلوغ الغاية سبب في نوعها ليس صحيح فان كثيرا
من الدول المعنوية أصرت غاية الإصرار ولم يقدحها ذلك شفا وكثير من الناس
نصر على بلوغ مراده حتى يكاد أن يموت ولا يحصل على طائل ثم لك لم
تجيب على العكس الذي ذكرته من أن بعض الناس يسل حاجته من غير سبب
أو سبب ضعيف ، فما هو السبب في تركك ذلك وهو يبطل كلامك في عكسه
ثم قال ، وليس من رتب في أن كثير من ينفقون دون أغراضهم لا هم
لا يجربون كل الأسباب والوسائل ، من أهم اذا فشوا عند تجربته أول سبب
تجربته أولى ألفوا سلاحهم ولم يهتوا بمقاومة ولا لاجورم وصقوا الزنا
والذل والمسكنة حسين أنه لم يبق لهم مكان في هذه الوحود ودهوا يكون
أقدارهم ، حطوطهم وبلغون أيامهم وأقوامهم ، ولا شك أن حاجتهم كان
مضمومة ، وحققوا أنهم أعدوا السكره وأصروا على الوصول الى الغاية ،

فيقال : يعني أن نعت صمالك هذا ان هذه الدول واحكومات البرومة ،
مالك صمت الصمان المحقق أنهم لو أعدوا السكره وأصروا على الوصول الى
الغاية لوصلوا وهذا الرجل يكن ما حطر على يده ولو كان في غاية البطلان
فبست إعادة السكره والاصرار بدون حساب ورأى صحيح إلا محاربه قد
تؤدى الى اهلاك والدمار ، فاعادة السكره ليس بالأمر الهين المبسور على كل
من رايه ، ولو كان الأمر كما قال لاجر كل من هزم الى ذلك بدون توقف

ثم قال ، ولا ريب أن من أخطأ الهدف في الرمية لأولى سببه اذا كرر
الرميات وعادها مرات ، ومن المعلوم أن نوع قصب اسق لا يكون في
الوثبة أو الخطوة الأولى ، إنما يكون في تكرار الخطوات والوثبات ، وفي
معاودة شد الاعصاب والعصلات .

فيقال ، هذا المثل غير مطابق ، فان إصابة الهدف إنما تحصل إذا كان الساعد

سليحا والسلاح صحيحا والهدف في مكانه يمكن إصابته ، أما من انكر مساعدته
وسلاحه وبعد هدفه فلا يقدر أن يرى فضلا عن أن يكرر الرميات فضلا عن
أن يصيب . وكذلك لو أنكر سلاحه فقط لا يمكنه تكرار الرمي فضلا عن
الإصابة . وكذلك لو كان سلاح معيا عينا يمنع الرمي فلا بد من حصر الساعد
وتصلب السلاح وتحقيق الهدف ، وقد يحجز الإنسان عن الحصر وعن تصلب
السلاح سكرة ثعبان والمواضع والغوارض ، ثم العدو ليس هو كالهدف واقف
كل من يريد منه كل وقت ، من العدو انه ميتة مرة وأخطره فقد يرميك
فصيت فاصرفه أن يدرك المواربة من سلاحه وسلاحه وتشتت في دميته
الأولى في القضاء عليه فضاء حسي . ولذا ثبت أن من هزم هزيمة شنيعة منكرو
أنه يكسر سلاحه من وساعده فحتاج إلى معاذة حوالة ذاعده ما فقدته ،
والسوة الأولى يجب أن يكون موروثة بحكمة

وكذلك ما ذكره من السبق وعدم مضيق . فإن فقه لسبق لا تخرج مكانها
ولا تنقلب على من لم يصل . والعدو ليس كذلك ، فانه استولى على
أثر هزيمة شنيعة فقد يضع أغلالا وبودا تمنع من المشي إلى الهدف كما تمنع من
شد الأعصاب والمضلات ، ويخرج إلى السلامة من هذا كله ، ولكن الذي
قد سفع وسفع هو أن ينظر من أصيب بالهزيمة فعرف من أين جاءت ، وما
أسبابها ، وما هي الأسباب التي قصت عنه ، وكيف كانت الطريقة ، وكيف
استولى العدو عليه ، فبحسب الحساب ويورث بين الأسباب ويصاح مرصه
العلاج الساجح الذي يستطيعه حتى يعرف كيف يمكن أن ترجح كفه إذا هم
بالوثوب مره أخرى . ومعلوم أن أقوى قوة في الوجود هي لقوة العليسا
الحجارة القهارة ليستمد منها قوته ويصنع من نظامها قوة عظيمة ويعلم أن الله
قد وضع بين يديه أسلحة لا تعد ولا تحصى ، وفتح له باب يدعو إليه من به
ويستمد عليه ، فيجب عليه أن يأخذ بهذه القوى الدنيوية والمادية ثبات وتفكير
ونصيره ، فافقه ، ويدعو من وضع هذا له ويعلم أنه هو ومن يحاربته تحت قدرته

تعالى ومشيئته . وأنه محق وأن عهده مطلق ، وأن الله أمره بالدفع والقتال بالمعنى الشرعى ، وأنه إنما أمره وأعطاها هذه الأسباب ومكنه منها لينصره ويؤيده ، من فاته النصر حصل على السعادة . فلا بد له من إحدى الحسنيين بكل حال . فإذا أجمع أمره فليتوكل على خالفه وليعتمد عليه والله مع المقين والمعاقبة للمتقين والله ولي المتقين . أما إذا رجعت المسألة إلى تنافس وسمى وعتاد وحقد ومحامدة عصبية قومية محضة ونحو ذلك فتلك أمور أخرى قل أن يظهر لها نتيجة صالحة فأكبر ما تكون عقوبة على أهلها (ولا ظلم إلا سيئ) بطالم)

فصل

ثم أجاب عن الأمر الأول ، وهو الإيمان بقدرته تعالى على حسب ما ذكره سابق فقال ، أما الإيمان بقدره الله المطلقة من تقيد والحدود فإنه يقتضى الإيمان بالنسب لا الكفر به ، لأن الإيمان بالنسب هو في الواقع إيمان بمسئله وصاحبه ، والكفر به كفر به ،

فيقال ما شاء الله بسلام هذا الوقت ما أدق فضنت . من أين وجدت أن الإيمان بقدره الله ومشيئته هو الإيمان بأنه مقيد بأن لا يخرج عما طبع عليه الأسباب فلا يتصرف فيها بمشيئته وقدرته فلا يدرها فيجعلها إن شاء أمبانا وإن شاء غير أسباب ، من ذلك هو السفه والفوضى التي لا صانع لها . من أين وجدت أن الإيمان بالأسباب بأنها آلية طبيعية ليس لقوة من القوى أن تقف في سبيلها أو لتتحكم في هياتها ، أن ذلك هو الإيمان بقدره الله ، فإذا كان الإيمان بقدره الله هو الإيمان بغير الله عن تعبير الأسباب والتصرف فيها عندك فتلك مسحوقا كأمك تخاطب بهذا الهديان أنعاما لا رجلا عقلاء ، هي أى لعة من لعات بنى آدم وجدت أن الإيمان بالأسباب المادية إيمان بمسببها والكفر بها كفر به ، فعلى هذا تجمع المسلمين كفار لأنهم لم يؤمنوا بها هذا

الايان ادى تدعيه ، فقد قلت فيما سبق أسماء المسبلون الطل بالأسباب إبح ،
وقد ذكرت أنهم لم يؤمنوا بالأسباب ، والملاحذه آمنوا بها فهم المسبلون
اذن ^{١١} وقد قال تعالى ^{١٢} سابقوا الى معصرة من ربكم وحنه عرصها كعرص
السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم . فكل من آمن بالأسباب - وكل ما في هذا الوجود
هو من أسباب الله كما يقول - فهو من آمن بالله ورسله فهو في الحق ، فالملاحذه
والطائفيون وكل من آمن بغير الله فهو من آمن بالله ورسله ، وأما المسبلون
الذين أساءوا النظر بالأسباب وأكثروا من القول بقليل قيمتها كما
يقول فهم لم يؤمنوا بالله ورسله بل أساءوا النص بالله لأن الايمان بالسبب هو
في الواقع إيمان بالله وإساءة نص بالسبب إساءة نص بالله . يا الله الذي في
البحر ، يا الشمس التي في غير مرجها ، يا عالم الشرق الأوسط ، من آمن
بالأسباب فهو في الواقع مؤمن بالله ، في هو الفرق بين الايمان بالله والايان
السبب ، من قال آمين بالله فقد آمن بالسبب ومن قال آمين بالله فقد
آمن بالله . إنه لمن العريب جدا أن تتكلم في الانتحائية الصوفية وأن تسببه
آراءهم وقد اضطرت الى مثل هذا القول الذي هو في الاتحاد أظهر مما قالوه
بكثير . بل أكثرهم يحتمل ويستحي من أن يقول مثل هذا القول .

الله أكثر يا نعمام هذا الوقت ، من آمن بأن لكل بصيرة الاربع بطبيعته
وأن البعث بأكل النعثة بطبيعته فهو مؤمن بالله مؤمن بقدرته ، ومن كفر بذلك
فقد كفر بالله ، ومن شك في ذلك فقد شك في قدرة الله ، ومن أساء لطل بذلك فقد أساء
الطريقه ، ومن آمن بأن البكاء سبب في الحصول على اسحاح والمعصية من الفضل
فهو مؤمن بالله تعالى مؤمن بقدرته ومن شك في ذلك فقد شك في قدرة
ومن كفر بذلك فقد كفر بالله وهكذا عندك جميع الأسباب المادية ، أما من
آمن بأن الدعاء سبب للاجابة وأن ذكر الله على المكر والثاء عليه سبب في
(١) وقد ذكر فيما سبق أن الشدوب الاخرى إنما تقدمت لانها آمنت بالاسباب

زول الرحمة وانصر ولتأييد فهو الصلح أحمد الرجعي الجدهن الذي فعل الشر
والحدث والسلام والدمار ، فحقا لك ما كثر تحريك ووصايتك ، كذلك
يطعم الله على قلوب الذين لا يعلمون

ثم قال واثبت كون في أساس الله - وكل ما في هذه الدنيا هو من أساس
الله - هم في الحقيقة - كون في الله وفي عبده . من هذا لشك معه اثبت في
قدرته تعالى على أن يجمعها موضع سبعة .

وقال : وما ربه من آية إلا هي أكبر من أحتياها هكذا يكون
آيات حق في آياته كآياته في آياته ولا حاجة لها هذه حلقه وقدره من
حق هذه سنده وحاصله في أن الإيمان بقدره الله أنه الإيمان بالأسباب
والمصلحة أنه حين كل ما في الوجود من أسباب الله التي يجب الإيمان بها على
هذا النحو ، فمن آمن بأن الله يتولى في جسم الإنسان نسب نوح وحوه
فقد آمن بالله وقدره ، وهكذا جميع الأسباب والمسببات ، فمن آمن بها فقد آمن
بأنه تعالى ، وكذلك من آمن بهذه الحشرات الملوحة وضائعا وكذا غيرها
فقد آمن بالله من هذه كلها في هذا بوجوده - ولو أن يوحى قال شيئا من
هذا القول لقامت قيامة هذا الملعون عليه ، فمن أعلم شرف الأوساط وباعة
القرن الرابع عشر وبحر العلوم الذي لا مدح فيه فانه وير أن الإيمان بالله هو
الإيمان بالأسباب وكل ما في الوجود هو من أسباب الله وليس ^{بشيء} ^{غيره} حين
قال في منطق الحق ما آمن ذلك يعني شئ في كونه بذلك ثم يؤمن هو وأصحابه
الله تعالى برأيه من ثم قد يكون مرادون فيه تعالى وقدره ، وهم لم يمتدوا
بأن هذا السبب مربوط بسببه راجع لا يمكن انفكاكه أبدا ، وإن ذلك مستحيل
وكذلك كل من شئ في أن الماء يروي نضجه ولطعام يشبع نضجه وأن
الكلاب تصيد الصيد نضجها وأن الحمار ينقب نضجها وأن الصب يسعى عن
شرب الماء نضجها وأن العلم واسكان يوصل إلى النجاح ناطع كل من

شك في هذا فقد شك في الله وفي قدرته ولم يؤمن بالله ، لأن الايمان بالاسباب
- وكل ما في هذا الوجود من الاسباب - هو في الواقع ايمان بالله ، هكذا
يكون نور الشمس التي في غير رحبها ، وهكذا يكون لمعان الدر الذي في الحج
البحر ، وهذا القول أشنع وأنشع مما يعتقده المشركون في الأصنام والأوثان
مدعين أن عبادها عادة لله ومدعين أنها اسباب مسحاح إما بالوساطة وإما
بالذات ، فهم بكل حال مؤمنون بأنها أسباب فبهم من يجعلها واسطة ومهم
من يعتقد فيها نفسها لكيفية ، وهذا المذهب قد ادعى أن أوربا قد
وحدت صنعها وأتت الاثرات بها ، من التحا إلى الصنعة أو الزراعة أو
الحجارة أو غيرها ، معتمدا عليها ، وفيها "الكفانة" فقد آمن بالله وقدرته على
تدعيم هذا المذهب ، والكفار المشركون على عظم كفرهم ، ينصرون إلى هذا
الحد فيدعون أن الايمان بالاسباب هو الايمان بالله ، من هم يؤمنون بالله تلوثة
وباسبابهم قارة ومشركون بها ويعترفون من الاعتراف عنه تعالى والاعتماد على
اسبابهم ، فإذا ركبوا في الميث دعوا الله محصين له وليس ولم يدعوا أن إيمانهم
الاسباب هو عين إيمانهم بالله لأنهم لم يصلوا في الهدى والنفاق والكفر
والالحاد إلى الحد الذي وصل اليه هذا الرديس الذي حاول قلب شرائع الله
والظلم في صميمها ، وهذا المذهب قد فقد كل منعة من عمل ودين وحياة فكلم
بكل ما يخطر على باله ، ولو أنه سلم من هذا الحراب الكاظم أسير له ، ولكنه
أراد قلب الحقيقة فاغلب على وجه وحسر الدين والاحرة ذلك هو الحسرة
التي تنم اليه قد تدعى فقد مر أنه كفر بالاسباب الدينية وادعى أنها شر
ما يؤدي ، أما الايمان بامثال أو امره لشرعة وكون ذلك سببا في دخول
الجنة فليس ذلك هو الايمان بالاسباب بحروفه بل ذلك هو تصديق أنه فيما وعده
به أو بيده والاعتماد عليه في ذلك ، لأنه سبحانه وعده من آمن وعمل صالحا
بالفوز والنجاة كما قال تعالى : يا أيها آدم إنا بأنك من منكم بقصون عليكم
آياتي من اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا

وكذبوا بأيات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقال تعالى في الذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم بهمة ما أيمن به وأأسه أسية والتصديق به حيث أمر بذلك وليس في النصوص حرف واحد يوجب القول بأن من آمن بالأسباب كلها التي في هذه الوجود يكون مؤمنا بالله ومن شك فيها فقد شك في الله وكفر به وقد تقدم حديث تأييد الحق وهو كاف في مطلق دعواه . ثم اننا لا نجرم على معنى بأن عمله سبب في دخول الجنة حتما وأن هذا السبب متحقق مسبه عالم بكر في ذلك نص خاص ، فلا يمتنع والتقوى والعمل الصالح هي من الأسباب لدخول الجنة ، لكن الشهادة تكون هذا السبب المعين لا بد من وقوع مسبه لا يمكن . فقد يكون هناك مواع وعوارض توجب عدم حصول النتيجة ، بل قد يصحبت العمل الصالح بغيره وكبر وهو فسطه ويقع صده كما فعل بعام وغيره من المرددين . فاما ما أوامره الله هو أحد بالأسباب الدينية التي تنفع مسانها بحسب منه الله في حقيقة . ولكن حصول الميالك لا تنحقق في أسباب معينة بحول ما يصحبها وبما رصها من الموضع ، ونحن انما نؤمن بوقوع مسبت هذه الأسباب وانها مسبة لأن النصوص دلت على ذلك دلالة صريحة ، بخلاف الأسباب الدنية فان أكثرها معروف بالعقل وفيها كثير قد من العفل على مختلف مسانها عن أسبابها بل قد تنقلب أي صدها فتكون واقعة على وجه أخرى غير الوجه المقصودة ، وليس الايمان بالأسباب الدنية كالايمن بالأسباب الدنيوية ، فان من آمن بالأسباب الدنية حكم بيمانه وكان هذا عاصمالة في الدنيا ولم يسأل عن الأسباب المادية ، بخلاف ما لو آمن بالأسباب المادية فانه لن يدخل في الاسلام حتى يؤمن بالأسباب الدينية ، فالفرق بينهما واضح جلي ، ومن جمع بينهما وحمل أحدهما على الآخر فهو في غاية الضلال والكفر

ثم قال . والتفيد بالكمال والخير والحكمة والعدل ليس قيذا إلا في لغة هؤلاء . فيقال أولا : لا نسلم أن ما ذكرته كمال وخير وحكمة وعدل ، وقد

عرفنا مرادك بالعدل والحكمة وأنه التسوية بين المسمى والمحس والمفسد والمصلح ومعلوم أن هذا ليس من العدل والحكمة في شيء بل هو عكس ذلك وقول ثابت: ليس لأحد أن يفسد قدرة الله تعالى بحكمه وهواه، بل هو سبحانه قد أحضر صريحا بأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وأنه تعالى يفعل ما يشاء ويبدل ما يشاء ويبدد الخير وهو على كل شيء قدير، وأنه يمجو ما يشاء ويبس وعنده أم الكتاب، وأنه كل يوم هو في شأن، وأنه يدبر الأمر، وأنه لا يبال عما يفعل وهم يبالون، وكل من مكه من عقول يعلم أن ما ذكرته في كل هذا احتجاج لا حكمة ولا عدل ولا خير فيه، بل هو عن الحس والشر والموضي والعم الأعظم، وكيف يكون لعدل والحكمة في دعواه أن العلم يحكمهم بواميس الطبيعة وأن الأساس هو الذي يستخدم هذه الواميس بعينه وملكنه وأمثال هذه الترهات الفاحشة، فمن اعتقد أن أمور العالم كلها تجري بمقتضى استخدام الأساس بواميس الطبيعة فقد سلب الله تصرفه ومشيئته وإرادته بل اعتقد الموضي والله الذي لا ريب فيه

ودعواه أنه ليس هذا قيدا لا في نعمه هؤلاء، ولو كان بهذا لكان مدعى فيقال: وليس لنقص والموضي والعجز كما لا إلا في عيب، لأن ذلك لا يتأثر إلا على اعتقادك في زندقك وإلحادك.

ثم قال: "ما تخلف الأسباب عن المسبب فقد لا يكون أداها

فيقال: هذا يحكم بطل ودرجه بالعب وكذب تمام تحفظه عنها فمريب له يحتاج إلى برهان، ويكفي في مكديبه ثبوت المعجزات، فإن انقطاع الاحراق من النار تخلف مسبب عن سببه الكامن، وكذلك غير هذه المعجزة مما لا تعد ولا يحصى، وتأكدك النبي بالتأييد خور واضح لي حمادير الملاحدة مقرون بأن المسببات تخلف عن أسبابها ويسمون ذلك فلتات الطبيعة، فقد نيز رد باطلت مما اعترف به سادك من التحام كما أشير إلى

ذلك السيد محمد رشيد رضا في الوجدى ونحوه (١) بل لعمامة تعرف ذلك معرفة ترنم عن الجد ، ولهذا يحتجون بالقضاء والقدر ويذكرون الخط الذى تحده في هم كل إنسان فكيف تشكر شيئ لم تعلمه ، ومعلوم أن عدم العلم ليس عليها بالعدم بالاتفاق

فصل

قال : ولا يفلت من هذا القانون أمر من الأمور حتى الموت نفسه فانه إما مع حيث يجمع الأسباب ، إما الأمر من وإما غير الخلايا ، الشجوة وإما غير حيث علم به وحركته لافه وه أو لأمر دهم مفاجيء .

فيقال : هذا كلام لا حاصل له سوى أن الموت إما يقع إذا وقعت أسبابه ، وهو من حيث كماله المسمى في الأمر أنه يخرج إذا اجتمعت أسبابه ، وكأنك تقول أن حصول الموت لا يقع بالأسباب ، فان كان هذا ظنك - وما هو على غير ذلك - فعد - ومن غيرك أنهم يقولون انه يقع بأسبابه ، وقد بدأ مرة أن الله تعالى يفعل بالأسباب ويوحده

(١) قد ذكر الشيخ محمد عبد الرزاق ح في كتاب (الشواهد) كلاماً كثيراً دللنا الطائفة المشهورين في علومهم من كتب عن المسلمات بأن هذا أمر معلوم وقد عدوا له دليلاً على عدم لا بد من مؤلف كتاب (الحجرات في مسائلها) وكتاب (المكون العام) وهو مكتوب في الآداب وذكور في علومهم وعصو المجمع العلمى البريطانى وقطاب من أقطاب علوم نصيبه والرياضيه والسياسيه فليس الشيخ عنه كلاماً طويلاً في الشواهد من ص ٢٦ إلى ٣٥ في إثبات تحلف المسلمات عن أسبابها وأن النجعة ليست حتمية ، وأثبت القضاء والقدر ، ونقل عن غيره كلاماً كثيراً فليراجع

بعض الأسباب ببعض ويصرف الأسباب بعضها بعض وإن الله يرى
بالأسباب ويحيي بالأسباب ويميت بالأسباب ويعقر بالأسباب ويعز بالأسباب
ويبدل بالأسباب ويؤخر الموت من شاء وأسباب ويرجع الموت من يشاء وأسباب قال
تعالى ^١ قاتلوهم بعضهم الله أبديكم وقال تعالى ولو شاء الله لانتصر منهم
ولكن ليبلو بعضهم ببعض وكونه من الأسباب أعظم في القدرة لأن
هذا يقضي أن الأسباب كلها في قصه وطوع مشيئته وإرادته وأنها كلها مقبورة
بمشيئته العبد لا يمكن أن تفعل من حكمها وهذا القول لو قيل لمن لا يرى
أنه يفعل بأسباب فما كان له وجه وهذا كان مرادك أن الأسباب بعضها
هي على الموت عاد الكلام في مثله وما ليس لطيفة وقد تقدم الخلاصة
مرارا وبينا أن الطبيعة وما نسب وقواها كلها بحري إرادته تعالى ومشيشه
وإذا كنت تريد أن ذلك عمل هو فيها لادانها ليس بالمشيئة والإرادة وهذا
هو مرادك وهذا الحد صريح هذا حجة في الخداع وكثرة من نفس
والأسباب والذات فصرح به محذره ودع الخداع وانفقت حجاب معرف
عاقبته ثم قل إن ما أسباب المرض وما أسباب أسببه وما أسباب غير خلايا
في وقت دون وقت وما سبب غير الموت عن نصيب نفسه وما سبب الأمر
الداهم المفاجيء فهل أحد يحيط بذلك ويمكنه إزالة هذه العلة وجعل السن
مستقبيا على الحالة التي بها يعيش ويحيي حياة صالحة أسس ذلك كله راجعا إلى
أمر عييه ليس للنشر قدرة على الإحاطة بها وإدراك أعينه بها ثم إن الموت
قد يحدث فجأة ^(١) وقد يحدث من مرض ضعيف جدا كما أنه قد لا يقع في
وجود المرض المخوف فما أسباب هذا التفاوت ثم انه قد علم أن الأسباب
التي سموت بها النشر لا بعدها ولا يخصم إلا الله تعالى وهذا واضح حتى في

(١) قد مات كثير من الناس وهو جالس وميم من مات وهو في حالة صحية جدا
فيأنه الموت فجأة

يجر لسان عن صط الاسب فكيف بالقدره على استخدامهما كلاً في كل ما شاء وأراد

ثم قال ، أم الابات التي نص على آجال الأوسراد والامم وأنهم لا يستأخرون عنها ساعة واحدة ولا يتقدمونها ، فهي كذلك أيضاً ، لأن حلول الأجل من هذه اجتماع الاسب واحتياج الاسب معناه حلول الاجل ، وقيل ، ثم هذا معناه في لغة أعلامك ذلك تريد أن تحصل لك لغة مفردة فيها ، لا لك المقدم في الأمر ، هي أي لغة من لغات بني آدم وحديث أن معنى الاجل هو احتياج الاسب ، وهذه فوائدها لغة العرب لا تعد ولا تحصى ، وهي تكلف هذه المدعى ، وقد قال تعالى : ولو لا أجل مسمى لجسامهم العذاب ، فهل يقول عاقب ، ولو لا احتياج الاسب لجسم العبد ، قال تعالى : وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ، فهل يقول عاقب إن معنى هذا الاجل هو احتياج الاسب ، وهل في لغة العرب أن هذا مسمى لأجل ، وفي حديث أن مسعود الملقب على صحته ، فكيف رقه وأجله وشق أم سعيد ، ويقول لمسلمون : إذا جاء الأجل لمسلمي وذكره فبعضون الوقت والرمز محدود ، ويقول أسماء يصحح اسم إلى أجل مسمى ، فالأجل في جميع أمثلة هو الوقت محدود المعلوم ليس هو احتياج لأسباب وهذا الوقت قد تجتمع فيه الأسباب وقد لا تجتمع فيه الوقت الذي تكون فيه مصارقة الروح للحسد ، وقال تعالى : وما كان لمسلم أن تموت إلا بأذن الله كتاب مؤجلاً ، فاحذر تعالى أنه لا يمكن المسلم أن تموت إلا بأذن الله مؤجلاً قد كتبه الله وحقيقة كلام هذا السجدة يقتضي ألا يكون معنى الآية إذا جاء موتهم لا يستأخرون ساعة عن موتهم ولا يتقدمونها ، وهذا باطل ، وإنما يصح المعنى إذا كان الاجل هو الوقت المحدود ، به يصح حينئذ أن يكون المعنى إذا جاء وقت موتهم أو هلاكهم لا يستأخرون عن هذا الوقت المحدود ساعة ولا يتقدمون ، ويدل على هذا أنه ذكر لساعة ، ومعلوم أنها الوقت

المحدود . ثم اجماع الاسباب يختلف اختلافا لا يحصى ، فقد تجتمع اسباب
ويتأخر الميث ساعات وأكثر من ذلك ، وإذا قيل المراد الاسباب المقتضية
للموت قيل هذا يوجب أن يكون الآخر اسما لأسباب دون أسباب ، وهذا
كثير لا يصح ولا يسمى اجلا مضيقا في جميع انحاء كما تقدم
وقوله : فن صدته سيرة فقد حل أجله ،

يقال . وهذا لا يصحك شئ ، فاب يقول قد تصدمه ولا يموت كما يقع
كثيرا . لأنه حيث لم يكن قد حل الوقت الذي هو أجله . ثم إنه إذا كان موته
صدمة سبارة فاب لا يمكن أن تصدمه قبل الوقت الذي هو أجله فلا يستقدم
الآخر تصدمة سبارة بموت فيها ولا يستأخر . وليس نفس الموت بالصدمة هو
الآخر . بل هو الوقت الذي يكون فيه تصدمه ولا تصدمه إلا حين حلول الآخر
الذي هو الوقت بمشيئته تعالى

ثم ذكر أن بعض الناس يعتقد أن بعض الأمم تسقط بدون أسباب ،
وأن أمما أخرى قد تنهض بدون أسباب ، وذكر أن بعض الناس يقول إن
بعض الأمم تنهض كما ينهض الامم دون أن يكون لها أسباب . وقد تقدم الجواب
عن مثل هذا

ثم قال : وهذه الآراء مصدرها كذب هذه المعركة ساذجة . وهي فكرة إنكار
الاسباب أو ليهوس من شئ أو الاعتقاد بأن الله يفعل بدونها أو يدخل
فيها وبين مسبباتها ويحول بينها وبين نهاياتها (١) . وابن خلدون نفسه لم يستطع
أن يخلص من هذه الأغالط القسدية حينما نهض ليبحث هذه المسائل ودراساتها ،

(١) هذا صريح ظاهر في غاية الوضوح والجلالة بأنه يدعى أن الله لا يحول بين
الاسباب ومسبباتها ولا يسببها وبين نهاياتها ، وهو كفر صريح واضح ، لأنه إنكار
لتصرف الله في مسكها كما أنه يكسبها بالأمم جرات وإحداث للشرائع ، فأى فعل لله إذا
كان لا يتصرف في الاسباب بقطع أو وصل أو غيره

فيقال : أما إنكار الاسباب والتهوين من شأنها فقد بينا أن هذا كذب طاهر . وأما اعتقاد أن الله يتصرف فيها بالقطع والوصل ويحول بينهم وبين نهاياتها فهذا هو اعتقاد المسلمين بل وأهل المل كلهم ، ممن يقر بأحق تعالى كما تقدم لإصاحه ، فهذا الملحد صرح في هذا بأنه تعالى لا يحول بين الاسباب ومسبباتها ونهاياتها أبدا وهذا تصرع طاهر في إنكار كونه يتصرف فيها بقطع أو وصل ، وأنت اذا تأملت قوله هذا ونظرت الى قوله في المشكلة متى لم تحل . والإنسان لن يكون سبييا لا إذا آمن بأن هذا لوجود كله مربوط بأمره بآلية طبيعية تسير الى نهايتها ، وشئها سرا آتية ، طبيعيا ليس لقوه من القوى أن تقف في سبيلها أو تتحكم في نهايتها ، حسب أنه يريد أنه ليس لله أن يقفه في سبيلها وتتحكم في نهايتها . وهذا صريح في أن النجاح لا يمكن إلا لمن كفر بصرف الله في ملكه وكفر بكونه يحول بين الاسباب والمسببات وبين الوسائل والمنتج ، فإدام الإنسان لم يكفر بشئ من الله بالقطع والوصل فإنه لن يتنجح لأنه لن يكون مسييا ، وأى كفر في الدنيا أظهر من هذا ففقه الله ما أحدث كلامه وفتح ما جادل به . وهذا كما أنه كفر صريح بقصى اتصال النبوات وإبطال الكتب السماوية بل بظال الأديان كلها ، فهو كلام سافه ، من أكثر الملاحدة أنفسهم يحالفون في هذا ، فإنهم معترفون بوجود انقطاع المسببات عن الاسباب كثيرا ويسمون ذلك قلة الطبيعة ، وهذا هذا القول في الشرع والعقل والضرورة أمر واضح ، ومن يحق عليه فساد هذا فهو مصاب في دينه وعقله ، ولهذا أنكر هذا الملحد على أن حسون هذه الفكرة وادعى أنها من الأغاليط ، مع أنه عجز عن إثباتها ، فهو طول هذا الملحد بيان سبب واحد لم يختلف ولن يختلف لن يجد ذلك أبدا ، وإن جلدون أعرض من أن ينصكر بتصرف الله في ملكه ، بل تكلم في الاسباب وأثبت المشقة ، وهو ممن يشتد بالاسباب لكن لا يتجاوز الى حد الاثراك بها وأنه يجب الاعتماد عليها ، وأن

الله لا سيطرة له عليهما . فان هذا قول الدهرية والرافضة المفلدس لهم على غير بصيرة

ثم قال : ويحسب لبعض الناس - وقد تورعنا عن أن نقول كلهم (١) - أن أمثال قول الله : أيتها تكلموا يدرككم الموت ولو كنتم في روح مشيده (٢) يدل على ضعف أمر الأسباب ، وعلى أن الأحاد الحيطه وانحص من أسباب الموت لا يفيد شيئا ولا يرد آيا . لأن الله قد حكم بأن الدس كلهم ستدرهم المايا - مقدرة لهم ومقدرين - لا محالة ولولموا ايوت المشيدة . . . والواقع أن الآية تعطى عكس ما فهم لناس بها . لأنها قصت بأن الناس كلهم مقضى عليهم بالموت مهما حاولوا الفرار منه .

يقال : بل الآية نص صريح في عكس ما فهمه بها في العكس الذي ذكرته وفيما قبله ، فان بما لا ريب فيه أن البروح المشيدة من أعظم ما يتحصن به من الموت والوقاية من أسانه لا سيما وقت الحرب ، وهذه الآية سبقت في هذا الشأن فلا مناسبة لما ذكره عليها ، من سبقت للمعنى الذي فهمه عامة المعسرين وسائر عباء الدس كما يدل عليه ما قبلها من لسياق وما بعدها ، فانه سبحانه أخبر بأن هذا السبب الذي هو عند المدققين وورثتهم أهوى الأسباب في رد الموت ومقتضياته ولأن المسافقين كلهم حصوا عن سبب كانوا يعتمدون على الأسباب غاية الاعتماد ويؤمنون بها غاية الإيمان ولهذا كانوا ينجأون اليها عند الشدائد ويرون أن فيها الكفاية في الوقاية من الموت وأسائه ، فرد الله عليهم ردا صريحا في هذا الرأي في قوله تعالى : ألم تر إلى الذين قيل لهم صكفوا أيديكم وأقيموا الصلاة واتوا الزكاة فما كنتم عميهم القتال إذا فريق منهم

(١) لا حاجة الى هذا الورع الذي يظن الزائف في حجاب هذا العجور العاشر المنكر

يحشون الناس كعشية اسه أو أشد حشبه وقالوا اننا لم كندت عنت القتل لولا
أخرتنا الى أحين قرب قل منع الدنيا وليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظنون
قبلا ، أنبنا نكونوا بسر ككم الموت ولو كنتم في بروح مشيدة في الآخرة في هذا
بين أنهم فهموا كما فهم أساعهم أن الآجال هي اجتماع أسباب الموت وهذا
خرجوا عابه الجرع من لقتل لأن أسباب اموت تجمع فيه فقالوا معترضين
على ما أمروا به من قتل في رسام كندت علينا القتل في هذا بيان أنهم
معترفون بالآخرة ومع هذا فهم في ذلك الأسفل من النار ، لأنهم منافقون
خلف فعلهم واعتقادهم قلوبهم ، واحذروا أنبناهم جه ، وأفسدوا في الأرض
وقالوا إني نحن مصلحون ، وحدهم الله ورسوله والمؤمنين فقالوا في رسام
كندت على القتل كما يعمون أن هذا شيء يوحد الموت بحكم العباد في
الأعالي ، فانه يندون الأمور الى لأسباب مطبعا بدون ملاحظه نقصاء
والقدر والمشيئة وأنه لا يصيبهم شيء إلا ما قدر لهم ، ولهذا قالوا في لولا في
أى هلا في آخرتنا الى أجل قريب في فانه حرموا الموت في القتل لأن
أسباب الموت تجتمع فيه فلهذا عرفوا منه وعترضوا على انه في هذا التقدير
الذي هو كندت القتل ، ولم يقولوا لولا أخرت أحب لاهم لا يرون القضاء
بل يرون أن لأسباب هي اى نفس ساداتها ، فلذا قالوا في لولا أخرتنا الى أجل
قريب في أى أخرت كندت القتل " لانه ربه مرله نفس المحسن - لشدة
اتقى والجرع ورسوخ عقيدة استند اموت اى لأسباب فقط ، فودوا أنه لم
يكتب عليهم القتل ، فاهم أيقنوا بهلاكه فيه ، فرد الله عليهم هذا الوم وهذا
انظر الحديث أعظم الرد وأنه هناك في قل في لهم يا محمد في منع الدنيا قيس في
لأن عابه ما تتمونه أن تؤحروا وتمنعوا قبلا وهو منع قيس ، ثم يا نيكم
الأحسن المحتوم اى لا بد منه ، فكأنكم لم تؤحروا ولم يحصل لكم شيء من

(١) اى اى أخرت به أمرا ديبيا كقوله (كتب عليكم الصيام) ونحو ذلك

المتنع ، من الفائدة المطلوبة من الحياة أن يكسب فيها عمل صالح وإلا كانت
حسرة سرمدية لا عوص عنها (١) - والاحرة حمر لمن اتقى أي فقط
ولا تظلمون فتلاكم مل تحارون حره ما عنتم . فلا شيء هذا الجزع
ولتقن وظللت أأحير وإحال هذه . أي ما تكونوا يدرككم الموت كـ فلا شيء
هذا الجزع والفرار من القتال وهو أنه إن كان أحسكم فيه فهذا لا يفيدكم
بل لابد أن يدرككم الموت بكل حال - ولو كنتم في روح مشيدة في فلا
حاجة أي طلب التأخير وكرهه لقلل حيرة من الموت وهو واقع لا محالة لكم
ولو كنتم منحصصين منه في روح مشيدة أي حصنه وهذا أسع شيء في التحرر
والبعد عن القتال ، وهذا رد صريح لما يؤولهم لم يقفوا في الآسب بأنها مصدر
الأعمال دون القضاء والقدر من الآسب تحرى على مقتضى القضاء والقدر ،
ولو كان المحصن في سبوح يقيد تأخير الآسب يحسن الاعتراض عليهم
وإرد عليهم لأنهم يدعوا عدم الموت حتى يكون في الآية أثبات أن الموت
مقتضى به على كل أحد وإي ضلوا التأخير فقط فرد عليهم بأن كتب لقل لا
يستقدم الآسب ، من الموت إذا حل أحبه جاءهم ولو كانوا في روح مشيدة ،
فما من موضع لقل والعروح المشيدة في حوال الآسب أي أنه لا فرق بين
الاستحانة لله بالقل وبين المحصن في لروح في حوال الآسب كما يدل عليه قوله
تعالى - وما كان لنفس أن يموت إلا بأذن الله كما ما موخلا - وقوله - ولكل
أمة أجل ، فإذا جاء أحسب لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون - وكقوله
تعالى - قل لو كنتم في بيوتكم لمرت الدين كتب عليهم القتل بل مصدعهم)
الآية ، فهذا المصحف قد تنوع سبعة في هذا الزاوي كما سبهم في كل شئوهم في
النفس العليط وهو مبتلى بالاعتدال عنهم والدفاع ونصال عن أسلافه هؤلاء

(١) أي كما قال تعالى (فرأيت أن متعام سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما
أغنى عنهم ما كانوا يمتعون)

والتصلب في تقبيدكم والافداء بهم ولا سيما في الاستهزاء بالمؤمنين والتعلق على
الأسباب والاعتناء عليها وإنكار القضاء والقدر وإظهار الإسلام أحيانا عند
الحاجة وليس وجه أعداء الله وموالاتهم وغير ذلك من شئونه حتى صارت
حالته أصدق صورة ترمز للمنافق الخفيق والعياد بالله تعالى

فصل

قد علمنا قوله تعالى **يَا قَوْمِ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** في يومئذ يفرح المؤمنون بسيادتهم
عليهم شرفهم ومكانهم من قومهم وفي قومهم ، وتوجب عليهم سيادتهم دانت
الحقوق لله ووجه المرجع ، وطروقه انقاعة الحكمة أن يخرجوا يقتال على
أى حال حتى ولو كان في هذا خروج الهلاك المحقق ، إذا ما أهال بهم داعي
المجد - وإن لم يدعهم الرسول وأصحبه إلى ذلك ، كما هو الشأن في كل الأمم ،
وكما هو الشأن في الجاهلية والإسلام وحكم هذه الظروف عليهم بحقوقهم
بالملاحطات وأسباب اخلاك هو معنى كتب لقن عليهم ، ومعنى يروهم إلى
مصاحبتهم وليس معنى هذا أن هناك قوة حفية ترمي قوما معينين بالخروج
لأنهم مرادون للقن لأغراض لا تعقل .

اشتمى كلامه على هذه الآية ما اعتبروا ما أولى الأنصار ، اعتبروا أيها
المسلمون ، أن خروج الأشراف إلى القتال هو معنى الكفارة ، وكأنه لدقة
فطنته تحيل أن الأمر من صحيفة وأن أرجلهم أعلام تخط فيها وتنقط . وذلك
هو الكف حيث يخرجون إلى القتال وحيث له أن يقول هذا البيت الذي
امتدح به نفسه :

ولم يذكرنا غيري مني ذكر الذكاء ولم يصروا غيري لدى غيبة البدر
فقد جاء بعض تأويل هذا البيت في تفسير هذه الآية ، من هو الذي

يستطيع أن يدرك ذلك فإنه أن معنى ككتب الله هو حروح الأشراف بداعي
 الشرف إلى القتال، ومن ذا الذي يكون له غور بعد في استجراح هذا المراف
 المثل غير (المر الذي في لمح البحر) في كسامة في قوله تعالى لا كتب عليهم
 القتال عند صاحب الحقائق إلا به الآية التي تأخذ بها أمه ففهم وتتركها
 أمة فتبوي هي حروح الأشراف أن أصله ، فكأن معنى الآية في لو كنتم في
 بيوتكم لبرز الذين برزوا بقتل ، فانه فسر معنى ككتب الله بداعي إلى
 المصاحف ، ويكون معنى ككتب الله القتل عليهم حروحهم وبرورهم ، وليس من
 شك عند أدنى عاقل أن هذا منسوخ صريح بقرآن ، فلو جاز أن يفسر كتاب
 الله بهذا المنسوخ وسحككم فيه هذا يحكمه وهذا لفظ الاصطلاح به حلة ،
 فانه من الممكن له في دى والبحرين وكل ملحد وكل مشرك وكافر أن يستدل به
 عن صحة رأيه إذا سب هذا المسب ، فانه إذا كان حروح أم من بيوتهم
 أي مواضع القتال يسمى ككتب الله وكل معنى به يمكن أيضا أن يسمى كتابة ، فإن
 هذا إذا كان أو وهب عمر بوح لم يجد في اللغة أن معنى لكتابه هو معنى
 الأشراف من بيوتهم أي مواضع القتل ، وهو يعلم حقيقة العلم أنه لا يمكنه
 وجود ما يؤيده هذه الدعوى المردودة لاجله ولا شرعا ولا عرفا ، ولكنه لا
 يريد أن يدع القلعه ولا الصبر ولا أحد من أهل العلم ، بل لا يريد أن يتبع عمر
 هو أو أن تكون كتابة به أصلا مضائقه لهواه ، ويوسع الحق أهواءهم
 لصدت السموات والأرض ، ولهذا ادعى بأنه ليس عليه أن يأخذ بما قاله
 أهل العلم ، بل هو معترف بأن ما سطره في أعلامه هو رأي رآه ولم يسبق إليه ،
 ولهذا تحسك في كلام الرب بعد تمايشه ويشبهى بسوى حدود ولا فود ، فقد
 سوت له نفسه ورين له شيطانه وعمره تبه واحتياه أن المسبيين أمة ترابرة
 همجية لا فهم ولا تعقل ، بل انه ليس في المسلمين من يفهم كلام الله ويعقله
 وأنه إذا قال قولا قبل منه وترك جميع ما يخالفه من كلام علماء المسلمين ، وهذا

من آثار اعتقاده في قوله (١)

متى جريت فكل الناس في أثرى وإن وقفت فما في الناس من يعزى
ولهذا ما أخذ بعث في القرآن والسنة على حسب ما يشاء ويريد غير
متقيد باللعن ولا غيرها من أقوال أهل العلم من أولهم إلى آخرهم

ودعوه المرء تظلي نور بهته هذا الحق فكيف المدعى إلا
ولقد أعد الحجة في تحريره هذه الآية الكريمة . فمن فيه احتصاص
أهل الشرف أو انكائه من العرب في قومهم . بل هي في المنافقين سواء
كانوا من أهل لشرف في قومهم أو لم يكن لهم شرف . فان الله تعالى يقول
أول الآية وذلك في عروة أحد جنس كل من الناس من المنافقين ثم أمر
عليكم من بعد انعم الله تعالى يعني طائفة منكم قد أهمتهم أنفسهم يظنون
بأنه غير الحق طئ الخبثة يقولون هل لنا من الأمر من شيء . قل إن
الأمر كله لله . يحملون في أنفسهم ما لا يبدون ثم يقولون و كان ثامن
الأمر شيء ما فتشهاها . قل لو كنتم في بيوتكم لمرت الدين كتب عليهم
القتل إلى مصاحبتهم ويستني الله ما في صدورهم وليمحض ما في قلوبهم والله
عليم بذات الصدور . فمن الآية من أولها إلى آخرها بعد آيات صريحة في
منقصة ما ادعاه . فقوله جنس من قائلين وطائفة قد أهمتهم أنفسهم . يعني
تعالى بذات المؤمنين . فهم يظنون بالله غير الحق طئ الخبثة وذلك
لحبث بواصهم وعدم إيمانهم بالله ومحبتهم له وإخلاصهم وصدقهم .
فهم لم يحرمه ويعظموه ويشهدوا معاني أئمنته وصعانه وأنه الكامل الذي له
العاية في السكأن المستحق للحمد والثناء في كل أفعاله وتدييره . فأفعاله كلها
إما عدل وإما إحسان وكلامهما يستحق عليه الحمد . فكيف يظنون به تعالى غير

الحق ، وهل هذا إلا من حيث طوبيتهم وجنتهم به ، ولهذا أسندوا الأمور إلى الأسباب وجعلوه غير قادر على صحتها وتصريفها على مقضى مشيئته وقدرته ^(١) يقولون من لنا من الأمر من شيء (أي في خروج إلى القتال وهذا من شدة ما هم من قلق والجرع وعدم الثبات والامتسلاص والصبر كما هو شأن كل منافق ، فانه شدد اللجاجة والخصومة فيما اذا وقع الأمر على خلاف ما يهوى ويريد ولا سيما إذا خطر أن في ذلك هلاكه أو خسارته ، قال تعالى ردا عنهم ﴿ قُلْ هِيَ بآيَاتِ اللَّهِ وَالْأَمْرِ كُلِّهِ ﴾ فهو الذي أخرجكم وأخرجنا ، وذكّر لأهلهم بلومون المؤمنين في خروجهم فنقتل ونقتلون ما أصابهم في هذه الواقعة البهيم وأنها لو كان الأمر بأيديهم هم لما خرجوا ولما صار شيء من انفس ، وإذا فهم أنهم اعتقدوا أن الأمر كله لله فهو الذي أخرجهم فانه جهاد مشروع ، ثم انه وإن كان مصدق في حق بعض فالواجب الصبر عند المصائب والاحتساب كما قال النبي ﷺ ، احرص على ما ينفعك واسمع لله ولا تعصروا ، فان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان (لو) تفتح عمل الشيطان ، فهو لا يستعمل (لو) فانه قالوا - لو كان سام من الأمر من شيء ما قتلنا هاهنا - ولم يقولوا قدر الله وما شاء فعل ولا صبروا واحسبوا ، ولا سيما فقد كان النبي ﷺ معهم فيجب أن يستقبلوا وينفذوا لما أمر به ويتبعوه وأن لا يعترضوا على ما فعل ، ولكنهم حث عقائد لم يعاؤا بذلك شيئا وهذا من الاسرار التي تكون مسا في هزيمة المؤمنين إذا كان فيهم منافقون فانه بذلك يتمير الصادق من الكاذب والمخلص من المنافق كما في آخرة هذه الآية نفسها ، فقوله ﴿ قُلْ إِنْ أَمَرَ كُلُّهُ ﴾ يوجب عليهم أن يستسبوا ويطيعوا ويتركوا الصبر والتفكير فانه ربه الحكيم العليم الرؤوف الرحيم ، فما

(١) أي فلا يعز اهل طاعته ولا يدل أهل معصيته

هذا الاعتراض والنمرد لا عدم رضا به وتدييره وأمره كما في الحديث ، داق
 طعم الإيمان من رضى الله به ، ولا سلام دنا ويحمد به ، والرضا يوجب
 الانقياد والاستسلام ، ليس هو مجرد الامرار بالسان فقط فهم مقرون بذلك ،
 ومع هذا فهم في الله لا يعمل من النار ، وقوله تعالى لا يخفون في أنفسهم
 ما لا يبدون لك ، لأنهم اذا جاءه اعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اظهروا
 المتق و خدع كما ذكر ذلك عنهم في الآية الأخرى - وادعواكم فاقبلوا منا وما
 حلو ان نعصوا عنكم الا ما عمل من لعبط ، من موثوا بعبطكم) فهم يخفون في
 أنفسهم من عدم الله وعدم الاستسلام والحق وعصا عن خلاف ما يبدون له
 من خدع ولقاء والأيام ، فاحرقة ، فانه عليه السلام أشد رهبة في صدورهم
 من الله ، ذلك بأنهم قوه لا يعقبون ، وذلك أنهم يقولون : وما لا يبدون له
 لو كان من الامر شيء ما قبل هذا ، وهذا تصريح بأنهم لا يرون نقصا
 والقدر شئنا من يرون أن الانسان هو من يستحق هذه الويل من نصرها
 بقدر استحقاقه ، وذلك أنهم ادعوا أنه لو كان الامر في أيديهم شأن كانوا هم
 الذين قدموا في الامر لم يشروا بالخروج الى قتال ولم يخرجوا به ولم يخرج
 قتل ، وما ذلك كما في مقدرهم ، وانما حزن هذه الكلمة بأسباب أنهم لم يكن
 لهم في الامر شيء وكان الامر في أيديهم ، قال تعالى ردا عليهم في هذا
 انهم احدثوا ان ليس هذا شيء في مقدورنا ولا مقدورهم وانما الامر بقضاء
 وقدر سابق ، والله أمر كله به وخرى كنتم في بيوتكم لير ادين كسب عنهم
 القتل ان مصالحهم به فان هذا القضاء المحتوم لا منه من موده ، فقولكم
 لو كان لنا من الامر من شيء ما قتلنا هذا قولا باطلا فاما يجيب هذا
 لو كان أمر القتل والخروج وغيره ليس لله وانما هو لكم أو غيركم ، ولكن
 الامر هو لله ليس في الاستطاعة دفعه ، فانه قد عهده الله وكتبه في اللوح
 المحفوظ وفي أم الكتاب ، فلو كنتم في بيوتكم قلن ينفعكم جلوسكم فيها بل

لم يزل هؤلاء الذين كتب عليهم القتل في سابق علم الله الى مضاجعهم أي المواضع التي يقتلون فيها ، فانه سبحانه إذا قضى أمرا فلا راد لفضائه إنما يقول له كن فيكون . فلا بد أن يهيئ لهم من الأسباب ما يخرجهم الى مضاجعهم فقدرته تعالى عابدة بسوقهم بأسباب أو يعير أسباب الى هذه المضاجع التي قتلوا فيها . فلهذا الخرع والخرق والإرجاء والاعتراض على الله ، ورسوله والمؤمنين بالظلم وسوء النص به غير الحق ، وإنما ذلك منه ضعف الإيمان واليقين وعدم الاستسلام الكامل لحكم الآلهة من الحكمة في هذه الواقعة وغيرها بقوله ولستبي لله من صدوركم ولجميع ما في قلوبكم . فانه علم بذات الصدور . فان الله سبحانه لا يدرك بحس حقه بما في القلوب من الكليات والحدوث من انطباض حركته ، يقوم حجه كما قال تعالى بعد هذه الآيات (وما كان الله ليبدؤكم من شيء حتى يميز الحديث من الضبط في الآية . وهذا لدى ذكره . هو صريح لانه وتلازم المفسرين في معناه ، فأما ما ذكره هو على لانه فهو من معناه صراحة ، فانه ليس فيها اختصاص أهل الشرف دون غيرهم ، وليس المشي من البيوت والخروج منها في مواضع التي هو الكتفان ، وإنما كان معنى الآية . ثم الذين يروا الى مضاجعهم ، أو امر الذين خرجوا في مضاجعهم ، ونص في كلام الله عن هذا الحديث ، فان المقصود من الآية أن يوقف عن حال أو الاعتراض على الرسول والمؤمنين في خروج اليه عن حال عن الله ويوقف لا معنى له . وليس في حقهم وقاية من الموت اذا كان الله قد قضى وقدر أن هؤلاء المقتولون سيقتلون في هذا الوقت ، بل هذا المقصد سيظهر ولو كان هؤلاء المقتولون في بيوتهم يروا الى هذه المضاجع التي قتلوا فيها . وهذا مشي على ما عرفت في الاتحاد وأي أن تكون قدره الله ومشيته هي التي تخرجهم فقتل . وليس معنى هذا أن هناك قوة حمية يلزم فوما معين بالخروج . فيقول له . من أين اصدمت على أنه ليس هناك قوة حمية تلزمهم بالخروج ، وليس من شرط هذه القوة أن تطلع عليها ، وعدم اطلاعك عليها

وعليك بها لا يوجب أن لا يكون هناك قوة خفية فكم في الوجود من أشياء لم نطلع عليها ، فادن احكم على كل ما لم نعلمه وتطلع عليه بالعدم ، فعدم العلم ليس علما بالعدم ، والآية في عذبة الصراحة في نقص ما ادعيت في إنكار إرادة الله ومشيئته تعالى وقضائه قال تعالى ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتماناً مؤجلاً ﴾ وكيف يقر هذا المنجد بأن الشرف يوجب عليهم الخروح ويخرجهم مع أنه عرص وسكر أن يكون الله القادر الحار القهار الذي له ملك السموات والأرض لا يخرجهم ، وقد عبر عن الله بالقوة الخفية جداً وفاقاً ، فكأنه هاب من التصريح بالاسم الظاهر ، ولا معنى لهذه الحيلة فإن كل من له عقل ودين يعرف ذلك ، فهو سبحانه القادر على إحراجهم بأن يرين لهم القتال ويكره اليهم الخلوس ويهيئ لهم من الأسباب ما يدفعهم إلى الخروح أو يسطر عليهم من يخرجهم بمطمع أو غيرها ، والأسباب التي توجب خروج الإنسان من بيته أكثر من أن تحصر ، فانه تعالى كتب عليهم لقتلها حكمة ربانية لا بد من إيجاد مقتضاها ، والقتل في مبادئ القبال الشرعي فيه مصاح كيرة ، فانه إن كان في قوم مؤمنين فهو خير لهم ورحمة لهم ليحييهم تعالى حياً طيباً صحيحاً سعيدة يسرون بها ألم القتل وغيره ، وإن كانوا أشقياء رحمهم العباد والسياد ما زالهم منها والانتقام منهم وبعد فيهم عدله الذي يستحق به الحمد . ولبلية والمصيبة قوله ، لا أنهم مرادون للقتل لأغراض لا تعقل ، فجعل هذا الرديق أفعال الله التي يفدها في حقه موقوفاً تبعدها على عقله بأن يعقلها هو وإلا فهي مردودة ، فقد آبان في هذا أن الذي حمله على هذه انقراضه والتحريف أنه لم يعقل حكمة الله التي سماها غرضاً في هذا القتل ، فكان فعل الله ومشيئته وقدره وقضاؤه مردوداً محجوداً مرفوضاً رفضاً باتاً حتى يضمه ويطلع عليه هذا الرديق ، فانه علل هذا بأنه لا يعقل ، فجعل كل ما لا يفهمه ولا يعقله لا يمكن أن يقع إلا على ما يريد هو ، ثم رتب على هذا تعريف هذه النصوص ، ثم ركب على هذا أيضاً أن الذي قاله هو الذي يجب اتباعه ، طلبات بعضها فوق

بعض ومعلوم أن ما ذكره الله في هذه الآية الكريمة في غمّه الوصوح ، وهو معقول مقبول معلوم ، فلا أحس ولا أظيب ولا أبس ولا أوصح منه ، فهو عين الحكمة فان المقتول إما مستريح أو مستراح منه كما في الحديث ، ثم لو فرض أننا لم نعلمه من الخنوع أن يعرفه أو رده ، بل نقول : أتبع به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الآلآب

فصل

ومن عجيب أمره أنه أحص على عباده في الآسباب وكو بها لا يعبر باعتقاد المتأفقين الموجود في زمن النبي ﷺ ، مع أن القرآن صرح بالنهي عما فعلوه فقال :

وما يجب فهمه أن العرب قبل الإسلام كانوا يؤمنون بالآسباب إيماناً عميقاً ، وقد حكى القرآن عنهم قولهم - يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا - معنون أن الأمر لو كان أمرهم - أو لو كانوا مطاعين - لكان من الخروج إلى قتال ، ولما عرصوا أنفسهم على الموت ، ولما حبسوا لأن القتل إنما يقع بالعرض له ولا سببه وفي آية أخرى : أهدم الذين آمنوا لا تكولوا كالذين كفروا وقلوا لا حواءهم إذا صرخوا في الأراض أو كانوا عرأ لو كانوا عند ما ماتوا وما فتسوا وفي آية أخرى : الذين قالوا لا حواءهم وقعدوا - لو أحصوا ما قاتلوا فيهم - ادب كانوا يؤمنون بأسباب الموت والقتل وأسباب تنجده إيماناً به طوله التحريم وصدور الاستقراء انتهى ولا يحق على أدنى عاقل ما في هذا الاستدلال من إحدى المصحة وكأه يستهزئ بهذا الاستدلال ويسخر به ، فدعوا أن العرب قبل الإسلام كانوا يؤمنون بالآسباب ثم استدلاله بهذه الآيات دعوى في عبث السقوط ، فإن هذه الآيات سيقت لإبان حالة شرذمة قليلة من المسافقين الذين كانوا بين المسلمين^(١)

(١) لأنه تعالى صرح بأن هذا قول طائفة كما تقدم

ليس هي في العرب كلهم ولا أكثرهم ، بل العرب المسلمون على عكس هذا
الاعتقاد ، ودعواه أنهم قبل الاسلام ثم استدلاله بالآيات خطأ فوق صلال ،
فان الآيات صريحة في وقوعه أحد وواقعة أحد ليست قبل الاسلام ، ثم
استدلاله بأفعالهم هذه كفر فوق خطأ فوق صلال وهذا الملحد ملى تركيب
الصلوات المترادفة كالطلبات التي في قلبه

ثم يقول : هذه هؤلاء المذكورون في الآيات يؤمنون ، الأسباب كالإيمان
الذي ذكرته أو قرأته ، فما تعرف هؤلاء أنهم أسلاف وسادك وأنت ،
هؤلاء هم المذنبون ليس الله وأصبيه وأعمى أنصارهم ، وهم الذين يؤدون
المذنبين ولما ماتوا ، وهم الذين يقولون لا تقربوا عني من
عبد سوا الله حتى يحضروا ، وهم الذين يقولون آمنت بالله ولوم الآخر وما
هم عمة من عمة عيسى وبنو عيسى أمموا ولم يحضروا إلا أنهم وما يشعرون ،
في قلوبهم مرض من هم الله مرض ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون ، وإذا
قبل هذه لا تقربوا في الأرض فوالله ما نحن مصححون ، وهم الذين إذا أصابهم
مصيبة بددت أسبغهم يحضرون الله إن أديلا إحسانا وتوفيقا كما قلت
أنت في مكانك حين حانت أمك ، وهم الذين يسارعون في موالاته
الكافرين وهم الذين يخشون أن تصعد ذنوبهم ، وهم الذين يقولون للمؤمنين
استنبر ، وسجدة عن هؤلاء دسهم ، وهم الذين آمنوا ثم كفروا فطبع على
قلوبهم فهم لا يفقهون ، وهؤلاء هم الذين ولو لو كان لهم الأمر شيء ما
قتلوا ما هبوا ، وهم الذين فوا بإحرامهم من صربوا في الأرض أو كانوا غزاة
لو كانوا عذب ما ماتوا وما فلو ، وقولوا أيضا لأخوانهم - وقعدوا به لو
أطاعوا ما فلو ، هؤلاء هم المؤمنون بالأسباب إيمانا عميقا لا المؤمنون
بالقصص والمثيثة الغد ولهم تخدم في عده الأعداء عليها ولا عذاب بها واستناد
الأمور اليه وفي هبة السجدة ، لأسباب الدين فلا يرون لها قيمة ، ولهذا
يسحرون بأهها أعظم السحر به ، والله حكم عليهم حكما صارما من أول الدنيا

الى آخرها باللعن والطرود والاعداء ، ولهذا كانت لا تجد مذهباً لا يوجد كنهه
الله وأمره وجعله تحت أعدائه ، ولم تقدم أمته من الأمم سواها ، بل
قد يتقدم الكافر الصريح دون ائمة المذنبين . والعرب أنه استدلل عليهم
بـ معاملة للاغبياء وضعفاء البصائر - مع كونهم به عن قسهم صريحين
فقال بنو لا تكبروا كالذين كفروا وقلوا لا حول لهم ولا نصرة في الارض كما
الآية ، فكفرهم وبه عن الاقامة بهم . وفي الآية لا حول ولا نصرة
قولهم واعتقدتم في قوله . فن حادوا عن ائمتكم لموتكم كتمت صدوركم
أي لكم تموتون وأسم في بيوتكم ولم تشعروا بهم وما خرجوا من قبورهم
وتصربوا في الارض ، ورد عليهم في الآية الاخرى بقوة . من لو كذب
ليبر الدين كتب عليهم انفس الى مصاحبتهم ، وقد أنى هذا الاثبات كنه هذا
السان الواضح ضمن فعلهم هذه حجة على لايمان الناس معهم ، فإجاب
في رد رأيهم واعتقدتم . بل يدعي أنه من ينكر حجة مع نصرة
بالانكار

ثم لو فرض أن ذلك هو اعتقاد العرب قبل الاسلام فهل يكون في هذا
حجة مع أفعالهم الاخرى الموافقة للأديان والاحلاق الاسلامية

وقوله : إيماناً به الله صول الحرية وصدق الاستغناء ، هذا انكسار منه
لادعائهم وإعانة لهم في الاحتجاج مع أنها دعوى في غاية الفساد . فحصل
هذا أن بعض الناس يموتون في القتل وأن يتجارت دلت على هذا ، وهذا
ليس من الحجة في شيء . فالتاثير الأسباب والتجارت وكذا حصول
المسببات للأسباب غالباً ، والشرع قد دل على هذا ، لكن من أن طوله لا أن
احتجاج الأسباب ووقوع المسببات ليس من فعل الله ، وإن الله هو رب

هذا على هذا من أين طوله أن الله لم يحسن آجالهم بأسباب هذا لقتال وسبب
 حروجهم إليه ، فإنه سبحانه يفعل بالأسباب وهو لدى أمرهم لقتال ورتب
 عليه سائجه ، فلا بد من وجودها ولا بد من وقوع ما قدره فيها . والتجربة
 دلت على أن من قرب من أسباب الموت جرى أن يموت . لكنه لم يدل على
 أنه لا مسبب لهذه الأسباب وأن من كتب عليه الموت هذه الأسباب أنه يمتنع
 من ذلك (١) وهذا يناقض اعتقادهم . وكذلك الاستقراء فهم لم يكتفوا
 بالاعتراف بالأسباب والایمان بها ، بل اعتمدوا عليها وجعلوها هي المصدر في
 النفع والضرر فقاتلوا لو كان الله من الأمور شيء ما قتل هذا هنا ، ان لو كان الأمر
 بأيدي الناس في سيطرتنا أن نحد من بعض ، فهم الذين يدورون أنفسهم
 استقلالاً بدون قدر ولا قصور عنهم . وبذلك أحج عليهم تعدل بحكم الكتاب
 الأول في الله . ونقصاء ومسكر الأسباب وهذا ظاهر . والاستقراء لدى
 دلم هو التجربة ، وقد بينا أنها لا تنفي ما اعتقده مطلقاً

ثم ذكر أن طبيعة بلاد العرب توحى لايمان بالأسباب ، لأنه ثروة .
 وهذه أيضاً منة أخرى لا حاجة في ردّها لأن من هذا ليس من الدين
 في شيء . واستطرد مكرراً ما سبق أن العرب كانوا في عيبة الايمان بالأسباب
 وقد تقدم احداث عن هذا مراراً . على أن لقتال أن يعارضه بأن مشركي
 العرب أنهم كانوا يحجون ، فيقدر على أفعالهم لشركه أحدهم كقولهم لو شاء
 الله ما عذب من دونه من شيء نحن ولا آلهتنا ولا حرمنا من دونه من شيء (٢)
 وقال تعالى : وكذلك فعل الذين من بعدهم على الرسل الا السلاع امين (٣)
 أي من عندهم أن يحملوه مع ما دعوا به فان احبهم هذا تعنت ، وإلا
 فهو قبل أحد مسم أحداً . وهذه الأقوال ، فيقدر من ولا يطعمونه ، فكيف
 يركونه في حقوقهم ويختصمون به في حق الله تعالى

(١) ولم ينس أيضاً على أن من قرب من أسباب الموت أنه يموت قطعاً دون مباشرة

فصل

ثم قال : يصادفك وأنت تسير في الأحياء الوطنية حين بعد الأحياء
هذان الينار من الشعر الركيث مكنويين على المناحر والمصانع :

ملك الملوك اذا وهب لا تسأل عن السب
فانه يعطى من تشاء فقبح على حد الأدب

وهذا تعبير بليغ صادق عن الروح لشعبية العامة ، وكلهم يشركون في هذه
العقيدة ، من كتبوا ذلك على مناخرهم ومصانعهم ومن لم يكتبوه ،

ويقال وهذه بشرى عظيمة وعلامة بيرة قوية من العلامات الصادقة
المندثرة بمسكن طيب سعد صحيح ان شاء الله تعالى . فان كانت هذه مكتوبة
هناك فهي تدل على روح بها حبة غريبة دينية ، فليس في هذه الايات غير
الثناء على الله تعالى وتقدس ، وليس فيها ما يسكر ، وكأنه انتقد قوله فقبح
على حد الأدب ، أو قوله ، لا تسأل عن السب ، يعنى أنه لا يسمى السكوت
والوقوف على حد الأدب ، من يحب أن يسأل الله عن السب يعنى ، أعطى
هذا ومنع به هذا ولم يعط هذا دون هذا ، فلا يجوز أن يسكت عن عطاء
الله بأفعاله وهبته ، فقبح الله ما أكثر خيائته ، ومن طلب إرادة هذين البيتين
فستطلب إرادة المصحف المنصهر لما يصدقها ويقطع علائق لم يفهم كلها ، قال
تعالى : لا يسأل عما يعصم وهم يفتنون . وقال تعالى : قل انهم ملك الملك
نوفى الملك من تشاء وتزعج الملك من تشاء وتعر من تشاء وتذب من تشاء بذلك
الحير إنا على كل شيء قدير . وقال تعالى : قل ان ربي يسطر الرزق لمن يشاء
ويقدر ، ولكن أكثر الناس لا يعصون . وقال تعالى : الله يسطر الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر له . ان الله بكل شيء عليم . ان غير ذلك من الآيات .
وهذا المحدث يريد أن يدخل بين الله وبين عباده حتى في تشاء عبده ويطلبهم
بال لا يتأدبوا في ترك التفتيش والحوال عن مشيئته وحكمته في تقسيم أرواقه

من عادته ، ولهذا عاظمه هذه الآيات عبطا عظيما وتصابق منها وأخرجت صدره ووقع بها في مشكلة فكأن ربه في صدره وقدى في عنه كل سامر في طريق صادته وكانت له بالمرصاد لما فيها من تعظيم الله وعدم سؤاله عن تصرفه في الرق والوقوف على حد الأدب في ذلك ، أما تلك الصور القبيحة والمظاهر المحرية والمنكرات التي لا تعد ولا تحصى والمكثمة والملاعنة والشديد الخبيث الموحود في كثير من الأبدية هناك كله لا يهيم ولا يجره فهو لم يعرض له . من هو غدا ، قلبه وروحه ، ولهذا حصص بخنا يدعوه لافساد المرأة ، وأسكر على من أسكر عليها علم الموصى في وشرط مخ ودقائق الفلسفة . فكل هذه الأمور الخبيثة هي التي تناسه ، فان القلوب والأرواح الخبيثة إنما تتعدى بما تناسها وتفرغ غاية التفرغ عما لا يلائمها من الأمور الطيبة الظاهرة كمثل مسا قصمته هذه الآيات . ولهذا جعلها شعرا . ككا ، وكل دي ديو ساييم يهم أم في غاية القوة والسلاسة وحسن التعبير وإن أبيت أنه التي قدمنا بعضها في غاية الركاكة والعفاهة ومساد الصور . والتركيب

ثم قال ، فإنه إذا أعطى أحدا مالا أو حيا أو محبدا أو محاحا لم يصح السؤال عن تلك الهبات ولا عن أسبابها . لأن الله وهو ملك الملوك لا يعطى على السب ، ولا على قدر السب ^(١) وإنما يعطى على المشيئة وعلى قدر المشيئة وقدر صاحبها ، فالسؤال عن ذلك أدب حروص على الأدب وصلار في جانب الله ، لأنه اعتقاد بأنه تعالى إنما يهب جوا ومكافأة ، وتقدير وحدود وأسباب ، لا مشيئة وحرة وإرادة وإطلافا . وهذا انهماك بذاته وصفاته وأعماله . والأدب ^(٢) هو الاعتقاد بأن الأسباب لا شأن لها لافي نجاح ولا

(١) هذا استزاد وتقرير على البيت

(٢) أي عدم

إحفاق ، فإذا رأيت ناجحاً لم يجر الاعتقاد بأن نجاحه أسباباً وموارى وعلا
تدرس وتفهم ويقاس عليها ، وإذا وجدنا محققاً فكذلك لم يجر التعليل والتفسير ،
قلت : هكذا علق على هذين البيتين المفسر تصمماً لئلا يعلل الله والآلات
معاً ، وهذه محادة صريحة لله تعالى ، وليس في البيتين ما يدل على هذا كله ، بل
مقصودهما أن الله تعالى لا يسأل عما يصنع من الاعطاء وسع والخفص
والرفع ، ولو أن رجلاً أخذ تمنع عن ميت من موت الديار - والله أعلم
الأعلى - لم أعطيت فلا ما وصفت فلا ما وهبأت لفلان أسأله وتركت فلا ،
مع علمه بأن فيهم المطيع والعاصي وأنه عديم بهم خير بأحوالهم ومب بليق
مكل أحد منهم - لكن في غاية المسقة والمحدولة ، ولقته ونفسه ، ومقته
الناس أيضاً وتعامقوه ، فكيف الله عز وجل لا يخلو موجود من آثار
رحمته وقضه وإحسانه وأنه المعروف بالشكر والحد والعلم وحكمه والكمال
الذي لا غاية فوقه فهو الذي يصنع الأمور في مواضع لا نقه بها ، وكيف
يجوز أن يسأله ما شئ وتمنع عنه في أموره التي أحراها بأنها صادرة عن علم
وحكمة وعدل وإحسان ، ومن هذا إلا من الرتبة والحث لتعقب ولتفادى
القطيع ولم يرد صاحب الآيات أن الله لا يسأل معصم بعضاً عن الأسباب
والأمور التي يحتاجون إليها ، ولم يعبه الله ذلك مع ، والعرض على هذا أن
هؤلاء الذين يعنفونها أو تكسوها على متحرهم ومضامهم يسأل معصم بعضاً
وساقت معصم بعض في كل أمورهم التي بينهم ، وقد تقدم البين بأننا لا ننكر
تأثير الأسباب ، والله سبحانه يفعل بها ، وأكثر هؤلاء الذين يعنفون هذه
الآيات وأمثالها يعرفون هذا ، لأنهم يشعرون الأمور التجارية والصناعية
وغيرها ، فهم معترفون بأنها أسباب وأن لها نتائج ، وسواء كان ذلك بالقوة
المودعة فيها أو بفعل الله عندها فهم بكل حال عاملون بها مجتهدين في ذلك
معترفين بأنها أسباب ، فلا معنى لمبدء بقعة وإعراء الذي هو أشبه بنسخ
الكلاب

ثم قال هذا الملحد : وهذا من شر ما تنبئ الأفراد والجماعات بالآيمان به .
فيقال لهذا الملحد : ألا قال لك الله ، أى شر في هذين لبيتين وقد تضمنت إنشاء
على الله والأمر الآت عن سواه . ولكن هذا دأبه إزاء المظاهر المنصمة
لتعظيم الله وإجلاله ، كما ذكر أن اعداءه وساحد أدت شر مؤدى ، لأن كلا
منهما مظهر من مظاهر الايمان بالله تعالى ، وهو قد حمل الايمان به كفة على
الدين متبعا صدمه عوصاف في هذه الدعوى ، وكأنه لم يرى هذه الأمصار
منكرات وخير ، وحادث واحد وشركا لا يحصى ، وقد تركها كلها وقصد ذكر
الله وبمطامير وجلاله وحمده "سب" والشم والصدواة الزائدة . ان الانسان
ليعجب كيف عاش هذا الملحد بين هؤلاء المدسسين المحمسين له هم ومسلحهم
المقدس ، وكيف رمت امرأة البديع من نفوس الى هذا الحد البعيد

ثم قال : ولا ريب أن هذين الدينين ليسا بحلال وحره المتاجر والمصانع
شر في دلائلهم ويحرم من مئات جيوش تعاريف الى تحتل البلاد اغتصابا
واققدارا (١) .

قلت هكذا صرح هذا البديع بأن ما اشتمل عليه هذان لبيتان من تعظيم
الله تعالى وعدم سواه ولزوم الأدب معه شر عظيم يتوب عن مئات الجيوش
عارية ان يحل بلاد عسكرا واققدارا ، ويسيطر المسلم المعنى من هذا البلاء
وحمده الله تعالى وقد بدا أن من انقد هذه الايات فليصدق ان كل
وليدع فيه ما ادعى فيه ، فانه شتم على الايمان به وبعظيمه وشتماء عليه
وعدم الاعتراض على حكمه في خلقه وزوم لأدب معه ، قال تعالى (والذين

(١) هم هما شر من "دعوة" ثلاث رديق و"أحرق قلبك بغض الأديان
ونهاها وجيوش لا تحل بلاد عسكرا واققدارا" ففى من هذه الناحية
دعوة عيبك وشر من الجيوش راحته عيبك

يحاجون في الله من بعد ما استجب له حجهم داخضه عندهم وعليهم عصب
 وطمع عذاب شديد (١) وقال تعالى (من الذين يحدلون في آيات الله يعير سلطان
 أناتهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ساعية فاستعد الله إنه هو السميع البصير)
 فاحذر تعالى أن هؤلاء الكفرة والمنافقين الذين يحدلون في آياته سبحانه مع
 ظهورها ووضوحها ودلائلها على الحق إنما حملهم على ذلك الكبر والإعجاب
 بأنفسهم وأن دينهم من العلم والمعرفة ما هو فوق ذلك (٢) وما أجل قوله تعالى
 (فاستعد بالله إنه هو السميع البصير) فإنه سبحانه سميع بصير بما يقولون
 ويعملون فيجب الاستعداد به من فعلهم، فإن الشيطان قد تفح في أوفهم وأزعم
 عن معرفة الحق وتباعه أرا، هوذا الله السميع البصير

لم يذ هذا الملحد من هذه المناظر غير هذا تشاء على الله وتعظيمه
 وتقديسه ولزوم الأدب معه ضمن ذلك شره ينوب عن مئات الجيوش المحتلة،
 ثم مع ذلك يدعى أنه مؤمن بالله وأن ما يكامل عمر من الخطب، لا يلبث
 بصور المسيحيين إذ خاطبهم من المؤمنين رجلاهم عقول يعرفون ما بين تكفر
 والاسلام، بل تصورهم عوغاء بوكي أموا على شيء من عقل وضمير والدين،
 فكأنه لم يعلم أن هذه الدول واحكومات التي احتلتها جيوش أعدائهم شر
 احتلال لم تكن هذه الآيات تعني على مسجدها ومصمها، وما معها ذلك
 شئنا، بل نحن نشهد بالله أن وجود مثل هذه الآيات بين الأمم من أعظم
 المدفع لها ومن أعظم ما يدفع الله به عنها، بل أن وجود ما يصممه كخش
 محظوظ، فها هنا كما قال تعبير بلع صدق عن وجود لايمان بالله في تلك
 الأمكنة، وكما يدفع الله بمثل هذه وما في معناها عن أهلها من بلاء وشر، وقد
 علم أن من هي موجودة لديهم في بعد لا تعد ولا تحصى، مع ما هم فيه من

(١) كما قال عنهم في الآية الأخرى (مرحوا بما أعدهم من العلم)

ذنوب لا تعد ولا تحصى^(١)، ثم هي ليس فيها تعرض للأسباب ولا نبي لها البتة ولا يعهم منها ذلك أبدا ما لم يكن رديقا مبالغا في الدعوة إلى الرديقة والفاق. فأين فيها نبي للأسباب، بل الذي فيها الثناء على الله وأنه ملك الملوك وأنه يعطي من يشاء ولا يجوز سؤاله عن الأسباب التي بها أعطى، وليس فيها أنه يجب على الناس أن يظنوا أرواقهم من غير أسباب أو يرفضوا الأسباب، ولكن لعظيم ما رشح في ذهنه من بعض المظاهر الدينية واشتغف بالأسباب المادية والاعتماد عليها صار يحارب بكل ما أمكنه ما فيه دعوة بسبب، ويحتج بكل ما له علاقة ببعض الأسباب. ولهذا احتج بعمل المنافقين مع ظهور بطلان حديثهم وإن الله نهى عن فعله وحذر منهم غاية التحذر ورد عليهم أدع الراد، وقد تقدم الكلام في الأحد بالأسباب وأنها تراعى وتعتبر ولا يعتمد عليها من دور الله وتعمل هي عنه كل مور وعاج وهبوط وقنوط، بل الله سبحانه هو الذي يسرها وهو الذي بيده مملوكات كل شيء فيجب التوكل والاعتماد عليه وتوسع مقامه وشرعه في الأسباب الدينية والمدنية، وذلك هو الطريق لتحصيل كل خير في الدنيا والآخرة

انه من الصعب جدا أن يحارب الأسباب هذه المظاهر الدينية هذه المخاربة المكشوفة، ثم مع ذلك يدعى أنه متدين وأنه ما قال غير الحق، بل أنه وفق بين الدين والحق، وحقيقته هذا استهزاء بعقول الناس وسخرية بهم، فإن من فعل هذا الفعل وادعى ما يصاده وطلب تصديقه في ذلك فقد طعن على حاطه الجهالة والبلادة والغباء المتناهية

(١) ملاحظة: يسعى صون الآيات القرآنية وكذا الأحاديث النبوية عن التعاليق في نحو الزمكته أتى لا يليق بها من الممارن والأسوق وغيرها، وكذلك ما يجري يجري هذا من ذكر الله تعالى، لأن صوته عن ذلك احترام به، وجعله في غير موضعه إهانة له، وقد أشار إلى هذا كثير من العلماء في كتب الأصول وغيرها

ولقد تكلم كثير من العلماء على ما في هذا الكتاب من الخداع والتعميه
وبينوا أنه دليل على ضعف عقل مؤلفه، فعكسوا عليه طه، وأوصحوا
مناقضته للدين والعقل أيضا وقد تقدم ما قاله السيد قطب وغيره

ولهذا قال الاستاذ محمد أحمد العمرأوى^(١) في مقدمة كتاب (الشواهد)
لما قرأ الأعلان: وجدت كتابا ينص بالضعف، ويعيص بالفساد في
الإسلام وأهله، فقد نقص صاحبه ما وصلت إليه يده من كتب المتقدمين،
حتى إذا وقف على بعض أحوال لا يقول بها أحد يعتد به اليوم - ولا يحبو من
مثله تزيح أمة حتى في هذا العهد الحديث - انحدرت الأقوال دربعه إلى
الطعن في المسلمين أجمعين في عشرة لقرون لأحرز من تاريخ الإسلام،
مؤكد بقدره وللناس أن المسلمين جمع عاشوا طوال تلك الحقبة لا يرون
الأحد بالأساس، معقدين أن الوكل على الله معناه اليوم وترك التدبير
انكالا على أن الله سرهم من غير سعي ولا عمل، ويحجبهم من غير إعداد
عدة ولا جهاد، وإكفاء في ذلك الدعاء والاقطاع لعنده الله من نحو صوم
أو صلاة، فأحروا في رعيه عن رك الأساية ألف عام ناموها وسارها
عزم من مختلف الشعوب والأديان، ولو اقتصر الأمر على مثل هذا الزعم
من عني شناعته، فكل عارف بتاريخ الإسلام يعلم أن المسلمين لم يكونوا كلهم
أو حلهم يعتقدون ذلك يوما من الأيام، ولعن صراط عزم في ألف عام
الآخرة كانت أكثر من مرات دمه، ممكن العرب من سحق صاحب
الأعلان محمد دم واحد مدسبه وبقدر لها ولهم، وبني فرض أن المسلمين
كانوا كما وصف طوال تلك القرون أمثلة فيسوا هم كذلك لا، فكلهم
يريد لأحد لأسباب واليهوس والفرء وأن اجتمعوا في الأسباب دائمة
اختلاف أي أمة واحدة أو شعب في كل عصر وعبي الأخص في هذا العصر

(١) العالم الشهير صاحب كتابي (المقدم التحليلي) و (عن الله الكوييه)

فقيم الحذر واللز والطعن والدم والاستهزاء والسحرية وقد انقضى سببها
 المعروف ان كان قد وجد يوما من الأيام ، أليس من الحق والمعصاة أو من
 العرور وتلعب شهوة المال والشهرة من أسوأ طرق أن يفترض صاحب
 الاعلال وحوادث ما لم يوجد أو استمرار ما قد انقطع وانقضى ليجاهده وينار له
 كما كان (دون كيشوت في كتاب سرفنتس) يحادل وينارل
 طواحين الهواء يضربها مرده وعملها بقطع على الناس الطريق . ثم أليس من
 العرور وحقق معا أن يعتقد صاحب الاعلال أن الاربعين المليون المسلم
 - على حد تعبيره - خاصة اليوم لسلطان ملك الخرافات التي يرغم ، ثم يطمع
 أن يرحلها هو عن ذلك بساطته ونداءته نبي شيا في كتابه والتي تصد عنه
 كل من يقترب منه كما تصد الراتحة احبته عن مكان الحيفة ، فلو أن اساما
 أحسن الدعوة من وجهها وجاهه من المسلمين يدعوهم ليقودهم بزمام دينهم
 - والاسلام كله مقاد الى الخير والعر والصلاح - لكان عجماء مع ذلك أن يطمع
 بمصرده في تحريك العالم الاسلامي ، وقد فقد العمل بالاسلام ، طالت مسده
 القعود أو قصرت ، فكيف هذا المعرور الصال الذي لا يرى سبيلا الى نهوض
 المسلمين إلا أن يكفروا بماصبيهم كله وينزلوا عن ميراثهم كله ويحتقروا كل
 ما ألف في ألف سنة في أي عم أو من لانه صورته من كتاب واحد أم في
 علمه أو فنه قل أن نبدأ الألف أو بعد أن بدأت الألف ، وأن ينزلوا أي
 رواية أو رأي يجمع عليه أو عليها مؤهات الكتب الكثيرة مرلة رواية
 الفرد الواحد ورأي الشخص الواحد ، هكذا يدعى ، والى ذلك يدعو هذا
 المعرور المصون في إعادة وتكرار ومباغة وتوكيد وافرأله إن شئت لثري
 الى أي مدى يذهب العرور بصاحبه ، ولتحكم أعين عقل يصدر في كلامه أم
 عن تحليط قال في ص ٣٠٦ من كتابه (وخطوط من عمدا) (١) ، اننا بعد
 في علم التاريخ مثل الكتب وألوفها وكذا في الحديث والفقه والتفسير وفي

(١) أي الخطوط العرصة من عند صاحب المقدمة لملاحظه النقط التي هي أساس
 التفتد من المعرور

كل علم، ولكتنا عند التحقيق لا نجد إلا كتبا واحدا، فإسناد ألف منذ ألف سنة مثلا مؤلفا في علم من هذه العلوم وأودع فيه ما أودع من الناطقين وأكاذيب وغيرها فإذا جاء بعده ألف مؤلف في هذا العلم فانه جميعا سأنحدون عنوهم وحقائقهم عنه وعن كتابه بلا نظر أو تفكير، وهذا هو الشأن في جميع المؤلفات التي تخص بها المكتبات والمهر من العامة اليوم ومن يموت إحصاؤها وعلى هذا من الخطأ الذي يقع فيه الجميع أن نجد رواية أو رأيا في مئات الكتب لمئات المؤلفين فنزعم أن تلك الرواية أو ذلك الرأي قد قال به ورواه هذا العدد العديد، والصحيح أن قول ألف أو أنه رواه أو رأى إنسان واحد في مؤلف واحد نقله هؤلاء الجاهلون المقلدون بلا بحث ولا عقل فلا سعدع ويصدق، السكثرة ويقول كيف لا تكون تلك الحكاية أو رواية صحيحة وقد رواها وصدقها عشرات العلماء أو مثمنهم، وكيف يكون كذا ثم يعنى حاد على كل هؤلاء، أن من السهل على لاسن أن لا يثق برواية إسناد واحد وبرأيه ولكن من العسير عليه أن يشك في رواة عشرات ورأيهم ولا سيما أن كانوا من محرمين وبخترم^(١).

دعوى يلقيها هذا الاحق كونه قرأ تلك الألوف المؤلفات في جميع المصنوع في عشرة قرون فقام يعلم نتيجة بحثه ويرى له شظاءة أن سيسمع له الناس، واهق والعزور لطاهران من هذه المقررة التي تقفها لك من كتاب الاعلال هما لطابع الذي طبع به على الكتاب كله لا يكاد يتخلو من أماراتها صفحة من صفحاته، فأنت إذا تناولت الكتاب وجدت ذلك الطابع على علاقه الخارجى اد تقرأ سيقول مؤرخو الفكر إنه بهذا الكتاب قد بدأت الامم العربية تبصر طريق العقل، كتاب الامم العربية عامية عن عقل وطريقه وسببها تبصرهما، ولكن على يد صاحب الاعلال - إلى أن قال - ثم هو يرى أن صنف المسلمين ليس هو من تركهم الدين، ولكن من اتاعهم إياد، فهو لذلك

(١) انتهت جملة الأغلال

يحارب الدين ويستنزيه نقوابته التي وضعها للناس كلها وجسد الى الاستهزاء
سديلا ، أى كلما أمن عواقب الاستهزاء ، قال لم يأمن وطن أن رأيه الذي
يعتقد ويؤيد لو اتبعه الناس يعرضه لحطيم ولرميم إياه بما لم لا بد رايه به
من الرذقة والاحقاد أو ما هو أكر منها لمب ودا . وقرر رأيه بجميع الصور
ثم تبرا بالهش أو في نصاب أن يكون قصد كعرا أو إلحادا ، وسكنه قصد
تقرير حقيقة ، أو أنه فعل ما فعل وأورد ما أورد للاعتبار . ولا نجد شيئا
إسلاميا سلم من سلاطة هذا ربح ودمته لا لدمه ولا لدمه ، لا الفقراء
ولا الأعيان ، لا الملوكة ولا السوقة ، لا الأمم ولا الأفراد ، لا العرب ولا
المسلمين ، لا معاهد العلم ولا جهود المسلمين في سبيله في الماضي والحاضر ، لا شيء
من ذلك للإسلام سبي من صاحب الاعلان إلا العن وانصاع ، كأن ذلك كله
حال في الماضي وبحول في الحاضر من صاحب الاعلان وبين ما يدعه من جاء
وقود وثمة . ولو كان هذا المرحس ، نص فيه شيء من الحب للإسلام وأهله
لسكان سبيله في سبيلهم عر من نحن نحن ومن المساوي والمسايب
الموجود منها والموهوم والخيال وسببه لتحقيقه ونسفيه والريبة والشبه ،
ونساعلم أى ما نعلم به " أنه من علم دينه كما في كتاب الله وستة رموله بدلا
من أن يحاول صرف ذلك كله عن وجهه وصرفهم عنه - الى أن قال - ولو
قرأت كتابه لراأت سحق ما يقب اليه ، نقرأ له فتقول دهري يتكلم ، ثم
تقرأ فتقول صديقي يتكلم ، ثم نقرأ ونقول شيوعى يتكلم ، ولعل في هذا ما
يصر عليه السيد عن طريق مناصته الاسلام اعداوة ومبالغة في ذلك ، حتى
سجين اليك أنك إزاء كتاب أو ذنب عقور يحاول أن يحقر من الاسلام كل
ما يرى ، لولا أنك ترى أحبا من خداعه وحيله ودورانه ولعمه ما يندرك
ألك نجه عدو يكيد والكل كيد معصون معرود ، هذا كلام الاستاد العمراوى
المصرى ، وهو صوب اقتصر على هذا منه احتصارا ، كما تركنا كثيرا من
المقالات التي هي بمعناه الأكثرها وشهرتها

الكلام على المبحث العاشر في الاخلاق السلفية

عنوانه في كتابه هكذا .

أما هنا لا وراءنا

ومضمون هذا المبحث هو الخط "شديد على سلف الصالح ، والصد
الأول من أصحابه والسلفين ، والتعسف في آرائهم وأخلاقهم ، وأهم لسوا حق
شراء من نعم الله ، وعما هؤلاء المأخرون من الملاحدة وأمثالهم من
العرس هم بعداء المدفون المحققين الذين تحت تعظيمهم والافتداء بهم وهم
خارج - كما أنه - في سلس - غير عن سلف ، وسكن حاشه بحثه
ووصفهم بالتوصيف الذي لا ينطبق إلا على أصحابه والسلفين ، حيث ذكر في
وصفهم أن جميع فرق المسلمين على اختلاف مذاهبهم معظموهم لم يقدموا
لآرائهم ومذاهبهم أن هذا وصف لا ينطبق إلا عليهم . وعرضه إلا كرم هذا
المبحث هو ، على أولئك الأعمام ليس عارضه في دعائه الأخلاقية وهو
الذي يرض عنهم ، وهم : من اتحاد الإسلام المشهود بحضر في الواحد ، الأخلاق
السلفية الأولى ويقامه عرائض مع ما ذكره . وقد علم أن كثيرا من هذه
الأعمام يرون أن ركيس أو حدة لأحد من الإسلام هو الواحد كما كان عليه
السلف الصالح كما قال الإمام مالك ، لا يصح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ،
وما كان يعلم أن من صرح كسبه هذا وتأمله حقيقة تأمل حرم بلا أدنى ريب
أنه مصاد لتدعيه أقرآن وما كان عليه النبي ^{صلى الله عليه وسلم} وأصحابه وأهل القرون المفصلة
وأما دعوته عريضة بقليد الملاحدة والمدققين لعصريين ، ومعا كسبه طاهره لما
قرره المسوس في كتبهم المعتمدة ، لا سيما كتب السلف الصالح والصالحين
والمسند ونحوها في الأصول والفروع ، ولا شك أن وجود تعظيم السلف

ووجود هذه الكتب والایمان بها يصاد غاية المصاداة اتباع أعلاله والأحد
واعتبرها . فكان لا بد له من إزالة هذا الاعتق الكبير ، فإنه من المستحيل أن
يجمع الانسان بين الإيمان بكتبه وكتب الدين كما أشار الى هذا في دعواه
بأنه يجب تعليم الناس الكفر بالآولين وبهمهم بأنهم ليسوا على شيء من
الفهم والعلم كما يأتي . فمن أجل هذا - ومن أجل ما ذكرناه من الأمور الأخرى -
خصص هذا المبحث لهذا العرص نفسه زيادة وإيضاحا لما أدخله في تضعيف
المباحث المتقدمة . وقد بحث كل ما تصدره من عن وحث وعداوة للدين
وأهله في هذا وأظهر من المحادة والمشفقة لله ولرسوله وللمؤمنين ممن يتحسر على
مثله أكفر كافر ولا شر من يدق

إذا تقرر هذا فاعلم أنه حري على عادته من اختراع لكتب ثم النبأ
عليه . فهو فارس معوار في حرب أوهامه وأدعى أكاذيبه المروية . فقد
أوهم الجهلاء ومن لا يعرف عن الاسلام والمسلمين شيئا أن المسلمين على
جانب عظيم من العناء والجهل وفساد العقل . وأهم بوجود تقليد جميع
المقدمين في كل شيء . وأهم يدعون أن الخير كله في كل متقدم . وأن الشر
كله في كل متأخر . وأن كل المتقدمين هم أهل الدس والعم وأن جمع المتأخرين
يعكس ذلك . ثم رك على هذا تشبيعه وسهراده ووقاحته وهداية الطويل
المتناقص . وأي غافل من المسلمين يعلم أن هذا كله كذب وهمية ولجور
لا صحة له أصلا بهذا الاطلائ . ولكنهم يقولون إن الواجب المقروص
اتباعهم فيما أوجب الله من الأمور الدينية تعبدية بأن يؤخذ بما كان عليه النبي
ﷺ وأصحابه وأهل القرون المفضلة على حب ما رتبته الله ورسوله في
الايجاب وغيره . واجتناب ما يخالف ذلك . أما الأمور الدنيوية المحص
كالأمور الصناعية والتجارية ونحو ذلك فهذه ليست بأمور تعبدية بمجرد ما
هي أمور عادية دنيوية يتبع فيها ما كان فيه صلاح للأمة أفرادا وشعوبا . وجميع
النصوص إنما دلت على اتباع السلف الصالح في الأمور الدينية . وأما الدنيوية

التي لا نص فيها فالأصل فيها الأمانة ، وهي بالقصد والنية اذا أسست على دين
وهدي صارت حيرا وقوة مضافة الى قوه ثبات الانسان عليها ، وكل ما فيه نفع
ديني فالقوم أحق به وأولى به كما قال النبي ﷺ ، الحكمة صالحة المؤمن اذا
وحدتها فهو أحق بها ، ولم يأت نص يمنع من تعاطي هذه الأمور ، وانما
جاءت بنصوص تمنع من أشياء معينة لوضوح ضررها ، أو لأن ضررها أكثر
من نفعها كالزنا وبخه ، وهذا عم الدعوى في المتقدمين ولما حارب بالاطلاق
لفصد التلذذ وتشويه سمعة الاسلام . ومعلوم أن المسلمين يتكروا بنية
الانكار على من يقتدى بأعمال الخاطئة الأولى وهم من المتقدمين فكيف يسوع
أن يقال إنهم عظموا كل متقدم ويأمرون بالامتناع به . ويتكروا على كل
متأخر ، وهذا أمر طاهر يعرفه أي عي . ولكن قد شأ به لا بهات من
مكابرة ولا بهت ولا لجور قال :

(أماننا لا وراثنا)

لا يأتى رمان الا والذي بعده شر منه (زعموه حديثا سيدي)^(١)
أمن خير من اليوم وليوم خير من غد وهكذا حتى قيام الساعة
(زعموه من كلام ابن مسعود)
لا يرداد الأمر إلا شدة ولا الس الاشح ولا يقوم ساعة إلا على
شرار الخلق (زعموه أيضا حديثا)
كل شيء ينقص إلا الشر فإنه يزداد (حدث أيضا على ما رعموا)
وكل خير في اتاع من سلف وكل شر في اتاع من خلف^(٢)
كتب العقائد المقررة

(١) هذا الملحد يعمه من زعمه وصححه واحتج به كما يأتي

(٢) المشهور في اتاع من خلف ،

ص . هكذا . في هذه الروايات مصدرا لها هذا الحديث . وعرضه من
 ذلك أن المسند يعتقدونها وأنها رالة على أن كل القدماء خير من كل
 المتأخرين ، وهذا لا يقيد شيئا لأمر :

أولاً أن هذه الروايات كثيرة أخرى في معانيها ونصوصها
 المروية عنها ، وأن المراد أن الحديث في نفسك أصول الدين كما في حديث
 الصحيح في صفه مروية ناجية أبدا من كل عن من ما هو عنه وأصحابه كما
 ساق في روايات في هذا الشأن

ثانياً أن هذه الروايات مرشدة لما ادعاه من التعظيم كما سبق
 إيضاحه

وثالث أن هذه الروايات في بعض النسخ في سائر المتقدمين والمتأخرين
 والله أعلم . اهـ

أما حديث : لا شيء من راي الذي بعده شرمه ، فهو حديث صحيح
 رواه أحمد بن حنبل في صحيحه ، ورواه أهل الكتب المختلفة كالشيخ والمسلمين . وقد
 صححه جماعة من علماء الحديث على ما شرح ذكره في حديثه (شيوع الأثر)
 فقوله : لا شيء من راي الذي بعده شرمه ، هو مأخوذ من حديث صحيحه ، فإنه ثبت في الصحيحين
 اعتماد المسند . وهو منه من رايه ذلك واحتج به على من حاشاه ، وقد
 حاول هذا المحدث بيان بعض من هذا في صحته وتحريف معناه ،
 وهرب وما كيد لئلا يلاحظ في سائر روايات كلامه منه ، وأما الأثر
 الذي ساقه في مسنده فلا يرد به هذا المقصود ، من الوجه عليه أن نسبه
 إلى من هو من رايه فلا يحتج بقوله ثبت كونه وحيايته ، ولكن
 المروي في المسند عنه أنه قال : من كان معي من قدماء ، فإن الخي لا تؤمن
 عليه الفتن ، أو ثبت صحيح كما هو في أصل هذه الأمة . أرى هؤلاء ، وأعظمها
 علما ، وأقلها تكلفا . اختارهم الله لصحبه نبيه ﷺ وإمامه دينه . فاعرفوا

صلهم . واتعوم عن الأمر . ونسكو في استطاعتهم من أخلاقهم . وقد كانوا
عن الخدي المستتم . وعن حذيفة رضي الله عنه قال : كل عبادة لا تنفعها
أصحاب محمد فلا تصدقها من أجل ما يدع عنها مقادير . وقدوا به . معشر
أقراء وجدوا طيق من كان فيكم . وهذا هو الذي فهمه مسيرون . وسبب بؤسه
المراد بذلك أمور العبادة . وهذا هو الذي فهمه مسيرون . وسبب بؤسه
واعتقدوه وقرروه

وأما الرواية الثانية . فقد عرفت أن السوحي قد جمع بين أحمد
ولطراش . وأشار إلى تحسين أحدهما . والكلام في معنى ذلك

وأما الحديث الذي ذكره فائدة من صحاحه قوله . كل حي في أراح .
سلف . أي السلف صاحب في أصول الدين . وأمور . معناه . كل حي
الشرائح . وكما عرفت وهو ليس إلا عهد . أحده . من
أحقده . من غاها . فهم في حوض . معناه . لا يؤمنون . مع
للأمور . أصابعه . بحرها . وقد قلنا . أن الشر في الدنيا . من حرم
أن الألاع . في أمر الدين . في استطاعتهم . من حرمه . من الألاع . من
بذل . الألاع . وكل حال . ولا حرج . له فيه . سواء كان . أو هذا

ثم لا يترك ما فيه العبد الأكرم . في عفتهم . مشهور . في هذا
ومعصيتهم في ذلك . واكتفى به . ثبت . من ما حرمه . من الألاع . من

ثم قال . من أحقنق . أن يرفع . يوم . عن مسوون . الألاع . من حرمه . من
- حيوانه . وببانه . وحماره . لم . بال . ما . حرم . في . حرم . من . الألاع . من . إلى
طور . أفضل . ومن . حالة . في . حرم . حتى . أن . في . سلك . من . مصفه . من
لا يعرفها . توقف .

فيقول أولاً . أنت . حارمت . هذا . ودرعت . فيه . ضد . من . رفع . مع . عن
مسوول . برعت . فعاكست . فيما . راعه . هذا . حقائق . و . يجب . أن . مع . كسك

هذه هي الحقائق التي لا يمكن الخلاف فيها ولا المراءاة ، فقدت في نيتك
 (النودة الوهاية) صحيفة ١٣٩ ما نصه . . . وأما الزعم أن النفوس الانسانية
 ارتقت فرغم كاذب ، والواقع أكرر ذلك على كبره ، بل الاساية تتبدل
 بظفرة من الحجة الخلقية ندلا لا تمكن المماراة فيه ولا الخلاف في بقراره ،
 وما نظر أنه أتى على لباس عصر فسقت فيه النفوس وتمردت واستحصبت
 مرتفع الفجور والحروج على شرع الله وطامه كهذا العصر ، والرقى المزعوم
 إنما هو رقى صناعي صرف لا حصه للاحلاق ولا لسكان فيه ، والرقى الصناعي
 إن لم يصاحبه الرقى الحقيقى عاد هبوطا وبسكه على لاسانه وعلى الأحلاق
 وعلى الصبغة أيضا وعلى كل شيء ، وقائن عيب هذا إما عائن أو جاهل ، انتهى
 كما مت بحرقه . وهو صريح في نقص ما ذكره هـ . وقد حشرت الرقى أنه في
 الصبغة فقط وأن ذلك أيضا لا يمنع من بصبغه الرقى الحقيقى . وصرحت
 أص أن قائل عمره إما عائن وإما جاهل . وصرحت بأن هذا الرأى مما لا يقبل
 ابراة ولا الخلاف في صدقه . وهذه حقيقة اتفق عليها إندرايس في الحين
 ابن اسوقس فيه لنسار فاضات ما حوايك ، فيما أن ذهب الله نورك
 ذهبت تشكرها ، وتحط في طلعات كشوك والشهات وهذه احمه كافية في
 الشهادة على سلطان ما ذكرته في هذا المبحث ، من في أعلاك كلها في
 الاطباء والاسماء في تركيز عقيدة سطور وتثبته وكون التطور عام في كل
 شيء حتى ادعيته في العلوم الصحيحة كلها ، وقصدت بذلك التعبير من حب
 السلف الصالح ولتعد عن الاقتداء بهم ، فهذا لعن محكم ابدى عمله يدك بشد
 في عنقك وتحقق به فلا يمكنك الخلاص منه أبدا ، لأن غاية ما تعتذر به عنه
 ما أنك ادعيت ذلك قبل أن تسكر بعد ايتك ، فاد اعدرت هذا قيس واد
 كهرت فلا يقبل قولك في دين المسلمين ، فان الكافر مردود قوله في دين
 المسلمين ومداهم ، وهذا بطل الكتاب كله ولا يمكنك أن تنصل منه بأن
 ذلك نظرية قد بان لك خلافا بعد ، فانت صرحت فيها بأن هذا شيء ضرورى

واقعي من الحقائق ، وصرحت بأن ذلك لا يمكن الخلاف ولا المصراة فيه . وحكمت بأن قائل غيره (إما عاش وإما حاهل) ، وهذا صريح في أن هذه الدعوى من أعظم الضروريات . ثم بك هنا في أعلا لك هذه ذكرت صدماء ادعيت هنالك ^(١) وادعت أن حقائقك ترتفع عن متناول النزاع . ويل أمك فبأي حقائقك تريد أن يأخذ الناس ، تأتي إلى الآراء العارضة المتصادمة ثم يدعي أنها حقائق ، وترة تقول فيه أنه يرتفع عن متناول النزاع ، وهنا نقول أنه لا يمكن المصراة ولا الخلاف فيه ، وأن قائل غيره إما حاهل وإما عاش ، ثم تريد أن يأخذ أساس نقولك ، فمن أين تعلمت هذه الترهات والرعوات والخنون الظاهر ، ألا فحقت الله ما أفحقت ، ففح كلامك لقد أصبحت عورة لا يسرها حجاب ، ويكنى لعقل أن يحكم عليك ما حكم الله حكمت به على نفسك في هذه الحقه نفسها ، وهي أنت إما عاش وإما حاهل ، أو عاش وجاهل معا .

ويقال ثاب دعوتك هي أن التطور في هذه الأمور شيء يرتفع عن متناول النزاع دعوى كاذبة خاطئة ، بل كثير من أهل المعرفة في هذه الأمور من علماء النفس وغيرهم يدعون في ذلك ، وهذا أحد غيره انتمس عندهم المدعو (شير ^(٢)) مسكر استمرار التطور . وكذا (هلدن) وهو من أشهر مشاهير

(١) سيأتى تصريحه بأن التطور شامل حتى للأخلاق .

(٢) شير من علماء المنهج الألمان وهو أسد جماعة نور قال في كلام له : لم يصر أي تحسين على النوع البشري منذ مدة طويلة من السنين ، وهذا ثابت بالنتائج التشريحية للجسم والمخ ، قال عن الإنسان في القرن العشرين لا يختلف وعقل الإنسان منذ فجر التاريخ إلى الآن ، وهذا كان الإنسان قد برصل إلى عدد من الاكتشافات والاختراعات العظيمة خلال المئتين الأخيرين وليس يعني ذلك أن عقله قد ارتقى أو تطور ، بل يرجع ذلك إلى المصادفة في عاب الأحياء ، وإلى تراكم المعلومات التي توارثها الإنسان في العصر الحديث عن آتائه وأجداده خلال مئات السنين الماضية =

عنه النص مكر ذلك أيضا، وقد ثبت ثبوت من كلامه في الكلام استمرار
تطور، من ادعى (عبد) أو نصفه العكس، وأكثر من علم النفس
منكرون ذلك فضلا عن غيرهم من علم النفس فاهم محمود على التطور في
الأخلاق الفاضلة غير صحيح

والكلام على النفس أعمه يثبت في ذلك وكالاتهم مصداق غير أن ذلك
من غير محقق لديهم فكيف تغيرهم، والخصوص صريحة في نظريته في
الأخلاق والكلام في مسألة التطور ضار عريض، ومن ذا كبر وجود
التطور في بعض الأمور، لكن هذا التطور الذي يدعيه باطل، وقد حقق
الكلام السيد محمود بعض في (كتاب لوجود) في مسألة التطور كما حققه غيره

فصل

ثم قال: وبعد لعبد أن هذا من علم لوجود حالة به دقة، ولا
محله فيها استعداد له جوع إلى وراءه، وهذا لا يتقبل من الكلام انقص، بل
نعم لديهم ثبوت اختلاف أن هذا هو وجوده قد وجد دافيا، أنه قد طرأ
من وجود إلى وجود ومن شكل إلى شكل، وأنه قد طرأ في جسمه هذا قد
ملايين الملايين من الأعوام حتى بلغ الحبة ثم تصبح لوجود حبة فيه.

فيقال: قد علم أنك لست من أهل هذه العلوم ولا حرة بكها، وعادة
ما عليك أن تقلد فيها بعض أهله، والآن الأمر كذلك في سعة آراء عبده

بدت جماعات تهوى ومن حدها والحق هو باطل المختص السليم، وليس ذلك
عن ذلك إلا ما دور الرقن ولا هي ليستة وتحت الأراء المتصرفه المادية، وفي
هذا دليل على ثورة الجنس بشي عن الذودع لي فرمها لآيين انتهى من
(الشواهد) ص ٥٥ و ٥٦

(١) راجع مجلة الهلال شعبان ١٣٦٦

الدين من أهل الحديث والتفسير والتفقيه والتقليد وعدم تفهم
 في علومهم التي عرفوها وعلوها حقائقها حتى كانت لديهم ضرورية كالشمس ،
 ثم لا تكتفى بتحصيلهم حتى تعد كسهم في أفوالهم وتعدك ، حبسه والسلافة حتى
 خالفوك في مثل هذه الأمور العاصية المصادمة برهان القرآن والسنة ، ثم بقية
 فيها بعض من يدعى معرفتها اعتقاداً أعني ، وسدغ بأن كانت ذات ثبوت
 الحقائق ، ثم يخرج بذلك على المسلمين ، ثم تسفه رأي من سوفهم ، أو كذب
 بها ، ثم تغلب على عقولك مرة أخرى فتدعي أن لا سال لا يمكن أن يفهم
 حتى يشك ، والذي لا يعرف أن يشك لا يفهم ، وأن الشك والفهم
 شرطان في محصيل العلم ، هكذا تفكر وهكذا تفكر فلم لا تشك في هذه
 العلوم العاصية المدفوعة وأنت أنت من أنهم ، مع أنك أكثر أهلها من
 عرف بالحجج والكبر ومعداة الدين ورواها ، ثم مع هذا كانت في
 غاية الشك والارتباك في كنه من خصوصياتهم ، كما قد رأيت في أصول
 الدين ، فإليك في غاية الاختلاف ، فصل على ما ذهب ، أما كتب علومهم
 فهي غدت كما كنت فيها ليس لها أدنى قيمة علمية ولا فائدة ، لا ريب ، فكيف
 تقدم في علوم المسلمين ومكرها ، ثم تخرج منهم عواماً أعدائهم وتوجب عليهم
 تصديقها وتدعي أنها ثبتت بثبوت الحقائق ، ثم تركب عليها أمراً آخر وهو
 الاحتجاج بثبوت التطور ، ثم تركب من ذلك ما هو أدنى وأمر ، وهو أن
 المتأخرين من هؤلاء الملاحدة أعلم من المتقدمين ونقص منهم وأوسع علومهم
 وعقولهم ، ثم تدعي أن هذا من الحقائق الأولية التي لا يستغنى عنها
 مسلم ، وكل عاقل يعلم أن هذه الدعوى هي مجرد رغبة بالشرع ومقتضى
 الخس ، فإن الأخلاق العاصية الموجودة في زمان تقديمه منذ آلاف السنين
 تتطور بمادتها في الأزمنة الأخيرة بصورة لا يمكن أن يتصور ، هذا مع اتفاق
 العقول كلها على أنها تدور في الخطر ، وصيرت ظاهرة في الشعوب والأفراد
 مثل الحيات والسحرة والبهائم والوحوش والبهائم والعدوان والخراب

العبادة والاحقاد والصعائر وأمثال ذلك فهذه الأخلاق وأمثالها قد عمت وطغت فلا استطاع أن تبتذل منها قريبك الذي تشفق عليه ، بل هي تزداد بالرغم من كثرة التعليم وتطور الأفكار في الأمور الأدبية والصناعية . وهذا يرهان على أن النفوس رداد المحظوظ في اتساع أهوتها وشهواتها ، واتباع الأهواء ولشبهات هو أصل أكثر الفساد . ومعلوم أن صلاح الأخلاق وتقويتها ونورها إنما يحصل بامسوم الدينية الصحيحة ، فكلم كثرت العلوم الدينية في أمه تحسنت أخلاقه وكثر فيها عدل والاحسان ، فارتفعت نفوسها وقويت وعظمت ، وكذا بعدت عن الدين وعمومه مدهورت وحققت الى الوحشية والهمجية ، وكل ما يوحده في الأمم المتمدة العربية وغيرها من أخلاق رافيهاتها ما حوذه من الأديان نفسها ، ولهذا كانت تعاليم الأديان هي المكفيل الوحيد لصلاح النفوس وشهاتها وتقويتها وترقيتها ، وفقدانها هو الامم الوحيد لهدمها وفسادها ورجوعها الى الأخلاق الوحشية الهمجية من ظلم والعدوان والامحشاء والمسكر ، وهذا هو الواقع الذي لا يسرب فيه من به عقل وبصيرة^(١)

فصل

ثم ذكر العبارة الضمنية التي نقلناها في المبحث الأول التي أولها قوله . . . علم السكون . . . أو ما عزم . . . في حالة عارية منتشرة في أعضاء انتشارا متناميا متسقا . . . الى قوله . . . إن أنفس شيء الديس كالآتي مثلا لا يمكن الحصول عليه لولا

(١) ثم الصداقة من حيث النظر اليها . . . حلة لا يمكن أن يحكم عليها بأنها جاءت بحير للشر ، من الذي يستطيع أن يقول إن عبار الخائق وما استنتجه عباء . . . سكتريا من مكرويات أو أن الصيلة الدرية كل هذه جاءت تحمض الخير والراحة للشعوب ، بل أكثر المفسرين . . . أن ضررها في الحلة أكثر من نفعها ، فسوت بطلق الخير في تطورها سطر حلة ممنوع فيحتاج الى تعميم ونظر

حصوه لهذه العممية ، أى عمقه لظهور ، وهذه العبارة تنصص كيفية تخلق هذا العالم ، وأن لشموس ولدت السارات والسيارات ولدت الأفاق حتى قال فيها : والموجودات الموصوفة بالكائنات احدة ليست إلا من المادة الجامدة ، والثوابيس التي تحكمها أى تحكم الكائنات أخيه إنما ورثتها من أصلها التي هي المادة الجامدة . فلا عرامة إذن في كون لقوا بين واحدته معقده في الحى وفي الخباد ، أى آخر عبارته اختصمته بأن العلم يحكم نفسه لنفسه لا يمشيه الله وقدرته ونحن نسوق عبارته برمتها يصاحا محتمفة ، وإن كانت قد تقدمت ، لمناصرة الإليان بها فما فقال :

علم الكون - أول ما علم - في حالة عارئة منبره في الفضاء انتشارا مساسا متسقا ، مثل أن نجر مقدارا من الماء في عرفة نساود فيها ضغط الهواء ، أو مثل أن نثر مقدارا من الدخان في مكان شرا معاويا . وقد بين كسبك ملاين لسين أو ملاين الملاين حتى استطاع سماعه المستمر (١) أن يفت من هذه الحاصلة العارية أو الدائمة أى حنة الككن والفصل ، فأصح كنه واحدة هائلة ، أو درة كويه صحمة اجتماع فيها الوجود أجمع . فبقي على هذه الحالة ملاين السنين أو ملاين الملاين ، وهو يتعاضد في حقيقته بتفاعلا مستمرا استعدادا لانتقال إلى وجود آخر أفضل وأكمل . وبعد التفاعل اللزم المقدور انفجر هذا الكون المجمع كالمخشود في درته انفجارا فخافيا في الظاهر ، موقنا معوما مقدورا إلى الباطن ، مثل ما تنفجر قنبلة مملوءة بالمواد المتفجرة . فتطيرت منه الدقائق والعراب طائرا قائما على الحساب الدقيق ، وعرف في الفضاء كسلا هائلة عارية . فبقيت هذه الكتل المتفرقة تتفاعل وتجمع وتتكتل ملاين السنين أو ملاين الملاين ، حتى أصبحت نجوم ما وشموسا . ثم أحدث هذه النجوم والشموس بالتفاعل نفسه والاستعداد

(١) انظر كيف أسند استماعه إلى معه في هذا الأمر العظيم على حد قوله

المحور وفيه ستطور تنقسم على نفسها وتنقسم عنها اسحوم وسيرات و"نواع
لكون من كل شمس من هذه الشمس من مجموعها منها سكر من هذه المجموعات
التي يدعونها اليوم لمجموعات الشمسية أو المجموعات الحميمية التي يدعونها
مجموعتنا الشمسية التي نحن إحدى رعاياها وقد راجت هذه ليرات السابعة
لغيرها تنقسم على نفسها أيضا ويفصل عنها الأسرع وبعد الزئبق سيكون - أي
الأقمار - من حوزها كما كانت هي من حوز شمسيها . وهذه العميات الانفصالية
أو الانفصالية شبيهة بعمليات التوالد والتقسيم من الأحياء في يكون العرص
في مجاميع مجموعات أو فصائل حيوية أو نباتية وحيوانية ونباتية وحيوانية
هذه الوجودات والوجودات الموصوفة . النباتات الحية ليست إلا من المادة
الحامدة . والبراميس التي تحكيها في حكم لكائنات حية - إله . وحياتها من
أصلها من هو هذه الحامدة . ولا غرامة في كونها من المواد الحادة مصفحة
في حي وهي إحدى وبعد هذا النوع . هذه الانفصالية في رتبة تكون الأولى
الكبرى . ولكن شيء من هذا الحجب بعد أو الاستمرار في تقدير أعداد عمر
الشمس في أن يوجد أحياء في الأرض . وهي مصفحة عنها . ونحن حسمه
ملايين من سنين . وهذا العمر لا يصلح لأن يكون أحياء من سنين . وأن أحياء
لم يوجد فيها إلا من نحو "لائحة من سنين" أي من سنين حوالى ألف
وسمائه من سنين . لهذا ليكون صالحة فهو الحية عنها . وقد راجع عمر
الإنسان في الأرض من ثمانية ألف سنة . وهذا أحد التقديرات كما هو معلوم .
ومعنى هذا أن الأرض بقيت ما يقرب من ثمانية ملايين سنة صالحة لوجود
الحياة فيها في أن تصلح لوجود حياة الإنسان الذي هو أرق الموجودات

(١) قال (لو كتب في بوي) مؤلف كتاب (مصر الانس) من أشهر
مشاهير علماء الطبيعة . بعد استحال ثلثا حتى اليوم أن يعرف منه دقيقه كيمية
بسات الحياه . ذكره في (سواءه)

عن غيرهم^(١) وليس عرصت هنا ذكر كلامهم بأن انصوص كافية لمن يؤمن بها في إبطال ما ادعاه من أصله ، فان الله سبحانه قد أحسن ما خلق السموات والأرض وخلق الانسان بأحسن كلام وأحبه وأحمله كما هو مذكور في سورة فصلت وفي سورة النازعات وغيرها ، وقد كرر تعالى ما ذكره في حق آدم في عدة سور لأنه تعالى قد علم ما سيكون فيمن هذه الأصول بأوضح بيان لعله أنه سيكون في هذه الآر منه رداً دفعه وملاحدة يشهون على الناس ويشككونهم في معرفة الحق ودلائله ، وقد قدمنا سياق الآيات كما قدمنا كلام أهل العلم في هذه الأصول مثل كلام الشيخ تقي الدين في تبعية . ثم إن نفس هذه الدعوى نطل مقصوده في التطور ، فإنه ادعى أنه وجد دلائل ، ومعلوم أنه إذا ذلك لا يحلو من ثلاثة أمور : إما أن يعترف أنه كان في الأزل كذلك على حالته ، وهذا يوجب أن يكون ثابتاً أرماناً سحيفة ، وينتقص قوله في عدم الثبوت ووحد التطور المستمر . وإما أن يكون مسجلاً عن حالة غير انبارية والسديعية ، فان كان عن حالة أكر وأعظم منها صار منحولاً ، وهو صد التطور ، وإن كان عن حالة دونه فلا بد أن ينسب الى مبدأ نقب التطور عليه وينتقص دعوى إله التطور وأدبته أيضاً كما تنقص دعواه أنه لا يوجد شيء من غير سبب مادي يخالف قواعد الطبيعة كما تقدم مراراً . وجملة مدخوله هنا في هذا العلم العبي ، ثم جرمه بما ادعاه بدون برهان ، ثم احتجاجة به مع مصادمته للنصوص دليل على ضعف عقده وطيشه . ومسألة التطور مسألة طويلة عريضة وكلام الناس فيها كثيراً جداً ، وقد كتبنا واحتج بها بجداولها مع

(١) قد أشار الشيخ محمد عبد الرزاق حروري في كتابه (الشواهد والنصوص) صفحة ٥٣ الى ضعف هذه النظرية التي هي صرية (لانياس) عند أهل الهيئة ، وأشار الى ما ذكره شير وجيس وهما من أشهر مشاهير علماء هذه البحوث وأنها فراراً خلاف هذا ، فراجع

أنه ليس من أهل المعرفة بهذه الأمور ، وإنما هو مفقده لغيره جامد على قول
ميجور ليس عليه آثاره من عم ، بل هو بطل شرع وعقلا ، وظلاله لا يحق
على من عرف حقيقة دين الاسلام . فلا يطين في رده زيادة على ما تقدم في
المبحث الأول

فصل

ثم أحد برهن على ما ادعاه في التطور فقال

« إننا نزرع الأرض حتى نرقيها بالاستعمال ، وحتى نعرف في امتصاصها
وامتصاص قواها الى أن نخرج عن إعضائها ما نطلب منها ، وإلى أن نكاد
ننصف عن القيام بوظيفتها . كما يعمل أحد ، إذا أرهقت قواه ، بالأعمال لشاقته
فتركها لا يعطيا ولا بأحد منها . ثم يرجع اليها مرة أخرى بعد مدة من الزمان
فإذا بها قد استرجعت قواها وعادت قادرة على أن تعطي سبحانه فكيف حصل
هذا . إني بد التطور وبد الاستعداد بسمو و"تحسن قد امتدت الى هذه
الأرض فرحمت اليها ما فقدت وصيرتها قادرة على تأدية عملها . إننا نعمل الى
الشجرة فنشذب أوراقها ونحور على أعصها فنعدها عارية . ولكن يرجع اليها
بعد مدة فنحدها فداكمت بأوراق وأعص أخرى فبدا هذا به
الاستعداد الطبيعي للتطور . ولولا له لقيت كما تركت عربة جرداء انتهى

فهذه رايته على انبات التطور الذي أضر عنه فاستدب به وحوب
الافتداء بأعمال المتأخرين ورخص آراء السلف وأحلافه من المتقدمين وهذا
الذي ذكره هذيان بارد ليس فيه شيء من التحقيق أصلا أما الأرض فما ذكره
فيها فنقص بالأراضي التي لا تختلف دراعتها مما رعت في كل وقت وهي
كثيرة كالأرضي نهاية باليمن فاما شاهدنا ذلك في أكثرها ، إنها تزرع كل وقت
صيفا وشتاء ولا تختلف دراعتها مع عدم استعمال أي شيء من الأسمدة أو

غيرها (١) ويقال أيضا هذه الأرض التي تزرعها على الصفة التي ذكرتها ليس في ذلك ما يدل على التطور ، فان غاية ما ذكرته أنها استردت قوتها الممتصة لا أنها رادت شيئا فوق القوة الأصلية المأخوذة منها ، وهذا ليس بتطور ، فأنها قد كانت متوفرة فيها مواد نمو راحة وأضعفها امتصاص الزرع فنقصت لذلك ونحوت من القوة ان تضعف ، وبما تركت عدت إليها تلك القوة المفقودة إما لأحد المواد الواردة عليها بسبب لسول والرياح أو لأجل ما كل العروق المأخوذة من أوعية ذلك ، وعلى كل حال فاقوة المسترجعة لا تكون أكثر من القوة الأصلية المأخوذة من راحة ، فان العناصر الأصلية على ما هي عليه ، إنما الزيادة ونقص في المواد ، وعلى ذلك تضعف ويزده تقوى ، وهذا ليس بتطور حقيقي ، بل تطور هو أريدته شئت فتشافي الكم والكيف لا استرجاع ، فأنه ، فان هذا يعمد مفقود في محله الأصلي ، ومعنى هذا كله أن هذه المادة على ما كانت عليه من قبل ، لا أنها رادت عما كانت عليه قبل ذلك ، ومعنى هذا لا يسمى تطورا ولا بهم أحدمته مع التطور الحقيقي ، إنما شجرة لها شدة أو أضعف من أعضائها ثم عود على ما كان عود هو عدم حدث لا شدة أو أضعف تطوراتها على ما كانت من قبل ، فأنه لو كان الأمر كذلك ، لكانت شجرة راحة مسمرة بهذا الفعل وهو خلاف المذهب ، ولأن الأصل على مستوى الشكل الطبيعي ، وسبب هذا في الأرض وفي شجر وفي الحيوان أيضا أن الله تعالى خلق هذا المزد على شكل معين مناسب فخلق الله الإنسان والمار ، فأن حدث به فخص ذلك من شدة من العصر الأصلي فأنه يعود إلى هيئته الأصلية وأي مستواه طبيعي كان عصر نمو في بها حدث تكوينه فأنه حية ،

(١) أي لا من حيث شدة كغيرها بل يكفى بعضها بالرياح ، وبعضها بالسيول ، أو من غير ذلك من تلك المواد التي ذوت بها ، ولماذا لا تتطور الأرض من شدة فست لا شجر أو تذهب من حالتها بدون تبدل أو تنوير

أما اد صفت فانه يصعب استعداده لتكميل ما نقص به بمقدار ضعف العنصر
الأصلي ، وهذا يتفاوت كثيرا في الاوضاع ، فان النحلة اذا شددت جريدها
الخصام الكاملة في بلوع لم يعد كالمصوي الاساس ، لكن النحلة تستعصم
عن ما شدد منها بخروج جريده أخرى بدلا عنها سواء شددت أو لم تشدد
لان النحلة تنمو من جهة وتتحول من جهة أخرى ، بخلاف الاساس فانه اذا
قطع منه عصب أصلي فانه لا يعود على حاله وانما يعود ما كان قابلا للعودة ،
كما اذا رخص وبعث ثم عرق في أو خرج حرجا لا ينفص شيئا من عنصريه
الأساسي لن يلا يسترد ، فانه لا يصح دبلها حتى تستور ، بل لو ادعى مدع
أمكس أن يث يد على التحول لكأن دعواه أقرب إلى الصحة من قول
هذا ، وذلك أنه اذا وقع في شجرة على الشد في الاتصال أو لأوراقها
بضعف وزنها سيف ، ثم داركت فلا بد أن تتحول إلى النقص شيئا فشت
ثم إلى السيف ، فانه يشبه الحول في ثلاث حالات : حالة الأولى الضعف
البدني ثم يأتى في النمو الجسمي وما بعده ، حتى ينص لمستوى وهي العناء
التي منتهى إليها في حدود وجوده الطبيعي ، ثم يرجع إلى معدته متحولا لا صد
حاله الأولى إلى أن يكمل يصل إلى حيائه الأولى في الضعف حتى يبعده
وهكذا ، فاذا احتج تطور نحو شجرة أو حيوان من هذه الساحة أمكن
لمعارضه أن يحتج عليه بالعكس في التحول ، قال تعالى (الله الذي خلقكم من
ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعف وشبهه ،
يخلق ما يشاء وهو العليم الخبير) فمع النباتات والحيوانات على هذا المقياس ،
لان إيجادها على هذه الصورة ثم إحاطتها بها من أشد مظهر "قدره" والعمر
والحكمة والدلالة على البعث ونشور ، كما أن شئ أيضا رهاق وأصح على
ضعفها وعجزها وعدم قيامها بنفسها ، وأن وجودها ونموها ونفسها راجع إلى
أمور غيبية ، فان المعاصر والقوانين الأصلية لكايه هي ثلثة ، فلو كانت
هي الموحدة لها بالذات والطبع لدامت بدوامها ، فان العلة الكاملة يجب وجود

معلولها ودوامه بدوامها . هذا مع اختلاف أجسامها وأنواعها وألوانها وأعمارها وما فيها من مدح الصنعة والحكمة وحسن الانقال . فتبارك الله أحسن الخالقين

ثم قال : إن كل شيء أمامنا يقوم بهذه العمسة قيا ما ندبعا مطر . ولولاها لما حصل شيء جديد ولا صورة جديدة فكل ما يحدث ما يحدد انصور و المظهر والألوان . وما يعيد ما فقد ، ما هو إلا تطور وقيام بعملية .

فيقال : هذا متنوع يعرف منعه مما تقدم ، فإن الصور المتجددة عوض عن صور متحولة داهية . فهي صور تصور وجود أمهاتها السابقة فهي مشها ، فالتطور والتحول متعاقبان . في الصور والمظاهر . كتحول الأيام وأبالي مع أنها ليس فيها تطور والحكمة تحدد آتاء الله على كل متجدد ونكرها على كل متعاقب . والعبارة بها والتفكير فيها والاستدلال بها على قدرته ومشئته وإرادته وعلمه وحكمته ورحمته . فهي صور تخرج تصور عن صور معدمة متحولة ، وهذا ليس بتطور حقيقي . فالتطور هو الزيادة العامة في الأصول والفروع والكميات والأفراد ، وهذا لدى ادعية ليس من هذا من هو في الأفراد خاصة مع كونه باطلا ومع كونه خارجا عن محن التراجع ، فإن محن التراجع هو في تطور الأخلاق والعلوم الدينية ، وأما العلوم الصاعبة فتطورها شيء عن التجارب والضعف والحاجة والضرورة ، فإن الضعف والحاجة والضرورة سبل إلى شدة الخوف والرحام وذلك يبعث على التفكير والتماس النجاة . وذلك يبعث على العمل والرياسة فيه وكثرة التجارب وتقليب الأفكار . مع أن كل حين لا بد أن يكون له فكر متجدد على حسب ضعفه وحاجته ومصاد حلقه . فلا بد أن يكون له زيادة عمل فيما يناسب حلقه ^(١) ولهذا كانت الأخلاق الصحيحة لا

(١) لأن كل فرد له قدرة على غيره في "تطور والتفكير إما قوة أو ضعفا ، فيستعمل من المجموع أفكار متنوعة يؤخذ منها ما يحتاج إليه بحكم الضرورة المتزايدة فيبقى مع -

تتجدد وأما يتجدد صدها . فأكروب مكروهة عند أكثر البشر ومع ذلك
ترداد . وريادتها دليل على فساد الأخلاق . وكذلك الظلم والارهاق على أن
تطور الصناعات ليس حيراكله . بل ربما يكون أكثره شرا . ثم هو تطور حرق
قليل بالنسبة الى غيره . وهذا الأرجح نفسه قد ادعى فيما مر أنه من لم يصحبه
أرق الخلق عاد هو طائفة كما تقدم . وأنواع السب لم تنكروا تطور
الصناعات **ك** سبق بال هنا . ثم دام معترفان تطورهما ليس تطور في
الأخلاق مطلقا فلا حاجة الى تطويل الاستدلال على ذلك . لأن اعتراف
الخصم بغيره عن إقامة الدليل عليه

ثم قال إن دور الحية في البراري أو ركز نعش فيه . ثم خروج ذلك
الحية أو ذلك النعش وارتداده في انحصار . ثم تقسمه الى أعصن وأورق
وسيقان وأرهار ونحو ما هو لإلوان لتطور .

فيقال : هذا مردود أيضا . مع أنه في الأفراد خاصة . وهو يدعى
البطلان . فإن كل فرد من هذه يتحول حتى يقدم من خروج الحية أو النعش
على هذه الحالة ما هو لإظهار صورة محدثة عن صورته محولة أو داهية .
أو ما هو في حكمه . أدلولا ذلك لا تقطع النوع . ولكن الله سبحانه أراد
بقائه . فهو حل محل الحية وأنواع داه لايجاد لنوع وإبقائه بحيث كسا
ذهب نوع بقاءه أو غيرها استعصى بدله وكان الحب أو نعش يقوم مقام أنه
الحكم كثيره منها ينسرقه وعمره واستعصى ولأنه ألدع في مظهر القدرة كما به
على ذلك في قرآن العزيز . ولهذا كالت حة نضج مثلا نخرج مثل أمها لا

زيادة الحاجات وزيادة الأفكار . وهذا هو سبب تطور الصناعات بخلاف الحق فهو
بعكسه لأن الترف الحبص من تطور الصناعات يدفع الى حب الشهوات والفساد .
وهذا الحب يدفع الى فساد الأخلاق فالحلال الأخلاق وفسادها نتيجة الترف والتلف
نتيجة حصول شهوات النفس وعطائها بسبب الصناعات المعقصة لذلك

أكثر منها ولا أصغر . والوجه أو غيرها كذلك ، وكون احبه تأتي بحيات
متعدده لأشياء : أولا أن أمه الأصلية كذلك وهي إنما تعطي صورها وتؤدي
رسالتها الصادقة . وثانيا أن احبب الرتبة كالوفاء عن فناء النوع . فانه لو
كانت احبه لا تخرج إلا حبة واحدة لا تقطع النوع ، لأن الآلات والعوارض
كثيرة في الأنواع ولا سيما في من احبب المذكورة ، وهذا يوجب لا يقطع
ذلك من احبب الرتبة . فانه لا يقف على فناء الأصل ، فانه لو كانت الحبة لا تنبت
إلا حبة واحدة مع كونه في حاجة الى عمل كبير . لم تزرع وتنتبت لعدم
الفائدة . والله سبحانه وحده عليم . ووجه ، فالزراع إنما يزرع ليكتسب فائدة
منه . يمكن الرتبة في منتهى العلم واليقين على إيجاد النوع ، وهذا مطرد في
الحيات . فكل حيوان احبب أيضا كالسحابة والحرارة أيضا فانه لما كان
حيوانا مستغنيا عما يتبعه . فكل حيوان على اختلاف أحاسيسه وأواعها
كثير منه . يعني بوجه ، وكذلك الشجر الذي لا ثمر له ويضع به فان خشبه
يضم مقدم ثمره ، وما شجر الماذية فبقية منتهى وقت مؤنه إلا إذا كان نفيسا
مرغوبا . فلابد أن يكون الحصول عليه شاه أو يكون قليلا غالبا كما لا يخفى
على من تسع ذلك

ثم قد ثبت أن كل شيء في الحياة يتحسن اذا لم يوجد ما يفوقه ،
وأن صحة كل شيء ذاته على ما عليه التحسن المستمر الدائم ، وثبت أن
الأحياء الثلاثة : كائنات ذلك المعنى في عملية متواصلة في سبيل التحسن
والنجاح .

وعلى ما صرح به الشوب ، ونحو أنه نفسه قد سمع في كلامه المتقدم .
فكل هذه دعوى لا مندوحة ولا نفس . على أن قوله . إذا لم يجد ما يفوقه .
كأن في وساد دعواه . وما يقول وحده . يعرفه عن التطور الكلي وهو النقص
الطبيعي ، فإن المخلوق نقص ، تطوع . فثبت أن كل شيء في الحياة يتحسن اذا

أكثر من عمر نوح أى فوق ألف سنة تقريبا . فهدد الجماعة الإسلامية التي
 بلغت هذا الملغ عثرت عن أن الله واحدا ينعمها بقضا صحتها ، فقد أقر
 طول عمر نوح وبلوغه هذا الملغ وإلا لم يكن لصرب المثل بعمره فائدة ،
 وهو يريد أنه هو المولود الوحيد في هذه الجماعة ، طلب أن يكون هو المقدم
 في الأمر إلى غير ذلك من أسلافه في ادعائه لنفسه ، وأما يحصل هذا الادعاء لمن
 به نوح من هذه المربة ، وقد ترك جمع ما مدح به شيخ الإسلام ابن تيمية في
 الصراع وجمعه لأمم الوحيد بعد تقرون المتعصب الخ ما مدحه به . وقد قال
 تعالى : ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فذكر فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما
 فأوحى لهم لطوفان وهم ظالمون . وهذا صريح في أن نوح مع من العمر ما يفيض
 عن ألف سنة . كان معروفاً فكيف يدعى أن هؤلاء المباحرين في
 أمروا الثلاثة أقوى أحسابا ، ثم هذا صريح أيضا في نقص دعواه في
 أطوار في القوة له ، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أن طول آدم ستون
 ذراعا في السماء . والآثار الصحيحة في هذا أكثر من أن تحصر . ومن تأمل
 أواميل الأولاد في آثارهم لبقية وأفعالهم ومكرهم علم أنهم أدهم من
 المتأخرين في هذه الأزمنة ، وقد كان لوط عسه السلام لقومه ﷺ أن أتوا
 الماحضة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . وهذا يدل على أن فساد الأخلاق
 في الزمان الأول أفس ، من اللواط أعظم فساد حتى كما قال الخليفة الوليد بن
 عبد الملك ، لولا أن الله ذكر المواضع في كتابه ما طغت أن احدا يفعلها ، أى
 لعمري لفظه منه . ثم من هذا تقول النبي ﷺ فانه يحذر دعوى مصادمة للشرع
 والحسن والبرح المواثر ، فيكون في رده ملغ . فمن أين له أن المتأخرين
 أكثر عقولا ومعارف وأفكارا من الأولاد وأبهر أحسن صورا وأنداما منهم ،
 ومعلوم أن مثل هذه المدعوى العارية من الحجة لا يعجز كل مدع أن يدعى
 مثلها

ثم قال : وليس تطور الحصة إلا تعبيرا عن تطور الاساية ، وهو أن
الاسان لا يتطور في وجوده عامداً أمكن أن تتطور حصارته ، وليس ثمة
شيء يرجع إلى الوراء ويصدم القمقري . بل كل ما فيها لا يعرف إلا طريقا
واحدة تؤدي به إلى الأمام وإلى الأمام دائما .

فيقال : هذا ليس بصحيح ، بما هو تعبيرا عن تطور الصاعقة فقط ، وهذا
تأخلاف فيه ، ولا يلزم منه تطور حسن الصور ولا الأفكار ولا العقول
ولا الأجسام لما تقدم ، وما نحن براء من أن نشأوا في الحصة وهم بها أصول
عرصة وانسوا في صورهم من ولا احكامهم بأحسن من غيرهم من نشأوا في
الاساية لاسادته ، بل يوجد كثير من احكام الشرع والصور القديمة في كثير من
الوادى ما لا يوجد مثله في آسان من المسلمين .

وكذلك يقال في الاجسام والآثار وصحة التصور كالشعر وغيره ،
تخلاف الصناعات لأن أكثرها أمور اكساسة التعليم . ولهذا اذا علم أن هؤلاء
الذين ليس لهم أصل عريق في حصارته لم يكادوا يقصرون عن غيرهم في لطفة
ولذاتهم ومول العبيد ، فعم أنه لا يبرهن من تطور حصارة وجود التطور في
كل شيء ، بل ذلك راجع إلى الأمور الصناعية وما يتعلق بها ، هذا مع أن
كلامك الماضي ينقص هذا نقضا ينافي كما تقدم . ثم أي علاقة في هذا بأب
التأخرين أصبح آراء من الأولين في كل شيء ، ومعلوم أن أكثر أصول هذه
الحصارة مأخوذة عن الأولين فهي موروثه عنهم ، وما غير فيها الا حروا
حسنا وقبحا أيضا ، وقد بينا فيما مضى أن الإلحاد رجع إلى الوراثة بلا شك
وهو في المتأخرين في هذه المصوور أكثر ، كما أن فساد الاخلاق فيهم أعظم .

ثم قال : وكما دل على هذا نعم فقد دلت عليه أيضا نصوص الدين ، فقد
جاء بأن هذا الوجود كله كان دحيا كما قال في الآية السابقة : ثم استوى إلى
اسماء وهي دحان ومن هذا الدحان أو العدر أو السديم خلقت الشمس

والسيارات والارض وكل شيء فيها .

فيقال لئلك الذي أحمر بأنه استوى الى السماء وهي دحل وأنه حق
 السموات والارض هو الذي أحمر ، بأن يوحى ملك في قومه ألف سنة بلا
 حيين ، وأحمر ، يسوله أن طول آدم ستون ذراعا في السماء وأخيرنا
 بأنه لا يرى من الايام هذه شرمه ، الى غسبر بنت من النصوص
 التي صح في ادلائه على أن الناس تأخر في حبه لا تقدم ، فاعلم بقول
 الصحيح دل على أن الامم تأخر وعصم في أمارة ثباتها وكثير النصوص
 التي لا بعد ولا عصي من هو الذي يقع في العمر ما بلغ نوح أو قريبا
 منه ، وهذا كاف في بطلان ما يدعى من النصوص التي كانت على حق
 سمو شوا الأرض على بعض الناس ، وذلك كما ثبت على أن الناس لا يرون
 أكثر وأقوى أحمر ، وظنونهم ، ثم قومه بمصالح ، ثم استوى في سماء
 ، هر رحا ، لأنه من جهة في أنه حو الأرض قبل السمو ، وأما
 حكمت الله تعالى جعلت الأرض بحسب قوه بعد سماء فكل من سماء ، فكل من
 سماء ، وهو من الشمس ، وأما من الذي على أن السمو حو الأرض
 الأرض رحا ، وأما عكس مدبرة فكل من هذا سماء أو حو أو
 السمو حو الشمس ، السرات والأرض كل شيء هو وهذا هو السمو
 من جهة حو ، وهو أحمر حو الأرض في بومه وقد قوه ، ثم
 ثم من ثم ، ثم بعد ذلك أنه استوى في السماء وهي دحل ، وكل من
 يرى أن السمو على الأرض ، ثم بعد ذلك ، وكل من حو حو حو
 حو ، والكل هو شرم مدقق برهان بحسب من اندر وكهر واليمان
 وحق كما هو ثابت في هذه الامم ، وكل ما هو ثابت في بطلان ما يدعى
 لأصناف من

يوم يدين إنا ما حشيت ديس وإن بقيت معصيا فعداني

ثم قال : وجاء في النصوص أن الوجود كله في غير وتغير مستمر في طريق الكمال ، في لكسب الصكرية يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) وهذا يوم القيامة .

فيقال : قد ذكرت فيما مضى أن هذا العالم محكوم بسن لا تقل لتغير ولا التبدل ولا الزيادة ولا النقصان ، ثم هذا غيب وأمره أسكره ، وليس الزمان في التغير والسكن مضيق ، من الرجوع وشبهه تغير وتغير أعيد فهم لم تقبله ، إنما الزمان في وجود التطور في الحيز المتغيرة وأن ما حيز من السبب لصاح ، وفرا ، إلى تطور عالم به يوم القيامة لا بعد شيء ، وهو مع كونه حاداً لا يخفى على من هو خارج عن محل الزمان ، فإن كانت في انطور المستوى والزمان فيه ، ولم يكن أحد من أسبغ السبب في وجوده يوم انقضاء فلا حاجة في هذه المسألة واحدة .

ثم قال : وفي سكر ، لا زلزال حيز به ، قد حذرتكم من ذلك ، وليس من تلزم على أن حيز به به نفس شراح في نفس ذاتها ، وإنما لا بد أن ينطق ما حيز به وأن حيزه من أحسن لوجوده ومعنى .

فيقال : هذا تناقض ظاهر ، كيف تدعى أنك ، د أصغر من أن تدعى أنك تحمله على أحسن وجوده ومعنى ، وهذا أن حيزه على هذه الوجود صد إطلاقه ، مع أنك حيزه على أوج لوجوده ، كما هو وأنت لمعنى وأحسها . ثم إن ما قصت أنه من وجه آخر حيزه ، أنك لا بد ما قاله بعض الشيوخ في نفس ذاتها ، من أنه من بعض تشبه الخشب . عن هو مشكوك فيه ، مع جميع شبهه الخشب والمعدن ، ولعل مرادك أن لا يمكن أن تلزم أن أو ان شيوخ من دونه ما فيه بعض شيوخ للملاحظة ، أو لعمل ليس أنك أنت المعنى في كل أمر ، ومن هو كذلك فيس من لازم أن يلزم ما قاله بعض الشيوخ أو كلها كما تدعته في الموضع الآخر ، لأن ذلك

يدعى التقديم^(١) والذي يوافقه هو حمله على مقتضى ما يوافق هواك وإرادتك
وتدعى أنه أحسن الوحوه والمعاني لكونه صدر من الشمس اتقى غير مرجها
والدر الذي في لجج البحر ، فيجب أن يكون إذن على أحسن الوحوه والمعاني
طبعا

فصل

ولما كان هذا المعروف يعلم أن كل فرد من أفراد هذا العالم له بداية وعاية
ونهاية ، وأن ثبوت التحول فيه بعد عطور بدبهي لا يمكن جرده أفضل في
المراوغة واللجاجة في انحصار من ذلك وجهات ، فقال .

وأما الشحوحه والموت . . . قد يحسان من الرجوع الى الوراء فهما
مطهران من المظاهر المؤدنة ناقصاء دور من الأدور التي تقوم الماده ولعالم
كله دائما مشتبها . لأحد سميل دور آخر من أدور الرواية المعالمية الإلهية
المستمرة . فان اعلم كما يشه رواية ذات فصول باسم عددها صحفة الرواية
وصحفة تعرض . لكل فصل من فصولها مظهر ومواقف مختلفة كثيرة . لكل
مظهر وموقف معنى ومعنى يؤدبه . وكل فصول الرواية ومواقفها ومشاهدتها
مقصودة لأنها متممة للأعراف العامة التي ربي إليها ، وليس في فصل من
فصولها ولا في مشهد من مشاهدتها ما يصح أن يعد دليلا على الخروج عن
السبيل المرسومة وعن العاية المنشودة .

فان لا يحق على عاقل صعب هذا القول بل بطلانه ، فانه معنطة محصة
وعذر مرد لا يخرج عن ما وقع فيه من أحسن نقاصة ، فان كل عاقل صحيح

(١) يقدم لك ان ايراده للأيات الفارقة حيايا كما هنا انه اعبر القرآن تاريخا
لارسالة من الله ، فهو ياخذ منه - ليستدل به على ما يريد ان يذهب اليه - وجها محالها
ولا يتوقع عند نصوصه وكلمه اذ كان سياق بحثه يقتضى ذلك ، وهذا عايد الايمان في
الحث (ح .)

الدهن يعرف أن دبول الشجرة وأخذها في النقص حتى نفى ، وصعب
 اخبروا شيت فشبنا حتى يذهبى الى لقاء والى الحالة التى ابتدأ بها برهان قاطع
 لا يفل المعارضة ، فلا أوضح من هذا على وجود التحول والضعف الذى هو
 صد استطور ، وقد يب أن الصور الموهمة هى خلق من سلسلة الموجودات التى
 احتمت فى علم الغيب . وأن لتصور لأول ما هو إلا زور مظاهر مسوقة
 بأنواع مثلها . لا يريد الأخير عن الأول شيت فى عمله أبد ، وقد جعلت هذه
 الصور تى تباديل وتعدوآيت وعبراً ومنايع تدفع بها مادة ومعنى ، كما قال
 تعالى : هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً وهو تعالى من ما درأ لكم فى
 الأرض مختلف أوانه ، إن فى ذلك لآية لقوم يدركون . فى هذا دلالات
 وعلامات متعقبة تدعى لتعاقب الأفراد المنتعشة بها ، فأى حجة فى هذا على
 التطور . وقد أصل العادى الحصص من هذه الحجة ، وحسبك دسلا على
 فساد دعواه أنه هو نفسه قد أنكر ذلك بكرا . كما تقدم كلامه ، فكيف
 بغيره . فلو اقتصرنا على تخفقه بأعلانه ونقص ادعائه ، فوائه لكان ذلك رأياً
 حميداً ومسلماً سديداً ، فانه قطع له به بسابه ، وهذه عادة الله فى كل من حرج
 عن دينه واسع هواء

فصل

إذا عرفت ما تقدم ، وعلمت أن هذا هو حل نكته مما تكلم به فى مسألة
 وجود هذا العلم واحتج بما لم يحط به عما مستندا على بعض أقوال قوم قد
 صورا من قبل وأصوا كثير أو صورا عن سواء الدين ، فاحد ما ذكره مع
 عنه باختلافه فى ذلك اختلافا متاعداً ، ومصح عنه أنه مصادم للنصوص
 الدينية مصادمة واضحة لا تقبل الشك . ومع عنه أنه ليس من أهل هذه
 العلوم ولا دراه له بها . ومع هذا كله استسلم لما فانه بعضهم استسلاماً كاملاً
 وقسمهم بقيداً أعنى لا أدنى قيد أو شرط . فانظر الى كلامه هذا فى علماء الملة

لقد بقي ، وأن كل ما لم يستطع عمله الأولون وكل ما لم يعملوه ويرصوه من الأعمال والعلوم والأخلاق فهو شر وحيل وفساد ، وأنه إذا كان حيرا وعجوا عنه فلا بد أن يعجز عنه الأواحر .

وب هذا الموضع هو من تلك المواضع التي حصل فيها وتخطت الشيطان من المس . وكل هذا هو الذي فيه منه مقهور . وأنه معذور ، وما صر السحاب نبع الكلاب . وهذا ونحوه يعلم أنه هـ هـ على حـ وبعضا ومقتضى الاسلام وأنه من قدمه أن يعرف نفسه . ولو أن هذا المقول لم يمتنع لولا أن ليس ذكر أنه مقدم . لسبق على حيف ونصرع عليهم ويخضع لهم حصوعا لا غير له . ومن معهم كما حصل لكاتب مع صاحبه فكان له شيء من المصدر ، أما وإحالة هذه ثم يريد أن يفر عنهم ويكني لهم لسبب كلالا قصصا فقه وسقوط لأحد لمس .

تحتوي يد في الأولى سمعة . يكفيه ما قد تلاقى منه إصع
من هذا الزيد في ما سبق من هذا الإيعام : من أين وجدت أن أئمة المسلمين ليس قدروا إلى عظمة الله في هذا القول الذي ادعيت ، وفي أي كتاب أو عقيدة معبرة وحده . وعن أي عدم محتمة . أحده الرعب وبعض من طهره ولم يقدر أن يتحارب في فهمه من منه ، بل إلى سباق والريادة والتأويل المضاد لنص كلامه كمعادته في المكافاة . وتوافق الذي لا حد له

ليس شعري ، من هو الذي من أئمة المسلمين أن سعادته الأساس وصريق تقدمه وراءه لا أممه ، وأن عليه أن تنفذ حجة أسا وأن لا يمد نصره بين يديه بداح . فأيك الله ما أرخص الكذب عندك وأسهله عليك وأحفه على لساني . وقصده من هذا الإيعاز أن المسلمين يقولون كما قال الإمام مالك : لا يتصح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، وأهم متفقون على أن حير هذه الأمة هم الصحابة وأهل القرون لمقصده ، وأنه يجب استماعهم في الأخلاق الدينية . هذا هو مقصوده ، ولا فهو يعلم أنهم لم يقولوا به يجب على

الإنسان أن ينكص إلى الوراء ولا يمد نصره بين يديه أبداً ، فإن هذا الادعاء بهت وجور لا يحق على عاقل ، ولكنه لما كان فيه شه قوي من اليهود بدل قولاً غير الذي قيل له بدل قول المسكين ، لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، يدعوهم أنهم يدعون أن تقدمه ورائه لا أمامه . وأن عليه أن يلتصق خلفه أبداً ، وأن لا يمد نصره بين يديه . فاطر كيف شاهد اليهود هذه المشابهة التي قل أن توجد في غيره ، لأنه لما شاهدتهم في الاعتقاد والاخلاق شابههم في البهت والتعريف وإبدال القول بقول غير الذي قيل له

يا صاحب الاعلال . عنت بذلك كما عنت أيدي إخوانك وديك ، في أي كتاب وجدت هذه الأقوال التي ادعيتها على هذه الصفة وعلى هذا المقص . وعن أي علم سمعت ذلك ، وكيف تهجم على أمه عظيمة إسلامية منشرة في مشارق الأرض ومعاربها فتسببها هذه الأمور التي لو سألت عنها ممسما واحداً عرف دية لاسكرها . فكيف عن فلدوا الرعامة الدينية كما تدعى ، من فكيف سائر أهل الدس على اختلاف مذاهبهم كما صرحت بذلك فيما يأتي والله لقد عاد الإسلام غريباً ، ولا تحب إذا قامت هذه الحثالة اليهودية تتحدى المسلمين أو العرب وتطمع في بعض أوطانهم إذ كان مثل هذا يشتم أئمة هذه الأمة وهو في وسطها بكل ما حضر على به غير مثال مما أتى وما يدر . وهل هذا إلا من إدار الدين وضعف احترامه في نفوس الأكثرين ، فانا لله وإنا إليه راجعون

ثم قال ، وقد حاولوا - وسلافة تحذوهم - أن يعرروا هذه الدعاوى بروايات وأخبار نسوها إلى الرسول عليه السلام وإلى أصحابه وإلى الأئمة المقربين ، وحدوا في نشر هذه الأخبار والروايات والآراء وفي تزويجها حتى أمكنهم أن يصيروا لهم من هذه الخرافات ثقافة عامة يلتقي عليها ويضوي إليها أربعة ملايين من الأحدث من مختلفه المنسوبة الأحدة أعظم دين جاء

لإيجاد إسمية مهذبة عاملة على الترقى المستمر^(١) وقد استسلم هذه الثقافة أو هذه الخرافة كل الطوائف، فالأدباء والشعراء والمؤرخون آمنوا بها ونشروها وشيروها في شعرهم وأدبهم وتاريخهم، كما آمن بها الفقهاء والمفسرون والمحدثون والمتصوفون بل والفلاسفة وكل من تعاطى الكلام في الدين أو في الأخلاق أو في الوعظ. وقد غبروا وما قد يريد على العشرة القرون وهم جادون ماصون في تركيبتها في النفوس وفي المعتقدات، حتى قام عليها من الإجماع بين الخواص والعوام ما لم يغم على قضية أخرى، وحتى أصبح اعتقادها والتصديق بها بما يتسمى على الخلاف والجدس . . . ولو أن فائلا ما لم يدر على حاضر اسباب نشأت فيها وفي صحبها كل هذه القرون لما كان فائلا باطلا، ولو أناسنا عن أكثر عظمته مص عليها الإجماع الحقوقي أكثر مدة من زمن لذكره هذه القضية أول ما يذكره انتهى

فيقال نعم هذه القضية هي كما ذكرت وكما عشت في الإجماع عليها من جمع طوائف المسلمين على رعب أمك. وهذه شهادة سحابة على عشت في الخروح عن طريقة المسلمين، والمتدلة لهم، وأنت متبع غير سبيل المؤمنين فأنك هنا اعترفت صريحا بنشوء الإجماع الحقيقي عن جميع فرق الإسلام أريد من عشره قرون وعالمهم وادعيت بعد أن صرحوا باجماعهم أنها عاطون في هذا الإجماع المحقق، ومخالفة الإجماع المحقق كهم صريح عد جميع المسلمين ولا سيما في المسائل الأصولية، فأنك اعترفت بأن الإجماع الحقيقي من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتصوفين والفلاسفة وكل من تعاطى الكلام في الدين قائم بالأيمن هذه الثقافة. ومعلوم قطعا أن هؤلاء لم يتفقوا، لا على تقديم الصحابة والقرون الفصيلة في الأخلاق الدينية، وأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء في

(١) احتاج في هذا المصنف الشائكة إلى الخداع، فهو هكذا يرتفع ثم يرى معصه

لث . وأهم هم الدين على الهدى والرشد والخير . وأما الزافضة فأنت قد
أحرجتهم من الله في كسك السابقة فأنت لا تمتد بهم ، ومع هذا فقد راحتهم
في هذه البرية ، من ردت عليهم هم نذرت أحدا دون أحد ، فهذه الوثيقة التي
حكمت بها على نفسك شاهدة عندك بأنك مخالف للأمة كلها . مارق من سيدهما
في هذا بل وعمره . فلا بد من أن يصح ما وحيك وأن تعق في الأغلال التي
في عنقك كالجريرة التي تعق في عنق السم ولو لم يكن في كتابك هذا من الشهادة
على بطلانه وفساده ومضاهيه للإسلام وأهله إلا هذا الاعتراف لكلي . فان
صرحت تصرحا واضحاً بأنك مخالف لسائر هذه عروق الإسلام أريد من
عشره فدون في هذه القصيدة ومن المعلوم أنها من أكبر أصول الدين فها إذا
لم يثبت وحصل الظن في أوامير طلائع الدين من أصله ، فاهم هم لدين دونوا
القرآن ونقلوا لنا الأحاديث الصحيحة كما أنهم هم الذين أخذت عنهم جميع
العبادات من صلاة و لمعة ونصيبه وأصح ومقاصيد دين ، فاما طرق الظن
وهم لم يصح لأحد أن يحتج بشيء من الدين ، لأنه كله أصوله و فروعه مأخوذ
عنهم ، ونحن هم أنك بما صنعت فبهم هذا الظن تدعى إلى الوصول إلى هذه
العبادة ولكن احسأ . عدوا لله أما علمت أن الله يقول في كتابه العزيز
يا أيها الذين آمنوا آمنوا برسوله كآبوت الذين من قبلهم) . وقال
يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله أو لم يعلم الآيات فلا بد إن شاء
الله من بطلان عيبك هذه السوء الأسمى وبت ثم وبت . أما وحيك لدعائك
الحدثية غير هذه الردة المنصوحة كيف تحكم على أريد من عشره قرون في هذه
الأمة المحمدية فمن كل هؤلاء عدك صواب وأنت وحدك اهديت . فاعمد
الله الذي أخذك وجعلك من الذين يعربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ،
فاهم هم بحوائك تشابهت قواكم ، ثم مع هذا تقول بدون حجة ولا حياء
. ولو أنا سئد عن أكبر عطفه من عبها الإجماع الحقيقى أكرم مدة من
الزمان لذكر ما هذه القصيدة في أول ما ذكره . فهذا اعتراف في غاية الصراحة

بأنه قد قام على هذه القضية الإجماع الحقيقي ، وتصريح منك بأن هذا الإجماع غلط وأنت مخالف له وأن الصواب معك وحده بمجرد دعواك ، مع أنك لم تذكر دليلهم ولم تمنح على دعايتك ، بل علقهم بمجرد لدعوى وصوت نفسك بمجرد ما أيقظ . ومع أنك معترف قبل ذلك بصواب ما رأوه ومقيم البراهين عليه ومدع بأنه أمر لا شك في صدقه ، ومع أنك معترف أيضا بأن ما ادعيت أنه أمر مشكل لم يوجد له حل إلى اليوم . ومع أنك معترف أيضا في آخر كتابك بأنك قد تكون أخطأ ، ومع أنك معترف أيضا بأن هذه الأفعال حقائق آية آية نزل بها أمه تنهى . ونأخذ بها أمة فتنهض ، ولن يستغنى عنها مسلم ويترك . من لفت هذه الخائب وتحرى لتسلسله . قطع الله لسانك ما أوردت وأقرب كلامك وأور من ينقله ومن روح عبه

من من تسول أهواا عبه ما لخرجت إسلام

أى رحل له مسكة من عقل أو دين أو حياء يتجاسر أن يسجل على نفسه هذا الضلال فيرضى على نفسه أن يعطى هذه الأمة كلها أزيد من عشرة قرون ، ويدعى أن هداياها ونعمها ومصايبها صالون عطلون مذحرفون ، ثم بصوب رأيه ، إلا من هو قد حلق حناب الحياء وبعث والدين وكان من العاقلين

والذى دفعه إلى هذا الهراء والاستهتار وما عاد أنه لما علم أن دعاياه هزلالة الأئمة على اختلاف مذاهبهم من أولهم إلى آخرهم معاكسة لدعايته مصادرة بقواعد أعلامه من كل وجه بعد طريقا لإزالة ذلك إلا بأن معهم وعظمتهم وادعى أن الصواب معه وليس راد في رأيه وكنته ، ولكن خاتمة قريحته وأقر بأنهم يجمعون إجماعا حقيقيا على خلافه ، وكما أنه قد شانه اليهود في كل خباياهم فهو كذلك يريد أن يصيب إلى هذه المشابهة مشابهة علاه ارفاق في تصديق السلف ، بل فاقهم في هذا حيث لم يستثن أحدا دون أحمد في التمس والالتصام

من كل محل الشمس موضعه وليس يرفعه شيء ولا يضع

فصل

قال : من هذه الروايات الرواية التي أوردناها في مطلع البحث وهي : لا يأتي رمان إلا راسي بعده شرمه ، وهذه الرواية مخالفة برواية الأخرى الصحيحة القائلة : لا نسوا الدهر فان الله هو الدهر ، لأن نسبة الشر إلى رمان صريح له ، والرمان يقا لا يفعل حرا ولا شرا ، ولكن أهله هم الذين يفعلون فأنى ينسب إليه الشر .

يقال أولا . طعنك في هذا الحديث بالشبه والتحكيم مصروب به وحبك هاه قد ثبت في صحيح البخاري وغيره من الكتب المعتمدة ، وأنت نفسك قد ادعيت أنه صحيح وأصححت به في أعدائك من شيوخ الأهر . فقلت في صحيفة ٢٤ من بدتك (شيوخ الأهر) ما نصه : وفي الحديث الصحيح أنه ^{صلى الله عليه وسلم} قال : لا يأتي عليكم من إلا والذي بعده شرمه ، هكذا نقله مصححا له محتجا به على عباء الأهر ، فكيف تصححه وتدعي أنه صحيح ومحج به ثم تنقلب طهر النطن وتظلم به . أنريد أن نحكم في شرمه الله وتلاعب بها تارة تحتج بها وتارة تظلم فيها وتريد أن انفس من يقدموك في كل أمر ^(١) فالحديث في غاية الصحة ولم يارح أحد من المسلمين في صحة هذا الحديث بل قبلوه وقلوه وشرحوه واحجوا به ولم يشكل على أحد منهم . وكلام عامة الشراح والمحققين عليه مشهور في الكتب ، وقد رواه الإمام أحمد في مسنده

(١) من طرائف المحررة المصححة دعواه أن مقتضى هذا الحديث يكده الدين والحس والمقل والارح وأن الأريان كلما لا يخرج عن أن تكون بحديثها تكديسا لهذه الدعوى ، ثم مع هذا - كما ترى - قد صححه وحله واحج به على عباء الأهر وجمله به ما لا عليهم وهذه عادته فتحه الله في إلقاء الكلام بحارفة بدون حساب ولا تقدير لانه المقدم في الأمر

وابن ماجه وغيرهما من طرق كثيرة كلها صحيحة ، وقد قسسه أيضا لمقباه
والمفسرون وأهل اللغة وهموا معناه ولم يدع واحد منهم أنه يعرض حديث
ه لا تسبوا الدهر ، لأنهم لم ينفوه بقلوب من ثبت هذا المذهب الذي يحاول
قلب الدين ، وأدنى ما يسمعه لا يفهم منهم قصة حديث ه لا تسبوا الدهر ،
ولا علاقة لأحدهما بالآخر إلا بحرف دال من في كل واحد منهما ، فأى
مناسبة للنساقص ، فان هذا يتضمن أن كل أحد رمان في الجنة خير من عدم كما
في الروايات الأخرى لأنه ورد في قصته ، وهو أنهم أتوا إلى أسس يشكون
من الحجاج فقال احبروا في لا يأتى سيكرمان ولا يأتى بعده شر منه ،
وفي رواية لا يأتى عليكم رمان ولا يوم ، فقد فيه السندون منه أنه ميانى بعد
الحجاج أرمنة تكون الشرف أكثر من صعب نفس ، لأنه كان بعد بعد
من آثار الرملة أكثر الجهن وانضم فكثير أشرف لأنه شرف من عليه وأما
حديث ه لا تسبوا الدهر ، فالمقصود منه أن من أحب الدنيا كان من عاداتهم
سنة الوارل والمخط وخوّه إلى الدهر فسيبوه ، يقولون أصابهم الدهر
وأنادم الدهر ، فإذا أسندوا من هذه المصائب إلى الدهر كان حقيقة فوهم
سبانه لأنه هو الذي نصره ، لأن الدهر نفسه غير مكف ولا يدل له بهذا
نهي عن فعل مضاف للتسميم والموكل على الله ولا عهد غاه وبنوة وتخص
من الدنوب ، وحديث ه لا يأتى رمان ، خير من هذا سيكون ، فهذا خير
وداك إنشاء ، ثم إنه يوجب التسميم والتو والتضرع إلى الله ، لا التخط
والجرع الذي هو سب السب ، فقول ه لا يأتى من رمان بعده شر منه ،
يوجب التولية ويوجب التوبة والاستغفار ، وليس فيه أمر بالناس حتى يقال
أنه يحذف الحديث الثاني ، فإنه لا يحذفه إذا كان فيه أمر بأن يسب الدهر أو
الرمان ، وذاك فيه نهى عن سب الدهر أما إذا كان هذا حبرا يتضمن التسمية
والصبر والاحسان ولدعاء بأن يكشف الله الضر ، فإن المناقصة وعلماء
الامة على اختلاف مشاربهم الدين تلتقود ، سر حوه وفسرود لم يتأملوه بقلوب

كثفت هذا المحدث حتى يعجزوا عنه مثل ما فهمه ، كما أن أنس بن مالك رضى الله عنه لم يحط بذلك رغبة يحولون قلب الدين ، اذ لو كان يحاط بهم لقالوا هذا يخالف حديث انتهى عن سب الدهر ، ولو أن هذا المعرور مثل هؤلاء العرب الأحرار في صحه معكم وضرة لقلب بهم منه مثل ما فهموا ، ولكن لما كان قلبه مشاهدا لقلوب الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم من الزنادقة والملاحدة فهم كما فهموا

وقال يا هذا حارب صدوقه الواقع أظهر تصديقي ، ويكنى في تصديقه خسر وتعدى فلا شيء بين من صدقه اوم ، ما كذا أخر الزمان ، لا والله ونحن ومثل الكذابين فان كان زحر الاسلام والمسلمين سرا فقد طهر ، وان كان زحر الاسلام والمسلمين ليس شر عنه من هو بحس حرمهم ، اكفر طهر فلا حاجة ان كلام في الحديث

ورقة نك لا حاجة الى تمت وحمل في رد هذا الحديث وحده ، فلو فرض أنه صحيح أو لم يروى فانه في معناه أحاديث كثيرة في غاية الصحة والحاجة الى معناه ، وهي مؤثرة لا يمكن إنكاره والمكابر في ردده ، وهي غلال في عتق لا يحصى من التحلص منها ، ونحن نذكر مصفاً ليكون قد في عتق وردة في قلبك ، أخرج البخاري في صحيحه عن مرداس بن أبي قال قال رسول الله ﷺ : يذهب الصالحون الأول فالأول وسبق جهالة كجسده لشهر أو تمر لا يلبسهم الله به ، رواه الامام أحمد وغيره ، وهذا نص صريح في امته لا يمكن تحريفه ولا طعن فيه وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : خير أمتي قرني ثم الذين بعدهم ثم الذين بعدهم ، قال عمر ان فلا أدري أذكر بعد قرني أم من أولان ، وفي الصحيحين أيضاً عن ابن مسعود مرفوعاً : خير الناس قرني ، ثم الذين بعدهم ، ثم الذين بعدهم ، ثم يحيى أقوام نسيق شهادة أحدهم

عنه وبمنه شهادة . وفي صحيح مسلم عن عائشة مرفوعا أيضا . خير الناس قرى
الدين أنا فيهم ، ثم الدين بنوهم ، ثم الدين بنوهم ، رواه لطيفي . وعن جعدة
ابن هبيرة مرفوعا . خير الناس قرى الدين أنا فيهم ، ثم الدين بنوهم ، ثم الدين
بنوهم والآخرون أذل . رواه البخاري وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ
: « ما أيسر الإسلام عربيا وسبيعا » . كما بدأ فضول نعماء . وعن أسد قال
رسول الله ﷺ : يأتي على الناس زمان القصار فيه على دينه كالمسح على
أخر ، رواه أبو موسى وحسنه . وعن ابن عمر مرفوعا قال : لما بين عمر أمي
ما أتى على بني إسرائيل حدودا من باليمن ، حتى وكان فيهم من أومه
لسكان في أمي من يصنع ذلك . وإن بني إسرائيل افرقت على الله وسبعين
ملة وسفرت أمي على ثلاث وسبعين ملة . وفي رواية أخرى : « ما من رجل من بني
من هو يارسول الله . قال : ما أنا عليه وأخوه . وفي رواية أخرى : « ما من رجل من
حدث أبي هريرة بأسماء صحيح قال : افرقت أمي على أربعين ملة . وفي
وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين ملة . واحمد بن محمد بن زيد بن جني
الله عنه قال : « كل شيء ينقض إلا الشرفانة رافيه . رواه أحمد بن محمد بن
وعبرهما . وخصوص في ذلك كثيرة جدا . وكلها في صحة وإسراجه
فأصحه لغيره هو وأمثاله فلا حاجة في التفت في ذلك . ولا ريب عليكم
عام إلا والذي بعد شرمه . من فعله في تحريه ونقصه يوم أنه ليس له
حجه غيره . وهو حديث واحد من أحاديث لا تخص كمال محمد . وفي تصحيح
عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى لا يقبل في الاصل الله ،
وفيه أيضا . قال عليه الصلاة والسلام : ان من شرار الناس من تتركهم الساعة
وهم أحياء ، وان من سحورهم من مساحد . ولا شك أن الذي يدعي أن الخبر
يريد وانشر ينقص معاكس لمثل هذه الأحاديث والواقع مع كنه صراحة .
مع أنه لا يمكنه أن يحد أثر واحد لا صحيحا ولا ضعيفا يؤيد كلامه
وكذلك الآثار عن لصحة ولناعين في هذا المعنى أكثر من أن نخصي وقد

دوى أبو داود وغيره عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال كل عبادة لا يتبعها أصحاب محمد فلا تعبدوها ، فإن الأول لم يدع للآخر شيئا ، فاتقوا الله يامعشر اقراء وحدوا من كان قسمكم وقد تقدم الأثر الذى ذكرناه عن ابن مسعود وفيه ثبوت أصحاب محمد كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرها وبنوا ، وأعمقها علما وأصلها بكلفا أحدم الله صحة منه ^{جسيم} ولا فائده دينيه ، فاعرفوا لهم فضلهم واسمعوا عن الأثر ، وتمسكوا بما استظمت من أخلاقهم ، فإنهم كانوا على الهدى مستقيمين والأثر فى ذلك كثيرة حسن وكذلك التابعون قال لم يروى عنه فى ذلك لا بعد ولا يخص ، وقد اشتهر قول الامام مالك لا يصح آخر هذه الأمة إلا ما أصبح أولها ، وبخبره فى الأحاديث والأثر . وجمع أئمة متفقة على هذا مع تصديق ضرورى من الدين والواقع . والمحدث نفسه معترف بالاجماع محقق ، ^{لكن} يزعم أنهم عايطون ، ولا شك أن من اعتقد اعتقده فلا بد أن يبنى مائة من أعطائه ، فانه من الحق أن يجمع الناس بين تصديق الملاحدة والتمسك بآرائهم والإيمان . لسلف الصالح وتصديقهم واعتقاد الصدوق وأخبارهم ، ولهذا ادعى أن الطريقة إلى حرج الناس من هذا الاعتقاد أن يعنوا الكفر هؤلاء الأولين كإيمان ، فإن هذا اعتقاده خلق أن يدعى أن لباس عايطون أبدا من عشرة قرون . ولو لم يكن فى هذه القصة إلا الواقع مصداقها لكفى . فإن أدنى رجل مسلم يعرف أن الشرور بأواعها كلها تزيد على المسلمين ، وما اجترأت هذه الحاشية اليهودية على فلسطين وتعد الأمة الإسلامية على ذلك إلا فى هذا الزمن الذى مدحه هذا الممرور ، وما تجسر هذا المحدث على إخراج كتاب يشتم فيه الأديال لسماوية وأهلب شتمها لم يسبق له نظير ، حتى ادعى أن المتدينين على اختلاف أجناسهم وديارهم وأديانهم وأمرحتهم لم يهبوا الحياة شيئا جديدا ولم يكونوا فيها مخوقات متأنقة ، وأن الذين صنعوا الحياة وصنعوا لها

علومهم المتجذرون من الأدب المنحرفون عنها إله هديانه وبطين وبسببه
في روع الأدب . وبقلب تصور شرع الله ونظامه يجعلها دلائل لعبادة
لطيفة ونو ميسها ، وأنها هي التي تحكم هذا العالم ، مستخدم الإنسان لها ،
ولا يكفيه ذلك حتى يدعي أن الشئ من موقوف على الأحكام والاعتكاف موقوف
على تركه . إلا في هذه الأيام الأخيرة المملوءة بالشر والظلم ، وهذا
أمر ظاهر لا يجادل فيه إلا جاهل أو دونه . ومن العجب أنه ادعى أن
حديث « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه » بهم أنه أن هذا سائل
الأمر من التي قبل الرسول عليه السلام ، وهو يريد بها إفساد معنى الحديث ،
وكل عمن من المسلمين لا يفهم منه هذا أبداً . بل نفس الحديث برده ، فإن
قوله « لا يأتي عليكم زمان » فيه بين أنه لا يأتي على هؤلاء المخاطبين بهذا
الخطاب الذين هم أصحابه وأمه الإحابة ، وهو لم يقل كل زمان يأتي من قال لا
يأتي عليكم ، فهذا منه واضح حتى ، فكيف يتناول من فهم ، وقد كان الواقع
مصدقانه مطابق له غاية المطابقة ، وقد شاهد تصدقه لصحاحي أس من مالك
فأصبح به ، فانه أدرك من زمان الرسول إلى خلافة عبد الملك بن مروان ، فإن
زمان أي بكر وعمر من زمان يزيد وعبد الملك بن مروان . وقد فهم العماء كلهم
منه هذا المراد . ولذلك كان معناه عندهم واضحاً حسيماً . والمحدث يعلم ذلك ،
ولهذا احتج به لما كان محاداً له كما استغناه ، و بما أراد من بعض الأعيان
ومن طبع الله على قلوبهم واتعموا أهواءهم

ثم إنه بعد أن ضعف حديث « لا يأتي عليكم زمان » حكم على غيره من
سائر الروايات التي في معناه بالكذب مجرد بالدعوى ، لأب نحاف هوام
فقال :

« هذه الرواية وغيرها من الروايات المسوقة في أول هذا البحث وسواها
من النقول الأخرى ، المزعومة فيها أن الأساية ترد إلى الزمان ، وأن انقضاء

أبدا خير من الدين يجهنون بعدهم . وأن الشر والفساد أبدا في اردد . وأن كل شيء ينقص إلا الشر فإنه يزد . روايات من أصر على نسبتها للإسلام وللرسول فقد أصر على التنقيص والافتراء .

هكذا قال بدون حجة ، وقد كان من الواجب عليه أن يذكر هذه الروايات بغيرها وينقصها على أساس معقول كصيفه مع الرافضة في (الصراع) ولكنه يعلم أنه ليست حجة أثمه الدين كحجج الرافضة ، فنحن نكتفي بدمار عمه من التكذيب لها بأن أئمة المسلمين الذين قبلوا هذه الشريعة لم يظهروا قد قوتوها وصححوها وقلبوها ، وهو نفسه قد احتج بأكثرها لما كان محاد إليه ، وليس أنه أن يتحكم في شريعة الله فكذب ح ويصدق بها أحياء ، ويحتج بها على أعدائه ويكذب بها إذا احتج بها عليه أحد . فإن هذا العمل لا يعمه إلا ما ح من متلاعب بالشريعة الفراء قد انسلخ من الدين والعقل والحياء ، وقد سئل أن الواقع يصدقها تصدقا أو صبح من الشمس في رابعة النهار

وعما يجب أن يتعلم أنه أن أساس هذه الدعايات الخبيثة في عداوة الأخلاق الدينية السنية وشيوع هذه الأفكار ولا كادب في تهجيرها واستعوا إلى حب الأخلاق الإلحادية المشتملة على الكفر والعسوق والعصيان وسائر الدائل التي لا تعد ولا تحصى بحجة الحديد أو النحاس أو الحديد والحصار وما في والطور وأمثال ذلك . كل هذا من عن أيدي أساليب المفسرة الاجتنبه سميا وراء إقناع الشعوب المستعدة ، وبمادة الروح الحية فيها والحيلولة سب وبن ليقاط الشعور الديني والقومي المستمد من الدين ، ومن ذكرى أخلاق السلف الأولين ، لتلا بمرورا من هؤلاء المستعدين ، ومن أفعالهم احرية الخبيثة المتنافاة للرجولة . والحفاظة على الكرامة والمدعة الموحودة في الأخلاق السلفية الدينية . وهذا أمر لا يترتب فيه من له عقل وبصيرة ، فودة كما به عليه غير واحد من عقلاء المسلمين ودهانهم

فصل

ثم أحد يبحث عن سبب هذه الفكرة التي هي تقديم السبب على الحرف في القصائد ، وهو يعلم أن مستندها النصوص وحقائق الواقع ، ولكن أراد أن يعالط الأعياء فقال : كيف جاءت هذه الفكرة - فكرة اعتقاد الخبر في الأولين والخبر في الآخرين ؟ يعجب على هذا حتى الفكر السقيمة من عهد الطفولة العقلية الانسانية ولا تزال متكررة . منها مسئولية على تصرف الاطفال وعلى حياتهم ومشاعرهم واتجاههم العام ، فانه يرون أن من هم أقدم منهم سناً أكبر منهم عقولاً وأضخم اقتداراً .

فيقال : هذا الذي غلب ظنك بل وتعدت خطأ معلوم الفساد لأمور : أولاً أن هذه الفكرة مستندها النصوص الصحيحة الصريحة المطابقة للواقع والعقول السليمة

ثالثاً أن هذه النصوص مؤيدة مستفزة تخصد كما شرحناه ، فانه لا شك مسلم في أن أول هذه الأسماء حين من آخرها وأن الخبر في أولها أكثر منه في آخرها ، وأن أولئك الأولاء أكثر عقولاً وأهوى به وقوى وأحسن أخلاقاً من آخرها ، وأنهم لم يجمعوا هذه العيوب إلا لاختلاف الدينية الصحيحة ، وأما ما تذهبون في آخرها إلا من أجل بعده عن هذه الأخلاق والعلوم نفسها وعن تلك الروح القوية الحية ، وأن تقدمها وآخرها من حين نشأتها إلى هذا الوقت تابع تقدمها ودهسها أو ضعفها في هذا التقدم ، فمقدر تمسكها بعصم تقدمها وقدر تقصيرها وخرابها يكون تأخرها

ثالثاً أن ما ذكرته من نظرية الأطفال ليس تصحيح ، بل هو حجة عيبت ، فإن الأطفال إذا كبروا احتللت نظرياتهم وبصيرتهم وتفكيرهم حسي لو كانوا ناشئين في منزل واحد أو مدرسة واحدة ، ثم إنهم قلما يتركون عمليتهم البدائية ، ولو أن الأطفال ينشأون على تفيد كراتهم مطلقاً بكل كل الناس سواء ، لأنهم كلهم قد كانوا أصغلاً ، أنت قد اعرفت بأن جميع فرق المسلمين

على اختلاف مذاهم ونسبهم في نظريات متفقون ومخمون إجماعاً قطعياً على تقديم هؤلاء الأولين على الآخرين ، فكان ما ذكرته صحيحاً وأنه حجة عليك ، لأنه قد ثبت ثبوت لا يقبل الجدل بأن الأصقل يعشقون الحديد ويدفعون إليه أضعافاً مضاعفة ويمروا من "قديم" ويكرهونه وسأمون منه . فهم إذاً وحدوا صفة جديدة أو صفة عريضة جديدة ورثيتها أو شيئا من أحداث حديثاً فهو وتركوا ما قبله وإن كان أقوى وأحسن منه ، فهم يكرهون "قديم" من أحسن قديمه ويحبون الحديد من أحسن حديثه لا شيء آخر . وهذا شيء معروف في طبيعة أكثر الأصناف ، ولهذا كان أحدهم معروفون ذلك منهم بأنهم لأشياء الحديد ولو كانت صوراً جوفاء لا فائدة فيها . وهذا عند الطفل يفرح ويلهو بصورة لعبة التي لا روح فيها فهو بها أكثر ما يلهو بأحبه وفريته وعرضها عن هم دائم عنده أو معه لأنه يرى هذه "صورة" شيئاً جديداً عريضا ، وهؤلاء عند ثباته وهو يراهم وهم بهذه الخلة ، فهم قدماؤا بالنسبة إلى الصورة التي أعجب بها ، وهذا أمر معروف فيهم في تعشق كل جديد وحديث ، وكرههم كل قديم ، ولا تكاد تعد صلا يميل إلى الشيوخ وتكبول حتى والديه إلا عند الحاجة والضرورة . بخلاف الصور المستجدة فإن لم توجد مال إلى الاطفال ومن في سنه لأهم أقرب إلى الحديث من أوثق ، فهو لا يرتجح إلا معهم ولا يقبل إلا كلامهم ، فهو يحب كل حديث سحرة في أكله ولبائسه وفي شئونه كلها مما يكره فهو حجة عليه لأنه

فصل

ثم أحد على عادته في الطمس في الهواء ، ولتفريع على أوهامه وأكاذيبه التي يخرعها من كيون المسكين بقصص كل قديم مطلقاً على كل شيء متأخر ، وقد مرّ لك بطلان كلامه وأنه ادعاء كاذب وأقترء صرف ، مما ركبه عليه من التفريع وكلام لا يحل له لأنه فرع أكاذيب على أصول افترأها بمجرد الشهى والهوى وسوء القصد ، فقال :

وكانت العقيدة هي حكمت على هؤلاء كل هذه قرون قائمة على أمرين كما تقدم . أحدهما أن كل ما عر عنه الأوائس لم يستطيعه الأواخر ، وثانيها أن الأوائس قد فعلوا كل خير وبلغوا كل كمال ،

فيقال : كل هذا كذب لا صحة له . وقد بينا أن المسلمين لا يقولون هذا القول ولا يرون هذا ، أي على إطلاقه . من يقولون إن السلف الصالح من الصحة ويتابعين قد بلغوا العناية في الأخلاق الدينية فلا يجوز أن يشرع في دين الله شيء لم يقولوا به . أما الأمور الدنيوية المحضة فلا يصح فيه معنى تنعير الأرملة كالصعاب ونحوها ، ولم يقل أحد من المسلمين إن ما عر عنه الأوائس من الأمور الدنيوية لم يستطيعه الأواخر . وقد قدمنا كلام حذيفة رضي الله عنه في قوله : كل عادة لا يتبعها أصحاب محمد فلا تتبعوها . فكلامهم إنما هو في الأخلاق الدينية . فإن السلف بلغوا فيها غاية الكمال . وفي الحديث لصحيح : الحكمة صدانة المؤمن أسما وحدها أحدها . وكل حكمة فالؤمن أحق بها بنص الحديث

ثم قال : أما الأمر الأول فقد ترب عليه أن وقف التفكير في التحديد والاسكار وقوفاً تاماً وأن عدل هائب على حسب ما طنوا - عن محاولة التحرنة ومحاولة مواصلة السير ،

فيقال : هذا التفريع مبني على ما أخرجنا فيما سبق ، وهو كذب ظاهر ، بل إنما وقف التفكير من أجل البعد عن افتراء آثار السلف ، والاعتراف إلى تقليد الخلفاء المتأخرين ، ويان هذا أن مذهب السلف ليس فيه شيء من السدع أصلاً كتحرير الصفات (١) وعادة الموتى وكون الأساب ليس فيها قوى

(١) مثل لمن على العرش والكلام وسائر الصفات الخرية ، من يجرونها على طاهرها اللان بالله تعالى كما ذكره عنهم الذهبي وابن القيم وابن خزيمة وغيرهم

طبيعية وأمثال ذلك ، وأنه يجب اتباع المعقول اذا خالف المقول وأمثال هذه
 الآفاوين الباطلة ، ولهذا تجد أكثر العقائد ولا سيما المتأخرة مشتملة على هذا
 وكلها من آثار المتأخرين الذين انعموا في آراءهم لمتعلقيهم وحلّطوا بها علوم
 الدين ، ولهذا تجد كتب السككي وأنه وابن حجر الميمني والرازي وأمثال
 هؤلاء مشحونة بالاعتصاف لهذه الآراء الكاسدة ، أما كتب السلف الأولى
 وأتباعهم مثل شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم والدهبي وابن كثير والعيني
 ومحمد بن عبد الوهاب وأمثالهم فهي أكثر العوامن في تحرير الأفكار وتنويرها
 وإطلاقي في مخزونه لتجديد في الاشتراك في كل ما فيه منع للاستبداد بما
 لا يتعارض مع أصول الدين ثم إنه لما استول هؤلاء الأجداد على أكثر
 الأفكار الإسلامية وعثرو فيها سمومهم القاتلة في إيمانهم الأخلاق وقيل الحرية
 الصحيحة بأساع الأهواء والشهوات وكراهة الأخلاق المأصدة وعشق
 الخرافات فربب الاعتلال وذهب التفكير الصحيح وقربا تاما ، لا لهم سدوا
 عليهم باب اقتضائهم التي بها يعرف قيمة الحياة وقيمة العلم وبل فيهم ، وقد علم
 أعدوهم قيمة هذا فصدومهم عن ذلك كله وشعبوهم بالأمس في المحجور
 والعلى والارباب في العدل والهدى ، فصدروهم تفكيرهم عما جاء من كراهة
 السلف وعدم الافداء والاحياء ، اختلافهم الدينية الفاصلة ، ولهذا أجمع
 الباحثون على أن أكثر منادى الأمو الصاعدة بما أحدثت من الاسلام ومن
 المسلمين أنفسهم باحلالهم مع العربيين في أول ما كاساها وغيرها واقبل
 كتب هؤلاء الأولين بين أيديهم ، فكان دحول تلك الكتب عاملا من
 أعظم العوامن التي تدفع إلى المعن ، إلى التجديد والاشكار في كل ما منع
 الناس ويمكث في الأرض ومن الأساليب الكبري في تحرير الصعاب
 وأمثالها لعب الأتباع والمذاهب ، ومعلوم ضرورة أن لا مزية فيها أن
 السلف أعد الناس عن هذين الحقيقين ، فصار أثر هذين الحقيقين بينهما لا يها
 في المتأخرين أكثر ، فإن أغلب الحروب والعداوات والصعفات تنشع عنهما ،

وذلك مما يشعل القلب والخوارج عن العلم والعمل للدين والدنيا وقد يتناغم
مرة أن الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح كل ذلك ليس فيه ما ينفع
الأحد بالاحلاق لصناعية والتجارية والمادية وغيرها ، بل هذا كله ما دلت
الشريعة على الأحكام ، وليس لتجديد الصحيح هو رفض عقائد الصحة ،
بل العمل به هو التجديد الصحيح ، وتركها هو رجوع إلى الوراء ، لأن
الجاهلية الأولى ، يعرفون مقدمة التي هي في غاية الخيبة كانت لا يعمل بمادة
للعقائد ، فعدم العمل بها رجوع إلى أحلاق هؤلاء ، فإن الأساس في أحد
أمرين إما أن نفع السلف ، وهذا أن يقع هذه الأولى في قبيلهم يقرون
طوبى ، فمقدمة سلف رجوع صريح إلى وراء النظر إلى هؤلاء الذين
يحكمون قوا من الروم وفرنسا وأتباعهم ويدعون أحكام القرآن ، ليسهول
رجوعوا إلى تجديد بل رجوعوا إلى أقدم من الكتاب والسنة ، فإن قانون
الرومان وفرنسا أقدم من شريعة الإسلام في الزمان ، فكيف يقال أنهم
يجددون وإنما هم متجددون ، وهذا لا رجوع صريح إلى الوراء ، ونحن
نعلم كما يعلم غيرنا أن هذا المقرون ، يدعو إلى رفض سلفه وليس له والاحد
يقول من أملا حدة ، وهو يدعو إليها الأقدمية قدم حدا من على نظريات
هي معنى نظريات الحداثة الأولى الذين حاربوا من وبادوا عن آخره ،
وكأنوا على غاية من الجور والفساد ، وهو علة كل كلمة في مدته (ثورة اليهودية)
نكلم بما يناقض كلامه هنا مناقضة صريحة ، ونرى أن الأحكام الأخلاق القرن
الذي هو الطريق إلى في والتقدم ، حتى دعى شيخ المراجع شيخ لارهر
كلام طويل فهم أنه شيخ لارهر يدعو إلى التجديد ، وأكرر ما فهمه
خطأ ظاهري ولولا حب الاختصار سفلت كلامه فمراجع ومن العجيب أنه
لم تطلب منه بكلام واحد من عبء الأمة تكلم على كثرتهم ، كما لم تطلب أيضا
من واحد منهم ارتضاء في أعلاله هذه ، بل هم عليه كلهم كما هم على
كثرتهم ، ثم قال

واطر ، ان الكتب التي ألغت منذ مئات السنين - بل منذ ألف عام تقريباً - في الفقه أو في التفسير أو في الحديث أو في العقائد أو في التاريخ أو في الأدب أو في النحو أو الصرف أو في اللغة ، بل أو في الطب ، إن كان هناك طب ، كذكره داود وأمثالها ، أو في الفلسفة أو في الفيزياء - إن كان ثمة فيزياء - إن الكتب التي ألغت منذ ذلك التاريخ في هذه العلوم وسواها لا تزال حتى اليوم هي المرجع وهي تدرس وتطوع وبشر وتعرف وتسرع إلى قراءتها واقتنائها في العالم الإسلامي كله . . . وإن وجدت شيئاً صئبل من التحديد والتعيين فهو لا يعدو أن يكون نقلاً مشوشاً وسجاً مسوخاً من هذه الكتب معمره ذات الألف ودات المئين من السنين ، حتى إن مجلات الديبة (١) التي نكثرت في السنين الأخيرة لا يخرج مجموع ما فيها من تفسير لتقرآن أو شرح للحديث وتعبير وتقسيم للمعتقدات ومرد لها عن ولما يحرم في الحق ولما اختلف الفقهاء فيه ولما اتفقوا عليه . إن كان قد وجد صدق - إن مجموع ما لا يخرج عن أن يكون فتناً متنازلاً من تلك الموائد التي قام لا تكون عباً منذ ألف عام ، ولقد يعجب المرء إذا ما أدار نظرة حوله فوجد أن أكبر جامعة إسلامية قد سعت من العمر أكثر مما طلعه نوح عليه السلام ، قد عجمت في عمرها العديد ، وعمرها المديد ، عن أن تلد مولوداً واحداً حتى صرنا المثل معقماً . . .

قلت هذا نظره إلى عباء المسلمين ، ودار آية في كتبهم ، فلم يستن عالم واحداً ولا كتاباً واحداً على كثرتهم وكثرتها ، بل صرح بأن هذه الجامعة الإسلامية التي سعت هذا المسح "تقول من العمر عتت عن أن تلد مولوداً ، يعني يحدد لها ويقيمها ، فلم يأت عيته أحد منهم ، كالم يأت عيته كتاب من كتبهم

(١) يقابل له وكذلك المجلات الداعية إلى الاتحاد لا يخرج ما فيها عن طريقة متقدمة في الدعوة إلى أخلاق الجاهلية الأولى في محاربة الرسل وما جاءوا به ودعوى انه أساطير الأولين

فلا غرابة على هذا أن يدعى نفسه أنه اخلق بأن يقدم في الأمر وأن نجعل
افكاره هذه هي النظام الجديد الذي تركه أمة قنوى ، وتأخذ به أمة فتتخلص
أخ . ثم انه لشدة شقائه صرح بأمره من سمع القات المتناثر ، يعنى كتب
السلف - اد صرح بأنه قام عنه آكلوه منسأ ألف عام ، ومعصوم أن كتب
السلف هي التي مضى عليها هذا العمر - فاستفد عن المسلمين أحدهم بها وعدم
التجديد بتركها ، لأن القاتات يجب أن يتركوه من وجه التجديد - موصى
غير ما مدح به كتبه على الموصف الذي ذكره - وكان من لواجب عليه في
مثل هذه الأمور أن يبين الكتب بأسمائها ووجه الاستفادة بدليله ، ثم يبين وجه
التجديد ببراهاين وتفصل وصحح من من يرد أن تنكح في مثل هذه الأمور
العظام لا يكتفى فيها بالصفة ولعمريه وسيسبب الذي لا يصلح نحوه ، فان كل
عاقلة يعرف دينه يعرف مراده وما يرتضيه ، من كل حال لا يجوز ولا ينفعه
مثل هذا الكلام . والحاصل أنه بقصد هذا الدال هذه الكتب كنهه والاعتناء
عليه . وحقيقة هذا كله هو طلب إبداء الدين عند الإخلاق ، فان هذه الكتب
التي تشنع على أهلها إما بغير فهم ، بين معانيه ، أو أحاديث مخروعة
بأسمائها ، أو شروح وعبقريات عيبها كما صرح بذلك . وهذا عيب ما يفعله
المسجون الذين يعتقدون أن الله أنكرهم دينهم وأنهم عليهم نعمته ورضى لهم
الاسلام دينه ، وأن الشريعة كانه لا يحتاج إليه ولا يقص ولا تبدل ولا
تغير في أصلها ونظامها ، أما لو كانوا يعتقدون خلاف هذا ، وأن لأدين
كالسياسات ، لا يمكن أن يتقدم بعدم التعديل والتعديل والتعير . لأنها قاته
لذلك ولا يسبب القارئ العرير أن هذا المنهج نفسه قد استفد المسلمين حين
ذكر أن عمر رضى الله عنه سبى عن قراءة كتب الأوائل ، وذكر فيما ذكر في
المبحث الثالث أن عمر أمر بتحريق مكتبة الاسكندرية ، ثم شنع على المسلمين
في ذلك بل شنع على عمر في نفس الأمر وأصل الحديث وادعى أن هذه حباله
وأهم يرون بذلك أن العلم حجاب ، وأن خباله أم الفضائل ، فمرهم كلهم

بالعودة والبلادة والجهالة والرجوع الى الوراء بنفس ما ادعاه هو في هذا
 المبحث في كتب القدماء ، هذا مع عبه أن تلك الكتب القديمة لما حرج
 أكثرها على ووف المأمون كان ذلك سببا في بدهور الاسلام وانهياره ، ومع
 ادعائه أيضا أن تلك الكتب أمت في العصور التي ذكر أنها في طور احيوان
 أو قريبا من لظهور الحيوان ، هو كما ترى عاد الى مثل هذا الذي يقوم على
 المسلمين به ، فأخذ يصفه آراءهم ورميهم بأحبابه ولسانه ولسان ارباب في
 تمسكهم ، يكتب الى أمت من أمت عام . هذا مع عبه أن أولئك الذين
 كانوا في تلك العصور عن عام من بدهاء وشجاعة وبراثة الأخلاق وصحة
 الرأي ، ومع علمه بأن المسلمين منهم معصومون لهم ، ومع علمه بأن بين هذه
 الكتب وبين تلك الكتب التي هي عمر عن فرائدها وقاوتها ، فإن تلك
 الكتب قد نحت وحامت خلاصة ما فيها من الصدق والخير في هذه الشريعة ،
 بخلاف هذه الكتب التي يدعو ان يروى ، وهو لو قدر عيبا لأنها
 بأسرع ما يمكن ، ولكن الله أعجز مما نعلم من حيوانات (١) التي عملت على
 إصرارها بحدسها صنعت شيت ، وكده ومكره في هذه المحاولة ككيد تلك
 الحيوانات ومكرها سوء سواء

ثم بهال من وجه آخر ، ما قمه على هؤلاء هو تفسير الشريعة
 وشرحها والتعليق عليها ، قبأى شيء يريد أن يعملوا غير هذه الامم ترد فصها
 وايداعها بمبدأ آخر . وهذا الذي سفته على هؤلاء المسبب هو من حدس ما
 يجعله الملاحدة والمافقون — وامت مهم — في كتب أسلافهم ، فله لا يعدو
 أن يكون تفسيراً أو شرحاً أو تعليقا متنوعا ، وبرهان هذا أن هؤلاء الذين
 حكموا الطوائف دون شرع الله إنما تمسكوا بـ "قانون الرومن" أو ما هو
 في معناه ، وجميع ما عدوه وعبروه إما شرح أو تعديق أو مابى معناه ، مع أن

(١) يعنى الوزغ وما شابه

هذا التعبير الذي عيروه أو جددوه ضليل جدا . ثم ان اعلانك المشدودة في
عقلك كلها جهالات الرماضة القدماء وملاحضتهم . وهي كلها على ما فيها من خيب
وقارة لا تعدو أن تكون إما نفيرا أو شرعا أو تعيقا عليها . فان من
تدر اعلانك هذه علم لا أدنى ثبوت أنها تدور على ما قررته غوشتان لومون
المحدث في كتابه الآراء والمعتقدات " ولا سيما في قوله ان الايمان بالله وحده
كان كنهه على نشر . وكل كنهه يعيق على هذا . وهذا ادعيت أن الخطأ
ويتم غمط هو . حسن السمكت . ثم بحث عن الايمان بالله . يوم الآخر .
وقد يدعيها سيف أن جمع عند . من من ملاحدة وامر كن دهنوا إلى
حسن ما قررته في هذا الكتاب كغيره من حصة في معادته ومكارتته وإلحاده .
وسحريته بموسى ومن معه من المؤمنين . واعتماده على نفسه . وإيمانه
بالأسباب . وقد استأنست بكلام سيدك هذا بموسى لو يرون حسن فقت عنه
تلك الحجة المنعونة . واخذت شوطا نفيرا في تفسيره وعيق عليه وتؤوله وخرج له
أوجزة واضحة . فهذا صانع الذي غمط به على هؤلاء المسلمين في كتب
أسلافهم ثم من بعدهم قد صدمت حصة في كتب أسلافهم وأعداءهم
رسائل . ونحن هنا نكتب عن أمهاته وما هبت به . وأن كتاب من أسهل
شيء عندنا . أن نكتب في كتب التي تمت منها ونسبها باسمها ونعير .
مواضع الانتقد ووجهه . وأن حصة كلها ومراحم ادعته . وأن فعلم هذا
هو لسبب في تأخرهم . وجبت انك لم تعمل شيئا من ذلك بل جئت بها هو حاد
معهمة مدحولة (ردود) والحقور . فيكتب فيها بآراء وبخيل تقاريه على
ما ذكره في ذلك الأولى في (نوره الواسعة) حينما انتقدت المراغي في نفس

(١١) وعيره من كنهه الخشنة وقد عم أنه من أعداء الإسلام لما قرأ له . حتى
انه سب النبي ﷺ وقد سعى بانه موسي . فان الله . من فيه عيرة على الله
أو العرب على الأقل

ما تنصره الآن ، وكلامك في شيوخ الأهر ، وادعائك هناك بأن ما ذكرته
في تلك النظرية الأولى هو الحق الذي لا ريب فيه وهنا نقصته وادعيت أنه
حقائق أريسية أدبية ، فلا أحسن من أن تخنق بأغلالك ونحتمل بأنقالك ،
ليجعل الله ذلك حسرة في قلبك ، والله لا يهدي كيد الخائنين

يا ماطح الجبل العالي لكلمه ارفع على الرأس لا ترفع على الجبل

فصل

قال ، واما الأمر الثانى - وهو الاعتقاد بأن الأولين قد فعلوا الخير كله
ولم يعموا الكمال المطلق ، وأن أفعالهم كلها أعمال يقتدى بها - فقد ترتب عليه
أيضا : أنه هؤلاء الذين اعتقدوا هذه العقيدة قد صرفوا كل قواهم
وأوقاتهم وعباتهم الى محاولة الاقتداء بأولئك الكاميين الخيرون ، ومحاولة الأحاد
عنهم والنشأ بهم بل محاولة عادتهم ونشرهم لو كان ذلك مستطاعا .

فيقول أولا ، كل ما تدعيه في المسلمين المخوئين للاقتداء بأسلافهم والنشأ
بهم وما يرتب على ذلك بعد من عهدهم لملاحدة مع أسلافهم ، فهم أعظم
في المعاملة بهم والاحداه حيوهم ، وأما المسلمون فكثير منهم جاءوا بأسلافهم
بل تصفوا كثيرا من دهرهم ، فكل ما يمكن أن يرتب على لتقليد أسلافهم
تدعيه في هؤلاء يمكن أن يرتب على أولئك في تقليد أسلافهم ، ومعلوم الفرق
الواضح بين أسلاف هؤلاء وأسلاف هؤلاء ، هذا مع أن ما ادعته هنا على
هذه الصفة بهتان ظاهر ، فان المدعين بأن أسلافهم قد فعلوا الخير وعبوا الكمال
فيه لا يعمون ما تعنيه ، يقولون أن ذلك في لأحلاق المدينة والفصائل الانسانية
خاصة ، لاقى الصاعات والتجارات ونحوها ، فهم مرفقوا من هذا وهذا في كل
كثهم المشهورة المعمول بها ، فدعواهم على وجه الاحتمال كذب ظاهر . ثم ما
ذكره من كونهم فعلوا ذلك فصرفوا أوقاتهم وعباتهم الى الاقتداء بهم كذب
آخر لا يرتب فيه مسلم ، وبالله صدق في هذه الدعوى ، بل ان عكس الدعوى

أصح ، فإن أكثرهم أهمل الطريقة السلفية فجاءت النكبة من الإهمال لا من الاقتداء ، ولهذا نجد المخالفة للسلف شاملة لأصول الدين وفروعه فضلا عن آدابه وما يتعاقب بذلك ، بل ادعى كثير منهم بأن مذهب الخلف أعلم ومذهب السلف أسلم ، فتبعوا الأعم بزعهم ، وكثير من العقائد المنتشرة المدروسة اليوم وقبل اليوم فيها كثير مخالف للطريقة السلف كالسوسية والجوهرة والخريذة وأمثال ذلك ، في هذه العقائد مسائل مخالفة لإجماع السلف كسألة علو الله على عرشه ، وقد يعمر بعضهم عن ذلك تنقيحاً ، وكبركار الصفات الحصرية كالجب والزنا والمعصية وغير ذلك ويؤولونها ، وكبركار حقيقة الكلام ويدعون أن ذلك هو المعنى التام ، فكل هذا يحرف لعقائد السلف كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بالمراسل التي صححها في كتبه كلها ولا سيما كتاب (لعقل والنقل ^(١)) وابن القيم وأدهي وغيرهم فالعقائد الصحيحة المدونة على الطريقة السلفية انحصرت في مثل (كتاب التوحيد) للإمام بن حزم الشافعي وعقيدة الصانفي لشافعي وابن عبد البر المالكي وشيخ الإسلام ابن قيم في العقيدة بواسطة المشهورة وغيرها ، وهذا في أصول الدين فكيف بغيره ، ولا يخفى على أدنى مسلم اليوم أن كبراً من التصادمات مخالفة لدين ولما كان عليه السلف ولا تمت إلى ذلك بأي صفة ، هؤلاء الذين خالفوا السلف خالفوهم رجاء أن يصروا إلى هذا الرقي وأعم لدى تدعيه ، فكل من عاب عنصوص واستصغرها بعد علمها لم يخص على صواب ومن يربع عن ملة إبراهيم لا من صفته نفسه ثم فهذا لم يجد هؤلاء الذين رغبوا عنها إلا مرابها وعذاباً ، وإلا فلو اقتدوا بهم في هذه الأمور لكان أهدى لهم وأسلم وأحكم ، فما ذكره من النتيجة ، طل قطعاً كما لا يخفى هذا في احصاء فكيف بالعمدة الذين لا يعرف أكثرهم غير الفسوق والسعدرة والاحلاق الساقطة فضلاً عن أن يعرف أحلاق السلف والاقتداء بهم

(١) المطبوع بعنه بإمش (منهاج السنة)

يجرد دعوى الأباطين واخراجات في كل ما يصدر رأيك لا يعجز عن منه كل
 انسان يريد أن يرد قول خصمه . فان كل من هو عليه دية وعقده أمكنه أن
 يدعى كهذه الدعوى . ونحن نعم أن مرادك بالأصير هي ما يخالف ما ارعبته
 في هذه الأغلالات من تواميس الطبيعة وغيره . ولكن الأولى لك في منز هذه
 الدعاية أن تبين ذلك بمناه الوصح ودليه الخلق . وحيث أنك لم تبين شيئاً
 من ذلك فنكتفي في رده المنع والمضلة « بيان والدليل » لا صاح والاعتدال

فصل

قاله خلة اسقليد من الجهالات ذات الآثار لقله ، وأظهر آثارها كما
 سبق شينان . التصديق بكل ما يقف ونسمع ويقتن ، وعن العقول والعجب ،

فيقال أولاً هذا كلام لا يحل له ، خصوصاً لا يدعون أن اسقليد بما
 يدعون إلى اتباع شرع الله ونظامه . وهذا هو الواجب على كل من آمن بالله
 ورسوله ، وما صاحب هذا هو تقيد لا ريب ولا تمكن خروج عنه أنه كما
 هو الواقع . فمن لم يتبع ضام الله لا بد أن يتبع ضام أعداء الله . ولهذا لما
 حاول البعض الخروج عن الشريعة المحمدية بدعوى التحديد اصطراوا إلى نقد
 الجهلاء الكفرة الأولين كما تقدم بيته

ويقار ثانياً : اذا كان الأمر كما تدعى فهو السب الذي يسيك في
 أحضان الملاحدة وتقليد هذا التقليد الأعمى في كل ما قالوه حتى في أصل
 الأصول وحتى في أعص الأشياء كسأله حتى العاد على التعصيص الذي ذكرته
 وفي تواميس الطبيعة وغير ذلك . فقد تم وحدت على كل ما قالوه حدوداً لم
 تسقى إليه . فمالك تقلدتم ونحج بأقوالهم وتسم من حالهم ، وما رأيستك
 حلفت واحدا منهم كما أنا ما رأيستك وافقت واحدا من عباء الملة من أولهم
 إلى آخرهم . أما المسلمون فقد علمت أنهم لا يقولون « لتقليد في أصول

الدين ، أما في بعض المسائل التي قد يحجج دليها عند العامة أو غيرهم فهم قد يقدر من أحرم المسلمون عن هدايته ودرأيته ، لأنه من أهل الذكر الذين قال الله فيهم ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾

ويحك يا بلعام - ما ، أين من قلد الصحابة وأئمة أهل القرون المفضلة - مثل أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأمثالهم وطرأهم وأتباعهم كشيخ الاسلام ابن تيمية والامام ابن القيم والحافظ الذهبي وور الدين الحنفى وأمثال هؤلاء الذين خدموا الاسلام الخدمة لصادقه بكل ما في وسعهم ، أين هؤلاء من سادتكم الذين قدسهم تقليدا أعشى مثل غوستاف لوبون الذي نقلت عنه أن الشرية لم تستطع أن تحطو خطواتها الصحيحة إلا في عهد الونية وعبادة الأصنام ، وأمثال هذا من لعنه الله وعضب عليه وحمل منهم القرودة والخنازير وعبد الطاعوب ، وقد أن يوحى من هؤلاء أحد الاوكلية هو حديثه ومعهودة ، هؤلاء هم أئمتك ، فإن الله تعالى لما مسح بصبغ نفس حبيب كسنت نكره الطيبات ولطيب ونصر منها وزى نفسك على الخبيثات والخبيثين ونشد بذلك لآبائهم ثلاثهم مسحك وتدرج بها . ودعواك أن من آثار ذلك التصديق بكل ما يقال ويسمع ويتقل وهذا مما ينطق عليك لأنك هكذا صدقت بكل ما يقوله الملاحدة ويسمع ويبش عنهم ، ولهذا لم تحالفهم في شيء مطلقا ، وأما المسلمون فهم لا يصدقون إلا بما قام الرهان على صدقه لا بكل ما يقال ويسمع من هذا كذب طاهر وقوله ، وعمل العفن عن الفهم ، يقال هو ذا أنت أيضا فانه من أدواتك القديمة العريقة ، وكفى بما نقلته من الهديان وصدقت به ثم احسنت به في مسألة خلق العالم وغيرها شاهدا على غل عقلك عن الفهم والرشد ومعرفة الصواب

ثم قال ، ولا يمكن أن تبلغ أمه من الأمم مسلعا من الحاصرة والمدنية ما لم تشك ومما تفهم ، فاشك والفهم شرطان ضروريين في تحصيل الحاصرة والعلم

والقوة . والذى لا يعرف أن يشك لا يعرف أن يفهم ، والذى لا يعرف أن يفهم لا يعرف أن يمتاز .

فيقال : هذا ليس صحيح ، بل هو باطل بهذا الاطلاق . أما أولا فإن الحقائق وموضوعاتها مختلفة في الظهور والاختفاء وقوة البرهان وضعفه ، فالحكم عليها كلها بالشك فيها باطل بالنداهة ، قال وصرح الدين والمرسله وصدقها ولروم الخير فيها أمر أوضح من الشمس ، ومن شك في ذلك فهو كافر ، فمن شك في أصول الدس المعروفة من الدين بالضرورة فلا شك في كفره ولو جار الشك في كل شيء لوقع الناس في السفسطة ، فإما هي الشك في الحقائق الظاهرة ، فتبوت فصيلة الصحابة وصدقهم ونصحهم للامة وسبقهم إلى المعصايل أمر واضح كالشمس ، فمن شك في ذلك فقد شك في الدين وهو كفر ، والشك في من هذه الأمور كما أنه كفر فهو سفسطة ووسواس ، فإن الشك في الأمور الضرورية كالشمس والنهار والليل ومثل ذلك وسواس محض فيه . ومن العجب أن أعظم لناس شكاً وربما في أصول الدين هم أقرب الناس تصديقا بالمحالات ، وأدعاهم أن يقول كل ما يبق ويسمع عن سادتهم وشيوخهم معلوم إما قطعية أو طنية ، فالقطعي كأنه ذكر لا يحور الشك فيه مطلقا ، ومن شك في ذلك فقد شك في الدس ، ولا يمكن أن نشك حقيقة من الحقائق إلا وردد عليها أعظم ما يرد على الحقيقة التي يريد منهم من التشكيك في الدين وأما الأمور الطنية فهي مراتب كثيرة وهذه يخطر أن أدسها وبرهنا . فما قام البرهان على صدقه فهو صدق وما قام البرهان على كذبه فهو كذب ، وما بين ذلك فينظر إلى الدليل والترجيح كما هو مبين في مواضعه

ويقال ثانيا : أنت حالت هذه الدعوى ، فإني لم تشك فيما ذكرته وكنته ودعوت إليه بل جعلته حقائق أدلية ، ومعلوم أنه كله مجرد دعوى ليس عينا أنارة من العلم ، بل البراهين الصادقة قائمة على تنكديها ، ومع ذلك لم تدع

الناس إلى الشك فيها ، بل دعوتهم إلى تصديقها واعتقادها والاحتذاء بها ، بل علق الشك على التمسك بها ، والسقوط على الأعراس عنها . وكذلك لم تشك فيما ذكره الملاحدة في مسألة خلق العالم وغيره مع أنه شيء بعيد دقيق غامض من عالم الغيب لا إدراك لك به ، وقد دلت النصوص على خلافه ، ومع هذا قلته وصدقت به واحتججت به وسفّهت رأي من شك فيه وحالاه ، فأين الشك الذي تدعيه

لأنه عن خلق وثائق مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
فأنت أنت لا تفهم لأنك لا تعرف أن شك ، ولا تعلم لعدم وجود
الشرطين اللذين ذكرتهما ، فلا يمكن أن تقع أو تنهار ، وهكذا كان الواقع ،
كما أن هذا الحكم إنما هو على رأسك

ثم إن الملحد أعاد كلامه في التطور وقد سبق الكلام على ذلك مرارا
كثيرة فلا حاجة إلى إعادته ، ولكن تلك الحملة التي نقلاها عنه في إنكار
التطور إنكارا ذاتا كافيه في بطلان كلامه كله في ذلك

ثم استطرديت على أن هذه الدول تعتقد هذا التطور ، وأنها تقدمت
بسم ذلك ، وبالع في مدحها على ذلك ، ثم حتم هذا المبحث بحيث يمسك
ختمه اللاتق به وهو الثناء العظيم على تشرشل وزير بريطانيا ، وأما الذين
قللوا الزعامة الدينية فقد عرفت ما قاله فيهم فيما سبق ، فقل في هذا الختام
اللاتق به :

• ولعل أعجب أسرار هذه المسألة وهذه الفكرة^(١) إسقاط بريطانيا للرجل
الذي أعطاها النصر وشرعه لها من طوابع الحرية ، إذ لا شك أن الانحياز إنما
أسقطوا تشرشل لايمانهم بأن من الممكن أو من المحقق أن من سيخلفه سيخلفهم

بأقصى وأعظم مما يجنبهم به وأهمل انصر لو أبغوه مسكته ... ولا ريب أن شعبا يعتقد هذه العقيدة في تشرشل وفي حقه شعب يؤمن أشد الإيمان بالمستقبل ويتطور وأن المستقبل وأهمه دائم أقصى وأكمل من الماضي وأهمه ... وإن شعبا (١) نقوده هذه الأفكار احيية لعسير جدا مباراته وإبراله عن سلطانه الصرحم الواسع ولو أن رجلا كتشرشل كان لنا معنصر المؤمنين بهذه الفكرة وأعطاها هذا الذي أعطى أمته لسكان من المسيحيين أن بعد من الجنون ومن الحياة بل ومن الكفر بانه التفكير في رده عن الحكم والقيادة . ولكن من المسيحيين أن هذا التفكير لا يمكن أن يصب مجاحا لو أريد العمل به ، ولسكان من المسيحيين أيضا أن يعيده عدوهم عادة نفوق عبادت لكل هؤلاء الأموات المساكين في أرحاء العلماء الاسلامي من عبدوا بحسب الآلهة لم يصنعوا شيئا يستحقون عليه العبادة (٢) ، لى يحضهم ويقصدهم بها علالين المسكين العالم كفيين على الأصرحة وعلى الذكريات والأسماء ، بل صنعوا ما يستحقون عليه الرجم والتدمير والكفران الذي (٣) ، انتهى وهذه الآية من أطول آيات الحقائق الألفية الأبدية ، وقد رأى هذا الرجل في أسباب تعبير ودارة تشرشل ، وهذا رأيه في أسباب انصر ريطر بأنه هذا الشعب ، وهذا رأيه في كون عمل تشرشل دليلا على صحة عقيدة تطور على سحواسي ذكره ، وفي صحة عقيدتهم هذه أيضا ، وهذا رأيه في توسع دولهم وقوة سياستهم ، وهذا رأيه فينا معاشر المسلمين من سوء الظن والسحرية والاحتقار ، وهذا رأيه فينا

(١) لما كان يوم أن دعاه في أملاله دعاه بلشيه حينئذ جاء بهذه الحملة إرضاء للإنجليز لئلا يظهروه شرعيا ويعرفوا مقاصده

(٢) يريد بالعبادة هنا تعظيم السلف والاحد بأقوالهم ونحو ذلك

(٣) كيف يكون ما صنعه الشعب وسائر الأموات من عبادة المسلمين إغما هو شيء

يستحقون عليه الرجم ؟ ألا قبحك الله وبيح من يعتر كلامك

دأنه لم يوجد منا من هو مثل تشرشل ، وهذا رأيه فيما أنا لو كان في أمثاله لكنا نعده عبادة رائده عن العبادات فليست مثلها بل تفوق عليها ، فليس في المسلمين من أولهم الى آخرهم من يساويه أو يذابه ، اذ لو وجد منه لوجدت العادة التي علقها على وجوده البتة ، وتكون عبادة صحيحة لانها ليست بحاجا فعل عدم وجوده من نعم الله علينا مثلا نتحد إليها آخر ، وهذا رأيه في السلف أو في علماء المسلمين الأموات والخاصين ، فالأموات لم يفعلوا شيئا مثل فعل تشرشل فيستحقوا عليه العادة ، بل كل أفعالهم التي فعلوها لا يستحقون عليها سوى الرجم من أجل احتلال شرط العادة لدى هو فعل تشرشل ، أو التحديد لدى هو فعله هو في أعلا له ، فهم لم يفعلوا شيئا من هذا ولا هذا ، بل كل أفعالهم تلك الأفعال المعروفة المشهورة ليست بشيء ، فلا يستحقون عليها - على رأى هذا الرجل - سوى الرجم والتدمير ، ولا يكفي الرجم وحده بل ولا لتدمير معه بل لا بد أن يضاف إلى ذلك الكفران الأبدى

تالله ان الانسان ليحار ويحجب كيف ذهت الخساسة والشجاعة والميرة الدينية وأحطت هذا المتحد الرديق ، وكيف راجت هذه العصائح والمخاري المكشوفة عى من ينتم رائحة لاسلام ، ولا يحتاج هنا الى تطوير التعليق على مثل هذه حمل الحيلة ، بل نقارن الذى يحى عليه ما فيها من الخث والردقة وسوء الظوية لا يعيد فيه إلهام ولا يرشد ، بل لا بد أن يكون ميت القلب حامد العقل حامد أبدهم قد ختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فاق له الرشاد والتوفيق . وما أحق هذا الملاحظ بمن قال الله فيهم ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سنن المؤمنين نوله ما تولى وبصله جهنم وساءت مصيرا ﴾

اختتم هذا المغرور هذه المباحث الحثية بهذا المبحث المتضمن رفض الدين ومنابداه أهله والخث على تقلد العريين والاطلاق ورامهم في هذه المبادئ

الهدامة التي اتبعوها وذاقوا وبال أمرها فودوا لو أنهم جهلوا واستراحوا من
توقيع غوائلها وأخطارها المستهدفة كما صرح بذلك كثير من رؤسائهم وعقلائهم
طاش عقل هذا المسكين وذهب به العرور والرهو إلى أقصى حد حينئذ قيل
أنه استحصل على شيء من المعرفة والمبادئ العلية ، ودفعه ريادة على ذلك ما
سمعه من الإعراف والإعراف عن عهده أو لم يعرف حقيقة أمره ومزاجه

فقد حبل إليه أنه استلح العلم كله بجميع فنونه ونواحيه ولم ينق لا حصد منه
شيء ، فأخذ العلوم كلها وركب لغيره الجهالة والبلادة والعاورة كلها - جن جنونه ،
فغضب وهذى وذهب يشتم ويمقت وشتم ويستهرى ويعادى كل من خالفه أو
أعرض عن قبول قوله ، بل فرس طاعته وتصديقه على لباس أحميم

ولو كان له أدنى مسكة من عقل لم يذهب مندفعاً في هذه المهامه المهلكة سعياً
وراء هذه الاوهام الالامعة والمظاهر الخداعة التي اغتر بها كل ضعيف رأى
وصعيف عقل ، بل كان من الواجب عليه أن يستثبت ويسترشد حتى
يعرف حقيقة الأمر كما عرفها العقلاء وكما ادعى معرفتها هو قبل ذلك

وقد تكلم كثير من علماء الشرف والعرف أيضاً وبينوا ما في هذه الحصاره
الرائقة المدحونه التي أعجب بها هذا وأمثاله من ضعفه العقول من التلق والفساد
والاحلال المادى والمعنوى ، وكما ظهر بالمشاهدة في كثير من شعوبها الدمار
والانهار القطيع ، وأصبح البافون في أشد حانه حظرة ، كل ذلك بأسباب هذه
الماديه التي فتوا بها وعدوها حكم عقل لاسناد محمد عده في (تفسير سورة
العصر) عن ما كس نوردو الشهير في كتابه المسمى (الأكاذيب العرفية لغدنا
الحديث) قال الاستاد ان ما يرى في بعض الأمم من طاهر السعادة ليس
إلا للمعان المراب ، حتى اذا جاءه وحقق أمره لم يجد شيئا . وقال ما كس
نوردو أيضاً في كتابه المذكور ما معناه : ان الناس كانوا ولم يرالوا يطلون
الحق ، ولم يكونوا في زمن أبعد عنه منهم في هذا الزمان . ثم قال ما ترجمته :

إنك لو طرقت أى باب تسأل من مررت السعادة بهذا البيت ، لا حالك حيب :
 إذا شئت فاطرق بابا آخر ، فإن السعادة لم تمر بيبا . وقال جود الاكبرى (١)
 رئيس قسم علوم النفس والفلسفة ، إحدى كليات جامعة لندن . « إن الاوربيين
 قد فقدوا تعادل انقوى والأخلاق ، والتوازن بين العلم بظاهر من الحياة الدنيا
 وبين الدين منذ قرون ، فلم تر القوة فى أوربا بعد النهضة الجديدة ولم ير العلم
 يتموان على حساب الدين والأخلاق ، ولم ير ذلك فى ارتفاع وهتان فى
 انحفاص وخطاط ، حتى بعدت البسة بينها ، ونشأ حين كآبه مبرن لصقت
 لإحدى كفتيه بالأرض ثقلا وهى كفة القوة واعلم ، وحفت الثانية كفة
 الاخلاق والدين حتى ارتفعت هذه الثانية جدا . فبما يراعى هذا الخلل لناظر
 فى حوارقه الصنعية وعجائبه الكونية وتسحيبه للمادة والقوة الطبيعية لمصالحه
 وأغراضه كآبه فوق البشر ، فادا هو لا يتخير فى أخلاقه وأعمده وفى شرهه
 وطمعه وفى طيبه وورقه وفى مسوقه وطلبه عن لسانه والوحوش ، ثم أطل فى
 ذلك وتقدم ما قاله شيلر الالمانى شهير بدأت احاعات تهوى وتتحل خلقيا ،
 والخلق هو رباط المجتمع السليم ، وانس أدن على ذلك من انشاز دور الرقص
 والملاهى المنتدبة وهشى الآراء امطرقة المادية الخ . وقال السيد المودودى (٢)
 ظهرت لحصره العربيه فى أمة لم يكن عندها معين صاف ولا نفع عذب للحكمة
 الالهية ، لمد كان فيها قادة الدين ، ولكن لم يكونوا أصحاب حكمة ولا علم ولا
 شريعة إلهية ، لم يكن عندهم إلا حبال ديبى لو حاول أن يسير بالوع الاساقى
 على صراط مستقيم فى طرق الفكر والعمل لما استطاع . ثم ذكر أن هذا هو
 السبب فى بئسهم الدين . الى أن قال : وحدوا المحنقات مسخرة فاستخدموها

(١) نقله فى (الشواهد) ص ٦٥

(٢) ذكره فى (الشواهد) ص ٧٢

[illegible]

حتى صارت الحياة الأوروبية جسدا مقروحا منقسمما يشكو كل عضو منه أوجاعا وأوصاما، وأعيا الدماء أضيائه، واتسع الحرق على الزافع : الأمم للغريبة تتمثل ألما يملو قلب مصطرة وأرواح متعطشة الى ماء الحياة . ولكننا لا تعلم أين معنى الحياة ؟

وكلامهم في هذا كثير جدا ، حتى أن لوبون الخبيث الذي يعطيه هذا المسحوق في كتابه (حصار العرب) . « وتعالى عنكم عاتنا نحولا بعيد المدى في الوقت الحاضر ، وقد قلت منكرب العوم الصناعية كسبا للمادى والآدى رأسا على عقب ، ويقاسى العرب خلافا شديدا في مجتمعه ، ويكابذ في سبيل معالجة الشرور التي تشأب من ذلك الخلاف أزمة عامة تسوقه باطراد الى تبدل نظمته ويتن من عدم الاستحسان بين المشاعر والمعتقدات الجديدة ، الخ فهذا كلام طاعونه ، واد اعرف انخصر ملاحجة الى الدليل عليه ، فهلا تداوى به من إخذله اذى فده به (كما تداوى شارب الخمر بالخر) . ومما وقع في الغرب كأمر يكا واورا وغيرهما من الفساد الدمار يعرف الحكمة في احتصاص الشرق بانزال الكتب وارسال الرسل المشهورين ، لانه أقبل لها ، فلهذا أخذوا بها وعموا بها منب السنين . وأما هؤلاء قال الله أنهم عليهم بما به يعرفون الدين والكتب ودعوه الرسل ، ولكنهم قسوا ذلك ولم يكونوا كأهل الشرق . وقد قامت عليهم الحجة لئلا يقول قائمهم حسبا يرون ما يوعدون ﴿ ربنا لولا أرسلنا اليك رسولا لاتنفع فيك من قبل أن نذركم وحى كذا كات على هذا فيما مضى والله اعلم

الكلام على خلاصة كتابه

عنوانها في أغلاله :

(المشكلة التي لم تحل)

وقد جعل هذه (الخلاصة) هي حاصل ما ذكره في كتابه من أوله إلى آخره ، وقد تبين لك بما مسمى أن هذا الرجل افتتح كتابه بمدحه وعظمه ، مدعياً أن هذه الأفكار من الحقائق الأزلية لا تدب له لا تأخذ به أمة إلا هتت ولا تتركه أمة إلا هوت وإن يسعى عنه مسلم فقد افتتح هذا الكتاب بهذه الدعوى ، واحتتمه مدعياً أن خلاصته مشكلة لم يوجد لها حل إلى اليوم ، فكان حاصل الكتاب الوقوع في الشك والريبة والخيرة . ولا تنس أن هذا الرجل نفسه افتتح المبحث الثاني الذي هو في الحقيقة أو مباحث الكتاب المقصودة بما يقفه عن المبحر والرائى ومن أى الحديد في تلك الآليات ، وتهكم بهم وتعلمهم ، ويسهم إلى الخس والضلال . وسحر منهم غاية السحرية حيث احتروا بأن عينه ما وصوا إليه من أمرهم بحيرة وعدم الحصول على الحقيقة . فما هو قد وقع في ما هو أعظم وأدهى وأصم ثم وقعوا فيه ، فانه حصل هذا الكتاب الذى وصفه بما تقدم مشكله حقيقته كبرى لم يوجد لها حل إلى اليوم . ومن العجائب والعجائب همه أن يلجح الأعمى بعرب الأعمش

قال

(المشكلة التي لم تحل)

ويتبين للقارىء إذا كان قد قرأ أصول هذا الكتاب كلها ، أن أساس هذه المزالق الفكرية قائم كله على التدين الباطل ، أو على الفكرة الدينية من حيث هى . فالمشكلة التي ما أظن أحداً درسها دراسة صحيحة وأبينة هى أن ذكره

أن تبطل وأن تعرف تلك لعمر الله هي المشكلة الحقيقية الكبرى التي لم يوجد لها حل الى اليوم .

هذا شرحه للتدين الباطل والفكرة الدينية من حيث هي التي هي أساس هذه المزالق الفكرية أي ذكرها ، وهو أن الدين الباطل عنده أو الفكرة الدينية مطلقا - أي من حيث هي كما ذكر - هي أن يؤمن الإنسان بالله وبقدرته الكاملة المتصرفه في هذا العالم ، فإذا آمن الإنسان بهذا كله على دين أصل ولن ينحج ، لأن إيمانه هذا يمنعه أن يكون سببا والسبب هو الذي لا يؤمن هذا الإيمان ، بل يؤمن بأن قدرة الله لا تدخّل بين الأسباب ومسبباتها ، ولا يمكن أن تحول بينها وبين نتائجها فالمسبب الذي أصابت المسلمين أو المتدينين وحاصرتهم - أي ما رعم - هو إيمانهم بالله الذي هو سبب الأسباب ، فإن إيمانهم به أوجب لهم الإيمان بقدرته الكاملة وأنه المتصرف في الأسباب كلها كيف شاء ، ولا يحجزه شيء ولا يبدع عن سلطانه أمر ، فلما آمنوا به آمنوا بعموم قدرته ومشيتته فكانوا غير سعيين ، ومن كان غير سعي فلن ينحج ، لأن النجاح إنما يكون للسعي المحض ، والسعي المحض هو المؤمن بأن الوجود كله مربوط بأسباب طبيعية تسير الى ما يريدوا واتحوا سرا آياتا طبيعية ليس لقوة من القوى أن تقف في سبيلها أو أن تتحكم في مبادئها . هذا الإيمان يقتضي مع الإيمان بالقدرة الكاملة والمشيتة العامة المتصرفه في الأسباب . فالمتدين أقدم على نفسه النجاح حيث كان مؤمنا بكون القدرة والمشيتة لها سلطة على الأسباب والوقوف بينها وبين مسبباتها والتحكم فيها ، ولقد صار غير سعي ، فلا بد له من التأخر ، كما أن السعي لا بد له من التقدم فالإنسان الذي يريد النجاح لا بد له من الكفر بقدرة الله وتصرفه في الأسباب ليكون سعيًا محضًا ، لأن السعي المحض هو الذي ينحج . هذا حاصل كلامه بل صريحه في هذه الحملة بل في الكتاب كله . وسرّ المسألة أنه لا بد من طلب النجاح ، وطلب النجاح إنما

يكون حاصله لتسلي المحض اى لا يؤمن بالقدره والمشيئة المنصرفه في
الاسباب ، بل يؤمن بان هذا "وجود" مربوط بأسبب آليه طبيعيه ليس لقوة
من القوى أن تقف في سببها . فاد آمن الذى يطلب النجاح هذا الايمان انه
يكون مسبب بممكنه النجاح . بخلاف ما لو آمن بالقدره والمشيئة وأنها تقف في
سبيل الاسباب أو تحك في . هنا فان إيمانه هذا الذى تصوره بمنعه من
النجاح ، فكان لابد من تكسر القاعدة والمشيئة الى تقف في سبيل الاسباب .
وكفره بالقدره والمشيئة مشكله لا يمكن أن تتفق مع الايمان به . فلا بد
أنصا من الكفر به تعالى ، لأنه صرح فيما نأتى قريب بأنه لا يله ولا فعل ، وأن
الاقرار بافضاله يوجب الاقرار بالتصرف ، وهذا يوجب للانسان بأن لا
يكون سببا (١) كما يأتى . ولأن الاله الذى لا فعل به ولا يتصرف في مخلوقاته
إما معدوم أو عاجز ، وهذا حقيقة كلامه من صريحه . وهذا القول مع كونه
كفرا صريحا غليظا أشنع من كفر المشركين واليهود وغيرهم ، فهو تقرير
ساقط بالمرة ، ومنقوطة طاهر بالشرع والعقل والحس وضرورة والاستقراء
أما كونه كفرا ظاهرا فانه مصادم للشرائع السماويه كلها . فانها متعقبة على
عموم قدرته تعالى ومشيئته وتديره خلقه وتصرفه فيهم كهب شاء ، وأنه بيده
ملكوت كل شيء ، وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، وأنه يمز من يشاء
ويذل من يشاء ، وينسط الرق لمن يشاء . ويمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم
الكتابات ، وأنه يدير الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه ، وأنه ما شاء
كان وما لم يشأ لم يكن ، وكل الاسباب خاصعة له جارية تحت إرادته لا يعجزه
شيء من جميع ما حقق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ولهذا كان كل من أقر بالله
تعالى أقر بذلك وأقر تصرفه ومشيئته العامة وأنه لا يسأل عما يفعل وهم

يسألون . ولكون الايمان بهداهتها لكل من آمن به تعالى فقد أقر به حسن عبدة لاوتن اسين بقربون مصداقها اليه زلقى لوضوح هذا الامر وجلالة

وأما مخافته للعقل والضرورة (١) فهو يشع الايمان بالله ولتكفر بقدرته ومشيئته وتصرفه في الاسباب ، من الايمان به على هذه الصفة من حسن الايمان ببعض الأولئان العاجزة ، وكل نفس يعيرون من غير أدنى شك لعقل والحس والضرورة والاستقراء أن الرب أعظم ايماناً بالله تعالى ومشيئته انعامه وقدرته الكاملة . وقد يحجوا في كل مصداق ، ونصرهم الله على أعدائهم المعتمدين على الاسباب مدية كما قال تعالى : ولقد سمعت كلنا معاداة المرسلين منهم لغة المنصورون وان حنذا هم العاصون . وهذا نص قاصع على أن الله قد نصر رسوله وجمعه كلهم ، وأن النصر لا بد أن يكون في حاسمهم ، وهكذا كان الواقع ولا يرد على هذا أن بعض الأعداء وصاحبه قتل . فان وجود قتل بعض منهم لا ينافي نصر الله لهم فان الله ينصهم ممن فمن ذلك بهم سريعا ونصر أعوانهم وأسياعهم ويجمعهم فوفهم وأوانيت تحت أقدامهم فيكونون هم العائين كما قال تعالى : انا لننصر رسلانا وانفس أمو في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد . فهذا نص صريح في أنه سبحانه ينصر رسوله في الحياة الدنيا وفي الآخرة ألا ترى أن اليهود عليهم لعائن الله لما قتلوا بعض الانبياء طدا وعدوا باذنه الله وصرب عبيده لدن والمسكنه آلاف المسلمين ، وكانوا تحت أقدام أنبياء الانبياء ، مع أنهم بدلوا عية جهدهم في هذه العصور الطويلة للحلاص بهم هم من الادلال والاهنة في حصولوا على شيء . وقد

(١) بل كثير من علماء امانه والطبيعه المشاهير اليوم معترفون بان قانون السامية قد أصبح غير حتمي كما قرره جيمس الاعلميرى وشيلز الماكي وغيرهم . فهو كما أنه مخالف الأديان كلها فقد خالف أكثر عبدة الطبيعة الذين يسبح بمقدمهم ويقدمهم فكان مبدعاً في كل نظرياته

جاءوا من عيسى عليه السلام وإهانة أنبأه من الجواريين وغيرهم فما
حصل لهم غير عكس ما أرادوا . كما قال تعالى ﴿ يا عيسى إني متوفيك ورافعك
إلى ومن عابرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى
يوم القيمة ﴾ وهكذا كان الواقع . وكذلك لا يقال إن الجوس انتصروا على
عمر بن الخطاب لما قبه أبو لؤلؤة حسدا وبعب وعدوانا ، ولا يقال أن أولئك
البعاه الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه انتصروا ، فإن الله عامهم بنقيض قصدهم
فأدبهم ودد ثمرهم ، وبصره الله عنهم فأنقم منهم بأعص شيء إليهم وهم عصية
عثمان ، وقد كان هؤلاء الذين خرجوا عليه وقبوه إنما قصدوا نقل الخلافة منه
لحكومة من بنى أمية بن عبد مناف وعدوانا لا لمرء ذلك ، فعلمهم الله بنقيض
قصدهم ، فبدم بالسيف الذي مروا منه ، فولى بنى أمية عليهم وجمعهم تحتهم
يسومونهم سوء عذاب حتى هلك ذلك الحين كله عن آخره فكان هذا الحليفه
الراشد منصورا ومن كان معتولا . وهكذا كل بني وصاح . قال شيخ الاسلام
ابن تيمية ^(١) « وان قيل في الانبياء من قتل كما أخبر الله تعالى أن بني اسرائيل
يقتلون النبيين بغير حق ، وفي أهل المحرور من يؤيه الله ملكا وسلطانا وسلطه
على المنتدبين كما سلطت على بني اسرائيل ، وكان سلط كفسار المشركين
وأهل الكتاب أحيانا على المسلمين فمن أما من قتل من الانبياء فهم من يقتل
من المؤمنين في الجهاد شهيدا قال تعالى « وكأين من بني قيس ^(٢) معه ربيون
كثيرا وهموا لما أصابهم في سبيل الله وما صنعوا وما أمسكوا والله يحب
الصائرين » وما كان قولهم إلا أن قلوا أرنا أغبر لنا ديوتا وإسرافنا في أمرنا
وننت أقدامنا وأمرنا على اقوم الكافرين . فأباهم الله ثواب الدنيا وحن

(١) أي في (الجواب الصحيح في الرد على النصارى) ج ٤ ص ٢٦٦
• (٢) كذا نقله الشيخ ، وهي قراءة مشهورة ، وإن كان الأشهر قاتن ، كما في
المصحف المطبوع

ثواب الآخرة والله يحب المحسنين - ومعلوم أن من قتل من المؤمنين شهيدا في القتال كان حاله أكمل من حال من يموت حتف أنفه ، قال تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون - ولقد قال تعالى ﴿ قل هل نرثون منكم إلا إحدى الحسنيين - أى إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة . ثم الذين الذين قاتلوا عليه الشهداء ينتصر ويظهر فيكون صافته السعادة في الدين والآخرة ، من قتل منهم كان شهيدا ومن عاش منه كان منصورا سعيدا ، وهذا عام ما يكون من النصر ، إذا كان الموت لا بد منه ، فالموت على الوجه الذى تحصل به سعادة الدنيا والآخرة أكمل بخلاف من يهلك هو وطاقفه ولا يفور لا هو ولا هم بظهورهم لاقى الدنيا ولا لاقى الآخرة . والشهداء من المؤمنين قاتلوا باختيارهم وقعدوا الأسس التى بها قتلوا كالأمر المعروف والنهي عن المنكر فهم اختاروا هذا الموت ، إما أنهم قصدوا الشهادة وإما أنهم قصدوا ما به يصيرون شهداء ، عالمين بأن لهم السعادة في الآخرة وفي الدنيا - صار طاعتهم وبقاء لسان الصدق هم ثناء ودعاء ، بخلاف من هلك من الكفار فاهم ملكوا خير اختيارهم هلاكهم لا برحون معه سعادة الآخرة ، ولم يحصل به لهم ولا لطاقنتهم شئ من سعادة الدين ، بل اتعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين . وقد فهم - كم تركوا من حساب وعيون وردوع ومقام كريم ، ومعهم كانوا فيها كهن ، ككذب وأورثها قوما آخرين . فما نكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين - وقد أخبر سبحانه أن كثيرا من الأنبياء قتل معه ربيون كثير أى أبواب كنهه ، وآبى ما سمعوا ولا استكاثوا لذلك بل استعصموا من دونهم حتى كانت سف ظهروا تعبوا ، وأن الله آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة - إذا كان هذا من المؤمنين فما الظن بقتل الأنبياء ، فعليه لهم ولأنعاهم من سعادة الدين والآخرة ما هو من أعظم الفلاح ، وظهور الكفار على المؤمنين أحياء هو سبب موت المسلمين كيوم أحد ، فإن تناووا انتصروا على الكفار وكاتب العاقبة لهم كما

قد جرى مثل هذا المصلين في عامه ملاحظهم مع "الكعاب" . وهذا من آيات
 النبوة وأعلامها ولائها . قال "نبي إذا قاموا بعبودته ووصاياه نصرهم الله
 وأظهرهم عن المحتاجين له . فإذا صيغوا عبودته ظهر أولئك عليهم ، فمدار النصر
 والظهور مع من معه الذي وجهه داوودا وعدها من غير سبب راجح ذلك ، ودوران
 الحكم مع الوصف وجودا وعدها من غير راحة وصف آخر يوجب العلم
 بأن المدار على لئلا . وقولنا من غير منحه وصف آخر ، يربى النقص
 الواردة . فهذا الاستقرار والتنعيم بين أن نصر الله وإظهاره هو سبب التباعد
 الذي وأه سبحانه . يبدى إعلاء كبره ونصره ونصر أساعه على من خافه . وأن
 يجعل لهم السادة ولمن يحب الشفاء . وهذا يوجب العدمية . وأن من اتبعه
 كان سعيدا ومن خالفه كان شقيا . ومن هذا صهور تحت نصر على بني إسرائيل ،
 فانه من دلائل نبوة موسى ، إذا كان ظهور تحت نصر إنما كان لما عبروا عبود
 موسى وتركوا أساعه فعوقوا بذلك " . وكانوا إذا كانوا متعدين لعمود موسى
 منصورين مؤيدس كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرهما ، قال تعالى
 في قصص بني إسرائيل في "كتب المصلين في الأرض مريين ولعل علوا
 كبيرا ، فإذا جاء وعد أولاهما بعث عبدكم عبادنا أولى بأس شديد فجسوا
 خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، ثم ردناكم إلى كفرهم وأمددناكم بأموال
 ونسب وجعلكم أكثر نفيرا ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها ،
 فإذا جاء وعد الآخرة لسووا وجهكم ببدخوا المسحود كما دخلوه أول مرة
 وليتبروا ما عتوا تنبرا ، عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا . فكان ظهور
 بني إسرائيل على عدوهم تارة وظهور عدوهم عليهم تارة من دلائل نبوة موسى

(١) كما جرى لهذه الأمة ، هاهنا لما كانت مستمكة بالدين ولا سيما في الأصول
 كانت على غاية من الثروة وصحة شأن . فلما أن تغيرت حالتهم في زمن المأمون وما
 بعده بدأ الضعف فيهم كما في الحديث : تنص من من كان قسما .

صلى الله عليه وآله . وكذلك ظهور أمة محمد صلى الله عليه وآله عن عدوهم تارة وظهور عدوهم تارة هو من دلائل رسالته محمد وأعلام نبوته . وكان نصر الله لموسى وقومه على عدوهم في حياته وبعد موته كما جرى لهم من يوشع وعيسيه من دلائل نبوة موسى . وكذلك انصار المؤمنين مع محمد صلى الله عليه وآله وبعده منته مع حلفائه من أعلام نبوته ودلائله . وهذا خلاف الكفار الذين تصرون على أهل الكتاب أحيانا . قال أوشت لا يعون مصعبهم إلى من ولا يعاون أبايع الانبياء على دين ولا يعالون من أوشت أن عدوهم على دينهم . بل قد يصرحون بأنا إنما نصرنا عليكم دينكم . وأن لو اتبعتم دينكم لم نصبر عليكم . أيضا ولا عمة لهم من الله يهلك الظالمين جميعا . ولا دينهم يظلم بقتله سعاده بعد الموت . ولا يعزرون لمن ليسعدوا بعد الموت . وهذا وأمثاله مما يظهر به الفرق بين انصار الانبياء وأنصارهم وبين ظهور بعض الكفار على المؤمنين وظهور بعضهم على بعض . انتهى

قلت وجميع الرسل الذين قص الله عليهم ما جرى بينهم وبين قومهم في القرآن العزيز قد نصرهم الله كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم . ومن المعلوم الذي لا ريب فيه أن الحصار والمنفذ منذ آلاف السنين كانت في أيدي المتدينين المقرين بالرسول . وهي الآن نحت من كل لهم أصل عريق في العديت . وإن كان فيهم الآن من ليس مسدينا . فالأسباب الأولية التي أهلهم بمعرفة في هذه الأمور كانت مأخوذة في أرمته التدين مقتضة منها . وهذا المنفذ معه قد اعترف اعترافا طاهرا في تبديته الهوجاء (كيف حال المسجون) من أورما لم تنتها هذه الحصار وتقتبس هذه العوم التي هي عليه لأن إلا من نصايح الاسلام ومن المسلمين الذين حالطهم في أورما . ومعلوم أن أولئك المسلمين كلهم مقرون . لقدرة والمشيئة العامة ودخولها في الأسباب والمسببات . ومع هذا حصص النجاح . بل

هو نفسه ذكر فيها . هي أن المجردين من الدين يبقون على طباعهم الخبيثة من الجهالة والظلم والعدوان المطلق ، ماذا كان المجرد من الدين يبق كذلك فكيف يقال ان المتدين لا بد أن يكون غير سيئ والنجاح إنما يكون للسبب المحض ، وصرح هذا أن الملحد هو الذي يعتقد أن الوجود مربوط بأسباب آلية طبعه ليس لقوة من القوى أن تقف في سبيلها ، فإن هذا هو اعتقاد الملحد بخلاف المتدين فإنه لا يعتقد هذا أبدا كما اعترف هو بذلك فيما يأتي منه لا إله بلا فعل ، وإثبات العمل بقصى للإنسان بأن لا يكون سيئا ، وقد قدمنا غير مرة أن الإيمان بالأسباب بكونها آلية طبعه ليس لقوة من القوى أن تقف في سبيلها أكبر مصيبة وأعظم محمل لنقوى ومضعف لها ، ولا يمكن بحال أن ينبج من هذا اعتقاده ، لأن هذا لو هو العظم والعائق الأكبر لا بد أن يضطر صاحبه الى الإيمان بالملحوقات الماحرة التي يشاهد مجررها في نفسه وفي غيره فيكون ضميره قلقا حزنا ، ومن هذه الأسباب المحدودة الضئيلة التي هي غير مضبوطة له وهي مشتركة بينه وبين عدوه ، وقد آمن بأن عدوه يقدر على مثل ما يقدر هو عليه لأنه مؤمن بأن جسد الإنسان يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء ، وهذا يوجب أحد أمرين الأول إلاف النفس في لعمل إما احتيارا أو اضطرارا ، فالاحتيار قل أن يفعله من فيه حياة صحيحة ، ولا سيما اذا كان يرى أن أكبر مصلحة عمله لعبه كرتيس ونحوه ^(١) وأما الاضطرار فلا يحصى ما فيه من الاستعداد وقتل الدهس والحرية والتفكير الصحيح والأمر الثاني يوجب رهس العمل رأسا ، ولا سيما اذا كان في شعب صغير قد استولى عليه شعب أو حكومة أكبر منه ، لأنه قد آمن بأن القوة الكبرى تفعل الصغرى حتما ، وآمن بأن عدوه سيعمل أصعاف ما يعمل هو ، فلا فائدة حينئذ في

(١) وربما كان أكثره الناس إليه ذلك الرئيس أو الرؤساء الذين أجبروه على الفصل لصالحهم

العمل ، بل قد يختار أن يعتم حياتة في الصرح والمرح واللذات العاجلة ولا يتنف قواه في عمل يصعه لغيره ، وهذا بخلاف الدافع لدينى الذى يعتقد صاحبه أن الأسباب مربوطة بنتائجها والوسائل بعابيتها وأن الله يفعل بالأسباب وقد أمر بالأخذ بها والاعتماد عليه تعالى وأنها كلها تحت مشيئته وقدرته فهو القادر على بصره وتأييده وتوقيفه وإدلال عدوه وقهره وفساد أعماله متى تصح العمل معه ، معتقدا أن عمله لا يذهب سدى إما "عمادة" ، وإما الشهادة فعليه كله خير له وكله طاعة وكله مناب عليه ، فمن كان هذا هو اعتقاده فانه حقيق أن ينجح وحقيق أن يوفى وحقيق أن يواصل السير في عمله بقوة وبشاط ، ولا بد أن تكون له العاقبة الحميدة

ودعواه أن هذه مشكلة حقيقية كبرى لم يوجد لها حل الى اليوم ، يقال له . من المحال أن تكون هذه المشكلة مشكلة كبرى لم تحل ولا يذكرها أحد من الناس غيرك . فان من المعلوم الذى لا ستر فيه من له مشكلة من عقر أنها لو كانت مشكلة لذكرها أحد من الناس عن اختلاف أصنافهم منذ آلاف السنين ، من هو الذى أشكلت عليه عرك . وهذا رهن طاهر على أب من أوصح الواصحات ، وان وضحها عندك اناس أوصح من الشمس ، حتى السوفسطائية الذين يعانطون في الحقائق لم يجدوا لها مشكلة كبرى . وكيف يكون مشكلة كبرى ويسكت عنها الملايين وملايين الملايين آلاف السنين وهم سائرون عابها حاكين بها على كثرة أعمالهم ، حتى أن المحتدين في الصعدات مقررون بها ، فالكس إما ملحد رديق مكر لها رأسا ، وإما مقر بها . أما كونها مشكلة فانما يكون هذا فيما كانت نظريته مقلوبة في معرفة الحقائق ، وكان محالها للناس في كل نظرياتهم مثلك ، فمن كانت هذه حالة لحقيق به أن تشكل عليه ، لعبط حجاب قلبه ، واضطاس بصيرته وقوة طلبته . ولقد كان من الواجب المروض عليك أن تستغنى فيها اذا كانت مشكلة عديك أما كونك تذهب الى مشكلة

حقيقية كرى عندك فسى عليها كـ طويلا وندي . هـ حقائق أرلية أبدية
 وأن الهوى موقوف على الأحكامه و"سقوط موقوف على تركه وأنه لن
 يستعنى عنه مسلم ، فهذا من أحدث ما يعبه الانس وأشنع ما يصن به غيره
 ولا عرامة في من سقط على أم رأسه وأصبه الله على عم وحتم على سمعه
 وقلبه وجعل على بصره غشاوة أن يذهب إلى وضح شيء في الدنيا كلها بأسرها
 وهو الايمان بالله تعالى ونفسه ومشيته العامة وانعم مع ذلك وسجاح فيه
 فيدعى أن ذات مشكاه كرى له يوجد له حتى أن "يوم . فان الاعنى الذى في
 عانة طلبة المحبوب بالحجب "مكتبة لا يرى شمس صحو ووسط الهمار ،
 وهكذا أعنى "بصرة مطم "قلب المحبوب بحجب الصلوات لا يرى الحقائق
 الساهرة أى هي في الوضوح والحد كدث ، ثم مع المسكين بل وغيرهم من
 أهل الانس من علم وعامى من سائر الأصناف يعمل ويسعى جاهدا حادا
 في عمله في رعايته وصناعته ونجدته وسائر أمور معيشته وأكثرهم ينحج في
 عمله ، وإذا عدم النجاح عرف أنه من سبب غير هذا الايمان ، وأذن إنسان
 من عامة المتدشين يؤمن بالله ونفسه ومشيته العامة يجد في عمله ولا يوهن هذا
 الايمان شيئا من عمله البته . ولو أن هذا الذى ذكره قد خطر على مال أحد من
 الناس لسأل عنه ، وكيف يحظر على مال من له عقل أن الايمان بالقدرة
 والمشيئة يوجب عدم النجاح ، وأن لكفر بدت يوجب النجاح . وكل عاقل
 يرى هؤلاء الناس على اختلاف طبقاتهم يسعون سعيا حثيثا في طلب حاجاتهم
 سواء أكانت مشروعة أو مباحة أو محرمة موقنين بالنتيجة تحت المشيئة ولا
 أوهم هذا الايمان عرائهم ، بل منهم من هب من شدة اجتياحه وحرصه على
 العمل مع ايمانه هذا ، ولا يمكن لأحد أن يجد فرقا بين هؤلاء العاملين من
 أشعرية ومعتزلة وغيرهم في هذه الاعمال التى يحاولونها مع اختلافهم في تعلق
 الاسباب بمسبباتها

ونما يظن هذه الدعوى من أصلها أن اجتهاد الإنسان وحرصه في عمله أو تراخيه أو وهنه فيه ليس مشقة الإيمان بقدرته منه ومشقة ، بل منشأ ذلك هي لغوامس التعريرية بحسب الدواعي من الخب والسعس ونحو ذلك ، فإن الإنسان إذا كان يحب شيئاً حاشديداً كان سيره واندفاعه إلى تحصيله عظيماً ، كالرجل الذي يريد انقاداته أو حمله من مهادك ونحو ذلك ، بخلاف ما لو أراد أن ينقد شيئاً نفياً أو ليس في اقتضاه أمر كبر في سعيه في ذلك يتراخى ، وذلك لأجل الداعي والخوف مع أن اعتقاده في المشقة والأسباب هو محال ، وكذلك الرجل الذي يريد أن يصنع لاسه أو حمله دواء فيه دليل غاية جهده ويحرص عنه الحرص في إنشائه ، خلاف ما لو صرعه لومه نافية أو لأخر لا علاقة له به أو كان يكرهه مع أن اعتقاده في القدرة والمشقة في هذا الدواء ومفعوله محال لم يتعب في الحالتين في الحرص والاجتهاد ، فمن ادعى أن الإيمان بالقدرة والمشقة ينهي الأمل أو يبيد الاجتهاد فهو مكار مصاب في ديبه وعقله ، كما أنه كفر ظاهر وحروج عن حقيقته الإسلام بالله ، ولا يخفى هذا إلا على من صرع الله على قلبه وكان من العاقلين

وقد تبين من هذا معنى الدين لاطل عنده والفكرة الدينية التي هي أصل هذه المرام إلى حقايق المسلمين ، فالدين انبساط - كما ترى من صريح كلامه في هذه المحلة - أن يؤمن الإنسان بالله تعالى الذي هو سبب الأسباب بأن له قدرة كاملة ومشقة عامة في إمكاتها أن تقف في سبيل الأسباب وتتحكم في نهايتها ، فإن إيمانه بهذا السبب يمنعه على حسب ما تصور في تلك القدرة والمشقة فلا ينجح ، فإذا اعتقد الإنسان هذا فهو على دين ساطن ، أما إذا كفر بالمشقة والقدرة التي حصلت من أجل الإيمان بهذا السبب وآمن بالأسباب بأنها آلية طبيعية لا تقف في سبيلها شيء ولا يتحكم في نهايتها شيء فهو على دين صحيح . فهذا هو الدين الصحيح عنده . ولهذا ذكر فيما بعد أن هذا الدين الصحيح لا

يكاد يوجد ، أو أن الناس عا حرون عن فهمه . فلاحظ هذا المقام ملاحظة دقيقة ينكشف لك ما وراءها من الخيط الذي ليس وراءه خيط ، ويرول عنك شيء كثير من خداعه الذي حذع به بعض النوكى وضعفاء البصائر وأشباه الأنعام

• • •

ثم قال بعد ذلك الخمة ، فالتصور الدينى البسيط الأول يدرك «الضرورة أن هذا الاله إما أن يكون له فعل وعمل في هذا الوجود ، أو لا فعل له ولا عمل له . أما العرص الأخير فمعناه لا شك في الاله . إذ لا إله بلا عمل وأثر . أما الافتراض الأول - الذي لا بد من الافتناع به - فإنه على حسب الفكرة الدينية - أو على حسب تصور المتدين - يوجب الارتبوت والاستمانة «الأسباب وبنوع الثقة بها منها . فان تصرف هذا الاله حينئذ وعمله لن يكون إلا دحولا في الأسباب وتصرها فيها أو عملا بدوها ، أو إيجادا وحققا لها . فهو قد ابتدأ الأمور بدون أسباب ، فلا عمله من افتراض قطع سلسلة الأسباب ومن الأحدها ابتداء^(١) ، ثم هو اذا فعل وصنع فلا بد أن يكون عمله وصنعه إما وهما لاسبب ، أو إيجادا ومنع له من نوع عاينه ، وإما اعانة له^(٢) وإبلاء للفرص والبيعة بدوه ، وأما إيجادا وحقق له ، والاحتمالات كلها معناها انشئت في الأسباب والتهوين لئلاها ،

قلت : هذه الجملة هي شرح حقيقة الاشكال الذي ادعاه في احلة السابقة ، وذلك أن التصور الدينى يوجب للانسان نداعة بان الاله له فعل وأثر في

(١) هذا مبدوع

(٢) وأي عذور في هذا

مخلوقاته ، ولا بد أن يكون هذا الفعل وهذا الأثر تصرفاً في الأسباب (١) ،
 بقطع أو وصل أو إغائه أو إبطال أو منع ، وكل ذلك - على ما رعم - يوجب
 للإنسان الشك في الأسباب والتهوين في شأنها ، فلا يكون الإنسان الذي
 يعتقد هذا سدياً فلا يتحجج ، فالإيمان بفعله وأثره ، والإيمان بهذا الفعل والأثر
 أوجب الشك في الأسباب ، والشك فيها أوجب عدم النجاح . هذا صريح
 كلامه - كما ترى - ولا بد على هذا من الكفر بسبب الأول ليرد ما بعده
 فيحصل النجاح المطلوب . فإني عبارة أصرح في الدعوة إلى الإلحاد من هذه ،
 فصارت المصيبة التي أحرقت جميع المنتدسين الذين لم يهوا الحياة شئت جديداً كما
 يقول هو إيمانهم بالله ، معني وأنه يتصرف في أحواله بعده وأثره كيف شاء ،
 أما المنتحلون من لأدسن الذين صنعوا الحياة فهم عكس هؤلاء ، فهم هذا
 نتجوا (٢) . ووجه الاشكال وسره الذي ادعاه وسقط فيه أنه لا بد للإنسان أو
 للمعتدين من الاقناع بوجود إله ، ولا بد لهم من طلب النجاح ، وطلب
 النجاح موقوف على اعتقاد عدم الصرف في لأسباب والتحكم فيها ، والإيمان
 بالله يوجب الإيمان بفعله إذ لا إله إلا هو ، وفعله لا بد أن يكون مميّزاً
 للأسباب وتصرفاً فيها على كل احتمال ، وهذا يقضي إلى عدم النجاح ، وحينئذ
 لا بد من أحد أمرين . إما أن يقولوا على الإيمان به وتصرفه وعدم النجاح ،
 وإما جرده ونفيه والاعتماد على الأسباب ، وهذا يوجب النجاح . وهم
 لا يهتمون إلا بالأول وهو يقضي إلى الآخر ، ومن هنا وقع الاشكال . فهذا
 هو مشكله أن لم تحل ، وهذا سرها الخبيث المنقش ، فله لما آمن بالأسباب على
 الذي ادعاه ، وهو أن النجاح منوط بالاعتماد عليها لا على خالقها ، وأنها تفعل

(١) لأن كل ما في الوجود فهو أسباب

(٢) هذا روح الكتاب . وهو أن الإيمان بالله يتركه عن الشر كما فعله عن منعه

غرضنا لعنوا الله

يطعها فعلا آليا طيعيا لا يمكن لقوة من القوى أثر تعف في سبيلها ، أوجب له
 هذا الايمان الكفر بما يرد على ذلك وهو تصرف الله فيهما على كل احتمال ،
 وهو انكار فعله مطلق ، وانكار فعله يوجب انكاره كما ادعاه بأن فعله يعي
 له بلا شك . فهذا سر مشكلته التي جعلها حقيقة كبرى لم يحد لها حل في اليوم
 ولا شك أن من اعقد هذا الاعتقاد لا بد من وقوعه في هذا الاشكال الذي
 هو صريح الاتحاد ، فهو فرض أشياء ومقدمات باطلة وفي عليها ما شاء ؛ وقد
 بينا أنها لم تشكل على أحد غيره . قد عرفت أن هذا محور كلامه ونقطة
 دائرة الخلاف وأنه وجه إشكاله ، فاعلم أن أدنى متدن خافض فضلا عن غيره
 يسهل عليه حلب فقول : دعواك أن الامرار . تصرف يوجب اثبات في
 الأسباب والاستهانة بها على كل احتمال دعوى في غاية السقوط ، فهي مع
 كونها دعوى مجردة ايسر عليها دألي فهي محالفة له قبل واهموره والحس
 والوحدان والاستقراء والواقع ، أما الفعل فانه من الملوك الذي لا ريب فيه
 أن الأحاد بالأسباب مع الاعتقاد بأن الله قد أمر الأخذ بها ووعدهم
 استعاض به أن يعينه وأنه انقاد على تقويتها وسديدها وهي تحت قدرته
 ومشيئته وطوع إرادته بوجوب الحث ومواصلة السير في العمل بها والاجتهاد
 في الأخذ بها ، ولو أن ملكا عطيا أمر عبده بحمل وأعطاه أساء ، يعبون بها
 ووعدهم أن يعينهم هو ويسر لهم هذه الأسباب ويدفع ما يعارضها لكان
 أحزم هذه الأسباب والاجتهاد فيها أعظم وأقوى وأشد من كونهم لا يؤمنون
 إلا بأسباب قد عرفوا عجزها وضعفها ، وعلموا وجود أمور أخرى مثلها
 تعارضها وتنفلها . وهذا الماحد جعل جمع الاحتمالات التي ذكر منها الاعانة
 والوصل في الأسباب مما يوجب الشك والاستهانة بها ، وهذا من أفند ما يقال
 وأما بطلانه بالضرورة والاستقراء والواقع فكل اسان يرى الناس على
 اختلاف مذاهم ومشاربهم يأخذون بالأسباب جادين في الأخذ بها ، وكثير
 منهم قد هلك من شدة الحرص والاعتماد عليها ، وليس وراء الهلاك في الحرص

شيء . وإذا وجد في أحد منهم كل أو وهو لا يكن مثلاً ذلك من هذا
 الإيمان ، بل مثلاً إيمان أعيد الطينة أو من أمر آخر ، وإبرهان على هذا
 أن الكسل والوهن لدى يوحد في التاجر مشترك بين سائر الناس ، وعابه إنما
 يوحد في أهل الصدق وأنواع "شعرات والمفتين" ، وكل أن يوحد في
 المستمسين بالدين من هو كذلك . وقد فلك غير مرة إن الإيمان بالله وصفته
 وإعائته ورحمته ونعمته في الأسباب أعظم حافز يوحد على وجه الأرض ، فإنه
 يبعث على النشاط ومواصلة العمل ، سكون لله أمر بذلك ووعد بالاجابة لمن
 أطاعه وتوعد من حالف أمره بالاهانة واحداً . فحق عدم الانسحاب أنه بحق
 وأنه مطيع وأن حصصه ظلم له أو حب له هذا الإيمان مواصلة لسير والصبر
 والثبات والحرم والعزم الذي لا حد له ، أما إذا اعتمد على الأسباب وحدها
 وأن العدل والخائر والجاهل والعالم والمسيء وانعكس عند هذه الأسباب سواء
 في "موسى" من اعتقده هذا في وفي أساليبها سيكون هو "العائق الأكبر" والحدود
 الأعظم الموحى للباس والقنوط للأسباب حينئذ ، ولا سيما إذا كان في أمة
 صغيرة وعدوه أمة كبرى فإنه يفتقر وبصره ، والعمل والاحتياط عرض الحائط ،
 لأن القوة الكبرى في "موسى" الطبيعة كما يدعى منعاب الصعري لا محالة ، وإذا
 حاول المعاناة والمصاراة والعريضة فقد علم أن حصصه سيكون كذلك وسيبسه ،
 لأنه أكثر منه عدداً وأعظم انتاجاً . وإذا حاول زيادته لقوة فإنه يعلم أيضاً أن
 حصصه كذلك ، فإذا متى شرا متى عدوه بعباً أو أكثر ، لأن "موسى" الطبيعة
 كذلك ، وحينئذ يشك ويرتاب ويستبين العمل ويترك رأساً إن استضع ،
 ويفتقر فرصة لذة الحياة لمعالجة وراحة الصغير ويسلك مع عدوه مسلك المسألة
 أو الخصوع الذي لا بد منه ، ولا حاجة إلى المقاومة لأنها صرر أو عبث ،
 ولأنه ليس هناك عقوبة ولا ثواب وليس معه رأساً يحجب به غير هذا العزم
 القصير فكيف يتفقه في مصلحة غيره من لا يعلم به ، وربما كان عدواً له .
 وهكذا كان كثير من الشعوب التي فشا فيها التفاف والزندقة والاحساد ، فانهم

اضطروا الى جعل العمل إجباريا لفقدان الروح الحية الدافعة الى العمل اختيارا ، وأما المؤمن فانه بخلاف هذا كله ، فانه يعتقد أنه موعود بأحدى الحسنيين إما السيادة أو الشهادة والحصول على الجنة أو النجاة من النار ، وهذا هو الذى لا يبيع فيه ولا حلال ، بخلاف العصب «بقومية والوطن ونحو ذلك فأكثر هذا دعايات فارعة وأصنع لامة سرعان ما نزول ، فأكثر الناس لا يبيع حياته التى لا يرى أن لا حية به غيرها بلوطن ونحوه ، وهذا معروف بالاستقرار فى الثموت المنة و لمانقه ونحوها كما أوصحننا هذا مرارا كثيرة

• • •

ثم قال : وقد يقال بعبارة أخرى - على حسب تصور المندين - ان المسألة لا بد أن نعلم هكذا الأسباب إما أن تكون كافية لأحدين بها أو غير كافية ، فان كانت كافية وأنس الاله وأفعاله وألطافه ١٩ فهو إذن غير كافيه ، وإذا كانت غير كافية فهو إذن غير حليفه لأن مول عليها المؤمن تعويلا صحيحا ، ولا أن يلتصق اليها ومن هنا يصبح غير سببي :

قلت : وهذا كالذى قبله فى كونه إلحانا صريحا ، فانه اذا كان يصحح غير سببي فلا ينجح ، وهو خلاف المطلوب ، فعليه إذن أن يعتقد كفايتها ليكون سببيا ، واعتقاد كفايتها يتفق مع اعتقاده وجود أفعاله وألطافه وهذا لا يمكن فيه إلا أنى الاله كما قال فيما سبق ، اذ لا إله الا هو ولا فعل ولا أثر ، وان معنى هذا لا شك أنى الاله بجملة ، فبما الاله لا شك ، وهذا صريح فى الكفر والالحاد ، وهل يشك فى هذا من له عقل يميز بين الدين والكفر ، ونقص هذه الدعوى فى هذه الخلقة يعبر من نقص الحجة التى فيها . لأن هناك فرسا ثالثا تجاهله وتركه وهو الحق الواضح . وهو اعتقاد كفايتها باقته تعالى تحت المشيئة وجودا وعدما وهذا الفرص أوضح من الفرصين الآخرين ، فان أكثر البشرية مقتنعة به وسائرة عليه ، ولا يلزم من عدم كفايتها لذاتها تركها . ألا ترى أن

وجود الشفاء من التداوى غير محتوم ، ولم يدر من ذلك تركه رأسا ، بل ولا
التحويل من شأنه ، وكذلك الزراعة والحجارة فان حصول نيجتها والانتفاع بها
ليس حاصلًا حتمًا ، وذلك لم يمنع من استعماله والحرص على الأخذ بها وتقييم
والاحتياط فيهما عند المتدينين كلهم ، والسيئون الملتحدون أنفسهم معتقون
بأن عدم تحتم وجود البعثة لا يمنع استعمال سببها ولا لنهيها فيه . ولذلك
يحرصون التحارب مع البحار ، وقد يحسرون أموالا طائلة ولا يحصل لهم
نفع إمامة مصادق ومكافأة . وكثير أعمال الناس في أمورهم وفي معاشهم
تجرى على الصور وعلى المحاطة وعلى التجري وذلك لم يمنعهم من الحسد
والاحتياط في استعمال أسلحتهم (١) كما أن عنهم بأن الأكل والشرب واستعمال
الوقاية من المضار لا يمنع من الموت ومن المرض ، ولم يمنعهم اعتقادهم هذا
من استعمال هذه الأمور في تركها ، كإهمال كادى قله ، وهو دائما يعمل
الدعوى دليلا على نفسها مدعى وسند معاً ، فيقدر تقديرا مستجيلا أو بعيدا
أو يسي عليه ويحكم به بل ويجعله برهان على غيره ، هذا مع أن تصور المتدين
في هذه الأمور محض احتياط بعيدا وقد جعلها قصة كلية عامة مع فسادها
وظهور بطلانها كما هو ظاهر

• • •

ثم قال : وجهة أخرى تلك هي أن المتدينين عجزوا عن أن تصورا إلهم
تصوروا يسمو كثيرا على ما يعرفون ويشهدون من القدرين الآخرين ، فافقه
في تقديرهم وتصويرهم - وإن احتملوا في هذا وتحملوا كثيرا - لا يعدون أن
يكون - في أفعاله وقضائه وقضاياه وحكمه على الأشياء وعلى الآخرين وعلى

(١) بل قد هلك بعضهم من الحرص عليها والكدر فيها مع اعتقاده بأن النتيجة

غير حتمية

سائر عبيده ورعاياه - بشرا مقتدر اكلهم يعرفونهم ويفكرون تفكيرهم ، ولهذا
 ما به - أى الاله - يعذب عندهم ويرضى ويتنعم ويشيب ويحارى ويهاجم على
 مقتضى انفعالاته وعواطفه ، ويلجأ الى المحسوبة ^(١) والى الاعطاء والمنع على
 الشفقة ، ويتحرك في هذا العام كله على ما يشير به هذه الاعمال والتطورات
 عنده وعلى مقتضى تطورها ونموها لا على مقتضى و من شأله ^(٢) ذاته ، هذا
 بلغوا هذا المكان من الايمان هو السمعون رعا هذا الاله على ما تصوروا ،
 وهو يتمقونه ويطبقونه ويصنعون ما يحسون أنه يبله رصاه وعطفه ،
 وأرصدوا حل قوامه وأوقته وأعمق طبعه السمين ، ليدركوا لديه ما يشتهون
 ويتبعون ، فسمعوا بذلك عن سلوك السدل ^(٣) وعن محاولة القيام بالأعمال
 الباقية المحنة ، لأن تصورهم للأشياء قد أصيب بالفساد ، وإذا فسد تصور
 فسد الأعمال لا محالة ، وأصبح مثل هؤلاء كمثل أولئك الرعا الممحقين
 الممحقين الكذابين الذين تحدثنا عنهم كيف كانوا يباون رصا ملوكهم
 وحفصتهم وأمراتهم ، وكيف كانوا يباون دهمهم وقصصهم وصباغهم وحواريهم
 وكل ما يحسون بالملق والكذب والنفق والعمودية والامتداح وكل تلك الحزى
 الخلقية التي أنتها لها كتب الأدب والفرح وأسمها مكافئ ومكافئ وأديبات
 إننا إذا وصفتنا أماننا ملكا أو حديفة من أولئك الملوك والاحماء ونصورا
 كيف كان الناس ينفقون الجراء والخير والنشر عنده ، وتصورا كيف كان يعطى
 ويقرب الشعراء والشعراء وصنوف المتنفقين لكبرياته ، وكيف كان يحرم

(١) قبحك الله من هو الذى ادعى هذا

(٢) أريد أن يكون حاصلا لواميس الطبيعة التي يستخدمها الاسد بزعمك

فيكون الانسان هو المتصرف وهو العاجز

(٣) يوم جدا أنهم لم يركوا لعل لأجل انفعالهم باسادات والعكوف في

المساجد فقط

ويقضى أهل الجدة والصدق في القول والعمل ، وكف كان يتخرق عظامه بدون حساب لأنه أراد ذلك ولأنه رضى ولأنه أحب أن يمدح ، وكيف كان يسير نقمة وغداً لأنه أراد ذلك ولأنه غصب ولأنه أحب أن يرهب ، ثم تصور كيف كان يتصرف في إقطاعياته وفي عبيده وكيف كان يعطي ويمنع لاحتلال ولا كرم ولا عقلاً ولا سمهاً ولكنها اضطرب وتوساوس ولم يدر حال وصيهم بالخبال ، وكيف كان يستقم وثبت ^(١) إبان ادأ صوراً مثل هذا الخبيث أو المثلث ، ثم تصور كيف يمكن أن يكون هذا من يمكنهم على أطراف كعنته ومن يقطعون إليه ويلتمسون رصده وهذه رخصت لمواقع محارباته ، وكيف يصحرون شر لأنه ^(٢) وكيف يعجزون أن يفعلوا الخير والصواب ^(٣) ثم تصور قوماً يؤمنون بقوة مضافة على سموها ويجهلونها كما يجهلون هذا المثلث أو الخبيث إبان هذا تصور ذلك كله لمعسر عيب أن يدرك كيف عجز المتدينون على أحسن ديارهم وأحسن أحوالهم وأمر حثهم وأحاسنهم عن أن يهوا الخبيث شيئاً جديداً وأن يكونوا فيه محتويات مستقرة ،

قلت في طار المسلم الغيور شي ديه لي هذه السلسلة الخبيثة المذمومة وما تضمنته من الكفر العبدط والمجور ، ليس لأحد له ، ولولا أن الله تعالى ذكر في كتابه العزيز ما نسب إليه أعذاره من الإقوال الكفرية لم تستطع إلا من نقله ^(٤) ، يا مغلولاً بهذه الأعلام ، في أي كتب وجدت أن المتدينين عسلى

-
- (١) هكذا وصف من امتثل أمر الله وعمل صالحاً ، كما أنه وصف الله جن وعلا بهؤلاء الملوك الفسقة أهل الجور والظلم
 (٢) هذا نصريح بأن المتدينين شر البرية
 (٣) نصريح صاهر بأن المتدينين لم يفعلوا الخير ولا الصواب
 (٤) كما نسبنا على هذا فيما سبق

أحلاف أحاسيسهم بتصورون إلههم بشرا مقتدرا كالذين يعرفونهم ويفكرون
تفكيرهم إلى آخر ما هديت به وأذن عقيدة من عقائد المسلمين تصرح بأن
من شبه الله تعالى ما بشر فقد كفر . ومن أعظم لكفر عندهم أن يشبه الله
بحقه في أي كتب وحدث أنه جل وعلا يلجأ إلى المحسوسة وأنه يحكم هذا
العدم كالحكم من ذكرات ومعبود أن ما ذكرته من الطوائف والالهيالات
إنما تصق ما ذهبت إليه في الطبيعة وما عيسها ، فإني قررت أنها تتطور
وتتغير ومعها كذا عرفت أي عاينتها وسمعت إليها حكم عالم ، ثم بعد أن
أخبرت عن المقام الذي ذهبت إليه من المؤمنين به مع أنك تخصص لهم
وتصرح بهم بعد ذلك . عاين المذنبين مع أمراء الخور والخط والظلم
فبني صلالا على كفرات ، ثم ذكرت هذا لرباني حتى ذهبت تشبه رب
الصادق وأخبره بالحق وأكرمه بالكرامات ، فإني له الكمال المطلق الذي لا عيبة
ووقفه فإني عاين كل من عاينته منكم والعدل والاحسان . فإني أو
الحيثية زاهوج الذي لا يحسن يدركه منكم . وأن هؤلاء المؤمنين بالله
كأولئك المذنبين عاين أدراك المولى والخدعة ، السوء ، وتدعي أن هذه هي
حاله عند . ولو حقيقوا وخلفوا لا تعدوا هذا ، ثم تركت على هذا الخورا
أقبح منه فتبين . ثم تصور ما قوما يؤمنون بقوة مطلقة عليها يسمنونها لها
ويؤمنون بها كما يسمعون هذا المثل أو الحقيقة ، بل . ومعلوم أنك إذا تصورت
هذا إنما تصور أولها ما يحيلتها بحيث لا حقيقة لها ورمت بها المتدينين ، ثم
ذهبت تدعي بأنهم سر الثرية ، ثم ركت على ذلك فجورا فوق كفر متراكم
مقولك ، إننا إذا تصورنا هذا كله لم نعلم عينا أن يدرك كيف غير المتدينون
على اختلاف ديارهم وأزمانهم وأبائهم وأمزجهم وأحاسيسهم عن أن يهوا
الحياة شيئ حديد أو أن يكونوا فيها مخلوقات متألقة . ألا فإني الله ما أهون
الكفر عليك وأخفه على لسانك ، أيا بلعام زمانه إذا تصورنا ما ذكرته فإنما
تصور الملاحدة واستحداهم للطبيعة ونوايسها وعبادتهم لها فإن هؤلاء

الملاحدة اعتقدوا في الطبيعة كما اعتقد أولئك المنافقون في أمراءهم والخور
وسفاهة الرأي ، لأن هؤلاء المنافقين لم يعبوا أن أولئك لأمره لا يعدن ولا
رحمة ولا علم ولا حكمة لديهم وإنما أمورهم وأفعالهم تابعة لقوة دهرهم بخدعهم
ويعرف كيف يسير مع دهرهم وطبيعتهم الفاسدة فعبوا ما يعمى بهم من سجد مع
الطبيعة وبواميسها ، فإن المنحد يعتقد أن الطبيعة مجرد انبعاثات لشي لا علم
ولا حكمة ولا عدل ولا رحمة لديها ، بل من استخدم هذه اللواميس من ما
يسمى كما ادعيت ذلك صريحا ، ومن صاغها لم يستحسن شيئا وإرصاده وصلى
ورغم أنه مسلم ، فكل من صالح يبدله قبل يعمله لأن لا عظمى على لا عدل
الصاحبة وإنما يعطى على مقتضى استخدام البشر لها وتصرفها على وفق معرفتهم
ومسكنهم ، وكل ما يصدر أيضا عنها من نيحة إما هي بحسب تصورهم وما عليها
لا على مقتضى مشيئة عادية شاملة صارمة صادرة عن عزم وحكمة ورحمة ، هؤلاء
المنافقون مع أولئك الأمراء هم من حسن هؤلاء الملاحدة من الطبيعة
وبواميسها ، بل الملاحدة شر منهم وأضعف آراءهم عسوا كل مصادرها
من حيث وغيره وحسنوا له وخدموه واستخدموه ، بخلاف أولئك فانهم
عبدوا مطهر او احدا حصوا فيه بعض مصادمهم كما حصل هؤلاء بعض مصادمهم
واستمتع بعضهم ببعض ، أما المؤمن بالله تعالى فانهم بخلاف هؤلاء فانهم ،
فانهم اعتقدوا في الله تعالى الكمال المطلق الذي لا عيب فوقه من جميع الوجوه
فوصفوه بما وصف به نفسه في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله ﷺ على
الوجه الاتق به لا على ما يليق بحقه ، فكل صفاته تختص به ويقتضى به وقد
علموا أنه سبحانه عني عنهم وعن عبادتهم وأهم لو لم يعبده من وعبدهوا لم
يصره شفا ، وإنما أمرهم بهذه نعروض الشهة البيرة رحمة بهم ، فانهم خفقوا
من أصل الفقص العدى من كل وجه فلا بد أن ينحطوا الى الأصل الذي
خفقوا منه ويرجعوا اليه ، ولكن لرحمته ولطفه وإحسانه خلق فيهم نصرة فانية
لمادة الخير المستمد من الكمالات فأرسل اليهم الرسل وأمر اليهم الكتب ليظهر

على الطريقة الوحيدة التي تنفعهم وبها يستحصون على غاية اللذة وغاية الحياة
الصحيحة فصلا منه وإحسان ، فطريقه التي لا طريقة سواها هي أن يستمدوا
بهذه العطرة المخلوقة فيهم ما يلائمهم من مصادر الكمال التي هي الأثار السماوية
والانصال بها ^(١) ، وحيث أن الإنسان جاهل بكيفية العمل الذي به يدرك
هذا الشرف الرفيع والمجد الذي لا أعظم منه حصل له نظاما سهلا يسيرا مضبوطا
يسير عليه ويتمسك به ، فالندوات والصلوات وغير هذا من مظاهر عبادة
الحائقي هي اتصال مقدس بين العبد وبين مصادر الرحمة والاحسان وسائر
صفات الكمال يحصل لذمتهم بها تطهير وتقديس وتوير وقوة وروح ولذة
وعبرة ، وهي تؤثر فيها تأثيرا يبعثهم على أن تكون إنيية ملكية ، ولا يحصل لها ذلك إلا من طريق هذه العبادات
المعروضة لأهل السبيل إلى اكتساب هذا الكمال الوجودي ، فإذا أعرضت
عن ذلك وتركته صارت منحصرة في طياتها ودركاتها الاصبه لطيفية بسبب
ما يتعاقب عليها من طيات المعاصي ومبشرها لانتقاص ومصادر النقص ، فإن
تقاس الطبيعة والنظام السماوي كقابل الوجود والعدم والنقص والكمال ، فكما
أبعد الإنسان عن النقص حصل له زيادة كمال ونور ، كما أنه إذا أبعد عن
مصادر الكمال انعمس في النقص والظلمة ، فالعبادات التي شرعت فصلا من الله
وإحسانا إلى خلقه ليحصلوا بها سعادتهم ، إذ أن ذلك غير ممكن لهم إلا من
هذا الطريق ، فكيف تقاس هذه العبادات الشريفة على تلك الأعمال الخبيثة التي
يعملها المنافقون مع الملوك الذين كل منهم مضطر إلى منافقة صاحبه ومراعاته
وخداعه والكذب عليه ، بل هؤلاء إنما ينطق عليهم فعل الملاحظة مع
نواميس الطبيعة إذ هؤلاء الملوك الصمة سبب من أسبابها التي تستخدم وتخدم .

(١) أي يفادون العطرة الصحيحة مما يلائمها من مصادر الصحة والكمال التي هي
الاتصال بالحال في عبادته وطاعته واتباع أوامره

ولا عجب فالمناقضون هم أعداء الدين منذ وحدوا كما قال تعالى فيهم ﴿ ثم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ وقال فيهم ﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾

ثم دعواه على المتدينين على اختلاف أجسامهم أنهم لم يهوا الحياة شيئاً جديداً مع دعوى عدو على عدوه يمكن أن يقس بمنئها ، وأن معالم الأدلة على ضدها . فإن ما ادعاه قور مجرد عن الدليل ، وأبرهين الصادقة قائمة على إبطائه وتقرير ضده ، فإن الملاحدة مطلقاً لم يهوا الحياة شيئاً جديداً كما علم ذلك البراهين اقطعية التي لا تحصى والتي لا يمكن معارضتها بذكر منها ثلاثة استنباه للبحث ، وقد تقدم كثير منها :

البرهان الاول : أنه من المتفق عليه أن كل شيء جديد إما يجرح العلم لا بالجل ، وإذا كان الأمر كذلك فقد ثبت أن المحرد من كل دين ليس معه علم إلا ما اكتسبه من المتدينين ، وهذا الملحد نفسه مقر بهذا ومعروف به ، وهناك عبارته في صحيفة ٦٥ من أعماله وهذا نصها : « ومن المعلوم أن لكل دين من هذه الأديان ^(١) ولاصحابها طريقة في تعليم الأخلاق والبرية المأخوذ أكثرها من الدين نفسه ، ولو تركوا ^(٢) لم يعدوا شيئاً ليهودية ولا نصرانية ولا مجوسية ولا إسلامية لبقوا على فطرتهم أي محردين من كل دين ، وفطرتهم هي العدوان المطلق الذي لا يعرف القيد ولا نصبط ، والفطرة حينها تطلق إطلاقاً ليست بمدوخة وليست خيرا ، انتهى . فقد اعترف بان المحرد من كل دين يبقى على فطرته التي ادعى أنها العدوان المطلق الذي لا يعرف القيد ولا النصبط وليست خيرا ، وقرر كما تقدم بان الانسان بطبيعته حيث طام جاهل

(١) أي الإسلامية واليهودية والنصرانية والمجوسية المذكورة في حديث « كل مولود يولد على الفطرة »
(٢) أي الأبطال

وأنه يبقى كذلك اذا كان مجردا من كل دين ، وبأن التعلم مأخوذ من الدين نفسه ، وقد تقدم الكلام على هذه لعبارات في المبحث الثاني . والمقصود هنا أن العلم النافع مكتسب من الديانات ومأخوذ منها بلا خلاف كما قال تعالى ﴿ اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ﴾ وكما قال تعالى ﴿ انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴾ الى قوله ﴿ وبقينا بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآياتنا لا تحيل فيه هدى ونور ﴾ وكذلك ذكر في القرآن أنه هدى ونور ، وكل انسان يعلم أن جميع الحضارة الموجودة انما أحدثت من هذه الأديان الثلاثة ولهذا كانت أمريكا قل أن تتصل بأهل هذه الأديان على غاية من الجهالة والاعطاش ، فلما انفصلت عنهم وانكسبت منهم شيئا من آثار هذا الهدى والنور وصلت الى ما وصلت اليه . فالتجديد النافع والحضارة الراقية قد عرف ما ضروره انما قائمة على هذه الآثار السماوية ولا يصير وجود ملاحدة بعد ذلك . فان هذا أيضا موجود في الدول الاسلامية ، وقد ادعى هذا الملحد أن المسلمين يتبعون أربعين مليون . ومعلوم أن فيهم ملاحدة ومنافقين كما في غيرهم من الدول الكثرى كثيرين ، هذا احتج بأن أولئك فيهم ملاحدة قد رفضوا أديانهم قبل بوجود المسلمين من هو كذلك ، فما بال هذا التجديد لم يوجد فيهم ، واذا قيل لأن فيهم حركات قبل وفي غيرهم كذلك ، وكل الحركات التي فيهم إنما أحدها من الملاحدة وهي من آثار الاتحاد فأنها كلها ترجع الى الايمان بالأساطير المادية كما تقدم

البرهان الثاني : أن يقال اذا كان المراد باعطاء الحياة الشيء الجديد هو إعطاء الانسانية ما ينعمها ويرقيها وينعمها عاجلا وآخلا فقد كان من المعلوم بالاستقراء الذي لا ريب فيه أن الأشياء وأنواعهم من المتدينين هم الذين أخرجوا الناس من الظلمات الى النور . فإنه قد ثبت ثبوتنا لا مرة فيه أن بني اسرائيل كانوا في رق الفراعنة وقد كانوا على أسوأ الحالات فأخرجهم موسى

من هذه الظلمات الى النور حتى صاروا ملوك الدنيا في زمانهم ، ثم لما جاء عيسى بالبينات والهدى والنور وآمن به من آمن من بني اسرائيل وكفر به من كفر منهم أيد الله الدين آمنوا على عدوهم فكانوا طاهرين عليهم مئآت السنين من أجل هذا الهدى والنور الذي جاء به . ثم إنه قد عدم بلا أدنى شك ما كانت عليه العرب قبل نزول هذا الهدى والنور الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحالة السيئة ، فأحدوا به فكانوا ملوك الدنيا ، وشروا لنور والعدالة على سائر أقطار الارض ، ووهبوا البشرية الشيء الذي نصح أن يقال إنه جديد ، وقد قال هذا الملحد في صحيفة ٦٧ من هذه الاعلال ، وقد عين الاسلام أعمالا باهرة لا تكسر لنقل الاسايه من طورها هذا الى ما هو اكبر وأفضل ، فمكان له من التأثير في هذا النصح الشري الذي شهدته اليوم ما هو معروف ، انتهى .

وقد قال هذا الملحد فيما تقدم ان العساء هم الذين يحشون الله ومن لم يحش الله فليس بعالم ، هذا كلامه ، ومعلوم بلا شك أن الملحد لا يحشى الله فلا يكون عالما فلا يمكن أن يثبت الحية شئاً جديداً . وقد ذكر هذا أيضاً في مقدمته (كيف دل المسنون) أن حصاره أو : إنما اكذبت من دين الاسلام . قال فيها ص ١٢٦ : وقد طلت أوراقاً قروياً طوبى به مدينة حاصفة هذه الخرافات مسلمة أعناقها الى أعلاها واصعة رجلها في أصعدها . فكانت إرداك في عاية من الجهل والانهطاط والتأخر والضعف والفقير ، حتى أدركتها رحمة الله المبرلة على العالمين جميعاً ، فانتفت عليها أبواب الاسلام من جهة إسبانيا والقسطنطينية ومن سائر الجهات ، وقست من هذه الأنوار العربية المحمدية حينما انحطت بالمسلمين في الحروب الصليبية وفي الحروب الأخرى ، ففرقت هذه الأنوار الشرقية العربية السماوية التي حمها اليهم المسلمون بك الطلعات الداحية ، فأبغ لهم أن ينصروا بعد العمى الطويل الممل ، وأن يلتمسوا على صباه الوهاج أول الطريق الذي سلوكوه الى حصارهم هذه انقائمة الحاكمة ، انتهى . وهذه بحجته في التناقض ، فكيف بعد هذا الاعتراف الصريح بتكس على رأسه ويدعى

أن المتدينين لم يهوا الحياة شيئا جديدا ليس هذا كله هراء ووقاحة ظاهرة
 البرهان الثالث أنه من المعلوم الذي لا ريب فيه أن هذه المحترقات كلها
 إنما أخرجها هذه الدول المنتهية إلى لأدين الطريقة فيها . وإذا كان الأمر
 كذلك فمن أين للمدعى أن المحترقات كلها أو بعضها من المتحدين وخدم دون
 غيرهم . فإن هذا مكاررة ودعوى مجردة عن الدلائل ، فهو مطالب بإبرهان
 الصادق على أن المتحطين من لأديان مستقنون بإيجادها بدون أى مساعدة من
 بطر أو تفكير أو إعاقة من الأشياء المأخوذة من الديانات . وقد ذكر هذا في
 أغلاله أن المتأخرين لم يأتوا بشيء جديد يساوى الكفاية في النفع ، ومعلوم
 أنها من الأمور التي حرج على أيدي المتدينين إقضاء وانتفع بها المتأخرون
 وكانوا مضطرين إليها غاية الاضطراب ، ولولاها لم يوجد أكثر هذه الصناعات ،
 قال تعالى ﴿ الذي علم بالقلم ﴾ وهذا نص صريح بأنه تعالى علم الكتابة ، ومن
 يقول إن الأناس عرفها بطمه يكذب هذا صريحا بدون حجة ، وهذا المحدث
 نفسه مطالب باثبات وجود شيء واحد جديد على أيدي الملاحدة استقلالاً
 عن غيرهم ، هذا كل عاجز عن ذلك . وهو بلا ريب عاجز ، ادلو كما قادرا
 بذكره أول ما يذكر ، فإنه أحرص الناس على إثبات كل ما فيه أدنى علاقة
 للبحث على الاتحاد . فليعلم أن خصمه أن يعكس دعواه هذه بدعوى مثلها
 سواء ^(١) وليس قبول قوله بأولى من قبول قول خصمه ، بل خصمه أولى
 بالصدق ، فالبراهين الدينية متصارعة على ذلك كما أسلفنا . ولعل والاستقراء
 يشهدان لذلك وهذه الأهم العبدية عن الديانات أجهل الناس بمعرفة هذه

(١) أى يقول قد يمر الملاحدة على اختلاف أجناسهم عن أن يهوا الحياة شيئا
 جديدا الخ وكل ما يجبه من وجود هذا عند بعض الملاحدة يمكن المتدين مقابلته
 بعدم اختصاصهم بإيجاده وما ذكرناه من البراهين ، ودعوى الاختصاص فيها ينفع
 تحتاج إلى برهان

الامور ومعلوم أنهم أعدد الناس عن الادب كالروح ومحوهم ، فكيف يدعى
هذه الدعوة العريضة التي تنص من التمدح في الادب ومن جاء بها ومن دن
بها ، إذ حاصلها أن الكتب السماوية والانبيا ككلهم لم يأثروا إلا بالشر ، لأنهم
لم ينفعوا البشرية بشيء سوى العذاب بالمعدات ، ولا شك أن الخصلة التي
تقدمت ، بل الكتاب كله برئته ، يضم الحث على بعض الرب التكريم
ومقتة ومقت دينه ومن دان به بمجرد القحة والمراء والتحكم المجرى ، فانه يحارب به
بعدله إنه سميع مجيب

وأما دعواه المردولة الأخرى في قوته ، وأن يكونوا فيها محبوبات متألفة ،
مهي من انبهار التي تصحح التكل ، فها هو التناقض الذي امرد به الملاحدة دون
المتدينين ، هل هو أكل أو شرب أو نكاح أو ركوب طائرات أو سيارات أو
في شيء غير ذلك فلا بد من بابه ، فان هذه الامور كلها قد اشترك فيها الملاحدة
والمسيحيون بل وكثير من البهائم ، واعلم تشير الى أنهم يركون الطائرات
والسيارات ، فان كان هذا هو الذي خطر على باله فيعلم أن الكلاب والخنزير
قد استحصلت عن هذا أيضا فضلا عن مائر أصناف من آدم على اختلاف
مداهبهم ، ولعلم أيضا أن النور والحرمان وغيرها قد طفرت بالطيران
والتحليق في السماء بدون أدنى كلمة وبدون أدنى حسارة في كل وقت مع أن
أكثر ما تعيش به جيف الخبز وأشباهاها من الحائث والقادورات ، فان كان
هذا هو التناقض فيحكم عن هذه بأنها أفضل من المتدينين بل والمسيحيين لأن
قدرتها على هذه الخصلة ومعرفتها لها وسهولته عليها أعظم من غيرها وقد
سبق الكلام على ما يتعلق بهذه الخلة في مواضع كثيرة نعى عن الاعانة

• • •

ثم قال : وأمر آخر ، ذلك أن المؤمنين يرون دائما أن الله حينما خلق العالم
وخلقهم قد ضمن أرزاقهم وكملها وتعمد ببحايتهم ورعايتهم في كل أمورهم

أوجلتها ، لأنهم لا يتصورون أن يتحدى الله وهو الكريم القادر على صنع يديه
وعلى أوجدهم اختيارا وافئذارا ^(١) فيصيبهم هذا الاعتقاد بشئ ما يصاب به
الطفل المدلل المكحول بين والدين مدللين رحيمين ثريين . أى يصاب
بالتواكل والاعتماد على القوى الخارجية ^(٢) . وحيد لا يصعب لآلئهم
ما يجب أن يصنع وما لن يظفروا به إلا إذا صنعوه هم ، ولا يمكن أن يكونوا
في أفكارهم وأعمالهم مثل أولئك الذين يرون أنهم متروكون ، وكولون لقواهم
ولآلئهم ، كما أن ذلك الطفل المدلل المكشوف لا يمكن أن يكون مثل ذلك
الرجل العصبي الذي يعلم بأن الواجب عليه أن يعمل ويناضل لعيش وإلا فلا
سبيل له إلى البقاء .

قلت : كل هذا غير صحيح ، فإن المؤمنين لا يرون هذا لدى ادعائه على
هذه الصفة التي ذكرها ، بل هم يرون أن الله تعالى أمرهم بطاعته والقيام بما
شرع لهم من الأمور الدينية والأخلاقية لأسباب إلهية ، فحب عبيهم أن
يعملوا بهذا وهذا ، ولم يدعوا أنه ضمن أو اقبح وتعمد تحييمهم بدون أسباب
أبدية ثم على فرض أنه ل مع هذا الملحد يقول له : هل هم عملوا بهذا الرأي
أو تركوه ، فإن ادعيت أنهم فعلوه واشتعلوا بالطاعة عن فعل الأسباب فقد
بالغت في المكابرة والبهت كما هي عادتك ، وإن نفيت هذا بطل كلامك ، فإن
هذه الدعوى معروضة عرضا لا حقيقة له ، فإن الناس كلهم على اختلاف
أصنافهم لم يعملوا على ادعائه ، ولم يروا أنهم كاضطر المدين المكشوف ، بل
تقاتلوا ونصاروا ونشأنوا ونشأنوا ونقاطعوا على هذه الأسباب وعلى هذه
الدنيا في تجارتها وصناعاتها ورعاياتها وآدابها وفي شئونها كلها ، وكل منهم قد

(١) كل هذا تمك وسخرية به تعالى

(٢) لا يوجد فرد ولا شعب ولا أمة مهم كالب في القوة لا تحتاج إلى ما هو

غير عنها من نفسها أو جفها .

اتخذ له شعلا وعملا يعيش به من محرم ومباح فإذا كانت هذه النتيجة - أى التواكل والاعتماد على القوى الخارجية - فلا حاجة إلى ذكرها ، وإذا كان الناس لم يعتمدوا بها وأكثرهم اعتمد عكسها فاعتمد على نفسه أى صار كالرجل الثانى العصى ومع ذلك لم يصلوا إلى ما ادعته من "سحاح" ، فان كل عارف يعلم أن كثيرا من الشعوب الاسلامية "قرب إلى الرجل الثانى من الأول ، ومع ذلك لم ينحسروا ، وقد قداما " بعكس " الدينية الصحيحة توجب اعتبار الأسباب واستعانة " لاخذاد على الله تعالى ، فهذا هو طريق السحاح ، فلا تقولون بأسطالة وبعض الأسباب كذا تقولون بالاعتماد على الأسباب والتوكل عليها فان ذلك شرع صحيح وفى الحديث " احرص على ما ينفعك واستمس بالله ولا تعجزن " وقد تقدم ، فإدعاء هذا جهل وإفراص مفهوم بقصد به التهمك والاستهزاء بأراء المتدينين وتشويه فكرة الدين والسمع عنها كما لا يخفى

ثم قال ، ثم ان المؤمن يعتقد عادة بأن الله اذ تفضل عليه تخلفه وأوجده من حليم لعمري واحد عبده أن يشعش بحمده ذلك الرب المفضل وبالاغطف الى عبادته ، راهدا في خدمته معه وخدمة شهبائه وحاجاته وشئونه احسنه وأن يصرف من استطاع كل قواه وأعماله وأوقاته - أو أكثر ذلك - الى أقيام شكر ذلك المعظم خائق المعص ، وإلا فانه عند سوء ، لا يحريه به إلا الحرمان وطرد ^(١) وحينئذ يحى عاحرا في سارله الأمور والحياه ، ويكون دون ذلك الذى صرف جميع قواه وأوقاته في سبيل الانتصار في معركة الوجود والسفاه وما من شئ ينجح فيه المرء إلا على قدر انصرافه اليه وإعطائه من نفسه ووجوده ، وهن يتجلى الفرق بين الرجلين .

قلت : غرضه من كل هذه الخلل التى ساقها محاولة التعريق بين المتدينين

(١) هذا كالأدى فله في التهمك والاستهزاء بالله وعن آمن به

والمحدد ، وتصوير حالة كل واحد منهما ومحاولة إثبات كون نتيجة الملاحظ خير من نتيجة المتدين ، وأن هذا لا بد أن يأخر وذاك لا بد أن يتقدم . وكل دى مسكه من عقل يعرف بدهاة أن تصويره في هذه احم كالمها لحاله كل واحد منهما تصوير باص لا حققه له لانه فما يراه عليه من النتيجةين يدهى المطلق وما هي غير دعوى مجردة لا يعسر على حصمه مقاسته منها . وكيف يمكن أن يصدق ذو عمل أن حسن لمسين يكون مستغرقا وقته باعباده متمردا لها لا يباشر شيئا من الأسباب ، كاحضار المدن المكفول . هذه صورته عما كها في مسجده صائما هاره قائما يصلى له صارف إلى استطاع كل قواه وأعماله في لقيام بالشكر والعبادة . قد رخصت الأسباب من أحسن اشغاله بهذه الخدمة ، فمن ذو عقل يصدق هذا وسكذب عقله ومجمعه وعصره وفؤاده بما يراه في الناس المتدينين من خلاف هذا . من لا يوجد في الآلف واحد أو اقل هذه صفته ، ثم إنه صور حسن المحدد أنه جاد احره في العمل الواحد بالأسباب السبعة مستغرقا أوقته في ذلك ، وهذا يدهى المصلان ايضا ، من اكثر لطائف والمراق وقضاء احرى وأعمالهم في المحو والدمار من الاخلاصة والمنافعين . وأكثر الناس يعمون الأعمى لدفعه غيوبه اختيار اهم المتدينون وأكثر الأعمى مشركه من هؤلاء وهؤلاء ، قد ذكره في هذه احم كالمها في غاية السقوط . وهذه احلة كاي منها تقدير لا حقيقة لوفوعه ، من الواقع خلافة ، ومع ذلك لم تحصل نتيجة على ما يدعى . وكل هذه المعاملات الباطلة فعلها تجاه ملامته . وإلا فهو يعلم أن المؤمن غير مكلف تكليفا مفروضا بغير المفروض المعروفة التي لا تسعرق غير جزء قليل من وقته ، فدعواه أنه اذا لم يصرف أوقاته كلها في خدمته فلا يستحق الا الطرد والحرمان ، كلام في نهاية السقوط ، فانه لا يستحق الطرد والحرمان الا اذا ترك ما فرض عليه وهو سهل ميسور لا يأخذ معشار أوقات عمره . على أن لنا أن نقول على هذا ان من خدمته استعمال الأسباب المادية والمعنوية على الوجه المشروع كما أشار الى

ذلك النبي ﷺ في حديثه كل سلامي من الناس عليه صدقة . وهواه لرجل
يثاب حتى على ما يجمعه في امرأته . ومن ذلك الصناعات وكل ما فيه نفع
للأمة فهو من خدمته بالية . وحينئذ والفتحة اذن صحيحه ولا يرد على هذا في
هذه الفكرة الدينية شيء . ذكره من الآخر ، من ما أن بعض الملحد المتروك
قال عنه بعكس هذا ، وهو كثير موجود في الملاحدة والمذمقين المترفين ، فان
أكثرهم يعتم الراحة وسعة المعاشة والاعمال في عي ولصحور ، ويرى أن
من الجنون أن يصنع عمه الذي هو ثمن عبده من الذهب ولا عوض له عنه
في الشقاء لنفع غيره . ثم قد يكون عدوانه ونحمل الأسباب النفسية السكدة
المتواصلة على عاقبة على غير صائب أو كره . أما المؤمن فانه ان من أعماله
كبيرة فهو موقن بأن عمله هذا لا بد له من ثمره يستحصل علمه بكل حال وما
السعادة وما الشهاده وكلها حسبات تكتب له . ويجب في هذه الخدمة من الله
والعرج والسرور . وحره من راحة الصميم مالا يحيط به وصف ، فان
الانسان يستعد أمور كثيرة من تعب وأعباء يمد في عواقبها من
الثمرات الحسنة التي لا يد من حصولها ، وهذا لا يوجد ولا في اعتقاد المسلمين
الصادق الناصح . فظهر من هذا أن السعي الأسباب لدفعه بالمأمور بها شرعا
هي في خدمة ربه الكريم المحسن القادر في مدد الله وفي سبيل الانتصار في
معركة الوجود . فيكون به النجاح بقدر انصرافه وصدقه وإخلاصه في ذلك
كله . والله لا يصنع أجر من أحسن عملا

• • •

ولما كان هذا الملحد مؤسسا أعلاله على الكفر بالله واليوم الآخر ، فانه
اعتقد أن الايمان بالله واليوم الآخر هو سبب التأخر تقليدا لسادته الملاحدة
الساعين في هدم الأديان . وذكر ما ذكر من هذه الحيل وما قبلها تنبيه الى الكفر
بالله ، ثم انتقل من هذا الى الحديث على الكفر بالآخرة فادعى أن الايمان

الحاجة وبعيها وكون الإنسان يعلو بها أمله عامل من عوامل الضعف الموجب
للتأخر ، لأن ذلك على ما رعم يشغل عن الأحاد بالأسباب المادية كما يجب ،
فقال بعد كلامه السابق :

على أن هاتك ما هو أكثر وأظهر في اتحاد الاختلاف بين المتدين وغيره في هذه القصة ، ذلك أن الإنسان مهما كان ناديا وصعبا لا يمكن أن يحسد من آمن وسوى من وعادة أن الإنسان يحاول أبدا أن يجعل أمه أحسن الناس وأفضلها في استيعاب ، وإذا جبر بين أمين أو أميل فلا بد أن يحسد كرهه الناس في وأحبه لا أن يحول بينه وبين ذلك حائل ، وهكذا هو في حياته وفي تصوره أمه وصيه هـ وسعيه ورادها ، ومن هنا اختلفت الآمال واحتضت وبعدت لطرف إلى سبب لها ، لاختلاف الناس في تصورهم وفي استعدادهم وظروفهم وقواهم وبحتمهم وغير ذلك مما يوجه المرء وبسطه على ما يشاء . وقد تصرف الناس الواحد عن عشرات الآمال التي يطلبها الآخرون ويعتمدون من أجل الظهور بها ، وإذا وجدت الناس محللين فاعلم أن كل واحد منهم مشغول بآمال قد ملا عليه آفاق نفسه ، وأن هذا الإنسان لا يمكن كما يعين الأسس الآخر لأن له أملا آخر أهله عن ذلك الذي شغل الآخر ، أو لأنه تصور لطريق تصور لم يتصوره الآخر ، أو لأمر آخر من هذه الأمور التي تصعب الخلاف والاختلاف بين البشر في أعمالهم وسببهم ووجهات نظرهم ، على أنه لاختلاف في أن أسمى هذه الآمال وأقواها في الاحتمال والتوجيه والسلطان هو عند الأمل الصالح الأبدى في تلك الحياة لصحة الأبدية التي يبذل فيها المرء الخلود وكل ما يرجى من حاجات الجسم والفن بدون أن يكسر ذلك شيء من المكدرات المعروفة التي تشوب لهائد هذه الحياة الأولى القصيرة والتي تملؤها بالخوف والاكتئاب . هذا ما استطاع إنسان أن يتمش هذا الأمل وأن يعي ويتغنى به وأن يصرف

إليه تصوره والتفكير فيه وفي لذة الطعم به والوصول إليه والحصول عليه، فلا محالة من أن يشعله ذلك عن كل شيء في هذا الوجود^(١) وقد يطعن عليه وعلى وجوده حتى لا يدع منه لهذه الحياة شيئا، وقد يدع شيئا قليلا أو كثيرا، والاختلاف في هذا راجع إلى الاختلاف في قوة الاجتهاد وضعفه، وقد ينفي عن هذه الحياة ويعيب عنها مع أنه فيها، لأنه ليس من أهلها، لا ينقص ولا يماص ولا يخاصم ولا يطالب ولا يجار أو يسلم من أجل شيء فيها، ويصر كدس الرجن وردع الطبيب الذي صرفه ورعه ودينه عن كل ما هنا حتى قال فيه معاوية بن أبي سفيان وهو يصنع خطوط لطريق لائته، أما فلان فقد أعجزه الورع، يدع له دمه يدع دمه ديناك، يعني أنه لا يبالي بشيء من أمور الدنيا لأن همه وأمه مصر وجه إلى الآخرة وإلى الاستعداد للقاءها إذا لاحظ على المذموم - أفراما وشعوبان - عرجا عن إيجاد الحياة^(٢) وعن التحايق بالصناعة والزراعة أو التجارة أو العلوم المادية الآساية أو عن شيء مما من وسائل الحياة وأسبابها فليسأل أحد أسباب هذا المعجز هو هذا الصور لهذا الأمن العظيم والاضراف إليه بأكثر العقل وأكثر العمل وأعظم الاهتمام^(٣) وإذا عفت هذا لم يظن نعمتنا إذا وجدنا على من أبي طالب وأمثلة وجيوشهم سحر بلا عنه حبا مارلوا أمثال معاوية وحمودهم ورسائلهم، وإذا ألقينا الرجن النقي الورع المحض على فروصه وعدائه ينهرم شر هريجه^(٤) في

(١) بأمل صريحه بأن تصوره للجنة يشعله عن العمل للديا فيكون عائدا عن التمدد

(٢) هكذا شهد لنفسه وحكم لها

(٣) هذا صريح في أن اهتمام أحد الآخرة بالآخرة عائدا عن التمدد، وأنه لا ينبغي أن يتم به جدا

(٤) قبيحه الله ما أرخص الكذب عليه

كل عمل يسأله الله - لك - من الذي جعل فرصه ودينه وعبادته من أن
بتجارته أو صناعته مصير ذلك به المضاع لمعود وره . فالمؤمنون إذن
يشعلون بأملهم في الآخرة (١) عن أن صعدوا لهم في الدنيا أملا حسبا عظيما
فيأتون عادة عاهرين عن السحاب والآخرة الذي صعدوا لهم هذا لأمل ثم
أعطوه كل نشاطهم وإبداعهم فأصبحوا فيها أسادة لعالمين ، انتهى

والجواب أن نقول : هذا رأي هذا الرجل في المؤمنين بالله و"يوم الآخر"
فقد صرح : أن الإيمان بنعم الآخرة والاهتمام به يوجب الاشتغال به . وأن
هذا يشغل عن العمل لئلا يكون عاملا من عوامن الآخر ومدوقا عن السحابة
فخلص المؤمن بهذا الركن نكته على البشر لأنه يعلمهم وصدهم عن السعي إلى
الكمال . وقد بينا لك أن هذا الرجل قصد إلى أن يكون الدين خصالا عبيد كل
نسبة ومصلحة ، ولهذا جعل أعظم انصاف الإيمان بالله وأوم الآخر . وهذا
التفكير الذي ادعاه مع كونه كفرا صريحا فهو ادعاء مجرد ساطط ، والجواب عنه
كالجواب عما قبله

فأما بقول أولا : أن الوقع خلاف ما ادعته من صانع هذه الآلة كانوا
من أعظم الناس إيمانا بهذا الأمر واهتماما به ، ولم يشغلهم ذلك عن العمل
للدنيا بل أقدموا على غيرهم من لا يشغلهم هذا الأمل العظيم
وثانيا : لا يخفى أن أكثر البشرية من قبل ثلاثمائة عام أو قريبا منها
مؤمنون بهذا الأمر ، وقد عمروا الدنيا عمارة أعظم من عمارة الشعوب
المنحلة الجذبة الموحدة ، بل هؤلاء الملاحدة المحض لم يعملوا شيئا يذكر وقد
عجروا شعوبا كما عجروا أورادا عن إيجاد شيء كبير منها بأنفسهم ، وكل هذه
الحضارات الحاضرة التي في أيدي هؤلاء الموحدين المنحطين ونحوهم في هذه

(١) كلام صريح واضح في الحديث عن الكفر بالآخرة

الذين لأخيرة ما هي ، لا أثر أولئك المدينين كما من تقريره ، وهذا الشيء لا يمكن المراجعة فيه ولا يجازى فيه ، لا تكرار ، وقد قال سيد محمد رشيد رضا في تفسير المآرج ١٠ ص ٣٥٢ . إن نصف ليل الأربعة حصصون للمدين الكائن في وقتها هو في نحو سنة ١٣٥٠ مع فشو الأخاد وكيف بما قبله .

ونقول ثالثاً أن هذا لأمن الكية من أعصه مدفع لاسن على العمل فانه اذا كان المؤمن يعلم أن هذه حياه سعيدة لن لا يشعر فيها شيء من المكدرات لا تدرك إلا بضاعة لله عني ، وأن من أنقص ضاعه الجهد في ضيله بالنفس والمال وما هو ، سيرة ان ديت من ضاعه أو راحة أو عوم ديلة أو مادة أو غير ها ، قال كل من فيه مع لامة ونصر ليد من الاسباب التي توصل الى هذا سعي لاسن فيلشت أنه يقو ، أخذ والاجتهاد والعمل المتواصل في سعي عوني لحصل هذه النوازل التي توصل الى هذا السعي ونقته من عذاب الخبز ، وعن هذا فلا بد من أن يحارب ويحاصم ويصاح ويصاح ويصاح في سعي الحق والعدالة وإزالة الظلم والاستعداد واليقين والعصف وكل ما يقع في هذا السعي الذي هو هذا لأمن الكبير فانه لا يزال ، لا ذلك ، فكيف يدعي هذا محمد أن من يأمن هذا لا يعمل شيئاً من هذه الأمور ، فمن هذا إلا من أقدم ما يقال

وقد راعنا ، أنت ذكرت في هذا أنه لا يمكن أن يعيش أحد بلا أمل ، فيكون أمن الملاحدة محصور في شيء ما من أعراض الدنيا الدنية ، وأكثر ما يوجد هذا الأمن ولا سيما في كثره الحاجة هو الاستحصال على الصور البديعة الجميلة والانسجام معها ، وما يكدر ذلك ويشعل غشه ، وكثير من هؤلاء أيضاً يكون عليه أمل الحصول على لمدة من أي وجه جامدة من جميع الطرق الكثيرة المختلفة ، وكل هذا يوجب تضعف والوهن عن العمل

والكسل العظيم ، والانصراف الى هذه المطالب النافقة والتمتع بها والاستعمال بها عن الأعمال الكبيرة النافعة وإيجاد وسائل الحياة ، ولهذا نحمد العمل الاختياري الصحيح يكاد أن يكون مفقودا في الشعوب المناقضة والملحدة ، وإنما يدفعون الى هذه الأعمال دفعا قهريا ^(١) وجبته فلا فرق من هذه الوحمة بين متدين ولا غيره اذا كان العمل إجباريا قهريا ، وبطل الفرق الذي حاوله ، بل ربما يكون المتدين أحمق لشأنه وقوة صبره في كل أعماله ، فان المتدين عند جميع العقلاء اهدأ قلما وأعظم عزيمة من الملحدين فانه عكسه في هذه الأخلاق كلها

أما ما استشهد به من أن معاوية قال لآلته : أما علان فقد أغرته الورع الى آخره فاستشهد ساقط لا محل له ، قال الكلام في هذه الجملة في الأمل الآخرون ومعاوية لا ريب عند المسلمين من أنهما الأمل وبطلته ثم هذه القول لو صح لفسد ما ثبت به ، فان معاوية لم يدم هذا الشخص الذي ادعى أنه أغرته الورع من مدحه ، وإنما بين لآلته أنه أغرته - أو حرمه كما في القول الآخر - عن التحول فيما لا يعنيه وما لا فائدة فيه من إثارة الفتن وسفك الدماء بدون فائدة سوى ضرر العام على هذا الشخص وعلى الأمة كلها فان هذا ليس من العجز في شيء ، فان العجز هو القعود عن الشيء النافع المقذور على استحصاله ، أما رث أمهه والفتن والسعد عنها فليس من العجز في شيء ، بل هذا هو الحرم ورفع الأمة واجتناب ما قد يعود عليها بالضرر العام ، وهذا لما قام الحس وهو أفضل من قام في ذلك لم يحصل شيء من النفع

(١) ياليت هذا الملحد المنكود عاش بين أولئك الشعوب الملحدة ليعرف كيف الضبط والقهر والاضطهاد السائد فيهم وما يلاقونه من الشدة والانحلال والقيود ، وهذا أمر لا يستريب فيه إلا جاهل أحق

لأله ولا للأمة ، بل حصل ضرر كبير عام ، فأى فائدة في القيام على هذا الوجه .

وأما قوله ، فإذا لاحظنا على المتندين أو أرادوا شعروا عجزاً عن إيجاد الحياة ، إلى آخره .

يقال ، إذا لاحظت ذلك فإني تلاحظ غورك الذي أحرعته من رأسك لنفسك ونسبت عليه أوهاماً لا حقيقة لها ، وإلا فأى عائق من عقلاء بني آدم يصدقك ويكتب ما علم بالضرورة والمشاهدة وأحسن ، فإن المتندين هم الذين نشروا النور وهدوا الناس إلى كل حياء صحيحة وما هذه الحاضرة القائمة إلا من الآثار المأجودة عنهم كما أعرف أنت بذلك قس أن برئت وبعد أن ارتددت عمية منك في صدر هذا الكتاب حيث ادعيت أن المخرد من كل دين بقي على العدوان المطاوع وعلى طبعه الخبيث والظلم ثم ما ذكرت من مسمى على أن جميع المتندين يرهقون في الدين وأساليب كلها وأدى على مفصل عن غيره يكذب في هذه الدعوى لأنها خلاف ما يطره الناس ويشهدونه

وليس يصح في الإلهام من هذا احتجاج أسرار أن ديني هو الذي لا حصه به لا حصه بعين نصيرك العمياء فم تلاحظ شيئاً موجوداً وإنما تلاحظ ما قام بقسك ورسخ فيه من الخبالات والأوهام الخبيثة الباطلة ، ولهذا فإنه لا يعلم أن أحداً لا حطة غيره . ما لم يحكم على شاكلك في اعتقادك

• • •

وأما ادحالك ما جرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية في هذه المسألة من الخطأ لما حش والاحتلال الواسع ، فليس للآيات بها في هذا المنح أدنى علاقة فإني قلت في أول هذه الحملة ، على أن هناك ما هو أكبر وأظهر في إيجاد الاختلاف بين المتندين وغيره في هذه القضية ، مصرحاً بكلامك في بيان

الاحتملاف بين المتدين وغير المتدين ، ومعلوم عند المسلمين أن عليا ومعاوية رضي الله عنهما من المتدينين فلا معنى لمثبه بمأتهما والاستشهاد بها على الفرق بين المتدين وغيره . ثم إن مسألة ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من أطلع الحجاج عليك وعين أمثك من الملاحدة والرائدة الذين يسهون الأمور في لقدم والتأخر إلى إرميس الطبيعة وإلى الأسباب المادية ، فإن عباد رضي الله عنه أخرى ، لا تنصار لو كان ذلك مجرد لأسباب المادية لأنه أقوى من معاوية ، فإن حده أكثر والدراعي إلى نصره والقيام معه أبين وأظهر للأكثر . ولكن هناك أسانا ديه عارصت هذه الأسباب ، ولا بد أن يكون النصر في جانبها حتما

ونحن نوضح هذه المسألة بقدر ما يحتمله هذا الموضوع وبين أنه لا حجة له فيما حاوله منها ، وأنه ليس السبب في فشل علي هو ورعه ، تقواه كما رعم هذا وبعض من لا يصيره له . فبقول : إن الله سبحانه وتعالى قد قضى قضاء لا مرد له ومن سنا لا تدال لها ولا تحويل . ومن هذه السس الثالثة العظيمة أنه تعالى ينصر رسله وأنبياء آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، فينصرهم على من قصدهم سوء وعار بهم وآدام وقائهم من الكافرين والمتقين والظالمين المعتدين ، كما أحرر تعالى بذلك في غير ما آية من كتابه العزيز . وقد كان من المعلوم عند جميع المسلمين أن الخليفة الراشد عثمان بن عفان من أكابر أولياء الله المقربين والأئمة المهديين وقد أجمع على مبايعته أفضل الخلق بعد الأنبياء إجماعا قطعا كما نص على ذلك الامم أحمد وغيره ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وقال : ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم . وقد كان خليفة راشدا تقيا واجبا عادلا محسنا مرصيا ، وما أن منحه الله هذا المقام الشريف في الخلافة وطال عمره وكثرت الفتوحات في دمنه وصار المسلمون في خلافته وخلافة من قبله بما واحدة على عدوهم - خرجت صدور أعدائهم من الفرس

وانبيؤ د ومن شابههم من المنافقين الذين دخلوا في الاسلام كيداً له وللعرب ،
فقاموا - ورأسهم ارنديق عبد الله بن سبأ "يهودى الذى ادعى لاسلام ،
وسعى في افساده ، وادعى مع ذلك أنه مؤمن بالله وباليوم الآخر ليقتضى غرضه
ذلك .. وما راوا يؤثرون الناس على عثمان ويسعون في إثارة لفته عليه في
العراق وفي مصر حيث وحدوا هناك جماعات لهم حتى دخلت دعايتهم قلوب
كثير من اموية . وصنفاء البصائر من لم يدخل الايمان لصحيح في قلبه ومن
عب هواه عن عمه ، وقد صاعوا هذه الدعاية الممقونة في قالب التشيع لأهل
البيت ولطفاً لهم بمحبة لهم وأهم أولى "حلاوة وأن علياً هو الأولى بها -
فقام هؤلاء لمسامكون ومن استحقوا به من الجهلاء على هذا التحليله الراشد
التي البار بها وعديان وطب وحسد له على هذه الدفعة التي جعلها الله عليه
محولين حلته منها أو منه ومن "حلاوة الى على بن أبى طالب بحجة أنه أولى
بها منه ، من أجل مدام ، من أجل أن عبد من بنى هاشم وأن عثمان من بنى
أمية ، وأن هذا أول من هذا بيت الله ولو كان أفضل منه ، ومعنى هذا أنهم
اعتمدوا على الأسباب المادية ، ونصبوا حصوماً لرب العالمين داخلين بينه
وبين عبادته في مسكة الذى يتصرف به كيف شاء فيؤتى الملك من يشاء ويرى
الملك من يشاء ويعز من يشاء ويرسل من يشاء بيده الحر وهو على كل شيء قدير
ليس لأحد معه في مسكة مثمن "دنى حجة من حردا من شركة ، وقد أخرجهم
طول عمر هذه الحليقة مع أنه أحق بها من غيره ، ولكنهم أبوا إلا أن يسفوا
أراء انديس "أى الله عليهم في كنهه لغير وأحبر أنهم لا بأحدهم في الله لومة
لأنهم في حصارهم بياه حبيبه لهم - وبين ، وهذا هم أبوا إلا ايساع أهوائهم
وشهوهم وأروا أنه لا بد من انتزاع هذه "ولايه من هذه الحليمة وهي في يده
وإعطتها من رادوه هم ولو أفضى ذلك الى قتل هذا بولى المعصوم الدم ،
وحقيقة هذا محاربة الله ومحاولة تبديل سنته كما قال عليه الصلاة والسلام : ومن

أدى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، الحديث (١) فقام هؤلاء البعثة المعتدون الى هذا الخليفة الذي أجمع المسلمون على بيعته وولايته وتقواه وفصلته على غيره يدون أدنى مشاورة من أكابر الصلحاء وأولى الأمر والرأى ، ثم عمدوا اليه متعنتين عليه المرة تلو المرة بأنه ظالم وأنه غير عادل ثم تطلوا منه أشياء لاحق لهم فيها تمردا وعادا مع وجود من هو أكبر منهم وأولى في الطلب ، وهو لكرمه وحياته وورعه وتقواه وشعفته على الدين والمسلمين يتبارى لهم عن ما طلبوه مما هو مختص بحقوقه الشخصية حتى اسكنهم فيما تجد هذه البعثة الباغية طريقا تقصى به غرضها بعد ان مكر آخر فتدعى أنها وجدت صورة حتمه بأنه أمر بقتل رجل منهم مع رسوله ، مع أنه من الختر أن يكون بعض هؤلاء هو الذي صنع الصورة ودمها على الرسول إما بعد الحصول عليه أو قبله ، ثم يأتون اليه فيسألون عن ذلك فيجيب لهم بأنه لم يعلم سائت وليس وراء الله للمرء مطلب وهو الصادق البار الذي لا يشك في صدقه إلا كل حيث صال ، ثم يدعون عليه بأن كانه هو الذي فعل ذلك فك منهم الطر لا يبي من الحق شيئا ثم لو كنت هذا ماذا يكون ، أبو حنيفة قتل رجلا معصوم الدم ، فصلا عن خليفه راشد . فبما أن تجرت هذه القصة عن أن تجد سبيلا إلى عرسها وأخرجها المط والسلا الذي حملته وحمليها في صدورهما عمدت اليه تحصره في بيت هو وأهله ودرته ، ثم تمنع وصول الماء البارد اليه ، ثم تقصور عليه فتقسه في داره وبين أهله وهو جالس يقرأ كتاب الله تعالى وأهله وشوه عنده في تلك الساعة الرهبة بأعس متصاعدة تنهب منها آفاق السماء ، ودموع مرسله تسيل عصب الله على لأرض كأن لم يكن هذا الشح المقتول وليا لله والله وليه وصهره وكفى به وليا وكفى به بصيرا .

وأنه لنعم المولى ونعم النصير ، ثم تذهب هذه الطائفة الخبيثة لتقضى حاجتها وتنفيذ أغراضها التي جاءت لها بمعاينة علي بن أبي طالب فتنتف حول له وتدخل في جيشه ، ثم تظن أو تعتقد أن هذا الجيش الذي هو فيه سينتصر ويذهب دم عثمان ولي الله الشهيد المظلوم أذراع الرياح ، هيات هيات ، إن الله لا يهدي كيد الجائنين ، ولا يحقق المكر السيئ إلا أهله ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً . دار المنك وجاء القضاء المحتوم الجار بأن لا تكون الأمر على ما طمأؤا ولا على ما زعموا (لك أمابهم) فلقد قتل - بسب هذا المولى الشهيد الذي احترأ هؤلاء المعتدون على قتله ، وتساهل من تساهل في نصره - ما ينيف على مائة ألف قتيل ، ثم بعد هذا تكون الفرقة الطاغية البعية المشرقة المسبودة وهؤلاء المتقاعدون أو المساهلون في قيام معه من أجل أنه من بني أمية داخلين قهراً تحت حكم بني أمية عصاة هذا المولى لشهيد ، تحت حكم معاوية بن وهب يريد على رغم ألف كل من حارح من ذلك ، ثم تحت حكم بني مروان الذي حسد كونه كانوا لعثمان وهو من بني أمية ، هذا مع وجود أبيه على وفاطمة ، فيبقى هذا الخيل كله تحت حكم عصاة هذا الخبيثة المعصون بطروهم وهم يحكمون ويتحكمون بهم ، وكل من قام أو عارض قتل ولم ينل شيئاً حتى في هذا الخيل عن آخره ، هذا لم يحجرهم الدين والورع عن قتل هذا الخليفة العادل المولى الذي حجه عنهم الدين والورع فكفروا بهذه النعمة - بط الله عليهم من لا يحجره عنهم ورع ولا غيره . من نصروهم وفيهم في الصحارى وغيرها إذا حاولوا لقيام ولعننت عليه ، فالحكم لله على الكفر ، فانصر الله لولييه أعظم انتصار ، وأجرى منه المصية في العالمين . وانقم لعبد الله المظلوم والله ولي المقيمين ، فقتل هؤلاء الطغاة البعة شر قتلة ، ومن في منهم ادنقوا مرارة الدل والحزى ونشريد والطررد ، وما بالوا بما راموا شيئاً ، بل حطت أعمالهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون أما من لم يدخل مع هؤلاء من أهل الدين والتقوى فلم ينالهم ضرر بالكلية ، وليس في ولاية بني أمية ضرر عليهم ،

فأهم لم يتعرضوا للناس في أديهم وأمورهم الخاصة وإنما كانوا نعمة على أهل
أشر والظلم والعدوان

ولو أن عبد انصرف على معاوية ومعه في جيشه لكان في ذلك نصر لهم
وتنفيذ لمرصهم وقصد مدبرهم إلى طسوها بمعانده لله ومحرقة أوليائه ، وهذا
خلاف ما علم من سنة الله في خلقه من نصر أوليائه المتقين وخذلان أعدائهم
المعتدين ، فحال أن ينصر الله جيش مدحولا دارلادقة والمفتين على جيش
آخر ليس منه ، وإذ كان في هذا الجيش المدحول برره أبقاء كمل وغيره ،
فإن الله تعالى يقول ﴿ وألقوا لسه لا تصيب الدين طابوا منكم خاصة ﴾ ﴿ وبين
تعالى أن الفتنة لا تصيب الدين طابوا خاصة بل قد تدول وشمس من هو
معه أو فيهم أو به علاههم ، وهكذا كل نوع في كثير من أمم ، فالقتل
الكبرى ثم في العاد ، فالطوبى لفاوها والساعد منها ، ولهذا أشار الله
عيسى وابن عمر والحسن بن علي رضي الله عنهم برره لقتال أولا ، ولكن عليا
رضي الله عنه لم يكن بطل أن الأمر بجمع ما لمع كما أخبر بذلك عن نفسه (١)

فقوى عثمان رضي الله عنه وولايته لله وورعه ذلك الورع العظيم السادر
الذي يتصامل دونه كل ورع ، واعتداه هؤلاء أطعاة بطية عبيه وبصدم عن
لقوى والورع ، من أعظم الأسباب التي كانت عاملا في انهيار جيش علي أمام
جيش معاوية ، وهذا برهان ظاهر على أن الأسباب المادية لا تقاوم الأسباب
الدينية ، وأن المشيئة العبادية المستغنية بتصرف الأسباب وتناجها ، وإلا فكل
إنسان يعلم بداهة أن أساس أي مادية أكثر من أساس معاوية ، وما النصر
إلا من عند الله ، ولهذا ترى كثيرا من الناس يتعجب من هذا الانتصار
لصعب تصور أسبابه الحقيقية فالنصر إنما أتى من هذه الناحية المشار إليها ، وإلا

(١) كما نقله عنه شيخ الإسلام في (المنهاج) ص ١٨٠ ح ٢

فلا شك عند المسلمين بأن عالياً بقه أفضل من معاوية، بل معاوية معترف بهذا ولم يقاين مدعياً أنه أفضل من عبي أو أنه أحق بخلافة منه، وإنما قال بطلب دم عثمان وتسلم لمجرمين له أو الإفصاح منهم. حتى قال فيما قال الخيشه إما أن يكون على راسيا نفس عثمان، أو كراهاله ولكنته عاجر عن إقامة الحد على من قتله، فإن كان عاجراً فكيف يستطيع أن يحكمكم من هؤلاء، وإن كان راسياً فكيف يدخل في طاعته وقد قرر بدي الخيش كله أن عثمان قتل مظلوماً شهيداً فلا يمكن أن يصيب دمه، وكان من "سلام أن كثيراً من جيوش الطغاة يتظاهرون بأن علي كان راسياً نفسه بغير كل منهم ثم الله وقصده، وكل هذا كذب صدهر، بل عبي من أولياء بني المسلمين، وحاشا أن يرصى بقتل عثمان، وكان يحلف على ذلك وهو لصاحي بلا رب، ولكن الدلاء المدين إنما جاء من الحدث الذي في حديثه، فانه مدحول بالمتقين وهم كثيرون، لأن رعاية العرس والادفة أثرت فيهم كثيراً وهذا ثبات لفت لا تمتاً قائمة بينهم أنفسهم، وقد قلنا فيما سبق إن النعموس كالوفاة للأبدان متى حل فيها أهليتها، فكان هذا الوفاء العظيم من أعظم ما أفسد هذا الخيش الكثير كما هي العادة السائرة المطردة فيه وإذا كان الوفاء المادي يفسد الخيش ويدمره ويحدث فيه الإهبار فكذلك النعمى فانه أعظم فتكاً منه، لأن علاقته بالنعموس لا الأبدان^(١)، والنعموس هو العوامل الحقيقية، والمواد تنع لها، ولتكن الآية السابقة على ما نيك وهي قوله تعالى: "وايقوا فتنة لا تصيبس الدين طلبوا منكم خاصة" تعرف ما أن صرد نفس بتعدى الى غير من طلبوا كما قيل:

وحرم جره سبه قوم خل يعير جارمه العذاب

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أحرر عبي بيه بشره أنه لو حرج معه

للمنافقون ما رادوا جيشه إلا خالاً والحصل منهم فادبه كما حصل في أحد ،
مع أنه أفضل الخلق ، فكيف لا يؤثر النفاق في جيش على ، وقد لاحظ هذا
الحسن رضى الله عنه ، فإنه لما علم أن هذا الجيش فيه من الفساد ما يمنع
الانتفاع به لم استنصحه تركه وسلم الخلافة لمعاوية ، وما يعلم قط أن جيشاً
كثر فيه النفاق فاصبر أبداً إلا أن يكون مقاتله مثله أو دونه كما تقدم ، وهذا
قال تعالى فيهم ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خلاقاً ولا وضعوا جلالاً ﴾
يعنونكم الفتنة وبكم سماعون لهم والله عليم بالطالمين ، وهكذا كان حالهم
مع على ومع غيره فاهم أوصعوا حلال حش على وجيش ابنه الحسن الفتنة
وحاربوا الحسين فلم يغوا بما وعدوه فكانوا بعمه على أهل البيت ، فدما ماتوا
آدمهم بمعادتهم والشرك هم والكفر بالله عند قورهم وادعوا أنهم يعظمونهم
وهم يؤذونهم ^(١) والمقصود أن أبا حش على كان بسبب المنافقين الذين
يعتمدون على الأسباب المادية غير مفوضين الأمور إلى الله تعالى أحدين
والأسباب التي أرشد إليها ، ولهذا كانوا يحذنون الشعب والصحر ولقائ وكثرة
الترحم بمصهم من بعض ، فأوصعوا حلال هذا الجيش الفتنة بالاحتلاف
والناظر والساعص والنقصى ، حتى حصل الانهيار والفتك في هذا الجيش
العظيم ، وقد فعل هذا على رضى الله عنه أيضاً فقل لهم ، وددت لو صرفتكم
بأهل الشام صرف الدرهم بالدينار ، وهذا يدل على أنه بعد أن احتبرهم علم
عدم الوثوق بهم له من عدم الثبات والاختلاف الذى هو ثمرة الإيمان
الصادق والتقوى والورع ، وأما حش معاوية فليس فيهم من شارك في دم
عثمان الشهيد وكانوا معه كسهم واحد متعقبين اتفاقاً صادقاً ، لأنهم جاءوا لقصد

(١) بل هم أعظم الناس إبداء لهم رسماً وقدحاً فهم ، لأنهم يكفرون بالله عند
قورهم ويكذبون على الله ورسوله بأنه شرع ذلك ويسخرونه اليهم وأمثال هذا وهذه
عادة الأحمق يريد أن ينفع فيضر

واحد وإن كان كل من هؤلاء وهؤلاء في الغلة ملبين ، لكن الخصائص
المفسدة كانت مختصة بالدحول في جيش علي ، ولهذا بعد أن قتلوا عثمان ولم يتم
الأمر لعل أقلب أكثرهم عبه حوارج وغيرهم فقتلوه فكان عنصر ضعف
الدين فيهم متقدما ، فصار النصر في غير هذه الجهة المدحولة بالنفاق وسوء
التعليم الديني ، ولو أن الجيش الذي مع علي غير مدحول بهذه العاصر الخبيثة
لكان في ذلك نوع شبهة لدعوى هذا المحدث وأمثاله ، هذا مع أن دعواه أيضا
— كما تقدم — في بيان الاختلاف بين ائمة وغيره ، وهؤلاء في أحسنه كلهم
متبينون ، أما كون بعض من جيش علي توقفوا عن القتل لمسارأوا رفع
المصاحف وأن ذلك دليل على الورع والتقوى فليس بصحيح ، بل هو دليل
عن ضعف الرأي والحرم المادي للورع والتقوى ، فانه لو دل على أن ذلك
من الورع والتقوى لكان ذلك قد حاق عليا لأنه حالهم في هذا الرأي فيكون
حلافه عدم ورع وتقوى وقد سأل ذلك حدة والخلف توافق على أن فعل
علي هو الصواب وهو المظبوط ، فطال كون ذلك منهم ورعا ، ولهذا لما خافهم
علي في كعب نقال قالوا له إن لم نجح فعبك مثل ما فعلنا بس عمار ،
وهذا عابه العمد والخيل ، إذ كعب يقتلون الأولياء في بيوتهم وهم يقرأون
في مصاحفهم ويكفون عن أعدائهم المحررين لهم في الصحراء (١) وهذا ليس
من الورع والتقوى في شيء ، وكل حال فإنهم يحتشون في نفس الأمر
ويحرمون من الورع والتقوى ، ثم إن عليا قد بن لهم وجه الحق في ذلك وهم قد
بائعوه وتابعوه وقاتلوا معه ولأجله فكيف يصونه في ذلك

وأما احتجاج بعض الناس بأن قتال علي مشروع وأن معاوية وأصحابه
بغاة مسحقون فيقتال فهذا الاحتجاج ليس بصحيح ، أما آية القتال فلا تنطق

(١) أي حيارهم المصاحف

على هذا القتال وهو قوله تعالى ﴿ وَإِنْ حَتَّ مُشْكُكُم مِّنَ الثَّوَابِ نَقَسُوا فَأَصْحَوْا بَيْنَهُمْ فَان جَب إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَىٰ وَمَوْلَا إِنِّي تَعْبَىٰ حَتَّىٰ يَأْمُرَ اللَّهُ ﴾ فالقتال المشروع فيها عند العي بعد الصلح ، ومعصوم أن عيا بدأ معاوية بالقتال ، ثم هي تنقص أصل من أحس بها من الشيعة الذين يدعون أن حصوم على غير مؤمنين ، ثم إنه لا يجوز قتل المؤمنين ابتداء ، واللعاه هم الذين يعصون على ليس ويقتلوه بدون حق ، ولهذا ذهب جماعة العلماء من الأئمة الأربعة وأصحابهم إلى أن هذا القتال قتل فدية ، وإن ترك القتال من انطاعتين أولى ^(١) ، كما أن كنهه من أكا ، الصلح مع من هو مع على ولا مع معاوية ، ولو كان ذلك مشروعا وفيه نص من يجب على جماعة الأئمة ، ولو كان أيضا مشروعا لم يمدح النبي ^(ص) الحسن بتركه ، ولو كان أيضا مشروعا لاحتج على رضى الله عنه على فعله هذا بالدليل على مشروعيته ولم يصرح بأن ذلك رأى منه كما في سنن أبي داود وغيره عن عيسى بن عمار عن علي بن أبي حمزة عن مسروق هذا عهد عبده "لك رسول الله ^(ص) أم رأى رأيتك . فقال : ما عهد ان ابنى صلى الله عليه وسلم شرا وهذا من صريح منه "سترة بأنه ليس عنده دليل واضح من الله عن مشروعه هذا لفت ، ادلو كان عنده نص لاستدلال به كما استدلل على ذلك حوارح بالصوص والكثيره وانتصر عليهم . وأيضا فالذين خرجوا عن عثمان وفلوه في داره بين أهله بدون حجة بقاء باتفاق المسلمين ، فكان يجب أن يقالوا ، فانهم قتلوا وأفسدوا وأثروا الفتى وشقوا لعصا وفرقوا بين المسلمين فقتلهم أولى في الدخول في الأمر قتال البعاه ، ولو فرض أن أولئك جماعة مختلف فيهم هؤلاء بقاء متفق عليهم ، فكأنوا أولى بالقتال وقد طعن بعض أئمة الحديث في الرواية التي فيها أنه عليه السلام قال لعمره تفنك الفتنة الناعية ، فهذه الرواية

تكلم فيها كثير من العلماء مثل الامام أحمد في رواه عنه ويحيى بن معين
وحسين الكرايسي وغيرهم (١) والقصة أحر حها البخاري بدون هذه الزيادة،
وعني فرص ثبوتها فثبت نصا في مشروعية اسداء القاتل، فإن الباعى المؤمن
لا يبدأ بالقتال مطلقا، ولو فرص أن قتل معاوية مشروعا وأنه لا يجوز
ولايته لرم الطعن في الحسن بن علي رضي الله عنه لأنه ترك القاتل وسلم الأمر
لمعاوية وقد مدحه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى العظيم كما في
الصحيحين أنه عليه السلام قال: إن في هذا سدا، وسيصلح الله به بين فئتين
عظيمتين من المسلمين، فيكون أحد علي مقتضى هذا المعنى لعنيل
وأضر بهم عاصياتك هذا القتل، وعاصيتك من لامة الاسلام له لامة
البيعة، ويكون هذا الحديث دليلا لا مدح فيه، ومعلوم أن هذا من قصد
ما يرضى، أن يكون محمدا مكتوبا سنة ليس اساء، هم المفسر،
والخلة فمعل الحسن رضي الله عنه لمد النبي عليه النبي صلى الله عليه وسلم به
محام لعن أسبه وأحبه وقد مدحه النبي صلى الله عليه وسلم على قتله هذا فلا
بد من حمل ما فعلاه على الاحتياط، قال ابن عباس رضي الله عنه من أن معاوية
سيسلم الأمر وأن في ذلك جمعا للكلمة شريفة، وهو ما كان يرضى أن لا
يصلح ما يقع، لأنه لا ريب أنقص من معاوية وأولى بأحق منه فيما أن وقع
ما وقع ثم على ذلك وكان يقول: يا حسن يا حسين، ما ضل أولئك أن الأمر يباع
هذا، الله ذو مقام قامه سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، إن كان رأي آخره
لعظيم، وإن كان إنما ان خطره ليسير، فإن هذا عنه شيخ الاسلام بن تيمية في
منهاج السنة ١٨٠ ح ٢ وذكر عنه أنه كان يقول:

(١) قال شيخ الاسلام في (٢٠٠ ح ٢) ح ٢ ص ٩٤ في كلامه على حديث
عمار: فملك الله البيعة، ما نصه: وخائفه من سبأ، صمعا أحدا الحديث،
منهم حسين الكرايسي وغيره، ونقل عن أحمد أيضا.

لقد عجزت عجرة لا أعتر سوف أكبر بعدها واستمر واجمع الرأي الثابت المنتشر

ومن العجب احتجاج بعضهم بحديث «أهل بيت كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» وهذا الحديث لم يروه أحد من العلماء المعتمدين، بل حكوا بأنه حديث باطل^(١)، فانه من المعلوم أن سفينة نوح واحدة ومذاهب المنسبين لأهل بيت كثيرة جدا، وفيهم من يدع «بعضهم بعضا» ويكفر بعضهم ببعض وكل منهم يدعى أن مذهبه هو سمية نوح، فكيف تكون هذه الشيعة المصدرة كسفه نوح، ولهذا نجد «مالية» تختص به وتجدد الامامية تختص به ووجد الاسماعيلية والصيرية وغيرهم يحجون به، وكل من هؤلاء له نخلة وذهب إليها وحسن من خالفه ولبي صلى الله عليه وسلم قد بين الفرقه لاجابه بقوله «من كان مثي ما أنا عليه اليوم وأصحابي» متفق عليه من حديث قد تقدم والمقصود أن ما استند به هذا المذهب من انهيار جيش علي وبعين ذلك ما هم شتموا بالقوى والاهتمام بالخدمة وأن هذا الأمر هو الذي أفسدهم وأن مقاتليهم على خلافهم كتب ظاهر امره أدنى عاقل، بل الأمر بالعكس فإن الاطهار إنما جاء بسبب المدافعة عن الدين استجوا الحياة الدنيا على الآخرة واعتمدوا على الأسباب المادية وقبوا عثمان ثم قاتلوا طلحة والزبير وأثاروا الفتنة بين العساة، ثم أدوا عيبا بالاحلاف عليه، ثم انقلب بعضهم

(١) كما حكم عليه في (المباح) وغيره والحق أن من انتع الكتاب والسنة فهو الذي على الحق، أما من تعدى الله شتم الصحابة والفقهاء وحطل صفات الله وعبد العصور فهذا مصاد للقرآن، وقد علم أن النبي ﷺ قال لعاصمة رضي الله عنها سلبني من مالي ما شئت لا أعني عنك من الله شيئا وهذا، لو أن عاصمة دنت محمد صرقت فطعمت بعدها، ولكن أعداء الدين لم يدخلوا على أمماد العرب والقبائل البغضاء بينهم إلا من هذا الطريق وأمثاله

عليه وقاته ، فهذا أصل البلاء (١) فان المنافقين هم أصل كل فساد في كل الأمم ولولا كثرة وجودهم في هذه الأمم الإسلامية لما أصابها من الضعف والمحن ما أصابها ، فان هؤلاء هم الذين أسسوا بعض الصناعات وتحرّفوا عن طواغرها وأسسوا عبادته لقصور ولبناء عليها والصلاة عندها ، وهم الذين أسسوا تحكيم الطواغيت بدلاً من أحكام الله ، فكف بعض المسلمين وهذه العنصر متعلمة في أعصابهم وقواهم ، فلا بد من إزالتها بالأحد مما جاءهم من الله من النور والكتاب المبين ، ولا يمكن هذه الحضور على هذا إلا بالأحد مما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في الأخلاق والديانة كما قال الأئمة لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، وهذا لما سبب هذه العنصرة الباغية واغترت بدسائس الفرس وأمثالهم حصل ما حصل حتى تعدى ضررهم إلى غيرهم وكانوا فتنة لكل مدق ومدق

وما استدعى النظر ولا اعتبر أن جميع الدس قاموا في هذه الفتنة في قتل عثمان رضي الله عنه عوقبوا في الدنيا من جس ما فموره في قتلهم ، فاهم لما كادوا أن يرجعوا إلى بلادهم وتركوا الفتنة رجعوا بحمض على المكر والخديعة بدعوى الدس وأهم فاتهم بالحق ، وجعلوا منه مرة أن ذريعة لهم ، وعثمان رضي الله عنهم يعلم حقيقة أمرهم وأهم لا يقصدون إلا ربح الخلافة إما بقتله

(١) ومن المريب أن بعض الكتاب احنج على أحر على بأنه كان ورعاً قياً ، واستند على ذلك بأنه لم يكن يعطى ولا به من الأموال إلا قليلاً ، وكان يوفق المحاسة عليه ، وأن معاوية بخلاف ذلك ، وما شئ هذا الكاتب أن انتصار معاوية لم يأت من ناحيه المال وإنما جاءه من القس ، ومعلوم أن أحد المال وخطره أسهل من خطر القتال والدماء فهذا الكاتب لم ينظر إلى مميزات الفتنة ، ولم ينظر إلى الأسباب التي حصل بسببها التقدم والتأخر ، وإنما نظر إلى سبب لم يحصل لعل منه ضرر الله ، وإنما جاء الضرر من غيره

أو خلعه ، لا يريدون مروان ، ولهذا لما قتلوه تركوا مروان ولم يقتلوه مع قدرتهم عليه (وحسبوا أن لا تكون فتنة) فهدأ أعصابهم في الدنيا فهدأ عن الآخرة ، فأنهم لما كادوا أن يبرهوا جيش الشام وأن يحصل لهم النصر والنصر أظهر الله لهم من يكذبهم ويكرهم بدعوى القيام بالحق في رفع المصاحف ، فكانت الدجبة العنبل الهائى ، كما كانت تقيحه رجوعهم لأول بالسكيد والمكر حصولهم على الثمر والاحرام المكر في حقهم ، أما في حق عثمان فهو الخبر ، فانه طهر بالشهادة الحقيقية التي لا تظلم الا المقربين . ثم رؤساء هذه الفتنة - مثل محمد بن أبى بكر والاشعث الحنفي وغيرهما - كل منهم جوزى من جسد قومه ، فان محمدا كان من أول من شرب من الفتنة لحمة الدنيا فدخل على عثمان وقد منع عنه الماء ففعل ما فعله - كما كان حقيقته أن واحد في حرية من حرائب مصر هارباً في غايه العطش يقتل وهو على تلك الحالة ثم شربوا عليه الماء في حجة حمراء وكسبوا الاشرار الحنفي فانه كل فتناء في الفتنة بدعوى إقامة الحق ، ووضعه السكند والمكر ، فله كانت حاتميه أن ساعد الله عليه من سقاء سما في عسل حتى مات في دمه في مصر ثم لانه عسل - وجين بينهم وبين ما شتهون به ، فعاقبة الحنفي والحنفي والعدوان لا بد أن تكون وخيمة ، كما أن عاقبة أهل الدين والتقوى هي العاقبة الحيدة ، سنة مطردة لا تسدب لها ولا تحول

ويسمى أن يعلم أن السدى دعاء إلى الافاضة في هذه المسألة سان الأسباب والعوامل الأساسية الدينية والدينية في التقدم والتأخر . وسان أن النصر يكون دائماً في جانب التقوى في عمله لا في التفصيل ، وأن سعى والعدوان والتفائق - وهذه الأمور منشأها الاعتقاد على الأسباب المادية فقط - لا بد أن تكون عاقبة أهلها وخيمة اذا كان مقابلهم أهل دين صحيح ، لا اذا كان مقابلهم مثلهم . وقد رأيت كلاماً كبيراً البصر العلماء من الكتابات غيرهم من المسلمين

وغيرهم في هذه المسألة فيه أشياء كثيرة من الاحكام والاسلاط الفاضلة .
فلماذا وجب على الانسان ان يراى في هذه المسألة - يعلم به من الاعلاط
من الطرفين - وإن كان في كلامها ما لا يرضاه من أصيب بقاء الرضا ، فإن
هذا البقاء الفصل قد وقع فيه من شيء انه لا يبعد ولا يخصهم ، لا هو
تعالى ، هؤلاء - بلا شك - لا يرضون إلا على من اسع مدم وأهواءهم ،
ولا يقوم لا يرضون عن شخص حتى صلى الله عليه وسلم ولا عن غيره
السلف انما بدلو موسى الله تعالى وبنيته كيف يرضون عنها ، هذا من أشد
المحال .

ولقد حكم الله سبحانه أن أعداء عمل والذين يتبعه تحب بحبه
وباصريه من ذلك الوقت إلى هذا الوقت أحضر في أحبه . وهذا من عدم
نصره لولده ، رضى الله تعالى عنه وعن ربه وعن ربه وعن ربه وعن ربه
وحيثما يقول : ربنا اعف عننا ولا تحاسبنا بما صنعنا ولا
تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، وثنا ربك ربهم رحيم

٥٥٥

ثم قال : ومن المعلوم أن أوروبا يوم أن كانت مؤمنة بالكيفية مسددة
كانت في ذلك أهوا والعصف وعجز الذي عرفه وفروقه ، فما أن عرف
من إيمانها وسارت عن ذلك الأمن الآخرين وجعلت تصبغة وانجده
والجباة الكبيرة تقويه هي آلتها التي وحدها وأنت الأشرار بها صعدت بخيابه
هذا الصعود لدى أعجز صار سورة واضطر به وقد قل أحد فلاسفة
الانجليز المعاصرين المدرسين يوم في إحدى الجامعات البريطانية - وهو
محدث كما هو ظاهر - أن أوروبا لم تستطع أن تكون أوروبا ، لا بعد أن
أعتقت نفسها من روى الايمان بالله واليوم الآخر .

قلت لما ذكر أن الايمان بالله واليوم الآخر عاملان من عوامل سحر

أخذ يتدل بفعل أوربا قول هذا الانجليزى مع شهادته عليه بأنه ملحد ، وقد نسي بأنه قد اعترف بأن أوربا لم تصعد هذا الصعود الذى أعجز نصره تنوره إلا بعد أن حاطت المسلمين وأحدث حضارتها من تعاليم الاسلام كما تقدم كلامه ، وهنا تناقض فادعى بأنها لم تصعد إلا بالإلحاد ، وهو يريد بهذا الاستشهاد بفعلها على ما ادعاه وما تقدم فى الحث على الإلحاد ، ثم إنه لعظم شقائه رهن على هذا الكفر بكفر منه ، وهو ما ذكره عن هذا الانجليزى المدرس يكون أوربا لم تستطع أن تكون أوربا لا بعد عنقها من الإيمان بالله واليوم الآخر ، ولكن سرقت المصداقة وبخوها فى حقيقة لم تمنى من رفقها ثم إنه شهد على هذا المدرس بالإلحاد ، واستدل بكلامه على ما يدعى ، وكل ذى عقل يعلم حقيقة المسم أنه لا فرق بين قوله وبين قول هذا الملحد فى هذه الجملة التى ساقها فى قوله ، ومن المعلوم الخ ، فان هذه الجملة التى ادعاهها هو كاحدها فى ادعائه هذا الاخرى سواء بسواء ، فان هذا الملحد صرح بأن أوربا لم تصعد بالحياة إلا بعد أن مرت من الإيمان بالكسبة والدين ، وتنازلت عن الإيمان بأهل الأخرى ، وجعلت إيمانها ومعبودها صناعتها وتجارتها ، وهذا الكلام إن لم يكن أحدث من كلام سيده الانجليزى الملحد فليس بدونه ، فكيف يرى من ادعى كدعواه بالإلحاد ، ولا يكون هو أيضا ملحد ، ثم ، يا دعوى فى ههنا السقوط ، فليس دين المسلمين كدين الكنية حتى يصح رفضه ، هذا لو قدر أنها رفضته فى حين تقدم هذه الصناعات ، فان هذا باطل وهو خلاف المشهور المعروف ، فان أكثر من نصف أوربا يدين بدين الكنية ، مع أن كثيرا من هذه الشعوب المدعية للاسلام قد رفضت دينها وفعالت كما فعلت أوربا من رفض دين الكنية تقيدا لهم ، وما رادهم ذلك إلا حصارا والمعروف أن أوربا وعبرها إنما رفضت كثيرا من الحرفات المحلولة للعقول فقط ^(١) ، وإلا فكثير من مبادئ الكنية موجود

(١) أى لا الإيمان بالله واليوم الآخر إجمالا

في كثير من الشعوب الأوربية وغيرها ، أي أنها موجودة في هذا الوقت الذي
تطورت فيه الصناعات والحضارة ، وإن كان قد وثق فيها الاتحاد في الأرمية
الاحيرة بسبب الشيوعية فهذا لا يرد ، لأن الكلام في مسألة اتفاق الحضارة
مع التدبير ، وقد ثبت فيما تقدم أن مرض الاتحاد والتعلق للقبول كمرض الوفاء
المالدي للأبدان ، فكما أن الأبدان العبيدة التي ليس فيها قوة تقاوم المرض من
تكون سدة المراح قاتلة له يكون المرض أسرع فتورا فيها واستنصلا لها ،
فهكذا مرض الاتحاد من أكثر هذه الشعوب الأوربية وغيرها ، ليس لهم
معرفة بالدين الصحيح الذي يوجب قوة التقوى وبروح يدفع ما يرد عنه من
أمراض الشكوك والشبهات في الاتحاد ، من هؤلاء الملحدين إنما تؤثر دعايتهم
لعدم وجود أدب صحيحة تقاومها ، وليس تعرف في هذا من الهند والصين ،
فإن الصين لما كانت أبعد عن معرفة الأديان السماوية ولا سيما الإسلام لصحیح
فشا فيها الاتحاد ، بخلاف الهند فإن الممانعة فيها أقوى لقوة موجهة من العلوم
الدينية الصحيحة ، فضعف الدين نجر إلى الخرافات ، وإن لم توجد جر إلى
المناق ، وقد نجر الخرافات إلى الحق أيضا ، وكل من الخرافات وسحق سبيل
إلى الاتحاد ، وقد يضطر الملحدين اتفاق أحياء لمقاصد أخرى ، فهكذا كان
دين الكنيسه ، وكذلك الرهبان والتجهم المحض يكون قاتلا لسائر عوامل
الاتحاد ، ولا ريب أن ذلك من أجل ضعف عنصر مقاومة الدينية في أهلها .
ثم كيف تنفق دعواء بأن هذه الحضارة وهذه التطور إنما أحدث عن الإسلام
وأن ذلك هو رهبان الأمل الأخرى ، وكيف يدعوا إلى رهبان الدين من
أجل هذا وهو ما جرد عن الدين نفسه ، لما أكثر حصوله ورعاياته

ودعواء أنها صنعت سحابة هذا الصعود إلخ . يقال لكن سقط أكثرها
سقوطا مدسرا ، ولا سيما الذين مرقوا مرقا تاما ، بل عادوا إلى أسفل
سافين ، وصار سقوطهم بأسباب روى آلهة التي ادعت أنهم وجدوها وأبوا

الاشراك بها وهي صناعتهم وتجارتهم ، فأزلتهم معبوداتهم ودمرتهم لما تنارلوا
عن الأمل الآخرى ، فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعونها من دون الله من
شيء لما جاء أمر ربك وما زادهم غير تنصيب ، ومن لم يسقط منهم فهو مهدد
بأسقوط ومصريه لا بد أن يكون للسقوط المحتوم ما دام رقيق لآلهته

وعرض هذا الملحد من هذا الهرم - كما لا يخفى - أنكم أيها المسلمون
يجب أن تعملوا كما فعلوا ، فتقصوا دينكم لدى هو كدس الكنيسة لتضعوا
كما صعد أولئك . وما عر هذا ارائع أن المسلمين على بيته من ربهم ، يعرفون
الفرق بين دينهم ودين الكنيسة ، كما يعرفون الفرق بينهم وبين اليهود وغيرهم ،
وأنه لا نجاة لهم ولا خلاص ولا حياة الا بالله ربهم والعص عليه
بالتواجد ، وأن أولئك لم يرفع أكثرهم ما معه من المروق ، بل عاد عليه نكبة
عظيمة وحساسة حبة في الدنيا والآخرة

• • •

ثم قال ، ولقد كانت روسيا القيصرية المسيحية منذ أقل من ثلاثين عاما مثلا
طبا لافقر والضعف والمسكنة والخل حيث كانت مسيحية متدينة صالحة ! فلما
أن مرق بها اللاشعة وصنعوا لها أرماا آخرين وعبادة أخرى صارت هي
روسيا اليوم قاهرة ألمانيا التي لم تكن تقهر ، ولعل روسيا هذه قد كفت لمزيمتها
ولإحراجها من الحرب العالمة الأولى معركة واحدة رماها بها قائد المايسا
العبرى ، وقد لحص أحد أدباء الروس المحصر من الدين عاصروا العهدين
القصرى ولبشنى أسباب الفروق بين أولئك الروس وهؤلاء وعوامل التحول
قائلا . لقد شاهدت الريع والعمال الدائين اليائين في الزمان القيصرى يوم
أن كانوا يشكون يؤسهم وحملهم وفقهم وأمراسهم وسائر مصادم الاجتماعى
الى القوى الخفية المجهولة ، فكأنوا يومذاك مثلا رائد فى الاحتطاط ، ثم شاهدت
هؤلاء أنفسهم وهم يشكون ذلك الى المصنع والمحراث والمدرسة ، فصاروا هم

الروس ادين بالوا عذاب العالم ورحاه سنة ١٩٤٤ وما بعدها .

قلت : هنا طاب له الكلام والمكان ، فأخذ يهذي بما حطر على لاله ، ولو كان له عقل ودين لم يحتج عن المسلمين بمثل هذه الأمور ويدعى أنه مؤمن بالله واليوم الآخر ، وهذا اى ادعاء وفرح به من أبلغ الحجح عليه لأمور :

أولاً انه قد تقدم قوله فى احلة لسابقة قريباً بان أوروبا مرقت من إيمانها وتندرت عن الأمل الأخرى ، وهذا تصریح بأها مبددة ، ومعوم أن روسيا انما انتصرت على هذه الشعوب المعروفة فيها بل على أفواها التي صرح باسمها فادعى أنها انتصرت بهذا المروق نفسه على هذه المارقة نفسها ، صار هذا الاستدلال صريحاً في أن روسيا المتحدة نصرت على أوروبا المتحدة ، فكان حقيقة الدعوى أن هذا المدأ الاتحادى انتصر على نفسه ودمر أهله الدائنين به ، أى انتصر أحد طرفيه على الآخر فدمره وأبرل به أعظم الصكبات والكوارث ، وادى من الذى قال لك - يا لعلم رحاه - ان الاتحاد لا ينتصر على الاتحاد وعلى التفاف أبيض وأنه يدمر نفسه بعضه بعضاً ، بل هذا غل حنقت به نفسك ، فهل كانت روسيا منتصرة على قوم يؤمنون به تعالى إيماناً صادقاً حاصلاً ويمبدونه ويحكمون شرعه وبلداً أو اليه في السراء والضراء وشقون به ويركنون اليه ، أم كانت منتصرة على من هو منها كما تدعى بمحاورة بلا لعلم ، فأى شبهة لك فى هذا ، وكيف تعتمد الى قوم يدعون أمر الله وراء ظهورهم واحتقروا طاعته وعادته ورأواها - كما رأيتها - صمقا وعجزاً ، فسحل عليهم بأنهم مارقون ، ثم تعتمد الى قوم منهم فقرو بأنهم مثلهم قوم مارقون ، ثم تستدل على المسلمين بانتصار هؤلاء على هؤلاء ثم تدعوا الى الاقتداء بهم ثم تحج على هذا كلام روسى بشنى مجهول يدعوا الى نفسه وجسه بقول هراء يدعى به أن الشكوى الى المحرث حير من الشكوى الى خالقه ، ولو أن قائلنا عكس دعواك وادعى بأن الاتحاد عامل هدام بدليل إنما أصاب الطرف الثانى المهروم

لكان أولى بالصحة من قولك ، لأن الذي هدمه هو مبدؤه ، فكل متهادما ، ولعله ألقي في روعك أن حصومك يدعون أن مبدأ الاتحاد لا يتنصر على نفسه ، فإن كان هذا هو الذي يوهنه وخطر على بلك فليكن لديك معلوما بأن حصومك لا يقولون هذا أبدا . بل يقولون إن الله تعالى يولي بعض الظالمين بعضا مما كانوا يكسبون ، ومعلوم أنه تعالى لا يولي بعضه بعضا إلا بتقديم بعضه على بعض كما حكى في أول سورة الاسراء في إصرار خصمصر على بني اسرائيل بسبب إفسادهم في الارض ، وفيه برهان على أنه لا مانع من تقديم الكافر على المقدس الذين اتبعوا دينه هو أولعنا وعرثهم احياة لسبب أما من استمك بطاعة الله تعالى واستقدم على الدين الصحيح فلا بد أن يعينه الله ويسخر له من الأسباب ما يسع به في الدنيا بعد صحيح كما قال تعالى بل إن الله يدافع عن الذين آمنوا . وكما قال تعالى ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)

الأمر الثاني أن دعواه بأن روسيا لم تقدم إلا بسبب مروقها من دين الكنيسة دعوى غير صحيحة ، بل هي تقدمت بأسباب أخرى كثيرة ككثرة عددها وحصونة أرضها وغير ذلك من الأمور المعروفة التي لولاها لم تقدم ، فانه يوجد حكومات أعيد منها عن الأديان ولم يحصل لها أدنى تقدم ، وهذه الأديان تقدمت تقدما عظيما بشبه "ظفرة قمل هذه السوات الاحيرة وهي لم تنك على دين الكنيسة ، كما أن هناك دولاً أخرى لم تكن فعلها في اسكنيسة كأمريكا والابحير وقدموا أعظم من تقدمها حتى على كثير ممن رفضوا الكنيسة ومرتقوا من دينها . فنتبين من هذا أن ليس لرفضهم الكنيسة كبير أثر في تقدمهم ، بل لو لم ينركوا الكنيسة لكان أخرى لتقدمهم فانهم أرهقوا الشعب بالتشريد والتقتيل والعداوت وقرعوا كثيرا منهم بسبب ذلك وكرههم أكثر الناس بسبب هذا ولا سيما في الشرق ، وكان من الممكن محاربة بعض

الخرافات المحططة جدا العائقة عن الأعمال وهي كافية كما فعل غيرهم

الامر الثالث : أن كثيرا من الناس يعرضونه في كون روسيا كلها مرقت هذا المروق الذي يدعيه ، بل فيها كثيرون جدا ممن يدينون الكنيسة ويعيرونها وان كان أكثر المظاهر الدينية أريلا ، لكن كونها كلها مرقت غير صحيح وقد تراجعت في السنين الأخيرة قبيل الحرب وكثرت العنايةات الدينية فيها لأنها عرفت أن ما فعلته في أمر الكنيسة وغيره قد أصبح ضرره أكثر من نفعه وإذا لم تتراجع بعض التراجع ، وبعض الناس يدعى أنها إنما حدثت آخرات المتحطة فقط ، ومعناه ان آخرات المتحطة جدا كانتهم ولا اتحاد وأمثال ذلك كالاتحاد أو ارساقه أو من أصر

الامر الرابع : أن دس الكنيسة ليس كدين المسلمين حتى يصح اثنتين ، بل هذا القياس باطل مادامه كما تقدم ، وصيحه مبررة كثيرة

الامر الخامس : أنه مطالب بدين كون الفرد في روسيا أحسن حالة مما كان قبل ذلك ، فإنها قبل مروقها كانت مسقة وكانت على حدة هادئة وحرية الفرد كانت جيدة جدا بخلاف انقلابها الأخير ، أما ما ذكره من فقر وأشقاء فليس بصحيح ، بل هي غنية من قديم وان كان حصل لها إضرار أعظم مما كان قبل ذلك لا يقتضي شفه وفقر أقل ذلك مع أن ما حل بها من لكودوث والتكبات في السنين الأخيرة ليس بالامر الحسن فيها

وهذه الصحف العلية تلوه شرح حاد أولا وأخيرا لا حاجة الى التطويل فيه ، ويكمننا أن نقول هذا المجدد من مكثت فيها وعرفت أحوالها أو أحوال أهلها وماذا يجري فيها وعرفت أحوال غيرهم حتى تستدل بهذا الكلام الذي حقيقته حجة عتيك ، وعد بنا فيما سبق أن التقدم أحيانا والكثرة لا تدل على الحق ، ولا يدعي هذا أحد من يقدر الامور ويربها بملين العقل الصحيح ، وهو نفسه معترف بهذا أحيانا ، ولو لم يكن له إلا شذوده في هذه

الأعلاء لكي ، ولكن يريد أن يكون كل شيء حجة له ولو كانت قضايا متناقضة ، وهذه الحملة هي بيت القصيد هنا ، وما تقدم في أول هذه الخلاصة كالتمهيد لها وما بعدها تقرير لها ولهذا وقف عليها

(وقسوف شعبي صاع في الترت حاتم)

° ° °

ثم قال : وكذلك القول في تركي وفي كل الامم الحديثة والقديمة ،

فيقال كل هذا كذب طاهر ، أما تركي فكل أحد يعلم أنها لما كانت متدنية كانت متقدمة وعلى حاد عظيم من الاعتبار وسعة الملك والرفق والسيادة ، وما أن بدأت تغرق في دسها ودبت إليها عناصر الإخاد - كالنجم^(١) وعلو في الأموات وطسهم الخواص وإدخالها الانظمة المصادرة لما في الكتاب العزيز والسنة المطهرة - أحدث في الأحر حتى وصلت الى هذا الحد ، وما أن قلت نظامها وصارت لا ديبية لم يحصل لها تقدم البتة مع أن أكثر شعبيها متدين ، وهذا عرفت صرر الإخاد وشدة فسادها فتراجعت الى التدين لأنها عمت أنها لا يمكن أن تعيش بغير دين لما أصاب شباب من الانحطاط وحيث الأخلاق ، فهي أعرف بنفس من غيرها ، ومن المكاره والمجاهرة بالفجور ما ذكره في بيته (كيف دل المسجون) من أن تركي لما كانت متدنية تأخرت ، فلما ألحد تقدمت ، فهل يعني هذا المعجور على أدنى عاقل ، فان الناس يعلمون أن تركي كانت من أكبر الدول لما كانت متدنية فما أن حرفت دينها وانقلبت على عقبها^(٢) ندهورت ثم لما أعلنت بأنها لا ديبية لم يحصل لها تقدم ، بل كانت

(١) مثل تحريف الأصوات وإتكار العلو والكلام وبحو ذلك

(٢) أي الحكومة ، وإلا فما كثر الشعب متدين

وقت تدبيرها أعظم وأرق وأوسع ملكاً من بعد أن كانت لا دينية، وهذا أظهر من أن ينه عليه

ومن أجر الفجور الذي لا يتكلم به إلا من بلغ في الشهادة وعدم الحياة
أبلغ حد قوله ، وكذلك الأمم الحديثة والقديمة ، تحمل الأمم الحديثة والقديمة
كلها على هذا المنوال . ونحن نتحدثه بنات دولة واحدة من الدول القديمة
كانت على مبدأ الجدة فتقدمت ، أيضا أن بني إسرائيل أو العرب وغيرهم
لم يتقدموا إلا بالمرور من الدين ، وكذلك لدول الحديثة فقد عرف أمرها .
وقد بين سبحانه كيف كان عاقبة الأمم المتقدمة وأنها عكس ما ادعاه ، كما أن
البراهين التاريخية دلت على ذلك كما قال تعالى ﴿ واتخذ أرسلك من قبلك رسلا
إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فاستقمنا من ابنين أحرموا وكان حقنا علينا نصر
المؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ فمن سبوا في الأرض فاطروا ﴾ وكيف كان عاقبة
المكذبين ﴾ وقال تعالى ﴿ ثم أرسلنا رسلا تترى كذا جاء أمه رسولها كذبوه
فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أممات فبعثنا القوم لا يؤمنون ﴾ والآيات في
هذا كثيرة جدا في الأمم الأولى والأخرى وكلها كانت عاقبتها على هذه السنة
والثبوت لا تختلف أبدا كما قال تعالى ﴿ قل عيسى إني بشروا يعفر لهم
ما قد سلف وإن يعبدوا فقد مضت سنة الأولين ﴾

ثم قال ، ولعل الفرق يظهر حلجا في دولتين شرقيتين متجاورتين وهما اليابان
العنية المتوثنة والصين الواهمة الكسول ، فالإبان وإن كان لدين الروذي فيها
آثار وبقايا ومعابد وتماثيل ، إلا أنها قد نصت حقيقة هذا الدين فلم تدع على
روحها منه شيئا ، وإن أقمت بعض الأشياء على جسمها الخارجي والدين
الشتوي الذي تقمصته الروح اليابانية هو الذي يبرجها ويمثلها ، وهو دين
الطبقات العليا والأشراف هناك ، وهو دين يقوم على عبادة الطبيعة وعبادة

مظاهر هذا الكون الخيلة المختلفة وعلى عادة الخد والقبوى المادية ، ولهذا فان
اليابان بالعون جدا في تصور الخال وفي إدخاله على كل وجوه الحياة حتى على
لعب الاطفال وأحذيتهم الخشبة ، وأصغر الامور الى يعمونها ، وهو دين
ليست له طقوس ولا فروع ولا عبادات خاصة ولا كتب ذات نصوص
يتعبد بها وتلاوتها وهو لا يؤمن بالآخرة ولا بالحب والنفات والجرام ،
وحلاصته أنه دين طمى أو أنه دين الطبيعة في أعم معانيها ، ومن ثمة كان
أهله من أشد الناس انصالا بالطبيعة وحمدا .

فيقال وهذا أيضا من حسن ما فيه في الصلوات ، بل هو حجة عليه ،
والعالم على هذا الشعب هو الدين البوذي لا ريب في جميع الطبقات عند
جميع المعارف بهم ، ودعواه عليها بأنها قد نصت هذا الدين أى البوذي كذب
ومكارة مردونه وأكثر عن هذه الدوبة وأشرفها وقادتها على هذا الدين
البوذي وهو الذى يوجهها وهو الشائع فيها مع أن هناك أدبيات أخرى فيها
خرافات كثيرة لا تنهض عما في الصين وما حولها ، وهذا يظن دعواه كلها
ويحتملها من أصلها حيث ادعى أن الدين الذى لا يمكن أن تقوم عليه دولة
وان الاتحاد لا يمنع الرقى ، وهذا ليس أى البوذي هو العالم على أكثر
الصين والممول ، فلو كان عنة تأخر الصين هو وجود هذا الدين فيها لكان ذلك
أيضا في الياس سواها فيه لا فرق ، وهذا أمر معروف عند كل من له
أدنى إلمام بمعرفة ذلك

ودعواه أن الدين الشنتوى هو الذى يقمصه الروحانية وأنه هو الذى
يوجهها من المكارة الى مستحى من له عقل أن يحايرها ، فان هذا الدين لا
يكاد يوجد فيها إلا بالنسبة الضئيلة في بعض انطبقات انقلية وأكثر اربؤساء
والأشراف هناك على الدين البوذي فهو السائد فيها في جميع الطبقات ،
ومعلوم أن السيطرة إنما تكون للأكثر الأعجب وهو الذى يوجهها . ثم يقال

لهذا الزنديق : على فرض التبرل بأن الدين الشنتوى موجود فيها سواء أكان
ثقله أو كثرة هل هو دين باطل أو دس صحيح ، هات قد جعلته دينا ، فان كان
دينا صحيحا عندك فصرح بذلك ولا حاجة من ادعاء الاسلام فانه يناقضه ،
وقد ذكرت أنه ليس فيه إيمان بالآخرة ، وان كان دين باطلا فكل كلامك في
أن الدين الباطل لا يقوم عليه دولة وأنه دس تأخر ، فان أهل هذا الدين
تقدموا تقدما مدعيا في سنوات قديمة مع كونه دينا باطلا ومثمتلا على
حرفات كثيرة ، وهذا يأتي على جميع قواعده من أساسها ولا سيما في التطويج
حول تقدم رؤسها ، فمن الكسفة . وهو مقاس لتقدم هذه الدولة مع كونها
على أدس باطن ولم تره من كسفة ولا غيرها

ثم أي مناسبة للآتيان بين آياتي وأبي . جل من المسلمين يعرف أن
دينه ليس هو كدين البابا ، ومن يفرق بين الاسلام والدين البوذي
واشتوى وعوه من الآداب الباطنة فهو لا يعرف الاسلام ، وهذا المعروف
مبنى على قاعدته الخدعة أن دين الاسلام كغيره من سائر الأديان له سلطة ،
ولهذا عر عن ذلك الملحدين والمبدعين في الحق الناس في احمه من متدين
وملحد الملحدين متأخر والملاحد متقدم ، وكار في احصاء كارك في الضروريات
وهو يعرف أن أكثر الأمم المدحطة كعص سكان افريقيا وغيرهم لا يعرفون
عن الأديان شئ ، وهكذا غيرهم من أهل الأديان الثلاثة فان فيهم من الناس
من هم أعظم تأخرا ، وكل هذا أعرض عنه ويعنى بهذا الدين الشنتوى فدحه
مع إقراره بأن أصوله تنصم الكسرة ، اليوم الآخر ، ودم جميع الأديان التي
تحلقه لانها أديان سماوية ، ولو كان هذا الملحد من أهل هذا الدين لعلم أن
كتابه ينصم الدعوة اليه وان ما ينصمته من الاتحاد الصريح

• • •

ثم قال : أما الصيرون فقد رسام الدين الكنفشيوسي وسواء بمالم

يستطيعوا القيام منه لكثرة ما فيه من الأوهام والخيال ومن التأميس
بالمستحيين ، ثم شرع في دم هذا الدين ، وكل هذا لا حجة له فيه ، فليست
هذه الأدیان كدين الاسلام ، والمسلمون لم يمنعوها حتى يتكلف دمها وأخط
على أهلها ، ومن ساوى بينها وبين الاسلام فهو مصاب في دينه وعقله وهي لا
تسمى أدیاناً إلا مضافه الى أهلها فلا يشمل إطلاق اسم الدين في عرف أهل
الأديان ، اليهودية من هي حركات والأديان هي الاسلامية والمسيحية واليهودية
وما سوى ذلك فوثنية من الملاحظة وثنون فاهم يعدون الآلات ويعبدون
عليها ويعتقدون عليها آلهة بل يعبد بعضهم بعضاً ويعبدون أهواءهم ، فكل
من اعتمد على غير الله وعاد عليه آمنه ونوكل عليه وأطاعه وخضع له فقد
عده ، وليس من شرط عبادة شيء أن يعمل الانسان مع معبوده كما يعمل
مع الله كما اوضحنا ذلك فيما سلف قال تعالى : **أَفَرَأَيْتَ مَنْ تَدْعُو لَهُ هَوَاهُ**
فَجَعَلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِصْبَارًا على شرع الله عباده قال أبو عبد الله

وعبادة الأهواء في تطويحها من مثل عبادة الأوثان

كما في حديث أبي واقد لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال : **أمر الله مع رسول الله**
صلى الله عليه وسلم إلى حين ونحن حدثاء عهد بكفر والله إنكم لمدرة يهلكون عندها
ويبتطون بها استحييتهم فقال لها دلت أرواح ، ثم رنا مدرة فقلنا يا رسول الله
أجعل لنا دلت أرواح كما جعلت أرواح ، فقال : الله أكبر يا أبا عبد الله ، قلتم
والذي نفسي بيده - كما قال أبو إسحاق - لو إسرائين لموسى اجعل ل إله كما لم آله
قال انكم قوم تجهلون ، رواه الترمذي وصححه ، فجعل فعبد هذا عبادة ، وان لم
يطبخوا أن يعبدوا عند هذه المدرة كما يعبدون الله ثم انه استنرد فذكر الهند
وادعى أن سب تأخرها عبادة بعض أهلها للقر ، وكل هذا هذين لا قيمة
له ، وهو لا يدل على أنه لا يرى بين عبادة الله وعبادة الأوثان فرقا ، ولا
فكيف يذكر ويشنع على أهل وهو يعلم أن المسلمين يرونها وثنية لا ريب فيها .

ثم من أين له أن الحمد لم تتأخر إلا بهذا السب ، وقد تقدمت في سنين صويلة
وهي على حالتها هذه ، من هذك عوامن أخرى غير هذه



ثم قال ، وما أبدعت أمة من الأمم ، لا تقدر ما كان لديها من التأميس في
هذه الحياة ومن الدهر ان حولها . وقد تدخ الاغريق والرومان والمصريون
القدماء وغيرهم من الشعوب القديمة كانوا يسمعون حدا في حب مظاهر
هذه الطبيعة حتى عبدوها وصيروها كل شيء في رعايتهم المشدود ، وهوت جميع
الأمم التي انصرفت لها عما ترى وتحس وتجد الى ما لا تحس ولا تجد ولا ترى ،
قلت . وهذا من حسن ما فيه في المكارمة والتفجور "تظهر" فان لشعوب
القديمة التي هوت كلها الهوت تحت هذا التأميس وهذا الاتحاد الذي تدعو
اليه كالاغريق والرومان والمصريين القدماء وغيرهم ، وما رقت الأمم التي
ورثت هؤلاء وتقدمت وراثت صدمه شئ الا انفس ، لأدنان السماوية
كبي إسرائيل والمسيحيين والعرب ، وهؤلاء كلهم يدعون ، عبادات وؤمنون
باليوم الآخر وهذه حقائق ظاهرة لا حد لها ، في ذكره معروف بفتلان
بأبدائه . هذا مع كونه ينفذ ذاته في ذم تقديم والتضريح بأن
القدماء لا يبعدون حد عن تصور الخلود به ذوق . ولأنهم لم يكفوا منه ،
وانهم لا يعرفون إلا الظواهر ، أنهم على ما به من الحقيقة والعدم ، فكيف تنسب
الى الحضارة العظمة وعبادتهم من عدم العظمة . تنقلب وتدعى أنهم
أبدعوا فيها بسبب حب مظاهر هذه العظمة وعبادتها ، وهذا مع ان التاريخ
مملوء بأنهم على عبادات باطلة كعبادة الآرواح واللكواكب وغيرها ، وقد
قرر أن الدين الباطل لا يمكن أن يتقدم أمة . وتذكر أن هؤلاء تقدموا ،
أليس هذا كله هديا ما طامرا والعبث من قولك ، وهوت جميع "شعوب" التي
انصرفت بآمالها عما ترى وتحس وتجد الى ما لا تحس ولا تجد ولا ترى ، أي
صرفت آمالها الى الاسباب المحسوسة ، ولو قلت كفر بالله وملائكته واليوم

الآخر لكل أرواح اضميرك . وهذه الثروة الفارعة لا يحق ما فيها من الكذب على عاقل ، فان الناس يعرفون أن الأمم الحية منذ حصة آلاف سنة بل أكثر هي التي صرفت آياتها إلى الأديين لتساويه ما عدا ملاحده فينبون لم يقم لهم قائمة قط ، وهؤلاء أهل المكتتب هم أرقى الأمم الموجودة في زمانهم ، ثم جاء بعدم الاسلام وكان أهله في القرون المفضلة هم أعظم الناس إيماناً بالله وملئته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتقدموا على غيرهم ، وكلما ضعف هذا الأمل صعب هذا التقدم كما هو معروف ، وانراهم اليقينية . ثم إن هذا الملحد استشهد على هذا الحق . أحدث شهادته على وجه الارض وهي ما ذكره بقوله :

« حو إن رجلاً فلسوفاً خطيباً هو الدكتور حسناف لوبون (١) لما لاحظ هذا قال في كتابه المرسوم بالأراء واعتقدت : إن الإيمان بالله وحده كان نكته على البشر ، لأنه على ما راعى - قد وفيت بحضرة عن التقدم والسير إلى الامام ، قال : ولم تستطع الحضارة البشرية أن تحطو خطواتها الصحيحة القوية ، لا في عهود الوثنية وعبادة الأصنام (٢) ، انتهى . هكذا ساق هذا الملحد

(١) حسناف أو حسناف لوبون هذا من أحدث الملاحدة المعروفين بالمجاهرة بالالحاد وسب الأديين من صرح بسب الله ﷻ وسباً من سباً حيث قال في كتابه (حضارة العرب) : « حقا إن من عجائب التاريخ أن يلى قدام ذلك المتهم الشهير (يعنى الذى يتكلم) شعب جامع شديد بسكينة وح ، فالحديث من الحضارة وحده إلى هذا الحد لم يحور في دعوى الاسلام أن يحده ما عطية ويحتج بسلامه ويصفه بالذكاء والعصمة ويحذر ذلك كما في مقدمته ، ولكن شبه الشيء منجذب إليه

(٢) عني هنا بأنه يرى من الأحاد ومن هذا سبون يسير على كل من هم فعلا شنيعا وادعى أنه يرى أنه فيقول مثل هذا القول ، ولا يعجز الزاى أن يرى ويقول حال زمانه أو بعده أما أير أم إربا ، و سرق السارق ويقول حال سرقة أو بعدها أما أير أم السرقة وهكذا ، فهل يروح من هذا على من له عقل أو فكر صحيح ولكن العقل الذى يرى أن عبادة الأوثان والأصنام أولى من عبادة الله قد بلغ العاية في السقوط والعمى والصلال ، ومثل هذا لا يعد عقلا بمعناه الحقيقي أى مطلقا

هذه الشهادة مستدل بها على دعايته في هذا الكتاب (ستكتب شهادتهم
ويسألونكم) وهذا هو اللائق بأعلاؤه الخبيثة ، لا يجد لها دليلا إلا مثل هذا
الحيث المناسب لها ، وأعلاله كله تدور على هذه لفظه الخبيثة فانه كالشرح لما
ذكره جنتاف لعنهما الله جميعا وحشره الله تحت قدمه ولو أن له أدنى مسكة
من عقل وحياة ودين لم يستدل على المسلمين بهذا الكفر القطيع الساقط ،
ولكن كلب جاع فابضع الى جميعه ومع هذا فلا حجة به فيه فان متوهمه صرح
في زيفه بأن البشرية لم تخط خطوته أبوية إلا في عهود الوثنية وعبادة الأصنام
وهذا مع كونه باطلا ، ضرورة برفض ما ارتد في الهند والصين وعباداتهم
عام عبادة الأصنام ووثنية طاهرة ، ولكن ادعى أنه هو قوله إن الإيمان
بالله وحده كان نكبة على البشر ولهذا يسببه انى العظمه ، وأما سهل بن عبد الله
الديلمى فإنه لما ركع قال عنه وهو أحد أخصمهم ، وكذلك قدح في اليوم
واخر الى غيرهما ومن جمع كتب العمياء ليس له قبيحة عبي ولا عقلية ولا
دينية ، فهم لا عقول هم ولا دين ولا علم أما هذا المجدد المخاهر بالكفر
فيستدل بكلامه على المسلمين ، وليس هذا بعرب في فروح للملاحدة وما حيسهم
وشبهه الشيء منحدت اليه ، فان هذا الزنديق لما مسحه الله باطننا حبريرا حيثما
صار لا يعجبه ولا يغذى روحه إلا هذه الخناثات المنسية ، فأحد يتنبها ويسقط
عليها ، وقوله : لانه - على ما رعم - قد وقع بالحرف ه ، فيقال : وعلى ما رسمت
أبصار ، فانك ادعيت كدعواه بل أحدث ، لأنه جاهر ب ولم يعلظها زسقة ، وأما
أنت فزدت عليه بالغى ومن أصول الدين إن أصول الالحاد ، وإلا فهو
مقر بان القرآن لا يتفق مع دعايته أبدا . ثم ما هو الداعى للاستدلال بقوله
وعدم الرد عليه ، وقد قمت في صراعك ص ٢٧ ، والكوت على الخطأ ليس
بما يعذر عليه وليس بما يهون أمره عند الله وعند متقين ، الى قولك : والمسلم
والعاقل لا يقولان أقوالا تضطرهما الى التأويل والتمحس ، فأبى العقل ودين
الاسلام إذن ، وكون الانسان يستدل بالكفر ويقرره ويدعو اليه ويدعى

البراءة منه من المضحكات والتلاعب الواضح ، فهذا الذي ادعاه متبعك هذا الذي تنصره ، ولهذا قلت في الخطب انها إحدى انكسات لانها مطهر من مطهر الايمان بالله وحده ، وكذلك قد رعبه المشرق كون بان الايمان بالله وحده يقف بالحصار كما أسلفنا تقريره في قوله تعالى عنهم : من يع الهدي معك تحطاف من أرضنا) ومعلوم أنه دعاهم الى الايمان بالله وحده كما قال تعالى : قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إن ربكم معكم ومن تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بكم وبينكم العداء والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى : حاك عن مشركي : أجل الآلهة إلهي واحدا إن هذا شيء عجاب) فهذه طريقه الملاحدة والمشاركة في الايمان بالله وحده ، وقد كان معلوما أن الله سبحانه نصر عبده ، يؤمن به وحده ، ولا به لا يمكن بحال أن يستولى الملاحدة على المؤمن بحصن له ، ولما كان قول هذا الملحد حشوف في عبادة الأصنام به ما فيه عذر الملاحدة ، لأنهم عرّضوا الأصنام عنده هي مطهر الطبيعة ، أخذ يحرف كلام إمامه وصيده ويحمله مالا يحتمله بأن المراد من عبادة الأصنام هي عبادة الطبيعة ، وهذا كذب مطهر يكذبه التناجيج والدلائل التي لا تحصى ، وهم كانوا يعبدون الكواكب والأرواح وكثيراً من الألوان والأصناف المتعددة ، وما كان معنى به أن يحترق على إمامه فيصرف في كلامه بخلاف صفة وصاهاه ، فان هذا حيلة وتمرد ولكنه متني بالخفاء في كل شيء ومع كل أحد ، فقال : وهو طبعاً يريد يهود الوثنية ، لك اليهود التي سادت فيها عبادة الطبيعة وبحملها اخيه كاسدي كان يصنعه اليونان والرومان واقتود والمصريون ، ويعني يهود التوحيد والايمان - التي زعم أنها وقفت بالانسانية - لك اليهود التي أعلن فيها بالدعوة الى عبادة الله وحده والى العمل للأخرة وحدها وإسمايل فيها دون الدنيا كيهود بني اسرائيل وأصحابهم ويهود الكنيسة في القرون الوسطى بالنسبة للمسيحيين

وعهود العراني والشعراني وغيرهما وعهود شيوخ الطريق بالنسبة للمسلمين (١)
فإن هذه العهود على حسب ما رأى وقاد - كانت تكتب على لسان أشجع لائها
لم تستطع أن تصنع شيئا سوى التأمل في الآخرة ، أما تلك العهود الوثنية
فإنها كما يرى ويقول نافعة على حسب ما في هذا الوحد إلى حد العبدية
فاستطاعت - بدفعها - تحب وهذه العبدية - أن تصنع أساس هذه الحياة (٢)
التي يتمتع بها انسان هذا العصر سعيد فكأن قصة مروع منها ، نكت في أن
الأمم المتدنية عاجزة عن الصعود بالحياة ونفسها .

قلت : فينبغي أن نذكر في هذا الحقل من المعجزة والكفر
والمكافأة الطاهرة والعش وخط الحاش ، وأما كيف جعل العهود التي
أعلن فيها الدعوة إلى عبادته وحده هي عهود مزالي والشعراني وشيوخ
الطريق ، وأبسط انسان من المسلمين فضلا عن غيره يعلم أن إعلان الدعوة
إلى عبادة الله وحده هي رسالة النبي من ظهر وخر الأوبة على ما أنشأ
محمد ﷺ وأصحابه ، وقد ساءوا وشروا عباد الله كذب وقصوا دار
الدين وقصوا بالأساليب عن تقدم ، ثم في وقت العراني فقد ساءت عبادة
الطبيعة وهطرها وتدهور المسجون بسبب ذلك في قوله ، وهكذا عهود بني

(١) أن لدى من بين الأمم الأعرابي والرومي والمصريين القدماء ومن
تقدمهم وقرن بين الإسلام وتناحر المسلمين لأن انما هو كذلك الطفل الذي رأى
قره يصعد حسب قص أن من بين من يصر جهل (ع) . أم حاشية من
الشواهد

(٢) لاحظ قوله في ما هني أنهم لا يعدون عن طور الحيوان وأهم كالأطفال ،
وهذا يدعي أنهم هم الذين وصعوا أساس هذه الحياة ، أما بنو إسرائيل والمسيحيون
وأهل الإسلام منهم كانوا يكتبون على لسانهم من المتدينين الذين لم يهتوا الحسنة
شيئا جديدا

لإسرائيل فإن موسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل أعلوا الدعوة إلى عبادة الله وحده وسادوا بذلك أهل زمانهم واستولوا على من عبد الآوثان والأصنام ، ولما صنف فيهم الإلحاد بالله وحده وعدوا الآوثان والأصنام تدهورا حتى دخل كثير منهم في الديانة الإسلامية واقتبسوا من نورها فتقدموا وإنشأوا روح هذه الحضارة على هذا أو على ما جرى ، وهذا أمر ظاهر جلي ، وقد تقدم كلامه . إن الإغريق والرومان ونحوهم من الدول المكشوفة التي ذهبت في غيرها فكيف يصح بأهل الحضارة القديمة أن ذهبت في طوفان الأدغال السماوية . ومن أعجب العجب أنه يقرر . كأنهم هذا الحدث بقريرا صريحا لا شك فيه حتى ختمه بقوله : « ذلك هي أن لأمم المتدينين » . عن الصعود بالحيلة ونفسها ، هكذا قال ثم يحالجه الرعب والخوف في تقريره فيقول : « عني حسب ما رأي وقال ، وهذا عن اللعاب ، وسكته عم أنه يوجد من قد حتم على قلوبهم فهم مثل هذا الخدع الباطل ولا مانع من الإتيان به ليكون عدلا له عندهم أن احتاج إلى ذلك

• • •

ثم قال : ومن الملاحظات الفردية في هذه القضية أن الأحاد الذين يرامون ينحدرون في السجادة أو الصعاء أو الملوم أو غيرها من الجوانب الاستهائية هم دائما من غير الانقياد للوعظ^(١) وأنه لا يقدر على المنافسة القاسية إلا أولئك الذين تركوا الأوامر الدينية وراءهم ،

ويقال : هذا ليس بصحيح على هذا الإطلاق ، بل يوجد في الانقياد والمتدينين من هم أعظم في المنافسة القاسية الصحيحة من أولئك ، وهؤلاء

(١) كل المناسب أن يقول : من غير المتدينين ، لأن الكلام فيهم ، فانهم هم الذين تركوا الأوامر الدينية وراء ظهورهم

أكثر من أن يحصى عددهم في كل زمان ومكان ، بل لا يوجد في هذه الأمور من له ذكر حسن وأثر كبير عظيم إلا وهو من المدينين الذين لم يتركوا الأوامر الدينية وراء ظهورهم ثم لو فرض وجود هذا فليس من الحكمة في شيء ، فإن هذه حجة فرعون عليها في قوله تعالى عنه **وإني فرعون في قومي فأقل يا قوم أييس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون** ، أم أن خير من هذا الذي هو مهيب ولا يكاد يمس ، فوالأبي عليه أسوره من ذهب أو جاء معه الملائكة مقرونان ^(١) فاستخف قومه فاستدعوه اهلم كانوا قوما فاسقين ، فلما استوفوا انتقاما منهم فأعرضهم عنهم ، فجعلناهم سفا ومثلا للآخرين ^(٢) وهي حجة جمع الكفار المعادين للرسل كما قال تعالى **وإذا تتلى عليهم آيات كتابنا أتوا كافرين** أي انفرق بين حير مقاماً وأحسن نديك ^(٣) وقال تعالى في قصة نوح : **قال المثلأ الذين كفروا من قومه ما يراك إلا نشرامتنا وما يراك إلا بك** ، لا ليس هم أرادوا بدى الرأي — الى قوله — **ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين يردون أعينكم أن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم** إني إدين لمن الله أيين ^(٤) وقال عن كفار قرش : **وقالوا ما هذا الرسول يا كل الطعام ويمشى في الأسواق لو لا أرسل إليه ملك فكون معه يدبراً أو نأى إليه كبر أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تسعون رجلاً مسجوراً ^(٥) الى أمثال ذلك من النصوص لكثرة الدالة على أن الكفار دائماً يحتجون**

(١) احتج عليه بعدم وجود المال والجاه ، فالأسورة تدل على الثراء والتجارة ، والملائكة على الجاه ، وهذه هي أكبر حجة عند هذا المذنب القديس فإنه دائماً يمنح نقلة المال والجاه ، فإذ كانت هي حجة فرعون ، وأنه استخف قومه بها فأى قيمة لهذا الاحتجاج القديس الماخذ الذي لا يشجع به غير الأطفال والأعيان وأهل القلوب المظلمة

بالمظاهر الدنيوية على أن الحق فيها ، ولا ينظرون الى الحقيقة ، فيردون الحق
بقلة أهله أو ضعفهم ويقبلون الباطن لكثرة أهله وقوتهم ، هذا مع أن الله
سبحانه قد أعطى كثيرا منهم من سعة الملك والتقدم في الحياة والعلم كما أعطى
سليمان وإسحق وداود القريب وطالوت وغيرهم ، وكثير من هذه الامة قد أعطى
من الملك والتجارة وسعة الرزق ما لا يحصى مع تفردهم ونسكهم بالدين ، هؤلاء
الحنفاء الاربعة ومعاوية وعمر بن عبد العزيز وهرون الرشيد والموكل والمهتدي
ومحمود بن سبكتكين ونور الدين الشهيد وصلاح الدين الأيوبي ومسوك آل
سمود وأمثال هؤلاء كلهم من الأقباء وقد أعطاهم الله الملك والتقدم الباهر وقد
قدروا على مناصرة الكفرة في زمانهم ، بل ليس في هؤلاء المسلمين أو حلفائهم
البارزين أيديهم ينفخوا الاسلام مسجدا معروفا قد تراث لأوامر الدينية
وراهه ^(١) عليه ما في ذلك أن يكون فهم من هو عاص والعاصي لا يخرج عن
أن يكون متديبا ، ثم إن أكثر الحكومات الساذجة الوحشية التي لاحظ لها
غير الشقاء والفقر والفساد إنما تكون محددة لا تكون متدنية ، وهذه الأمم
الموحودة في بعض أنحاء أفريقيا وغيرها من الأمم الوحشية كلها لا تعرف
الاديان ، وإلا فلو عرفها لكنت كثيرها من الأمم انراقة الحياة ، فمن المحال
أن تجتمع الممجة الوحشية والخنوص والضعف العقلي مع تعاليم الاديان السماوية ،
وهذا أمر ظاهر لا يستريب فيه إلا جاهل أو معاند أو مغرور

• • •

ثم قاله حتى إننا إذا حاولنا أن نلتصق في تاريخنا نفسه مكان أولئك
الأفاد القلائل الذين لمعوا في سماء الشعر والأدب الجليل ، أو قاموا بنظريات

(١) وقد علم أن المديين من أحدث الملوك وأهل السلطة وهم أشد الناس تأجرا
وما ينفخوا الاسلام نسيء كى بويه وأمثالهم

عنية لها بقاء وحلود ، أو جاموا بهنسه ذات شأن معترف به بين القساعات
لم نجدهم إلا بين أولئك الذين وصفوا بالتمرد والاحلال الديني أمثال المتنبى
وأبي العلاء وابن الرومي والجاحظ وابن سينا والرازي والفارابي وابن رشد
وجابر بن حيان والخس بن الهيثم وسواهم ،

قلت : هذا مقدار عقل هذا لبحر النجاج ، بعد أن كان يمدح الخلفاء
الراشدين والصحابة والأئمة وأهل القرون المفضلة وثني على مثل ابن تيمية
وابن القيم وغيرهما ذلك أثناء العظم حتى قال في سنده (الثورة الوهابية) ص
٧١ : وابن تيمية وابن القيم لو ادعى مدع أنه لم يأت في القرون الوسطى كلها
من يشبهها في السكاه وعمره لعلم ونصلاح وتعبيرة على الدين والفضيلة - لما
وجد من يقول له طمعت الحقيقة وفترت السكاه ، إلا أن يكون ذا صعب
على الرجلين أو أحدهما انتهى ، ثم بعد هذا وأمثاله كثير ردد على عقبه
فأخذ يثني على مثل الفارابي وابن الرومي والخس بن الهيثم وأصراهم ثم
يمدحهم بأنهم كانوا متمردين موصوفين بالاحلال الديني ، وهذا لو ثبت لكان
من أعظم الخرى عليه ، من هؤلاء ليس لهم ذكريت حسنة في نصر المصلحة
والقيام في الأمور الإسلامية العظام أبدا ، بل ما مني بعض هؤلاء شيء من
الشعر الذي فيه ما فيه وقد شاركهم من هو أفضل منهم في ذلك ويوجد لهم
أيضا بعض أشياء من لفلسفة المسوحة الممسوحة القديمة ، فأى فضيلة هؤلاء ،
هذا لو قدر أن ما ادعاه صحيح . وإلا فكثر من هؤلاء لم يكونوا معروفين
بالاحلال من الذين كالحاظ والخس بن الهيثم والرازي وابن رشد ، ثم هم مع
هذا في أكثر كلامهم معطون لسلف مقرون لهم بالسبق في كل فضيلة ،
وهذه كتب الجاحظ مملوءة بمدح الخلفاء ثم أهل البيت والثناء عليهم بالتقوى
والورع وكأوا من أشد الناس في الخط على اللسان الذي يكون منظرها في
دينه ولا يوجد لهم كلام في الثناء على بعض الدين بالكلية ، وأكثر المحاميين عن

هؤلاء لا يرضون بفسنتهم الى الاتحاد بل يدافعون عنهم لأن ذلك من أعظم العيوب التي سقط بها الانسان سقوطا كبيرا ، ولم يعلم أحدا مدح الإلحاد قبل هذا الزديق ، ولعله إنتم ارتدوا واعتنقوا النفاق والاتحاد ليكون مثل هؤلاء وأمثالهم ليكون قرا لا معا في سماء الالاد الخلد وكالشمس التي في غير مرجها كما يقول هاتدي هؤلاء في هذه "عملية التي ادعاها ، ويحكى أن قردا رأى رجلا يشق خشة فأعجبه ذلك جدا ، فذهب لرجل وترك الخشبة بحذاء وحسن مكان المشار عودا ليعود إليها فيكس سمه فمما ذهب جاء القرد ليعين فعه به فرك فوق الخشبة وأدخل المشار فيه ورعى ذلك العود الذي كان في شق وكان دس القرد قد سقط في الشق فأصقت عليه خشبة وعصرته حتى ذهب شعوره واشتعل نفعه عن العمل فخره صاحب الخشبة فجعل يصره بالسوط وهو مشدود دبه بالخشبة حتى غشي عليه فم سم ولم يحصل على ما أئجه وشقه (١)

وهكذا كان حال هذا المغرور

ثم ذكر أن بعض هذه الدول الإسلامية المتأخرة تولى الوزارة والسفارة ونحوها غير المتدربين ، وهذا مجاهرة بالمعجور وقدح ظاهر فيها ، من هي تختار من فيه صلاحية وكفاءة للمهمة أي بقصدتها ولا يلزم من ذلك أن يختار الأنقى بل تختار من له عقل ودين ومعرفة وهو متدس ، ولا يعلم أمه لا ترسل إلا ملحدا وهي مسلمة أو تختار المحدث على غيره ، منهم إلا أن تكون تلك الأمة تنسب نفسها الى الاسلام وليس لها حظ منه ، ثم لو قدر أنها قد تختار من فيه نوع انحراف للحاجة اليه فمما حصلت عليه ومما وصت اليه ومما كانت عاقبتها فلس في مثل هذا حجة أصلا ل هو قدح صريح في المسلمين

ثم ذكر أن عمر قال : لو ددت أني وجدت رجلا تقيا قويا مسلما أستعمله .

وقال مرة أخرى حينما حارب الأقباط والأفوياء . أشكو إلى الله جد الفاجر
وعجز الورع

فيقال : هذا إن سلم فهو حجة عليك ، فإنه يدل على فضيلة التقوى والورع
وأن أهلها أولى بالولاية عند القدرة عليه ، وهذا شأن كل نفس فانه يندر
وجوده ، وإذا وجد فانه هو الذي يتبع ، ولا فحجب ما يوجد عن فيه مرة
من هذه الخصال ، وقد وجد عمر رضي الله عنه كثيرين اتقياء أقوياء مسلمين
فولاهم فحصل لحاج الكمال . فانه ولي سعد بن أبي وقاص وكان أحد
العشرة المشهود لهم إمامة فلولاء فيدد الجيش الذي اكسح الفرس ، وهذا
نجم هذا الجيش بحاج بعد معركة . فانه هذا صرح هذه الدولة الكبيرة في
أيام معدودات ، لأنه هو وقادته كانوا أتقاء ونسبهم سعد بن أبي وقاص
هذا الذي الولي والخليفة عمر ، فكانت تقوى منطلقة في هذا الجيش حصل
النصر الباهر لدى ميسى بن نظير وهو من أطهر بني لؤي عن أن يولاه
الأتقياء الأفوياء هم الذين يفعلون وهم ليس يحصل بهم المقصود ، بخلاف
الملاحدة والمنحرفين فاهم على خلاف ذلك ، ولهذا أنت لتدريخ مقام بأن
القواد الذين كانوا أمنته وقومهم ودمروا أنفسهم وأوطانهم كلهم من أولئك
المنحرفين ، لأنهم تصعب الدين في قلوبهم واعتنادهم على الأساليب لماديه
وحبهم للحياة الدنيا يقبض الرشوة ويحصل بهم من الفداء أصعاف أصعاف
ما يحصل بهم من الصلاح ، وأكثر ما يتبع هؤلاء إذا كانوا في أهم مثلهم
يدفعون إلى أعمالهم دفع اضطراريا عالمين أن وراءهم عقوبات قاسية صارمة
لا هوادة فيها ، ومن هذه حاله فلس هو كمن تدفعه حرارة الإيمان وما فيه من
حب الله ودينه وحقه ورجائه

وكذلك قول عمر ، أشكو إلى الله جد الفاجر وعجز الورع ، فإنه يدل
على أن ذلك مصيبة ، فإن جد الفاجر لا خير فيه إلا القليل في بعض الظروف

التأخرة وإلا فهو صرر ، وإن عمر الورع إذا وقع فلا يسعى بل المطلوب الورع مع القوة ، وهذا لا يوجد إلا في تتمك بالسكس العزيز والآخر بالأحلاق السلعية ، وليس الكلام في قلبه وكثرته بما يكلام في أنه هو المانع كما يدل عليه كلام سمر رضى الله عنه

ثم قال : وحتى لو أردنا أن نطبع هذا الكتاب م بعد بدا من الذهاب إلى غير الانتباه ليقوموا به هذه الأمور .

وبعد : هذه أصدق كلمة طبع في أعمالك كلها ، فاك إذا أردت أن تطبع هذا الكتاب والحق وأمره والآخر لا نجد ذلك إلا عند غير الانتباه المتدينين ، إذ من غير الممكن أن يتفق الإيمان في قلب إنسان والإعانة على إظهار الكفر وسب الله تعالى وأديبه وأهله ، ولا يطبع هذا الكتاب إلا من طبع الله على قلبه فكان من العاقلين ، ولا عالم من يأتي طبعه أن يطبعه ، ولهذا لما عرّضه على الاستدراج الدين الخطيب أن يطبعه على هذه الصورة ، ثم سمعت بدمه لكفى وأنت أدمت حشرة أن لو قبلت نصيحته . فما دعيته بها شهادة منك على أن هذا الكتاب لا يوافق عليه إلا من ترك أوامر الدين ورأاه وأن أمدى طبعه غير نقي من منحرف عن الدين (١) وهذا شأنك في كل من كان به أى علاقة بك لا بد أن تدمه ونقدح به في نفس الأمر ، ولهذا فالك مدحت هؤلاء الدين طبعوا كتابك بكونهم منحرفين عن الدين تاركين أوامره ورأاهم ، أما لو كان كتابا ديب فما أسرع طبعه وإحراجة على أكل الوجوه كما طبعت الكتب الدينية التي لا يحصى إلا الله وكما طبعت تلك الساعة على ما فيها من سذاجة وهديان بدون أدنى تكلم منك لها

(١) لأنه ذكر في الساعة في مقالة الانتباه . الذين تركوا الأوامر الدينية

ثم قال ، ثم إنه قد علم بالتجربة أن المتدينين يعتقدون الخير أن يفكرى الذى
تورن به الأمور فى لعالم ، ويصحون من الحاجة النفسية أناسا طبيسين
خيرين ، فاقدين لكل مناعة عقلية ، متعدين استعدادا عريضا لتوقع فى حباتل
المشعوردين والدعاة المصدقين ، عمن عن كل حقائق التى يراها ويستفيد منها
الآخرون ، ويرتفع لديهم سعر التهريج والدجل ارتفاعا غريبا ، وتنفق بينهم
سوقه ، وتنتد أروهم الدعاة الكثيرين دسيسين وغير دينيين ، ويصحون لكل
بائع ، ويهون نسحاء باذر جيوبهم وقلوبهم وعقائدهم لكل سائل ، لأنهم بعد
أن عزلوا العقل وتنازلوا عن تحكيمه عجزوا عن أن يعرفوا الحق من الباطل ،
والصادق من الكاذب ، ولقد تد من الصائد ، فصدقوا المستحيلات والمفصلات ،
وآمنوا بأشنع لرهات ، لأن لعاصم من ذلك وهو العقل قد أهد وعزل ،

فيقن فى حواره : وهذه أيضا دعوى عذر على عدوه بدون حجة متقابل
بالمنع والرد ، لأن حقيقتها هراء شأ عن عدوة ومقت وحقد وخذ كل من

تكلم ، بقول المصالح حاسد وكل كلام الحسدين هراء

ولا شك أن هذا الرديق ما ألف هذه الأعلان لملاومة بالحجائث والجنون
والخدال إلا لآله تصور المدين فى ضعف لعقل بهذه المبرلة لتي ادعاهما ، فهذا
طلب منهم التقديم فى كل أمر ، وأن يفردوه بالرغبة والرهبة ، وأبهم لا
يصفرون طريق لعقل إلا بكتابه ، وأنه لا ينتمى عنه أحد منهم ، ولكن ..
ولكن المسافقين لا يعلون فقد عرف نتيجة ما يتمناه فى رسالة السراب
خليق أها وما احسن ما قيل فى مثله :

رأى حيار الورى طرا لجديهم كذا يحسب أرباب العلى السعل
وصار يرميهم منه بكل هجا وما على البدرلو أررى به طفن
وما على العنبر الفواح من حرج إن مات من شمه الزبال والجعل
أوه على لاسد الكرار من صرر أن ينطق العير مربوط أو البعل

أوهل على الأبحم الخصراء منقصة أن عابها من حصي اعرام منجدل
 فلا وربك لا يردى شمس صحي أعابها الجدى أم قد عابها الخجل
 وقد يعيب الفتى ما ليس يدركه إذ كل صد بدم الصد مشعل
 كما تعيب فتاة راق منظرها قبيحة ، ويعيب الصائب الخطل
 والزج يحسد لؤما حرص صهره كذاك يهجو الشجاع الياسل الفشل
 فلا يصبر أول العصل لأى سبقوا من كل أهل العلى ، إن دهم سهل
 مثل الأسنة والاساف ، رحمت طعن أعدائها وانحرب تنصقل

مدعوا عليهم أنهم عزلوا العقل بقل معه هم عزلوا عقولهم وعقل كل
 رنديق^(١) لأنها عقول حيثه قد حكم الله على أهلها بأنهم لا يعقلون ، وأنهم
 لا يعلمون ، وأنهم كالأعمام ، فكيف يشعرونهم على هذه العقول المعكوسة ،
 ولكنهم لم يعزلوا العقل الصحيح المصالح لمعطرة والذين القيم وهم أعظم الخلق
 عقولا ، لأن عقولهم بعبثهم في الحياة الدنيا أسعدتهم في الآخرة بخلاف
 العقول التي فصلها أن تنفع صاحبها بغيره ، معشياً منكداً كما تنفع البهائم
 بمعرفتها في طرق معيشتها ، حكم من بهيمة عاشت طوال حياتها في رغد العيش
 والسرور والراحة كما قال تعالى : والذين كفروا يتمنعون ويأكلون كما تأكل
 الأنعام وانتروا متى لهم حكم فلعقل الذي عبثه أن يوصل صاحبه إلى رتبة
 البهائم فأى فائدة فيه ، فكيف إذا أوصل صاحبه إلى الحسنة السرمدية
 وأما دعواهم بأن أرواحهم تحت الكثيرين من متدينين وغير متدينين إلى

(١) في محاربة الأديان ومصادم الشرع ، أما ما يتعلق بالدنيا فهم يرون أن الحق
 فيه مذهبون من كل من جاء به ، كما في الحديث « الحق صالة المؤمن أيما وجدته أحده »
 وقال بعض السلف : قبل الحق ولو من كافر ، قبل وكيف يعرف أنه حق ، قال : إن
 للحق نوراً يعرف به ، أو كما قال

آخره ، يقال : هذا لا يوجد غالباً إلا في البدع المخرجة عن المسئلة عن أصيب
أهلها بمرض الاتحاد أو النفاق أو الرذقة كآخيهما والزافسة ، أما المدينون
الصادقون فلا يوجد هذا فيهم ، فإذا كان هذا لا يوجد إلا عند بعض المستدعة
المصدقين فلا شك أن رضى الملاحدة بدت لخدمة الخشاء كإرمادقة والمصدقين
وأهل العن والحث والقيادة والديانة وربما وثواط وجميع الفواحش المنكرة
كما تنبت لسراق والمصوص وأهل أحياء كلها على اختلاف صروبها ، لأن
العاصم من دين هو الدين ، وفد رقص وبرك ، فوقع ما يروق من حليمه من
أحلاف الخث ، ولا سيما وهذا الملحد نفسه قد اعترف فيها سبق بأن الإنسان
مطوع على أحت والشرك والتم وتعدون ، وأن المخر من كل دين شأ على
هذه الأمور ، فصار الملحد مستدح من الدين والعقل جرمها ، لأن الدين هو
ماده كل الأخلاق الطيبة لصحيحه التي هي مادة تقوية لعقل وصحته وثباته ،
ففي صبح صحت ناسخه ودعواه بأنهم صدقوا بالمستحلات والمتناقضات ،
يقول : ما هي هذه المستحلات والمتناقضات ، لا بد من بيانها من الحق الذي
لا شك فيه أن هذا الوصف إنما يطبق على الملاحدة والمصدقين ، وعلى من
اعتز بكلامك وصدق بمبادئك وأدراكك هذه وما تضمنته من المستحلات
حيث ادعت أنه من الحقائق الالهية لا أحد به أمة إلا هضت ولا تتركه أمة
إلا هوت ولا يوجد مسم واحد يسمى عنه ، وأن العروق والرمود والقواصف
تراص كما رص الوحوش العاتية ، وألك تعرف رجلا على غاية من الجهل
والعبد والسفه والفقه كانت تتركز فيه قوة سحرية لا يستطيع أن يبحو منها
إنسان يتلى بالحيوس من بدنه ، وأنه يتصرف ضمن حوله من الشر كأنهم
القطعان أو كأنهم مخلوقات خلقهم هو وها غهم في القالب الذي يريد وفي المعنى
الذي يبلغ منه بلا عسر كل ما يريد كل ذلك بطرائفه وأسراره إلى آخر تلك
الترهات والهديان الذي لا يتكلم به إلا من اسلح من الدين والعقل ، لا شك
أن الذي يصدق بهديانك هذا وغيره مما تضمنه أغلايك هو الذي يصدق

بالمستحيلات والمتناقضات، وكل ما تنصرونه من المستحيلات في الأمور الدينية التي صحت في النصوص يكنى المدين أن يقول لك ليس كل ما استحدث وقوعه في عقل بعض الناس يكون مستحيل الوقوع في نفس الأمر، فإن ثبوت صدق الرسول بوجوب ثبوت وجود كل ما أخبر به عن الله تعالى وأمر باعتقاده . ونحن نعلم أن كثيرا من هذه الأمور الصعبة المشاهدة الآن لو أن أسانا أخبر بوقوعها على هذا الصفة لواقعه لكذبته أكثر الناس ولعدوا وقوع ما أخبر به مستحيلا إن لم يعدوا قوله نوعا من الجنون الذي يستهزأ به ويسخر منه منهم بلع ذلك الرحمن في الصدق والأمانة ما بلغ . هذا كل حكم العقل في استحالة وجود هذه الأمور حصرا . أخبر به من علم بالصدق والأمانة من غير أن يكون نبييا فكيف بالأمم . أخبر بها صدق الخلق على الإطلاق بل أخبر بها عن الله وهي ليس بـ . يجب صريح العقل منه ، بل أكثرها مما دل العقل على صدقه وصحة ، وبكيفية أن كثيرا من هذه الكلام وبخبرهم عن بلعوا ما عليه في المعتولات . ثم وادعوا أنهم قد أخبروا بأشياء وادعوا أن صريح العقل يقطع بعدم وقوعها . فمن ما ذكرناه في كثير من آيات الصفات وبخبرها ، وقد علم أن صريح العقل ينقطع خطأ ما ذكرناه فيها . وكما ذكر علماء هذه الأولون في عصبهم وأدعوا أن العقل يقطع بوجوبها على الصفة في ذكرها ، وقد كشف المتأخرون خطأ ما تطعوا بمقولتهم بالقول فيه وقطع هؤلاء بطلان ما ذكره أولئك ، وهذا المبدأ نفسه قد ذكر ما ذكر في كتبه أسامه وادعى أن ما ذكره هو مقتضى العقل الذي لا يب فيه ، ويكفيك شاهد على هذا ما يقناه به في الثبوت في بكاره أولا إنكارا ، ثم إقراره به أخيرا وإنكار إنكاره إنكارا . ثم إما بعد هؤلاء الرائدة من أشد الناس تسرعا إلى التصديق بكل ما يقال وسمع عن متوهمهم ورؤسائهم وإن كان ذلك في غاية الاستحالة وبعدون من اعتصر عيهم بليدا عيبا ، ولكنهم من الجهة الأخرى يعدون الذي يصدق بكل ما يقوله الرسول تصديقا مطلقا وجميعا وإن لم يفهموا معناه ، بل يتصورون شيئا في معنى النص ثم يجهلون به

ثم يكذبون من يصدق به ويستصفون رأيه لظنة قلوبهم وفساد أدهمهم
لأنهم لم يفرحوا به ويصدقوا به ويظنوا الهدى منه ، ولا يمكن للإنسان أن
ينفع النصوص الدينية استغناء صحيحا حتى يصدق بها تصديقا كاملا لا يحلج
أدنى شك ، ثم يستعمل جهده في معرفته المعنى وسن الله بحمد واحتجاب أن
يعينه وأن ينفعه به فبقى فعل ذلك فلا بد أنه يستمر دونه وهم حقيقته العلم أن
النصوص هي على ما هي وأنها معساة في عامة المطاشنة بحقيقتها ، وأنه لا يمكن
أن يرد عليها شيء أبدا ، بل كل ما ورد فيها من شيء فاسدة بلا ريب ،
ولكن هؤلاء إنما يستفيدون من النصوص عند الضرورات وعند الحاجة إليها
لمقتضى تنفيذ أغراضهم ، لا إلى معرفة الحق والعمل به في نفس الأمر ، فهذا
كان النص الشرعي عليهم عي وفي آذانهم عنه وفي أوتارهم سادون من مكان
بعيد

وليس هذا المذهب مدع في حواه زندقه مبدئية في كراهة اعتماد
والسحرية والاسير ، بل هو هذا الأخلاق حبيسة ملازمة لها في كل زمان
ومكان ، وفي القرآن من الآية ما فيه كفاية كما أسلفنا ، وبكفي في ذلك قوله
تعالى ﴿ هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أو يؤفكوا ﴾ وبعد أصبح من المفسد
الجاري على السنة هؤلاء المنافقين الذين آمنوا بلسانهم ويعفدون أن المتدين
وبخاصة من يميل إلى الإصلاح وقوى النفس مكر صفة العقول قرب
الزأى ، ليس له معرفة بالدهاء والسياسة وخبيرة بعد الزأى ، بل بهم هم
المنفردون بذلك ، هكذا حكوا لأهمهم بهد نفسة الصيرى ، ولهذا يجدهم
ولا سيما إذا خلا بهم منهم إلى بعض دأتما يعرفون السنة فيهم ، ويحاربون بكل
مالديهم من عبي وغواية أن لو قضى عليهم قضاء تام واستراحوا من رؤيتهم
أمامهم وبين أعينهم ، وتجدهم متى حلا بعضهم إلى بعض شرعوا في أكل
لحومهم والتنقيب عن عيوبهم ، فإذا ما حصر المتحقق بالدين عندهم ينظرون

ليه نظر المعشى عليه من الموت وصقرا به درعا حتى يفارقوه

وأرحم أحواما من لمى والعبا وأعذر في بعضي لأهم صد

ولما كانت هذه حانة للمنافقين وأنها هي أصل سائر في كل غي وسقوط
حكم الله عليهم الدل في كل مكان ورمز . كما قال تعالى ^١ من يعص الله وأمره
يقربنا من الجنة . وهذا كان من الخائر أن تقدم الكافر الصريح برهة ورمزا ، بخلاف
الموفق فإنه لا يمكن من أن تقدم من لا بد أن يصرح بالدل والمسكنة ،
ولا بد من أن وجد هؤلاء الخثناء أن حمة الشريعة المطهرة وورثة الأنبياء
هم فاقوا المجران العسكري وأهم عرفوا العقل وأهم كانوا عبيد عن كل
الحقائق ، وأهم ما سرود عن الدين هم الذممة لعقلاء المارفون ، قبح الله تلك
الوجوه ولطمها وضرب عليها الذل واللقاء واللاء لأهل ذلك

• • •

ثم قال ، وقد دلنا هذه الحرب الماضية والإشاعات التي كانت تروح وتنطق
فيها على ملأ أهاب هؤلاء من الحاجة العقلية ومنع استعدادهم لتصديق ما لا
يجوز على العقدين ، بدون مقاومة أو إباء ، وقد كما يجب من الإداعات
الأجنبية التي توحه لهم . وسحب من اسحب والكذب الذي يجيء فيها ،
ونقول . كيف يرحو هؤلاء العقلاء - إدام عقلاء بدون رب ^(١) - أن
يؤمنهم قوم بكل هذا أو شيء منه ! ولكن هؤلاء المدبسين كانوا أعلم منا
بأنفس قومنا ونصعب الداعة العقلية لديهم ، فان هذه الدعايات والإداعات
كانت تسمع وتصدق أيضا وكانت تنفع .

(١) ما هي الأساليب في كون الأجاب عقلاء ولا ريب وأن المتدبسين قد عرفوا
العقل وأهم صون عن كل الحقائق ما أمرعت في إصدار الحكم لاسدتك على
أعدائك من أتباع الرسل

فيقال : هذا كالذي قلناه هراء ليس من التحقيق في شيء ، فهو مطالب ببيان الإشاعات التي تروح ما هي ومن هو الذي راحت عليه ، وبيان الادعاءات التي يسمعا وبصدقها ومن هو الذي صدق بها حتى تعرف حقيقتها وحقيقة من صدق بها ، والا فالمعروف أن الادعاءات والادعاء لا يصدق به إلا من استوا بالذائق وصدق المدين في قلوبهم ، فامدين صدقوا بها فيما يعلمهم الدين صدقوك واعزوا حساعتك في هذه الاعلال ، والذي حملك على تأليها هو أنك رأيت هؤلاء الذين أصبحوا بعد الله من واحد من الملاحدة والمافقين ورأيت كثيرا منهم يصدقون بدعس الدواع والصدق ، فسولت لك نفسك وشيطنتك أن ليس كلهم مثل هؤلاء ، فسحنت بهم هذه الشبهة الحبيثة للوقوع فيها لما عرفت فيهم من فسار الأخلاق والدعوى عن العقل والدين ، ولهذا كان أكثر من اعز بكلامك هو أنه انت لوكي واخني من عرفوا بالنجث والفواحش والنفي وسقوط الأخلاق ، أما عقلاء المتدينين فلا يصدقون إلا بما قام الدليل على صدقه ، فلا يفترون بدعس وصدق ودعس ومدحاة ثم لو سلم ما ادعيته فلم نسبت نفسك الى المتدينين وتحدثت اليهم ونصرت اليهم وهم على هذه الحجة التي ادعسها ، فان أنت متدين مسدد بمقتضى تقريرك الساطع فيكون حجة عليك بكل حال

ثم قال ، ومن أحسن هذا الصدق في المقاومة المعكبة لدينا ببيع بيتنا الدعاء المكشرون وأسرفوا من المعدوان على صميم الاساية وعلى أفضل صفات البشر ، فارك من تلقى في حياته ما عشت مطرا أدهش من أن ترى الموع من حملة الشهادات العالية في سائر العلوم التي قاومت الجهل والخض عند غيرنا وطار دهنها يحدون بكل شكل يرى بالانسان تحت ركاب رجل هو أقل منهم في كل شيء من يصل بالقيم الاساية ليسوقهم دون وعي ولا معارضة عنهم ويوجههم حيث تشاء رعايته ومطامعه ، ثم ليحل عليهم ما يشاء وما تشاء

له أنانيته وكبرياؤه وسعه القاتل أي المجد الذي حرم آياؤه وأجاده من الفروض والوجبات والقداصات التي فرضها لشخصه الكريم باعتباره الإنسان المقدس الظاهر المعصوم لدى يجب أن يطع طاعه عبياء ، والذي يجب أن لا يخطر على البال ، لأنه لئلا الكريمة توجيه عبارة من عبارات الاستفهام دع الاعتراض وما هو أشد منه ، فترفع من المعصية بتمتة من هذا الداعي الخير ومن أسع خرس كلب ، ، ، كيف ، ، ، من أين ، ، إلى أين ، ، وليس لهذا الصنم الأرضي يدى ضمير مر عبده الصالحين الطيبين بكل هذه العبادة المطلقة من قوة حقه أو تحرية سوى كتاب حوره ، فوارع مبهمة يتم بها ويطلقها على ضحاياه وعاده كما يفعل مخاطبو العفاريات وصاربو الرمل ومطلقو البحور ،

يقال : وهذا كالذي قبله طين ذباب ، بل هو أشد شئ . سح لكاتب وهذا الذي تدعوه هو كل ما نسمي أن نسمي على ، فحدث من الناس التقديم في الأمر وأن نصب منك لربعة وحديثك لا يدرك في الذكاء عبيدك وأن ليس لا يصرون طريق العقل ولا يسجون إلا بتأنيق أفكاش لا من أجل الحصول على ذلك وههنا

وأنت حلق الله من رادهم وفصر عما تشبه نفس وحده لقد عرف العقلاء أن أعمالك هذه هي حل للغر الذي أشرت به في قولك :

ولولا رجائي والرحاء بخدي لعدت بشر لا يصيق به صدر
لقد بحث هذا الشر الذي أكل صدرك لما لم يخص لك ما ترجوه وتمناه
كما مهدت له كتبك السابقة والله لا نحمي عبه خافية وكان كثير من المظلمين
على أحوالك العارفين بأقوالك يتوقعون خروج هذا الشر الذي أشرت إليه
وقد انكشف ما وراء الستار وظهر الشر المكشوف ظهور النار ، وفي الحديث

وما أمر عبد سريرة إلا أن يظهر الله عليه رداءه عليه ، ، بأن الله لا أن يتم بوجه ولو كره الكافرون

ثم أي فائدة في هذا المراء الذي ادعيته هنا ، فن هو هذا الانسان ومن هم أتباعه وما هي دعايته وكلماته التي ذكرت أنها خوفه فوارح ، وحث الله ثم تذكر شيئا من ذلك فلا حاجة الى تعلل احواب عنه بل نكتفي بما أشرنا اليه في رده وبمقتضاه بين هذه الامور لمهمة ، وكل من يعرف أن أكثر ما يوجد هذا الذي ادعاء على هذه النصف في الكرم في اصلاحه وشدهم من الزنادقة الاتحادية وخوهم من هؤلاء من كان ملاحة فهم يسوقون عمالهم وأكثر أتباعهم سوف غلبه في رعايتهم وبه انزعاجهم ، وان كان ردهم فكثير منهم إنما يقبل ذلك لأنه يرى أن شاعه مسوعة أمر محوود به لا يوجد ذلك في أصناف الاتحادية من وكثير من شعوب مسجدة وهذا مسجدة مسجدة إنما يدعو إلى تقليد هؤلاء وأتباعهم ووقوعهم في رعم ثم كرمهم حجة عليه

• • •

ثم قال ، وليست روح التسليم نعم عند مند من بعده ، من هي ملامة لهم منذ وجدوا وكيف وجدوا ، حتى لقد وجدوا ، ، واشعراء وادهم يكون في ذلك محلا لا بأس به للسحرية ، وأرسوها عنها لاذعة قاسية (١) وقد طار في كل نحاس قول شيع هؤلاء المنهمكين ساحرين - وهو ابو الغلام ، وقد قسا كثيرا - :

انسان أهل الأرض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل به

• • •

(١) لكن ليست نفسك اليهم اضطارا على رعم نك ، فكيف تنضمهم وتنفق أهلك منهم . مسكين والله مسكين

على أرى كل الأمام لجهلهم بالدين أشباه النعام أو النعم
ولو قال دث عصا نعت عملة من عند ربي قال دمصهم نعم

فيقال لهذا الزنديق لو ردت على استشهادك بقول المعري هذا أقوال
المنافقين الذين كانوا يسخرون من الدين آمنوا من الصحابة وأعمال الكافرين
أعداء الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم لكان أكلهم من إقصاءك على قول
المعري لانه ما قص ومنسب إلى المسيئين ومدحه لهم أكثر من دمه ، ومن
استند بقول أبي العلاء هذا على نقص عقول المدينين فالأولى له أن يبالغ
عقله ، فإن استشهاده برهال على فساد عقده ، ويحب عليه أن يحرم اللحم
ولا يأكله ولا يذبح حيوانا لأن عقل المعري الذي حمله برهاله هو العقل
الذي به حرم ذبح الحيوان وأكله ، بل ادعاه على هذا أولى لانه لم ينافق في
هذا الرأي علات دث ، فانه نعت ورسوله والمنسوب هم أعداء الملاحدة
والمنافقين منذ وجدوا وكيف وجدوا ، قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا
تنحدوا عدوى وعدوكم أولئك قوم تلقون إليهم بالمودة - أي قوله - إن يتفقوكم
بكم أو لكم أعداء ويستطروا إليكم أيديهم وأستهم بالسوء وودوا لو تكفروا ﴾
وقال تعالى ﴿ هم أعداء فاحذروهم فإلههم الله أولئك هم كفرون - وقال تعالى ﴿ ان الذين
أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامرون ﴾ وقال
تعالى ﴿ من الذين كرهوا حبسه الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا ﴾ وقال
تعالى ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون
ونواصوا به بل هم قوم طغيون ﴾ وقال تعالى ﴿ يا حشره على العباد ما يأتيهم من
رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴾ إلى غير ذلك من الآيات . وهكذا كان أتباع
الرسل مع أعدائهم نارة يسخرون منهم ونارة يسبونهم إلى ضعف العقول وإلى
عدم الرأي ، فإلههم لما غيت بصائرهم فلم يفهموا الدين ولم يعرفوا حقيقته ولم
يدحن بوره قلوبهم طنوا أن أهله ليسوا على شيء وأنه ليس شيء كبير معتبر

لان همنهم صارت مصروفة الى الاسباب الطبيعية المشاهدة فاعندوها وتعلقوا
عليها وكفروا بما وراءها وحكوا على من حالهم تصعب لعقل مع أنهم
يعبدون أوثاناً وأصناماً وكفاراً مافقين من الشر ويقتادون لهم انقياداً أعمى
فانهم استكبروا عن عبادة الله وطاعته فبنوا عبادة الخشاء وطاعتهم ودلهم
تحت أقدامهم

ويقال أيضاً لهذا المسجد ، اذا كانت هذه حالة المتدسين على ما وصف أبو
العلاء المعري فليست انتصفت اليهم وخادعت وراعت وتصلب بما ادعاه فيهم
(عار عليك إذا فعلت عظيم) ومما يرى الى المعري هذا أنه لما مرض أتى
بفروج (١) في مرضه فقيل له ان شعاعك في أكل هذا ، فمسه يده فدا هو
يتفص ويرتعد ، فقال استصعبك هو صعبك ، فهلا وصفوا شبل الأسد
فان صح هذا فيقال لأبي العلاء أما لو أن هذا نفروح لا يصدى عن غيره ولا
يستصعب شيئاً فيكون مثلك في ذلك شبه ، ولكن بركك على وجه الخذل
مع قطع الطر عن الإباحة الشرعية بأن هذا نفروح قد استصعب حيوانات
أخرى كثيرة دونه من حشش الأرض واعتدى على وقتل نفوس كثيرة منها
شر قتلة على أشنع الوجوه ، بل ربما يأكل منها أشياء وهي حية ، فهلا عند هذا
الفروج الى ابن الصقر أو الشاهين فأكله أو اكل في دأب وبجوه دون لقتل ،
فنهض بمامله بما عامل به غيره ، بل ربما يكون معاملتنا له في القتل أحسن من
معاملته هو لغيره ، ولا يصح أن يقال إنه لا يعلم بالاصرار التي تصيب غيره ،
بل يعلم ذلك ، فانه يميز بين الجمع والضرر ، ولما داهمه يفعل بحسه إذا أراد
طرده كما يفعل بهذه الحشرات ، لانه يعلم أن ذلك يضره ، ومن تسلط سلط
عليه . فادا كان هذا مقدار عقل أبي العلاء فكيف يحتمل رأيه حجة على الدين

(١) الفروج هو الديك الصغير

وأهمه فإن قيل هذه النعيب ينقص في الحيوانات التي لا تقتل شيئا كبهيمة
الأنعام، قلنا ليس تعميلا هذا هو كل وجوه حوار القل، بل أنه وجه واحد
من وجوه كثيرة منها ما ذكرناه، ومنها أن هذه الحيوانات المباحة ليس فيها
شيء لا يكون فيه اعتداء على آخر، وهي وإن كان فيها أنواع لا تقتل من أجل
الآكل لكن قد يقتل بعضها بعضا كما في النطيحة، وقد يصرب بعضها بعضا
ويطرده بعضها بعضا كما هو معروف مشاهد، ومنه أن ما يحصل لها من لذة
واراحة والطعامية ورعة العيش نسب خدمه الإنسان لها ومداومته ومحاماته
عنها بل ربما يقتل دواب أو بهلك في سبيل معنته وقيامه بشئونها كلها وما يلزم
لها - أصعاف أصعاف ما يحصل لها من ألم القتل ولموت الذي لا بد لها منه
ولو لم تدخ، بل ربما كان قتلها على هذا الوجه الشرعي أسهل علينا، فإن
وجودها متوقف على ثلاث حالات: إما توجد وهي على هذا الصنف وبحرم
قلها والاتماع بها على هذا الوجه، وهذا يوجب تركها وإهمالها، فإن الإنسان
محول على الشح فلا يؤدي هذا نفعاً محضاً بدون معاوضة تكون أكثر مما أداها
هذا كان لا يربح منها أكثر مما يؤديه لها تركها فلا يمكن نقاه نوعها وهي على
هذا الصنف وعلى هذه الحالة، لأنها تكون عرصة لشهوات الحيوانات العادية
الشريرة، اللهم إلا أن يكون نفاؤها نادرا والحالة الثانية أن يكون حراما
قتلها لسكن يكون فيها قوة تمتنع بها من غيرها من أنواع السباع مطلقا وحينئذ
إما أن تكون كالسباع أو كالطياء، فإن كانت كالسباع صارت زيادة نوع من
أنواع السباع^(١) ولا يبحى ما في ذلك من الضرر على كلا التقديرين مع فوات
النعمة الممنون بها المرنية على وجودها. والحالة الثالثة أن توجد على هذه

(١) وإن كانت كالطباء كانت زيادة نوع طياء فقط ولم يحصل وجودها الذي
لا بد منه لما فيه من الحكم على هذا الوجه

الصفة التي هي عنها الآن . وهذه الحالة هي أكبر وأحسنها ، وكانت
موجودة على أكل الحلال وأحسنها بالنسبة إليها وإلى الإنسان . فكان
ما يبالها من ألم ادخ — مع أنه لا بد لها من الموت — سببا لها من
الحياة على هذه الصورة . لأن المقصود الأكبر هو الأكل منها والمنافع
الأخرى نابعة لها وزيادة رحمة لها . فإذا عرست منفعة أهم من الدخ قدمت
عالم ، وكان ما ناله من الانتفاع في مقابل ما يبد منها من تلك المنفعة ، هذا
مع ملاحظة أنه لا يجوز دبح إلا على وجه خاص في أحوال خاصة ، فلا
يجوز دبحها إلا على الوجه الشرعي للأموار المباحة والمشروعة لا للمعيب والمكسب
ولا بلعانة على المعاصي والكفر ووبس ذلك من هذا كله محرم ولا يجوز
بجمل

ومن العجب أن هذا الملعن لم يجد ما يستدل به على نقص عقول المتدينين
إلا بقول المعري . وقد نسي هذا الملعن أن الله سبحانه هو الذي حكم على
الملاحدة ومن شابههم أنهم هم الذين لا يعقلون ، بل حكم عليهم بأنهم أصل
من الأنعام كما قال تعالى ﴿ أم يحب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون . إن
هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الناصة
على كل من خالف الدين أنه شر من لسانهم لعنهم كما قال تعالى ﴿ أولئك
هم شر البرية ﴾ فأين من استدل بقول الله تعالى عن لم يجد ما يستدل به إلا
قول المعري ، مع أنه متناقض في ذلك ، ولكن المضطر يأكل الجيف ، لأنه
لا يجد غيرها وهي جيفة لا تلائم إلا النفوس الجبنة المنحطة

• • •

ثم قال ، ومن الواجب أن تعرف سبب هذا الاستسلام والضعف
الصكري لدى هؤلاء المتدينين . والذي يظهر لنا كثيرا أن من أسبابه أنهم
ينسكرون أن يكون بين أحداث هذا الوجود ترابط وتعليل ثابت ، بل يرون

أن الوجود كله بما فيه من حوادث وأحداث محكوم بقوة مخنونة أو هي كالمخنونة في أعمالها وتصرفاتها ، ولذا فلا قوانين ولا صواب للممحركات والحوارق ، فكل شيء حائر وكل شيء مستحيل ، فيصنون بالفساد العكري العام ، وإذا اختلفت الوسيلة فكذلك النتيجة ،

يقال . إذا كنت ترى أن مستند هذا الصعف الذي تدعيه هو اسكار التراط بين أحداث هذا الوجود فقد بينا ناسرا هي الصريحة أنهم لا ينكرون التراط المعقول بينها كما أوضحه شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وبقائه عن أئمة المسلمين ، لكن هم ينكرون ما تدعيه من بى المشيئة والارادة لعلنا وأنها غير مسيطرة على هذا العالم وتكفر ككواها تعير فيه شيئا نعم هم سكرتون هذا ، فإذا كان هذا مستندك فقد زال الأساس ، فلا بد من سقوط ما بى عليه فبطلت الوسيلة فكذلك النتيجة ، لأن جمع المتدينين ليس فيهم من يرى أن هذا العالم محكوم بهذه القوة التي ذكرها ، بل أدنى على تكفر من رعم ذلك فكيف يكون هذا رأيهم واعتقادهم ، ولكن نحن إذا نحنا ودفق عن أسباب هذا الانهيار الخبي و هذه اللادة المكرة وهذه العاوه الطاهرة في هؤلاء الملاحدة والزنادقة بحيث أن أكثر مفكر منهم لا يمكن بحال أن يكون بينه وبين الحيوان الأعجم أدنى فرق إلا بالصورة لظاهرة والطق ، بل هو أحسن في الحقيقة كما قال تعالى فيهم . (أو تلك كالأعنام بل هم أصح) أليس من الداهية التي لا ريب فيها أن الحيوان الأعجم غاية ما يسعى إليه الحصول على المتاع الدنيوى في إشباع بهيمته وشهوته ، وكذلك الملاحدة ، وقد بينا فيما مضى عدم وجود أدنى فرق بين الملاحدة أو الرنديق والظفر أو الحيوان ، وإذا وجد في أحد منهم نوع سيطرة فكذلك يوجد في بعض البهائم سيطرة على جسدها وهذا بخلاف المتدينين فانهم امتاروا بالسابيتهم بالدين الذي به يعرف العدل والاحسان والرحمة والعلم والحكمة والكرامة وغير ذلك من الخصال الحميدة

نعم لو بحثنا عن أسباب هذا الفساد لعكروا الذي قدوة الملاحدة
والرادية في هذه الهاوية السحيقة لوجدنا أن السب الأول في ذلك أنهم
اعتقدوا أن هذا العلم محكوم بالقوى ، فقد تقدم نخرج هذا السب أن هذا
العالم محكوم بنواميس الطبيعة ، وين أن الحكمة هو الأساس الذي يستخدم
النواميس وهذا صريح واضح في أنه يرى أنه محكوم بالقوى لأن الطبيعة
ليست شت عابلا عند حكمها راجيا ، وإنما هي مصداق الباعث في أفراد
أسبابها ، وقد علم أن أساس متفاوت في العلم وأهمه القوة والضعف تفاوتها
لا يمكن صيغته ، هذا كان هو المستخدم لها وهي تتفاضل باستخدامها
وإستخدام بعضها فلا شت أن سبحة سيكون في سنة الاضطراب
والفساد لأنها سبحة وسبب محضه مباداة مصاداة غير منتظمة ، ولا فرق بين
هذا الحكم وبين حكم محض ، فإن المحض إنما يعمل بمقتضى ضمه ، وبمقتضى
استخدام من يستخدمه وكذلك نواميس صفة إنما تجري وحكم بمقتضى
طبيعتها وبمقتضى استخدام من يستخدمها ، فإلا حده لا ريب في أن هذا
العالم محكوم بقوة كالحكومة ، ولهذا فأنهم لما كانوا كافرين بالله وسفاهة وعده
وإحسانه وحكمه لم تسع قلوبهم معرفة ذلك وضواها على السوء حيث أنهم
رأوا حكمه تعالى مخالفا لأرائهم أخيه فكفروا به وسخطوه ووقعوا بالابتن
بالطبيعة ونواميسها على توجه الذي ذكرنا ، فكانوا أصل من الأعداء .
ولهذا لما اكشف في بعض الأمور مصرة الإلحاد وعظم تأثيره في الشباب وأنه
مرض قابل تراحم عنه كما فعلت تركيا وغيرها ، فلو علم من أن بعض هذه
لم تعرف الدين الصحيح ، ولولا عرقه حقيقة لمعرفة لكنت شدة الإلحاد
لديها أعظم لمعرفة حسن صده ، والدين الصحيح هو ما كان عليه أسلف الصالح
في الأخلاق الدينية ، تلك الأخلاق لعالية لسهولة تقوية ، وقد تقدم الكلام في
الأسباب وبيان ارتباط الذي بينها فلا حاجة إلى إعادته

ثم قال : وهذا التعليل صحيح على وجه الإجمال كما يبدو لنا ، كما عمل بعض عباء النفس والاجتماع بالقوة التي يتصف بها المتدينون عاليا إذا قدروا ، وأحدهم حصومهم أحياء من الشفقة والانسانية لكثرة ممارستهم صناعة التخويف والتهمين للعصاة والكافرين وكثرة قراءتهم النصوص التي تصف الأهل من أعداء لأهل الأمان والشهوات . فقد صاغوا طابعهم وأنفسهم بطابع العنصرية والقسوة والعنف فاندفعوا على ذلك كثيرا حتى أصبحوا وحوشا تنطق باسم الدين وتصرخ على حسابه ، ومن ثم فثبت نعتهم أن هذه الجماعات المنسوبة إلى الدين لا تطفئ نارهم لو أنها استطاعت الوثوب على الحكم ووضعت السلاح في يدها .^(١) الحكم بشر عهد من الإرهاب يتصل به إرهابه كل إرهاب يسدده نعاله ليوم ، وهذا أمر يجب أن نعرفه أولو الرأي والمقدرة وأن يحسموا له الحساب من فوات الأوان ، ولن نجد أفتى منا ولا أفتك بدا من إسبانية عن عيقت وماتت بقتلك ونسلت معتقدا أنه يتقرب إلى الله بذلك ويجاهد في سبيله وينفذ أوامره وشرائعه ، والسوء لمن ناموا على فوهة الركان قائلين : لعلة لا نطلق ،

يقال الله أكبر ، ياما نضمن هذا الكلام من الحدث والصلال والتحرير على أهل الدين والدعاية إلى نقاء المستعمرين في أمكنتهم ولتشديد عليهم وإصعابهم وإصعاط عليهم بكل شدة ، وأن الإنسان ليحار عند نقل هذه الخل المعنوية ويتعجب كيف صر المتدينون من المسلمين والمسيحيين وغيرهم من المنتسبين إلى الأديان المؤمنين بالله تعالى واليوم الآخر على كثرتهم وعلى ما فيهم من شجاعة وشجاعة وانتصار للحق - عن رحمته ولعنه في كل حال وربما -

(١) إذن قائلون لم يتوا الحكم يوما من الأيام ، وأما الحكم في يد الملاحدة ، وقد مر لك أنه عند الهند والصين ودول الشرق كلها من المتدينين ، فانظر إلى هذه المضحكات والمهارل المتسللة

وكيف بقي هذا الرديق في بلد تدعى أنها ندين بدين الاسلام . وأيم الله لقد عاد الاسلام غريبا كما بدأ . ولقد جاء الرمن احدى وصف النبي ﷺ المسلمين فيه مأثم ، وغناه كغناء ليل ، أى عني كثرتهم ليس فيهم حياة إلا ضعيفة

نحن لا نشك كما لا يشك مسلم عارف أن هذا الرديق لو وجه هذا الخطاب الى شخص واحد من المتدين أو الى أهل مذهب أو شعبة فكان من المستيقن أن يحاكم على ذلك وسكن له ثم على الأمة الاسلامية كلها بل على كل الديارات النماوية وشتها واركتب أكبر ذنب صار ذنبه أخف ، وهذا من أعجب العجيب ، انه لما عظم ذنبه صغر حكمه في أعين البعض ، وإلا لحقيقة هذا الكلام وروحه هو الطعن في أدب الله تعالى والدائن بها ، وهو دعائه صريحة في تحريض المستعمرين على الصنع على هذه الامم المدنية وإصدهم والمراقبة الشديدة عليهم ، والا فهو يعلم حقيقة العلم أنه قد قرر فيما مضى أن الانسان مطبوع على الشر والخث والظلم وأن المجرم من كل دين سقى على الظلم والمدوان المطبق ، وهذا صريح في أن املا حدهم أولى ، القسوة وأبعد عن العدل والرحمة ، لأنهم لم يدرسوا بصوص الخث على الرحمة والإحسان والعدل والنهي الأكيد عن تحدى هذه الأمور في مواضعها ، فانه من المعلوم أن جميع الأمم المتوحشة بل الأكليين لحوم البشر هم من أولئك الموصوفين بالاحاد والعد عن الأديان ، ولهذا كان مع وفالدى الخاص والعام أن أعد الناس عن الدين أخبثهم خلقا وأهم لا يرقبون في إنسان إلا ولا دمة لأنهم لا يرجون ولا يحامون عقوبة ولا زناة عني ذلك ، بخلاف المتدينين فانه قد عسوا أن الله يحب المحسنين ويأمر بالعدل والاحسان وأنه من لا يرحم لا يرحم .

وانظر كيف أثر الدين في العرب ذلك التأثير العظيم لما دخلوا فيه بعد أن كانوا على تلك الحالة الهمجية الوحشية ، فصار يضرب باحسانهم ورحمتهم المثل ، كما قرر غير واحد من العارفين بأحوالهم أنه لم يوجد فأنح أرحم من العرب ،

ويكفيك حديث ربيعة أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أمر جيشاً أو سرية أو صاه تقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً وقال : اعزوا باسم الله إلى آخر الحديث وقد اشتمل على وصايا نافعة في العدل والاحسان ، فإن الدين كله دائر على العدل وعلى الاحسان بخلاف الإلحاد فإنه دائر على الظلم والاستعباد ، وقد دلت جميع الحوادث القديمة والاحيرة على الفرق الواضح بين المتدينين والملاحدة ، فأين سيرة المسلمين في القرون المفصلة من سيرة عدوهم ، وأين سيرتهم في القرون الوسطى من سيرة النصارى ولساطنية ونحوهم ، وكذلك ما جرى في هذه الأزمان الأخيرة من المظالم والشراسة والنحوص والهمجية التي ينكرها الدين والعقل ، فيوارن أهلها بين ما فعله أمم الملاحدة حين طغروا بغيرهم كابطاليا وأشاهها بغيرها في شمال إفريقيا وبين فتوحات المسلمين ليعرف القروى العظيمة بين المسلمين وغيرهم في الرقى والإحسان والرحمة ، وهذا أمر واضح يعرفه كل من له مسكة من عقل ، وأما من طمع الله على قلبه فلا ينفع فيه شيء ، إنما يستحيب الذي يسمعون ، والموتى يستعظم الله ثم إليه يرجعون

○ ○ ○

ولما فرغ هذا المجلد من شتم الأديان وأهلها وأمرع جميع ما في صدره من غل وحس في بعضها ومقتها ومقت أهلها وطش أنه قد انكشف أمره لها ودار ولجأ إلى الخداع والتملق على عادته في الخداع والمناقفة والمكر السيئ لأنه علم أن هناك قلوباً مقفلة بروح عليها هذا الهدى ، وهذه هي طريقة سلطه من المتأففين الذين اتحدوا أيديهم - أى بالعاقى على الدين - حنة ، فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ، فقال :

« ولكن ما معنى هذا ؟ هل معناه أن الدين نفسه مقعد للشر ، حائل بينهم وبين النجاة ، وأنه بطبعه ماف الروح العملية الإلحادية المبدعة ،

فيقال نعم على صريح كلامك هو هذا معناه ، فهل أدين من تصرحك بهذا

في كل أغلالك ، ولو لم يكن من ذلك إلا دعواك بأن المتحلقين من الأدبان هم الذين صنعوا الحياة وصنعوا لها العيوم المشكرة ، وأن المتدينين على اختلاف أجناسهم ^(١) وديارهم وأسيانهم لم يهوا الحياه شيئا جديدا ، ولا كانوا فيها محبوبات متألقة ، فما هك بين أظهر من هذا ، ومن يحى عليه هذا فهو أجمل من حمار أهله

° ° °

ثم قال وكلاء من هذا هو المرار ، ولا هو "الصحيح" من لدين تطبعه وروحهم لا يعوسن يكون ، فهو "ناقصه وحق والعين والعمى ، وأنه لكذلك اذا أخذ وفهم على وجهه ،

فقد لكر من وجهه لمع الممد ، بل صرحت بأن جمع المتدينين على اختلاف أجناسهم لم يهوا الحياه شيئا جديدا ، وأن هذا الدين ليسى أخطاه جمع أحسن المتدينين وأسيانهم على هذا حجاج وعلم ومراوعه لا يظن ولا على أشباه الأمام ، وإلا فكل من له عقل ودين يفهم ما فهمه السيد قطب من كلامك في قوله "هذا رجل يريد أن يظن الطبعه في صميمه ليس خاصة ، ثم يتوارى ويتحصن في الدين وسكر ما قد يفهمه لقبارىء من بعض النصوص ومن روح الكتاب كله وراء النصوص . ثم هذا رجل يسقط ولا يأتى شيء (دون كيشوت) جديد تطعن في الهواء ويحارب أفكارا لم يعد لها وجود منذ حسين عامما على الألف . ثم هذا رجل يسرق أفكار غيره بالنص ويتكر أن يكون قد قرأ شيئا من هذه الأفكار ، إلى قوله : هذا رجل تنقصه الجرأة على أن يقول ما يريد أن يقول ، وادع فلا حرية فكر ، ولا حطر على حرية

(١) بين هناك عبارة أشمل وأصرح من دعواه هذه ، فإن هذا يشمل جميع أجناس المتدينين

الفكر ، انما هي دعوة حبيثة منوية ضد الدين ومحاربة الاسلام ، وضد الروح
الحقيقية في النفس والصميم الخ

ويقول ايضا : اذا كان الحق كما تذكر في انبياء فلم لا تقره وسببه وتدعو
اليه ونهيه غاية السهر عن صده والسعد عنه . وتحمل كل موضوع كذاك معرجه
والبحث عنه وعن أهله الاحدين به وبناهم وانشاء عليهم ، وما رأيتك فعلت
شيئ من هذا ، بل كل كذاك في عكس هذا الموضوع ، فإنت لم تش عليه ولم
تذكر أن أحدا من لكس على هذا السب . ولم تحت على حق ديني قط ، بل عاية
ما ادعيت في كذاك هو فهمه به من بين هو به من لروح القدس والعمل ، فإذا
كان فهمك ليس هو ما انشئت عليه هذا كذاك من هذه الحق في منها
مسيرة وإزالة عن المصير وانشاء على نشر من كذاك السب لصحهم وأمنهم .
ذلك ، فقد هو اللائق بعقبت المعكوس وفؤادك الخت

○ ○ ○

ثم قال ، ولكن ههنا شئ أحدهم أنه إذا أتى على غير وجهه وقصده
جاء صار مقصدا للاحلاق الانس ، وكل مع به نصيه أو حتى يجب أن يكون
طيفة كاسس ليا .

فيقول أحد الذين على غير وجهه تشمل أمور كثيرة كان من لواجب
عندك أن تبينها لتحتسب ، أو من وجهه لصحيح يؤخذ به وبترك ما عداه ،
وأنت لم تفعل إلا الخت على رقصه وأحد مقصده ، من كل كلامك في فإلهه
والأحد به مقلوب ، من عداه لقصعة وأسبابها ضد عيادة الله وحده ، والاعتماد
على الأسباب ضد الاعتماد على الله ، وتوجه ليه وتعليق الآمال عليها ضد
الوثوق بالله والتوكل عليه وتعليق الآمن عليه ، بل لا بد من الاعتماد عليه
والأحد بذلك كما أمر كما عدم الحديث احرص على ما يفعلك واسمع بالله
ولا تعجزن . الحديث

ثم قال ، وثانيهما أن البشر عاجزون - في يدو لنا حتى اليوم - عن أحده
وفهمه وتصوره على وجه النافع المفيد ، بل هم إما أن يبقوا غير متدينين أو
متدينين تدبنا باطلا كما أثبت هذا جملة تاريخ الانسان ، ولا بد من استنباط
فترات ومضات قليلة عاقلة ،

فيقال نعم لا بد من أن تنشئ لك ليكون هذا عندك ، وفادك أن
هذا لا ينفعك إلا بالفترات والوحدات ، ومن أهدى ، يصاح
وتفصيل ، وكيف يكون بشر عاجز في أيامه عن هذه الفترات ، ومن
يكن أهدى أصعب عاجز ، ومن أن انشئت عليهم وعرفتهم ، وما كسبه عجز
أولئك وهذه هذلة ، وليس مثل هذه الدعوى لا يثبت الأمر حينئذ كفى
فيه الخداع الأموي العنصر الموهبة ، فإن دعوى كمال بشر عاجز عن فهم
الدين كفر صريح لا يشك فيه إلا كافر أو بدعي ، من هذا يتبين أن الله
سبحانه لم يقم على البشر حجة (١) ولا أن ما هو هدى وتقدم وبقائه
وأما عليه السلام ، بر كما عن المحجة البيضاء كبره في ما به عباد الله
إلا هالك ، وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن لذكرهن من محكم ذكرهن)
مرايا يصاحا ليكون الدين مبسرا لمن أراد الهدى ، ومن في هذا الظاهر
ولا أبسر من فهم الدين على وجه من صلت بين الله وأما من أعرض
عنه واستكبر عن الاهتداء به فانه من مصر ما فيه من الهدى والنصر ووجه

(١) أن الدعوى يكون انشراح عاجز عن فهم دين تصحيح أن الله لم يقم عليهم
حجته لأنه نسب المصيبة إلى الدين لا إلى البشر ، فإن هذا يقتضي أنهم لا يمكنهم أن
يفهموه لعجزهم ، ومعلوم أن عاجز عن الشيء لا يكلف به ، بل هو تخلف عما لا
يطاق ، فهو لم يدع أنه واضح ولكن الناس لا يروونه أو أبشع شربه قد قد
أكثر ما فلا يدونه ، بل نسب العصور إلى الدين لا إلى البشر ، وهذا بصام حقيقه
قيام حجة الله على الناس

ولو أن إنساناً أعص عينه عن نور الشمس لم يرها ولم ينتفع بالاستضاءة بها في طريقه ولا غيره ، ومن أين لهذا الملحد أن يحكم على البشر أنهم عاجزون عن أحده وفهمه وتصوره على وجهه وهو قد ادعى في كتيبه السابقة كلها أن السبب لصالح وأساعهم مثل ابن تيمية وابن القيم وأمثهم كانوا على الدين الصحيح ، بل ادعى في هذا الكتاب نفسه من ١٥ أن الناس غير عاجزين عنه حيث قال فيما تقدم : إن أمر كالم تتعوق علنا بسبب إيمانها بالله أو بسبب أحلامها الدنسة أو الروحانية ، إلى قوله : وإياها عجز ، عن الدخول بها لمعجزها عن اللعان ، أحلامها هذه ، لا معجز في روحانيتنا أو في إيماننا بالله أو في قدرته الدنسة ، بل هو ، وقد سبق هذا سبق وسبق الكلام عليه فاطر كيف تمع به هذا الملحد كما سمرع الدنسة ظهر البطن ، هناك يدعى أن إيماننا بالله وقضائنا الدنسة غير عاجزة وليس في ذلك عجز ، وهنا يقول إن البشر حتى اليوم عاجزون عن فهم الدين وأحده وتصوره على وجهه ، وسيأتي انقلابه أيضاً مدعي أن ديننا هذا محرف ، وهكذا هو دائما تراه مستصححا هذه المراءعات للعلامة وقصده من ذلك أنه ليس ثم دين بالكلية ، لأن الدين الذي قد ثبت عجز البشر عنه وجوده كعدمه ، ولا سمع استثناء العبارات التي لم تبس وليس علمها وهي عليه ، لأن الاسماء المحبولة لا فائدة فيه ، وحل الله أن يبرر ديننا لا يعرف أو لا يعرفه إنما النادر ، قال تندر لا حكم له . وقال تعالى : ﴿ أَوَلَا يَتَذَكَّرُونَ لِقُرْآنٍ أَمْ عَلَى قلوب أَسْخَافٍ ﴾ فأمر بتدبر القرآن وبين أن من لم يدبره فهو مقص على فهمه . ففهمه بأن أنه مفهوم ميسر فهمه والآخذ به وتصوره ، قال العامص المعقد لا يستفاد منه ، وأحبر أن طريق الاستفادة منه هو تدبره وتذكره ، وأن من لم يفهم ذلك فلا يمكن أن يفهمه ، وذلك لا لأجل عمومه بل لأجل ما في قلب المعرض عنه من الطمع والافقال ، والفساد العارض هو من ناحية الإنسان ، والأفكار نور ونصائر وحق على حقيقته ، وكيف يرسل الله علينا ديننا ويحمله ختام الأدب مع علمه أن الناس عاجزون

عن فهمه ، فهو إبدن لم يقم عليهم الحجة . وقد قال تعالى ﴿ رسلا مبشرين
ومندرين ﴾ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ويجرد كون بعض
الأمم والشعوب والأفراد لم تعرفه لا يدل على حماته لأن منشأ ذلك من
الفساد العارض في من لم يفهمه أو يعرفه لأنه إما معرض أو لم يجتهد في التفحص
والمبحث عن ما به يعرفه وفهمه من مظانه . وإلا في طلب الحق بعد اجتهد
وصدق وإخلاص وحده بلا شك ، ولذلك ما اجتهد من قبله ليعرسي في طلب
الحق وحده وقصه في ذلك مشهور . وقد عجز كثير من الناس بصير
على المشاق الحظيمة وبططهم في أموره التي يحرص عليها في مصالح نفسه
أو أمته أو دمه . وأما دمه ما أغرت الناس وأكلهم في معرفته وفهمه ، ومع
ذلك يحمل عهده على الدين ، والله سبحانه قد أوضح السبيل وأقام الحجة
على حقه بما أنزله من سور وكتب المبين ، وأبد ذلك في كل زمان بعلماء
ينبئون الناس وجه الحق وإليه الدليل ما واضحاً حلياً ، كما قال الامام أحمد
في حطته المشهورة : الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل نقاباً من
أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، وبصرون منهم عنى الأذى ، يحبون
كتاب الله الموتى وبصرون سور الله أهل العمى ، فكلم من قتل لإبليس قد
أحيوه ، وكلم من تائه ضال قد هدوه . في أحسن أكرم على الناس وأقبح أنكر
الناس عنهم . تنمون عن كتاب الله تحريف التعالين ، واستحالة المطيبين .
وتأويل الخاطئين الذين عطفوا ألوية الدعة ، وأطبقوا غنائب الغنة ، فهم
مخلفون في المكتبات ، مخلفون للمكتبات ، متعفون على مفرقة الكتاب .
يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله ، غير علم ، يتكلمون بالمشابهة من الكلام
ويحذرون جهال الناس بما يلبسون عليهم ، فتعود بالله من قس المصلين . انتهى
ويروى نحو هذه الخطه عن عمر من الخطاط رضي الله تعالى عنه كما ذكر ذلك
أس وصاح . وهذه كتب السلف الصالح كلها واضحة الدلالة في بيان الهدى
وعمهم الدين على وجهه ، وهذه كتب الإمام شيخ الاسلام ابن تيمية كالأذهب

المصنف ، وهي مشتقة على من الدين بها ، واصحابا كالشمس بحيث لا يبقى
 للعاقب المصنف الذي قصده الحق أدنى شبهة في أصل هذا الدين ، بل كتب
 هذا الامام فتح كبر لهذه الأمة الاسلاميه ، ومن أعظم النعم التي رحم الله بها
 هذه الأمة ولا سيما في أصول الدين ، فبده عقيدته (الواسطية) المحصورة
 والعقيدة (الخوية) كابتها للمستدي ، ولقد كان من أعظم امصائب التي
 حلت بأهل الاسلام بدعة خبيثة ، وأصبحت كأن مستمدا من المحدثين
 المحكرين بديريه فليدا بوسل أصهب ، كارتضعات ، وركار كونه تعالى مسا
 لدخلقات نفس فوقها تدعى عليه ، بل وجود موجود لا داخل العالم ولا
 خارجه ، لا تقفه فطره ، ولا تأتي به شريعة ولا يمكن أن يقر برب هذا شأنه ،
 بل هو سبحانه فوق العرش وما تحته فقير إليه ، وهو على عن العرش وعما
 تحته ، لا يلزم من كونه فوقه احتياجه له ، بل استواءه عليه استواء يليق به
 ليس كاستواء المحرفين ، وكأنه خلق الخلق كلها وأمرهم ومهمهم وهو غير
 محتاج اليهم بل هو على عن ذلك كله فكذلك علوه محض به فوق عرشه كما
 أخبر به عن نفسه وهو أعم نفسه وعمره ، وكل ما وصف به به نفسه فهو
 على ظاهره على الوجه اللائق به تعالى ، ولا يدرج تحريفه ذلك التحريف الذي
 يسمى تأويلا ، فلو فتح هذا الباب تطرق لأولى انصوص المحدثين وخصوص
 المبادات كلها ، وهذا عن بعد الدين ، بل الحرة على تأويل صفات الله تعالى
 أعظم من الحرة على تأويل المبادات ، وما أقصد منه عبر هذه التأويلات
 الباطنة التي صنعها الملحدون باسم تنزيه حتى يروا الله برغمهم عن كل معاد
 الربوبية ، فعمدوا إلى صفات الأفعال فسموها حوادث وقلوا أمره عن
 الحوادث ، وعمدوا إلى الحكمة والعباديات فسموها أعراضا فقالوا أمره
 عن الأعراض ، وعمدوا إلى صفاته تعالى كاليد والوجه ونحو ذلك فسموها
 أبعاضا وقالوا أمره عن الأبعاض ، بل عمدوا إلى كل ما لم يوافق عقولهم
 فأحترعوا له عبارة قبيحة وتوسلوا سعيها لتلي تلك الصفة ، فصار حقيقة قلوبهم

أنه مره عن كل معنى الروية غير صفات قبيلة مصطرون فيها اضطرابا
لا ينصط والمقصود أن شيخ الاسلام عمد أن هذه الأصوات فهدمها كلها كما
عمد الى البدع الأخرى المسماء توسلا وهي عادة لقصور ودعاء أهل والاستعانة
بهم في الشدائد والهمات واران انقاص أعاد أهلها ، فلقد انتصب همد
الامام لرد عن هذه الدسائس الالحادية ومروعه ردا أراح عن امة البصاء
كل حجاب وقاء ، حتى أسمرت وطهرت وأصح كاشمس في بحر حقيقة ،
فكان إماما لأهل التوحيد ، وثقمة وعدو الكفر زنديق عنيد ، فانه رضي الله
عنه صر في ذات الله وحده في سببه يده ولسانه وقله جهادا لم يسبق له نظير
بعد اقرون لمقصدة . ومن طالع كتابه المجيب الفذ الخالد كتاب (العقل والنقل) وهو
موافقة صريح معقول الصحيح المقبول وقد سمر كتاب (العقل والنقل) وهو
مطوع بعصه على هاشم كتاب (مساجد الله) عرف مقدار هذا لإمام وعرف
كيف ناضل عن سلامة هذه الشريعة لمرء صادقا حقيقيا بعد أكر صال
سجل في الدفاع عن الشريعة الاسلامية بعد أن أحاطت بها مكابد الأعداء .
كل جانب ، وقد سمر في هذا الكتاب مقدار هذه الشريعة المقصدة وأنها غير
محتاجه الى فلسفة المتفلسفين وتأويلات المتأويلين " فلهذا " صر في
الاسلام دين العطرة الواضح السهل القوي . وقد جمع هذا الكتاب العظيم
جميع الشبه الواردة على الصفات بما لفته جهة المتكلمين ومن حدا حده ، ممر لا
بصورة له ، وأجاب عن تلك الشبه بما شخ الصدر " العقل والنقل " وسد في
البدع سدا محكما ، فهو الكتاب الذي جمع فيه بين العقل والنقل ، وبين فيه أن
ما جاءت به الرسل هو المتصافى بمعقول السيمية ، وأنه ليس بين العقل والنقل
والنقل الصحيح أدنى تحاميه ، وكفليك شهادة على عظمة هذا الكتاب ما قاله
الامام ابن القيم فيه :

واقرأ كتاب العقل والنقل الذي ما في الوجود له بصير شئ

وعما يؤسف له أن هذا الذكر القديس المحمّد القدر لما طبع لم يطبع كله ،
 بل ترك منه نحو خمسة ، ومع ذلك طبع على نسخة كثيرة العلط ، ولعل الله أن
 ييسر له من أهل الدين واتحاد الشهامة من يعبه طبعه فيطبعه كله ، فانه كتاب
 الا-لام فيما يخص باطل كلام الدجائيل والمنشور والمشككين من أهل الكلام
 ونحوهم من ارباب الفرق المتحددين والاحميه والاتحاديه وأمثالهم ، وهكذا كتب هذا
 الإلهام كتاب من تدبرهم وحدها دينا حاصلا (١)

وكذلك كتاب كتب بسند العلامة ابن القيم فإن أكثرها مقنس من
 بواها ، وقد كنت أعرف شخصا جاء من اليمن الى ارباص وقد قرأ في مذهب
 الزيدية ، وكان في الأصول معتزلا لا يثبت الأصل ولا الكلام ونور أكثر
 الأصوات وكان يحدل في دينه ويطر عليه ، وما ظمر مختصر كتاب (لصواعق

(١) من أهم الأعلام الخرافية ما وقع في رحلة ابن بطوطة فيما سمعه
 الى ابن تيمية في بيروت ، وقد رده لعلاء براهين كثيرة فان كتب ابن تيمية كلها
 صريحه في رد هذه البدعة وقد أثبت التاريخ ان الوقت الذي دخل فيه ابن بطوطة
 دمشق في كل ابن تيمية فيها ، ويحكى أن كتاب شرح البرهان للنسج من أوله الى
 آخره في هذه المسألة ، وقد صفه لنسج ابن تيمية وهو البرهان بأنه لا يكون
 المحققين من حسن سائر الصفات التي لله تعالى ، وكان في رسالته تدمرية من
 ٢٧ ، وكذلك ادّعى كيف يبرهن دينا الى سماء الدنيا ، قيل له كيف هو ، فادّعى
 لا أعلم كيفه ، قيل له : ومن لا يعلم كيفه يبرهنه ، ادّعى بكيفية الصفه ، يستمر العلم
 بكيفية الموصوف ، وهو أربع له ونامع له ، وكيف تظاسر باسم بكيفية صفه ونسره
 وتكليمه واستوائه وبروله وأنت لا تعلم كيفه دينة ، انتهى كلامه بحروقه ، وأمثال
 هذا كثير ، وقال في (سهاج السنة) ص ٢٦٢ ح ١ عن أهل السنة : وهم متفقون على
 أن الله ليس كمثل شيء ، وأنه لا يعلم كيف يبرهن ولا تمثل صفاته بصفات خلقه ،
 انتهى كلامه بحروقه

المرسلة على الجهمية والمعتظة) لا ينقيم أخذ بضالعه ويتدبره فمرفأ محبو
 نصفه حتى رجع عن مذهبه وقد رأيت مرة وهو يسكى ويقول . لقد كنت قبل
 أن أطلع على هذا الكتاب على صلال وتوسعي والله أنى أعرف كثيرا من
 الناس على ما كنت عليه من قبل وأعرف أنهم لو اطلعوا على هذا الكتاب
 لعرفوا الحق الذي لا شك فيه . هذا كلامه . وقد صدق ، فإن من طالع هذا
 الكتاب النصب عرف الحق معرفة كالشمس . وهذا الكتاب مطبوع وموجود
 بكثرة وأكثره مستمد من كتب العقل والنقل الذي تقدم ذكره ، هكذا سائر
 كتب هذين الامامين وأمثالهم كالحافظ الذهبي وابن رجب وشارح لطحاوية
 وأمثال هؤلاء في القرون الوسطى . ثم أظهر الله سبحانه الاسلام محمد بن عبد
 الوهاب فقرر هذه الأصول التي ذكرها الشيخ . وبدل جهده في تطهير هذه
 الاراضي الاسلامية من الشرك وعبادة الأوثان ، وكتبه وكتب أتباعه في ذلك
 كثيرة شهيرة . وراحة في طلب الدين الصحيح بنية خالصة وعزيمة صادقة فلا
 بد أن يوفق حتى يفهمه ويعرفه على وجهه ، وأما من أعرض عنه فلا يمكن
 أن يفهمه ولا يعرفه أبدا ، فإن المتقين الذين كانوا بين الصحابة ^{عليهم السلام} والتي ^{عليهم السلام}
 حاصر عندهم لم يفقهوه بل كان عليهم عي وفي آذانهم عنه وقر لأنهم لا يريدونه
 ولا يستطيعون سماعه لبعده وكراهيته عندهم كما قال تعالى ﴿ إنما يستجيب الذين
 يسمعون والموق يسمعون الله ثم إليه يرجعون ﴾ وقال تعالى ﴿ قالوا يا شعيب
 ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا صعبا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت
 علينا بعزيز ﴾ هؤلاء الكفرة لم يفقهوا ما يقول لهم هذا الرسول الكريم
 شعيب عليه السلام مع عظم فصاحته وهو منهم ، وقد كرر عليهم التدرج عشرات
 السنين ، ولكنهم يعقون ما يقوله رهط شعيب من المحاماة عنه لأنهم اعتمدوا
 على الأسباب المادية ورهبوها بخلاف الأسباب الدينية التي جسام بها شعيب
 فإنها ليست عندهم شيء ، فأعرضوا عنها ولم يسمعوا لها ولم يفقهوها ، وقال
 تعالى ﴿ والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ .

ومعوم أن من أحب دعوة الله فلا بد أن يهتدي إلى صراطه المستقيم ومن
اعرض واستكبر وتمرد فإن الله لا يهدي القوم الظالمين

وينبغي أن يعلم أن دعواه هذه هي بعينها دعوى كثير من الملاحدة
والكفار الذين كذبوا الرسل من أولهم إلى آخرهم ، ولا سيما كفره هذه
الآيمنة فاتهم لم ينكروا إمكان وجود الله الحق ومن دافع عنهم الأبياء فاتهم
دافع في صدق رسالة ذلك الذي يدعونه إلى الإيمان برسائله ، كما قال
المشركون للنبي ﷺ لو علم أنك رسول الله ما فلتك ، ولكن اكتب من
محمد بن عبد الله ، فهم لا ينكرون وجود الأبياء ، فاتهم بقرون رسالة إبراهيم
عليه السلام ويعجبون أنه لم ينكروا ممدورين في ذلك ، بل قد قامت
عليهم الحجة ، وكذلك الذين كفروا بعدى عليه السلام لم ينكروا الأديان
كلم ، وهكذا كل من عبد الرسل ولم يعترف رسالة رسول لم يقولوا له لا
بذلك ولو كنت رسول الله ، ولا أن ما جئت به حق ولكن لا تبعه ، بل
عاب ما حكى الله عنهم أنهم يكذبونهم في دعوى الرسالة ويحددون بآيات
الله ، وإن كانوا يقولون بآياتنا ، كفرعون مع عظم كفره وتمرده فإنه معترف
بارسالته بآياتنا كما قال موسى عليه السلام تر لقد علمت ما أول هؤلاء إلا رب
السموات والأرض ناصر واني لأظنك يا فرعون مشرك بما قسم موسى عليه
السلام بأن فرعون قد علم أن الله مرسله وأنه رسول الله ، ولكن جحد ذلك
استكبارا وإيقاعا على مكانته ، وراوع في تكذيب موسى تارة بدعوى أنه
ساحر ، وتارة بأنه نواظف مع السحرة ، وتارة بأنه فقير ولم يكن عظيما معه
أسورة من ذهب أو معه ملكة مقربين ، ولم يعترف بالرسالة طاهرا ويقول
لا تتبعك ، قال تعالى عن فرعون وقومه لا وجدوا بها واستيقنتها أنفسهم
ظانين وعلموا بها طاهرا في أنهم كانوا مقرين بوجوده تعالى وبوجود أديانه
باطنا ما حدين ذلك طاهرا ، فهذا يعرف أن الملاحدة والزنادقة شر منهم

لا يهتم ملاحظة باطن وطاهر ، ثم لم مع كونه شرا من فرعون فهم أهون
أمرا من الربيع الذي هو ملحد باطن ويحدث أحيانا عذرا وأجبا يتظاهر
بالتدين لقصد قلب الدين وإيمانه وإصلاح عياله ونصده عن سيئه ، كل
هذه حقائق لا شك فيها من آمن ونصف ، وأكثر هذه الأسم التي يذكر عنها
بحارة الأديب لا يقولون أنهم انه لا يوجد دين صحيح بالمره ، بل كثير منهم
يتولون هذه حركات وأديان فاسدة أضرت بهم فيجب إزالتها ، والدين
صحيح قد وجد ولكن لا تعرفه وقد عرفت عن معرفته ، ولا يمكن أن يبقى على
دين فاسد كما يدعى هذا الملحد سواء بسواء ، فدعواهم عن دعواهم ، فلا
يهمهم هذا لا عذر لمسيط الموهبة ، كما أنه لا يمنع جميع الكفار من ادعوه
واعتدوا به ، وسيأتي لهذا البحث بقية

ودعواهم انه لا بد من استشه ومصائب حادثة . بقا . هذا مع كونه حداثا
لا يعنى شيئا ، فهو عن ما يدعيه الكفار أيضا ، فاهم لم يقولوا انه لم يوجد ،
بل يقول أكثرهم انه لا يعرف . ودعوى وجوده غير دعوى معرفته ، فهذا
الملحد قد ادعى أنه يوجد في الناس ، لكن صرح بعدم إمكان معرفته ، لانه
صرح بالمعجز فلا حاجة إذن الى وجود تادير لدى تسجيل معرفته ، فان الشيء
الموجود لدى لا طاقة للبشر بمعرفة وأحده على وجهه لا حاجة الى وجوده ،
بل هو ضرر محض ، فانه تكليف بما لا يطاق ، وكيف يكون برهانا وبورا مينا
ورحة وبصائر وهدي وبيئات والبشر عاكرون عن معرفته وأحذه على وجهه ،
فأين الرحمة وأين الهدى وأين البرهان ، لنور ، فانك الله ما أشد جرأتك على
الله ودينه وعباده المؤمنين

• • •

ثم قال ، ويظهر أن المبادئ الإنسانية المطبقة تأتي دائما سابقة لاستعداد
أفهامهم من البشر ، فإذا دعوا إليها أو فرصت عليهم - قبل تمام هذا الاستعداد -

أخفوها أحذا ميتا صار بهم وبالمبادئ نفسها ، وذهبوا يعمنون بها على غير وجهها وصوابها ، ومن هنا تأتي النكبة ، وكلما تقدم تصح الإنسان قرب من الإحسان ومن الفهم الصحيح والتصور الصحيح لهذه المبادئ الخيلة التي تسبق استعدادها ^(١) ولا شك أن الناس اليوم بتصورون الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والنظام العام للسلام ، وكيف يجب أن يكون الحكم والحكومات ، ولغير ذلك من مسائل الإنسان المعظم ، تصورا هو أرقى جدا من تصورهم لها منذ ألف سنة أو بضعة آلاف من السنين ، كما أن تصورهم لهذا الوجود نفسه وفهمهم له يتقدم ويرقى ويصح ويصدق دائما ، وهم أذا يقومون بمهمة تعمل مستمرة عن تصوراتهم وأفهامهم الأولى القديمة لأمر هذا الوجود ، ليحلوا مكانها تصورات وأفهاما أرقى وأفضل ^(٢) ، والدين هو أحد هذه الأمور الخيلة التي تغر الناس عن تصورها تصورا صحيحا لأنها حادت قبل استيفاء استعدادهم الموقوت ^(٣) فراحوا صحايا هذا التصور الباطل ، وكان من

-
- (١) في دعواه أن المحدث من كل دين ينشأ على الظلم والحيف والعدوان المصلح
 (٢) قد نبين نتيجة ذلك في هذه الأعم التي تدعى أنها قد بلغت أقصى الحد في
 فرض السلام وث العدالة والنظام فيما فعلته مع اليهود إزاء العرب ، وما فعلته مع
 أندوسيا إزاء هولاندا ، هذا عدلهم ودارفهم ورحمتهم بالبشرية والإنسانية ، وبهذا
 المعيار يعرف ما وصل إليه الغربيون الراشدون عند هذا المرور من النظام وحسب
 العدالة ، وهذا ظاهر لا حياء له ، ولا يحتاج أن تذكر أنهم حكموا على ليبيا بأنهم لم
 تبلغ رشدها الآن ، وإنما تبلغ رشدها بعد عشر سنين إذا هدوها ما هم وارتعت في
 أحضانهم ؛ وهكذا طرابلس إذا تبلغ رشدها إذا أعيدت لابطاليا أو غيرها وكمثلها
 كمالة الوصي الرحيم للينيم ، وأما سائر دول العرب ولو كانت أصغر شيء فهي رشيدة
 كاملة بالغة فلا أدنى شك ، هذه تصوراتهم وأفهامهم عند (الدر الذي في لجج البحر)
 (٣) أي أن الله استعجل بأمر ال هذا الدين قبل استعداد أهله لفهمه فأمزله على الناس
 طغرين عن فهمه وتصوره على وجهه

تتأخر ذلك أن نهض في الأمم كلها أقوام يحاربون الأديان ويعملون على إبطالها
وتدميرها لأنها فيها بدا لهم وافقة متحجرة تسد الطريق ،

قلت : إذا كان الدين من هذه المبادئ التي جاءت قبل استعداد الناس لقبولها
فلا شك إذن أن الله قد أخطأ في بزله في ذلك الوقت ، من كل يسمى أن لا
يحيى إلا في الوقت المناسب لقول الناس له ، لكلا يكون صاراً وهذا صريح
كلام هذا رنديق كما ترى ، فهو اعراض صريح على الله تعالى في إزاله هذا
الدين في ذلك الوقت الذي يدعى أن الناس لا يبعدون فيه حداً عن طور
الحيوان ، ولهذا صرح بأنه جاء صاراً ، لأن ليس يجرأ عن فهمه لعدم
استعدادهم لمعرفته ، فلم يكن نوراً ولا شعاعاً ولا هدى ولا ياباً ولا رحمة ، ولم
يبعث الله في الأميين رسولا منهم ينلو عنهم آياته ويركبهم ويعدهم الكتب
والحكمة وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين ، من أرسل إليهم ما لم يعرفوه
فأخذوه أحمداً مبث ، فكان صارهم فلم يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ولم
يشروا به العدل والحق على وجه السبيطة ، بل ردهم إلى الفوضى والوحشية
والهضمية ، لأنه جاء صاراً بهم كما يقول ، فأى كفر أصرح من هذا ، ففصح
الله من يحس عليه ما في كلامه من الكفر القطيع ، ولهذا رك على هذا الرأي
الحيث أنه حيث جاء بهذه السرعة صار صرراً ونكية عليهم ، لأنهم كفوا بما
يسجرون عنه ، فكلمهم الله مالا يطبقونه ، ولهذا وقعوا في النكبات في تلك
القرون المفضلة ، وهذه هي عادته في المباينة والمكابرة ، وقد صرح بدون حكمة
ولا حياء بأن الناس اليوم أحسن تصوراً في هذه المبادئ من كانوا قبل ألف
سنة ، وأنهم أبداً يقومون بعملية تحسن مستخرج عن تصوراتهم وأفهامهم الأولى ،
وهذا كله بهت ظاهر وهذيان ساقط ، بل التصورات منها مالا يتغير أبداً ،
ومنها ما يتحول ، ومنها ما يتطور ، فالأحلاق الفسدة والكفر والالحاد
والفواحش والكنب والنفاق والحياة والعش والعجور والطلم والاستعباد

واجبى والتقنى و سرقه والمسكر والعدوى وأمثل ذلك كله يتطور كما فى الحديث
 ولا يأتى زمان إلا و لدى بعده شر منه ، ولو وقع يشهد لذلك ، ولم تحص
 الانسابه عن شيء من ذلك ، وكلها تمنع ضعف تصور وفساد الفهم وعدم
 الثبات ، وهى كلها أخلاق ، وإدانة كما بقى هى الاخلاق ، فاما كانت هذه كلها
 تزيد فاما بعدة نعمة من تصور "تصورات الاخرى كالامور الصناعية التى لا
 تعادل الاصرار لشيئ عيب ، لان السكوت دائم إنما تأتى من حيث الاخلاق ،
 فاد فساد اخرى أمة حلت به سكوت لا بد ، ثم لو قدر أنها تعم فصح الظلم
 ولعى والعدوى ولم تعمل بذلك ولا فائدة فى عيبها ، فاعلم ادام يصحبه العمل
 فقد يكون صراحي صاحبه أما كرها قد عرفت شئ من أمور هذا الكون
 لم تعرفه الا لشيء به ، لاولى فقد بين سبب فى ذلك وهو تكرار آيات الله وتقلب
 عبره لقضاء الحجة على حقيقه كما قال تعالى فى سرهم آياتى فى الآفاق وفى أنفسهم ،
 حتى يبين لهم أنه احق بحج ومن الحكمة فى ذلك سأل أن هذه العلوم لا يعتمد
 عليها وعلى أهلها ، فان الاواين الذين كانوا يرون هذه العلوم لى تن عدم
 صاحبها قد ادعوا أنها حقائق وبراهين قطعية قد دلت عليها العقول ، وأن ما
 حالها لا يلتفت اليه ، وهذا شجوا بانوفهم عن العلوم لسماوية والاهتمام بها
 وتمسكوا بتلك العقليات برعهم فظهر بطلان تلك لطريات ، وتبين أن تلك
 المعقولات شهاب اتخذع بها أهلها ، وأن الحق كان فى ما جاء به الانبياء ، فانه
 على ما هو عليه وانه هو الحق الذى لا ريب فيه ، ولهذا كل نظرية خالفت
 القرآن قد تبين بطلانها ولم يأت قط ما يبطل أفل شيء مما أشار اليه القرآن ،
 فكان ذلك من أظهر المعجزات ومن أوسع الحجج على كل من خالفه

• • •

وقوله ، وكان من نتائج ذلك أن نهض فى الامم كلها أقوام يحاربون الآديان
 ويمسكون على إبطالها وتدميرها ، الخ

وقد أتت من هؤلاء بلا شك من أعظمهم ، بل لم يعلم ملحدًا أو
 رديفًا وصل إلى ما وصلت إليه من مخزية بين يدي وتدمير وإفساد ، وكل
 هذه المحاولات الطويلة والمحاولات المستوية التي نشرتها في أغلاك هذه كلها
 مستعارة منهم ، شيء منها بالخص شيء بالمعنى ، وقد استخدموك في سبيع هذه
 الرسالة الخبيثة التي حملت بها نفسك وحملت بها على طهرتك ونسبها قدمت
 لنفسك وجنتيت عليها ، فما أحقك بالدحون ومن قال الله فيهم في أولئك الذين
 اشتروا الضلالة بالهدى فأزيجت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

° ° °

ثم قال ، ولا ريب عده في محي ذلك اليوم الذي يقدر البشر فيه أن
 يدركوا من حقائق الآداب ما لم يدركوا ، ولن يعمروها ويعلموها من ميثا
 أنس فيه كما أريد منها ، وبها ، وحيث . حيث قصد سبع بهم السمو المقدر لها ،

فيقول متى هذا اليوم الذي يدركون فيه حقائق الآداب إذا كانت كل
 هذه العصور الطويلة قد مرت بهم وهم غير مستعدين لها فلم يدركوا من حقائقها
 شيئًا ، ومعلوم أنها إنما رأت عبيهم ليدركوها ويعملوا بها لا لينقلوها إلى غيرهم
 من بعدهم آلاف السنين ، فإن هذا ليس فيه راحة ولا هدى ولا بين لهم ، بل
 هو صرر وعناء وشقاء عليهم فقط ، وقد دم الله اليهود لما كانوا يحملون التوراة
 بدون أن يسمعون بها بقوله تعالى لا مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل
 الخمار يحمل أسفارها نفس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم
 الظالمين . وقد تواترت الأحاديث بأه لا يأتي رمان إلا والذي بعده شر منه
 وإن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ ، إلى غير ذلك من الأحاديث
 الصحيحة الكثيرة المقدمة الدالة بالنص على ضعف الإسلام وغرته آخر
 الزمان . هذه الدعوى معاكسة لمدلولاتها معاكسة صريحة . سم نحن نقول

انه سيأتي اليوم الذي يدركون فيه حقائق الأديان ومنافعها وضرر مخالفتها
ونبذها ، نعم سيأتي ذلك اليوم ، يوم لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل
أو كسبت في إيمانها حيرا ، وقال تعالى ﴿ هل ينظرون إلا تأويله ﴾ بمعنى هذا
القرآن الذي هو أصل الدين ﴿ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد
جاءت رسلنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو رددتمعمل غير الذي
كننا بعمل قد حسروا أنفسهم وصل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ نعم هو هذا
اليوم الذي يدركون فيه حقائق الأديان ، وحينئذ يود الذين كفروا وعصوا
الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا ولكن هذا اليوم لا
نسمو فيه الأديان إلا بمن أحبا وعمل بها ودعا إليها ، وأما من رفضها وعادها
ووافق في الطعن فيها فإياها فقدف بهم في الدركات الهنمية ولن يجد له من دون
الله وليا ولا نصيرا

• • •

قال ، والانسابة — كما نحصل من مجموع تاريخها المعروف — لها ثلاث
حالات : إحداهما أن تكون بلا دين ، لا باطل ولا صحيح . وثانيها أن تكون
على دين باطل ، أي على دين تنصوره على الصورة التي شرحناها في هذا
الكتاب . وثالثها — وهو خير بلا شك عندما — أن تكون على دين صحيح
تدركه إدراكا صحيحا . وهذه الحالات الثلاث هي على ثلاث درجات ولا
شك أن الحالة الثانية هي شر الحالات ، وأن الأمة التي تكون متدنية بهذا الدين
تأثي عاجرة عن مقارنة الأمتين الآخرين .

قلت قد رأيت أن هذا الملحد صرح بأن المسلمين اليوم شر من الملاحدة ،
فانه قرر أنهم على دين محرف واعم ، وأنهم ليسوا على دين صحيح ، وإلا لم
يتكر عليهم وهم ليسوا ملاحدة ، بل يدعى أنهم على دين باطل ، وهذه الحالة
صرح كما ترى بأنها شر الحالات فجعلها شرا من حالة الملحاد . فالمسلمون اليوم

شر من الملاحدة بنص كلامه (١) ، ولكن من يسمع ومن يرى

(لقد سمعت لو بديت حيا وسكر لا حية لمن تئادى)

وهذا التقسيم الذي ادعاه باطل من أصله ، والفرع عليه ساقط بالضرورة والتأريخ والمشاهدة ، أما فساد لتقسيمه لا يشك عاقل أن الناس يتفاوتون في الإيمان بمد الدين ، فمنهم من يكون متمسكا به تمسكا صحيحا جدا كتمسك الصالحين في القرن الأول في وقت احفاد ، ثم ضعف تمسك به شيئا فشيئا ، ومع ذلك فلهذه على دين صحيح لا سيما في القرن الأول والثاني ، ثم في الثالث ظهرت بعض البدع لمجرورها ، ثم بعد ذلك ظهرت الأمم طوائف ، وأكثر الطوائف معها حق وباطل وبعضها أقرب إلى الحق من بعض ، ولا نقول دو عقل إن الأمة من وقت الصحابة إلى هذا الوقت على دين باطل ، ومن ادعى هذا فقد كفر لأنه وعى هذا الذي ذكرناه تكون الأمة على درجات وكل من كان أقرب إلى التمسك كال أقرب إلى الدين ، فيكون أقرب إلى الحية وإلى القوة ، ومن كان عنه أبعد كان أبعد عن الحية والقوة ، وهذا في الفرق التي لا يطلق عليهم اسم الكفر ، وأما الأديان لمجرورها أو لاطلاقها فهي أيضا درجات : فإن الديانة المسيحية أقرب إلى الحق من اليهودية وأقرب إلى الحية والقوة ، واليهودية أولى من الوثنية ، وقد كان من لم يجد أشد الناس عداوة للدين

(١) أنه لمن العجب أن يحكي كفر هذا الرنديق على من ينظر في كلامه كما قال الشيخ العلامة المحقق عمر بن حنبل ، الشيخ عندما طلع على كلامه في الدين مرورا وجمعا للصاعه والحارة آلهة موحدة لا يشركون بها فتقدموا إلى الحياة الصحيحة ، ما كان يحظر على الناس أن يصرح إنسان عن هذا الكلام ثم يشك في كفره ، فكفره وأصح لا يستريب فيه من له أدنى مسكة من دين ، وكذا قال الشيخ "عناصل فاضى العقيم" عند الله من حميد وأمثاله من علماء المسلمين كما تقدم .

آمنوا باليهود والذين أشركوا ونسجدوا لغيرهم مودة من آمنوا ليس قالوا إنا
فصلوا ففرق تعالى بين هذه الفرق وأباح الكفاية دون غيرها كما أباح لنا
أكل دميحة الكسائي دون المحوسى والوشى ، فهذا التسميم كما قد درجته أيضا
وكل درجة فيها من الحبه والقوة والصيرة بقدر ما بقى معها من آثار لئس
السموى ، ولهذا كانت الحدة في لئس وأكثر منها في لئس ، وفي اليهودى
أكثر منها في الوشى كالأحده من الألاحده ، ولئس في لئس لئس لئس
مظاهر الطاعة ومظاهر الأسباب وإن لم يتجدد عدده ولم يتجددوا به عبادة
فهي عبادة نفس لئس ، كما أن عدد أقوار لئس لئس لئس لئس لئس
الشركه في قودها عاود ، ثم يتجددوا به لئس لئس لئس لئس لئس
الئس قال حرجه مع لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس
وللشركه كبر سيرة لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس
الله احد لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس
قدمة لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس
قال لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس
وفي حديث لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس
ورهبهم لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس
يحلون لهم الحرام ويحرمون لهم الحلال ، قال لئس لئس لئس لئس لئس
أهم لم يتجددوا بذلك لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس
التعب ، فإن قدمة لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس
صريحة ومؤلاء الملحدون أعطوا لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس لئس
وأسرعهم انقياداً لهم واستسلاماً لكل ما يأمرهم به ولو كان مصادماً أعظم
المصادمة للشرائع ، أما أوامر الله تعالى فهم يتعتون في إساءتها وتصديقها
ويحتقرونها بل وكثير منهم يرونها صراخاً محضاً ، فهل وراء هذه الوثنية وثنية ،
ولهذا كان الملاحدة أعظم الخلق رسوخاً في الوثنية لأنهم يعبدون مطلق

الاسباب الطبيعية التي يحملها عليها رؤى - ثم كما يصدقون أشياء يصدقون قسما
وخشيا ، ولوثيون والملاحدة قسم واحد ، وهو ذركاب مصونة . وهناك
قسم آخر وهم الزانية والمافون ويعني بالساق ولزينة اذا اصبغها معاصها
الشرعي وهو انظر لكفر واعلم بلين احدهم خداع ومكره ، وهذا
القسم هو احث الافهام على الاطلاق ، وهو اسفل في الدنيا كما ان الله في
الدين الاسلام من الناس وقد حكم الله على امر هذا القسم بسمعه و"طرد وعدم
النصر مطلق كما قال تعالى فيهم - ممنوع من ان يقيم احدو وقتهم شيئا -
وهؤلاء هم المذكورون في لايت من اول "تقر في قوله من - من الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، عيون الله فيهم
وما يصدقون الا انفسهم وما يشعرون ، في قوله لو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم ان الله على كل شيء قدير - وعلمه كما هو في قوله انفسهم
تعالوا ما ازال الله واني الرسول - انفسهم يصدقون عت يسوا .
فكيف ان اصحابهم مصنفه - فمدون انفسهم - فمدون انفسهم - فمدون انفسهم -
احسان وتوفيق - فمدون انفسهم - فمدون انفسهم - فمدون انفسهم -
نصف من الكسب فمدون انفسهم - فمدون انفسهم - فمدون انفسهم -
أهدى من انفسهم آمنوا مثلا ، اريد به انفسهم - فمدون انفسهم -
له نصيرا) فتأمل بدقه قوله - ومن يعن الله فسنجد له نصيرا - فمدون انفسهم -
العظيم في ان كل من ادعى ان لا فريز او المحدث فمدون انفسهم - فمدون انفسهم -
سيلا فقدم اقوالهم وآراءهم او - فمدون انفسهم - فمدون انفسهم -
انه ممنون وانه لا ينصر ولا يمكن ان يمد من نصرة او بعينه ولا سيما اذا
كان من اوى نصيبا من كسب ، في عرف شام من الذين لان عقومهم
تكون اعط لانه احتار الحيات على قضت ، فكان حليم بالصد ولا يمد ،
ولن ينعه قوله من ان اردنا لا احصا او توفيق - في انفسهم - فمدون انفسهم -
أمرا احسا وهو السياسة والتوفيق بين الدين والخصرة ونحو ذلك ، لأن

حقيقة كلامه أن الدين ليس به كفاية ، وحقيقة هذا أنه لم يعرف الدين وهو عبادة الله وحده وتحكيم ما أمر به صريحا مطلقا

والمقصود أن تقسيمه إلى ادعاء باطل بصلا ما طهره ، وأن الاتحاد الذي ادعى أنه خير من الدين الباطل ليس بصحيح ، بل شر منه ، فإن أكثر الدول المتقدمة قامت على أديان باطلة كدونه كبرى وقبصر وغيره ، مئات سنين ، بخلاف الاتحاد فإنه لا يعرف أن أممية قامت عليه ما يقرب من سنين منه أي مقدار ما يعيش فيها الإنسان غالبا ، بل قد يقوله بعضها سنوات تتخللها السكوات ، والكرب والاضطراب ، ثم يخربها الغضب الماحق والابتداء ، فالأديان الصحيحة والاصح منها كالأمرض والاصح ، فالدين الصحيح كالصحة والأدب كالصحة كالأمرض ، فلهذا ما يبقى معه حياة وموع من الصحة ، ومنها ما يقتل صحته ولا بد كاحكام ، ومنها ما هو دون ذلك ، والدين الأمراض لا تخرب بالحسم ، بل لا تصعبت صحته واحتل مراحه وفقد العوامل التي تكون به ، قوة على مقاومة الأمراض وإزالتها ، وهذا هو لتقسيم المعقول الذي يقوم عليه المراهق الديني والاسقرار بالام ولا عيار الصحيح

إذا بين هذا فاعلم أن كتاب مقصود به رفض الدين واسعوه إلى الاتحاد وحدث أنه قرر صريحا في هذه الحق أن لا يقدم إلا في حالتين إما في الدين "صحيح" أو في الاتحاد "صحيح" وأما الدين الباطل فقرر أنه عائق عن التقدم ، ومعوم أنه إما وضع كتبه على ما يرغم في الحث على التقدم ، وقد ادعى أن حاله الأولى التي هي العمل بالدين غير معروفة ، وأن الناس غير مستعدين لهما فيما سبق ، بل عاجزون عن تصورهما إلا في النادر ، وكل ذي مسكة من عقل يعرف أن كتابه ليس في الحث على الدين وعبادة الله وطاعته ، حتى عند المرتابين في أمره فأنهم معترفون بأن كتابه ليس حثا على الدين ، رعاية من يعتذر عنه أنه حث على العمل فقط ، فإذا كان موضوع كتابه

ليس حشا على الدين بالدهاقنة وبالاتفاق ، نعين أن يكون حشا على الإلحاد لأنه لا يمكن أن يكون حشا على الدين الباطل ، فإنه قرر أن الدين الباطل عائق عن الرقي فتعبر - بلا شك - أن كسبه دعائه من الإلحاد بضرورة التقسيم ، وهذا أمر لا يسترب فيه من له مسكة من عقل نافذ للعصية والهوى ، فأصد وجه الحقيقة والصواب

وقوله ، ولا شك أن الخلة لثامه هي شر الحلال ، الخ يقال - من لا شك في ظلال ما ذكره ، من شر الحلال هي ثلثه أي حصة الإلحاد المحصر ، فإن هذا هو الموت والدمار والهلاك المحموم والمقصبة للعلمي - أسأل الله العافية ، وقد سبق بيان كونه من الحالات قربا

ثم الدين الباطل مبيد سبب مفصلا غير ما ادعته من أنه الإقرار بمشيئة الله العظمة وكونه فعل وغير لأسباب فيجعلها إن شاء أسانا وإن شاء غير أسباب ، ومن لم يلهه عليها وأوفوف ، ومن مبياتها والتحكم في نتائجها وإن رضى الله وغضبه له دحل في كساب وأمثال ذلك ، فهذا هو الذي شرحتة وادعيت أنه دين باطل وأه فكره دينه وهي أصل المزلقي ، فيكون أهل هذا الدين عندك شرا من أهل الإلحاد ، وكون أهلوحيد الربوبية لدى أقرب به كل من آمن بالله شرا من أهل الإلحاد ، وأهل لوحيد الحق المخلصين فيه شرا من الملحدين بطريق الأولى ، فاهم أعظم في النخوة على توحيد ربوبية ، فاسب آمنوا وعملوا الصالحات على دعواك هم شر البرية

ثم أنت قررت أن لا تفرق لما مود إلى سبب واحد وهو الجهل بقوى الطبيعة وواميسها ، فيكون الدين الصحيح الذي يوجب النجاح هو معرفة قوى الطبيعة وواميسها ، والجهل بسبب هو الدين الباطل ، فيكون كل من لم يعرف هذا هو شر من عرفه سواء أكل ذلك دينا صحيحا أو إلحادا صريحا ، فالعرب الذين قررت أنهم أجهل من غيرهم في هذه الأمور شر من الملاحدة ،

بل المسلمون شر من الملاحدة عندك لانك قررت أنهم عاجزون من كل ناحية من نواحي الأمور الاقتصادية والمادية والتجارية ، وإن سبب ذلك هو عدم معرفة قوى الطبيعة ونواميسها فهم شر من الملاحدة (١)

هذا حقيقة كلامك بل صريحه ، وإنما طولت الخداع والافتقار والجسدل خوفا من أن تقع فيما وقعت فيه آخرا

• • •

ثم قال ، وهنا يجب أن يعلم الغافلون من إحياء في سائر بقاع الأرض أن ساداتنا العربيين ومماضينا من الشريعة لا يؤذيهم أبدا أن يكون متدين بهذا الدين المخرف ، بل أن ذلك لمحبهم وبرصهم ، وأنها على استعداد تام لأن يشيدوا لنا المساجد والمعابد ، وأن يضعوا لنا الكتب الدينية ، وأن يصنعوا لهذا الغرض كل شيء ، وأن يعيشوا على أداء كل فريضة من هذه الفرائض ، إذا أي خير يصيبهم من ذلك ،

والجواب أن يقال : نعم يجب أن يعلم هذا إحياء العالمين من الرادفة والمتأقنين في سائر بقاع الأرض . أما المسلمون فأنك ترى منهم وهم وراء ملك ، وهم يعلمون أن العز كل العز والمجد كل المجد والسعادة كل السعادة في القيام بما أمر الله به والاعتصام بحبله المتين ، وإن ذلك هو الوسيلة الوحيدة إلى عرهم واستعادة محهم ، وأنهم ما فقدوا هذا المجد وهذا المجد إلا لما انوثوا بآراء الملاحدة والرادفة ونسأهوا بالاعتصام بهدس ، وهم يعدون أن آفة الله ولرسوله وللمؤمنين ، فمن كان مؤمنا فلا بد أن يتألم العز والمجد والسعادة ، ومن

(١) بل ذكرت حديث تأييد الحق وهو ينص على الرسول وأصحابه الذين تركوا التأييد على دين باطل ، لأنهم ضلوا أن النجاة غير لازمة لوسيلتها ، وإن ادعت غير لازم لحسية لزوما حتميا

خرج من الايمان أو نظرف فيه فلا بد أن يصبه نصبه من نظرفه وصيه من
 حمرانه في الخروج . وهم يعلمون أن هناك بلاداً تدعى الاسلام وقد عشقت
 هذه المبادئ العربية الاخلاقيه ورأت أن العرف فيها وفي الاحتذاء بأهلها ، وقد
 أسرعت في ذلك فاسالت إلا عكس ما أرادت ، وسلطت عليها عدوها وسامها
 سوء العذاب ، وكلما ازدادت في البعد ازدادت في نبلاء واشتقاء والشر ، وهم
 يعلمون أيضاً حقيقة تعلم أنه لا أنصر على هؤلاء "عربيين ولا أشد إبداء لهم من
 القيم والأخلاق الدينيه والأعصم بها ، يعلمون من هو أهدأ وشدة حلالهم
 وقوتهم على العمل واحمدوا الحكماح والنصير المتواصل ، وهذا فاهم يدسون
 لهم الدسائس اخذت في إفساد أخلاقهم ، ويسعون في طبع المقتلات المخرجة في
 الفسوق والاحاد وحجب الجديد وأمن ذلك ، وقد علم الناس أنهم قد اتخذوا
 جميعات سرية لإفساد الاخلاق واستعمروا الوسائل المنوعة لآلئهم روحهم
 المعنوية الدينية ، وبذلوا الأموال والبذل في نصته في ذلك لآلئهم يعلمون أن أقرب
 وسيلة لتحدير الناس عنهم هو الميمنة في "مخبر وأخلاقي وحسن والعرام ،
 وهذا بخلاف الاخلاق لئسمة في نعمت على حب الرحولة والكرمه والمحمد
 والعرف والاستقلال . ولد يقومون دائماً في وجه كل من حاق ديبه ، ويصهون
 العراقيل أمامه وقد استعاضوا بغيره من تلك الدعايات في التشكيك في الدين
 واهمال العقائد ، ولا سيما العقائد حسنية ، وأنظر في الروايات الصحيحة
 الواردة في فصل بحرون المقصده ، كما طعنوا في حديثه ، لا بأنهم لا
 والذي بعده ثم منه ، وهذا أمر قد عرفه كل الدهاء منهم وحسوا له احكام ،
 وقد كان هذا الماحد من قبل خروج هذا مكتب مقرا بذلك ، وهو رأى على
 قصص حصومه عن يعادوه في سيرته الأولى في تفصيل السبب أن الاحادة
 يستعملونها في ذلك ، فدعوا الآن أن هذه الاخلاق الدينيه لا تؤدي سادته
 العربيين انقلاب الى صدم ما كان يدعيه سابقاً . ثم لو فرض هذا قبل يسوع في
 العقل والدين أن يترك ما أمر به الله به عناداً وحسد لهم كمن يعصب على

صاحب سفينة في البحر فيعرقها وهو وماله فيها فيهلك نفسه جسدا لصاحب
السفينة ، فالعناد والهوى والأغراض لا تدخل لها في الدين ، ولعل مقصودك
من هذا ابعاد التهمة انت في دعايتك هذه غير مستخدم لهم فيها

(نكلتك أمك ما ظننت غرور)

وادعائه بأن الناس على دين محرف صريح في أنه يرى الناس على دين باطل ،
فيكونون شرا من الملاحدة لما تقدم في دعواه أن حال أهل الدين الباطل شر
من حال أهل الإلحاد . وقصده في هذا إغبات رفضه ، فانه قرر أنهم على دين
محرف وأنه يجب رفضه واعتناق الإلحاد الصريح ، لأن الدين الصحيح قد ثبت
أن بشر عاجزون عن فهمه وأحداه عن وجهه ، فيكون بأحداه على غير وجهه
دعا محرفا وهو مصدر مصد الإلحاق . فيكون شرا من الإلحاد ، وهذا هو هدفه
الذي يرمى إليه ، ولم يستش أحد من المسلمين بأنه على دين صحيح يدعو إليه ،
بل عمه الدعوى كما في . وهذا كما أنه لغير ظاهر وكفر صريح فهو يناقض
دعواه السابقة في صفحة ١٥ ونصريحه بأنه ليس في إيماننا بأنه وقصدا للدينية
بحر كما تقدمت عبارته

كرشه في مهمة الإلحاد ساقطة لا تستقر على حال من القلق

ثم قال : ولكنهم من جانب آخر مستعدون أنهم استعدادوا إذا لم يمنع
من ذلك مانع أن يهدموا كل مصنع تشيده وكل حاسة صححة قوية حرة
بحياتها ، وأهم بحشون وعزيمون في وقت واحد أمثال مصطلحي كال موجود
تركبا الحبيثة ويقرون عنها . مع الاحتفاظ "لشبهه والفرح بالبحر — بأمثال
ذلك الرجل الجامد ، ذلك الرجل الذي قتل شعبة الجاهل والفقر والمرضى ،
والذي أمر رعاياه في العام الماضي بقراءة القرآن والحج إلى لرفع الوباء الذي
اجتاح بلاده أن ليس فيها وسيلة واحدة من وسائل مقاومة المرض الصحيحة ،
هذا الرجل الذي عرضت عليه المساعدات الطبية دولة محاورة . لا فائدة من ذلك

البائسة الشقية من طاعون وقد إليها مد سنين فقط تشدة مرعجة . فرد هذه المساعدات قائلا أن تطاعون رحمه يحصى الله ما به من عباده فكيف يعمل على رفع الرحمه ؟ هذا الرجل الذي يمضى في راه السجون في بلاده ، يسما تمضى كل الأمم في راه المدارس والمصانع والمصحات !

يقال : كل هذا احتجاج بأراء المستعمرين بأنهم يرون هذه الأمور . ولو ثبت ما ذكره عنهم لم يكن من أخيه أصحبه في شيء . فانه إذا كان يحتج بأرائهم فهم يرون أيضا الكفر بالله وملكته وكسه و"وه الآخر ويكررون رسالة النبي ﷺ وملاحذتهم يكررون الرسالة مطلقا ، فيحتج بذلك أيضا . وإلا فكل عاقل يعلم أن الحقائق إنما تعرف بدلائل وبراهينها ، لا تعرف آراء قوم كافرين بحملهم أعظم اختلاف على وجه الارض في آرائهم وبصرياتهم . وهل يدعى مثل هذه المساوى السفه من له مسكة من عقل أو دين . ومن المحب أنه مدح مصطفى كمال وادعى أنه موحد تركيا بمجرد إخذه وقسه سطم تركيا وجعلها حكومه لا دينيه بعد أن كان دينها الإسلام ، فمدحه على هذه الردة الخيثة وادعى أنه موحدها . وهو يعلم بها كانت قبله من مئات السنين أكبر وأعظم وأرق . وقد عرفت تركيا نفسها هذا الخطأ الذي فعله هذا الرجل وتحققت ضرره في شبابه الذي نشأ في هذه المدة القصيرة فبادت بهذا الخطأ ورجعت تلتهم الدين وتعلم في مدارسها ، وهذا رهان مهم طاهر على خطأ الذي مدحه هذا الملحد عليه ، ثم إياهم بكيف بدت حتى ذم الرجل الآخر الذي لم يسمه باسمه ، وعاد دمه . دمه لأنه أمر بقراءة نقرآن وصحج البخاري واحتج بالحديث النبوي ، وهذه عنده دواب لا تغفر ، فكانت ردة مصطفى كمال وكفره بالله ورسوله وليوم الآخر أحس وأنشرف وأحن وأعظم من الأمر بقراءة نقرآن وصحج البخاري والاحتجاج بالحديث ، وهذا هو اللائق بمن لعنه الله وجعله كالذي يحب الخبث ويسقط عليها ، ويكره الطيبات

وتفر منها ، وهذه هي قاعدة هذا السجد ، وهو دائما يقول الذين كفروا
 ﴿ هؤلاء اهتدي من الذين آمنوا سبيلا ﴾ فما أحلق به أن يكون من الذين
 لعنهم الله ومن يلعن الله فلن يجد له نصيرا

وهذا الرجل الذي لم يصرح باسمه لعله يريد به ميت بين السابق بحي ،
 لكن لم بين من الذي عرض عليه هذه المساعدات حتى يعرف كيفية ردها
 ولعلها حكومة عدن ، ومعلوم أن قول الانسان بمساعدات مطلقا من دون
 ملاحظة أمر آخر عبط كبير لا يرصاه أكثر دونه على نفسها وهي لا تقبل إلا
 اذا كانت النتيجة أولى من الخسارة ، وأيضا فانه لا يعرف وفروع هذا الطاعون
 الذي جاءها في هذه السنة أي نشر لها على الصمة التي ذكرها ، بل يوجد
 هناك أمر اس متبوعه قد نكث بعض الاحمال في الأودية العميقة في المناطق
 جارة ثم استفادوا الاحتجاج بالحديث هو انتقاد للحديث نفسه ، والحديث
 ليس فيه شيء عن الدواوي وانما فيه إخبار بأن مثل هذه المصائب التي مها
 الطاعون قد يقع رحمه ، فان جمع المصائب أي يصاب بها المؤمن اذا صبر
 واحتسب فيكون له اجرا ، ومع ذلك فهو مأثور بالدواوي ، كما ان الذي صلى الله عليه وسلم
 قال في الجهاد لا تتموا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم
 فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ، وكأ أن العمى والخرس
 وموت الأولاد كل ذلك من المصائب التي يؤخر عليها الانسان ، وليس مأمورا
 بالوقوع فيها والحماية على نفسه بها ، بل هو مأمور بتجنبها ومداداتها ما استطاع ،
 ولعل هذا الرجل إنما احتج بالحديث ليس أن أحد المساعدة بكل حال ليس
 بواجب ، لأن هذا رحمه فلا يكون ترك مثل هذا معصية اذا كان قد يجر الى
 ضرر أكبر ، ومعلوم أن مثل حكومة عدن لا تسدي اليه نفعا رحيصا باردا
 بدون معاوضة أعظم وأكثر ، وقد عرف ما بينه وبينها من سوء التفاهم ،
 ولكن يجب أن يعرف أن هناك ما هو أعظم من هذا الطاعون وما هو شر

منه ، وهو طاعون لنفوس ووباء للميت القاتل ، ولم نجد أحدا مد يد
المساعدة له في اعتقاد شعبه منه ، وقد كذب الواجب عليه السعي في تحصيل
دوائه وقبول ما يأتيه من المساعدة على إزالته ، وهذا الطاعون والوباء القاتل
ليس ، يمكن لشعب أن يحجب وأن يحجب بالعدوية وهو فيه هو اعتقاد المعتزلة
وكثير من أصول الجهمية في الدين ، وذلك أن كثيرا من أهل تلك البلاد على
هذه العقائد السخيفة ، وقد سمعنا من أساس منهم مدعى أن القرآن مخلوق ،
وأن الله لا يتكلم ، كما سمعنا منهم من ينكر أن يكون الله تعالى على العرش ،
وسكروا كثيرا من النصب ، وفيهم أيضا بعض عقائد أخرى ، فهدى هي العلل
انفاسه ولهذا كانوا على هذه الحالة ، فإن أصل مذهب الجهمية والمعتزلة في إنكار
الملو والجلال وصفت مأخوذ من الاتحاد المحض ، فإن الذين أصلوا هذه
الدعايات التي هي صراطاها المخصوص من حمايات سرية حيثة من العرش
واليهود وغيرهم فصوروا بذلك أصول الإسلام وإفصاده حسداً ففعلوا ،
واستعملوا في هذه الدعاية من أسلحة الله من دوى السلطة وغيرهم أسلحتها ،
وقد فسرنا أن مذهب السلف "الصالح" فيصوص الصفات هي إحراقها على
ظواهرها على المعنى اللائق بالله تعالى ، وذلك كالاستواء ، فإن استواء الله سبحانه
هو العرش ليس كاستواء المخلوقين من استوائه كسائر صفاته استواء يليق به
ويختص به ، فهو سبحانه حقيق للعرش كما حقيق غيره من سائر المخلوقات ، وهو
على عها كلها ، فهو مستو عليه ، وهو على عنه ، والعرش وما تحته فقير إليه ،
ولا يلزم من استوائه عليه إفقاره إليه ، كما لا يلزم من حقيقه له إفقاره إلى
حقيقه ، وليس فوق العرش شيء مخلوق وحوذي حتى يكون الله محاسبا إليه ، بل
أبدي فوقه عدم حاضرين والعدم ليس شيء ، فإذ كان الله فوقه فليس هو في شيء
مخلوق موجود ، بل المخلوقات كلها نائمة منه وهو دائم عها ، ومن أول وحرف
الاستواء بأن معنى ذلك ، استولى ، فقد وقع فيما فر منه ، إذ أنه شبهه باستيلاء
المخلوقين كبشر بن مروان الذي استولى على العراق ، وإذا قال أن استيلاء بشر

لا يماثل استيلاء الله علينا فهلا اعتقدت في الاستواء مثل ذلك فقلت . واستواء
الله ليس كاستواء المخلوق ، من هو استواء يدق به ويخص به ، وذلك آثم
من تحريف كلام الله ، والأفكيف نفهم من الاستواء ما لا نفهم من الاستيلاء
وكلاهما تنصف به المخلوق على ما يدق به من النقص وتنصف به الخالق على ما
يليق به من الكمال ، فكما أن دانه كاهلة من كل وجه تصدته كذلك ، ومعلوم
بالبداهة أن كل صفة تخص بموصوفه ويدق به من كونه ونقصه ، ولا بد
من وجود النقص فيه طبعاً ، فإنه مكون من عناصر كلها ناقصة وممتدة .
إلى بعض . ، أما الناري فعلى أنه الكمال المطلق من كل وجهه وصدقه من
الاستواء والكلام والرصاص والعصب والرحمة والحكمة والعلم ، غير ذلك كله كاهلة .
وليس غرضنا الإضافة في وسط هذه المسألة فقد أوفى بحث فيها في كتابنا
(كشف الظنون) وفي كتاب (الرد على الخصم) فادكره من الانتقاد على هذا
الرجل ومدحه لمصطفى كان وراء مردود كعادته

• • •

ثم قال . وإن هؤلاء الدعاة للدين أقرب إلى قلوبهم وإلى رصاها من
أولئك الذين يؤسمون بالإلحاد والرج ، ممن يعملون على إبطاء الشعور
القيومي ، وعلى بث الكرامة الوضعية السجينة في النفوس تحت هذه الأقاص
المخطئة .

ويقال . بل الأمر المعروف هو عكس هذا ، فإنه من المعلوم أنهم يشنون
الدعائيات في تشكيك الناس في أديانهم ، ويبدون بكل الوسائل أولئك
الموصوفين بالإلحاد والرج ، لأنهم يعلمون أن هؤلاء هم الذين يمتنون فيهم
الروح الحية ويصدونهم عن العلم والعمل ، وقد عمدوا بالحجج أن أكثر من
يصمد في مكائدهم وراعيهم هم الدعاة الدينيون أي المنسكون بالكتب
والسنة . وهذا الرجل نفسه قد اعترف بهذا في كل كتبه السابقة ، ولكنه لما

يكس على عظه وصار من الهاميين أحد لا يألو المسدين حبالا في إفساد
الأخلاق الدينية وإلقاء لعداوة بين أهلها . وعرضه من هذه الأكاذيب إفساد
التهمة الموجهة إليه بكونه داعية لهم . وهيهات ذلك

ثم قال . وقد حدثني أحد الرجال المشهورين أنه حاول مرات أن يسافر
إلى بلاده التي يقصر عليها الاستمرار بقوة وإحكام . فلم استطع أن أشال
التصريح الذي يباح له للسفر فحاجباً بوجهه . فسمعه هي أنه يرى رجل الدين
الدين يقومون بوظيفة الوعظ والارشاد . واتبعاً على رأسه سمعته يرى
بالهرم . وعلى كتفه حبة تسع لآلواء كل الشياطين . وتحت يده من كتب
التفسير والحديث والفقه والعلوم . فسمعه أحد حمر الخي . فان وجدت
هذه الخيلة أعظم تحتاج . فأعطيت حوار السفر ولتحول مع الاحترام والوفاء
والسرور .

فقال قد مر أن هذا الرجل طعن في روايات في صحيح البخاري . من في
الصحيحين وغيرهم . وهو هنا يمتنع برواية هذا المجهول الذي أقر على نفسه
بالتفني . ثم يريد ما أن صدقه وصدق هذا المجهول وتجعل ذلك رهداً على
حسن الالحاد . مع كون الرواية نفسها روية منكورة مائة مائة على ما
ومحاربة واستمراء بأمر الدين . ثم هي لو صحت لسكان حجة عنه لأن عامة
ما فيها أن هذا المجهول الحار سمح له انكوبهم يرون أن ليس في من هذا صرر .
وفات هذا لرائع أنهم يكونون هذا محدوين لأن حيلته انطقت عابهم لخدعهم
سها . فكان معه مكر وحسن ودهم . وقد تقدم أن هذا المعروف ادعى أن المنكر
والحبث والدهم من الأمور العبدية العظيمة . فإذا كانوا محدوعين بهذه الخيلة
السيطة فقد يكونون صالحين في هذا الرئي الذي رأوه . وهو شافص رعه أن
المتدينين هم الذين يمدعون دأتما وأن للاحده يمدعونهم . صار الأمر هنا
بالعكس . ثم هي طعن فيه . فان هذه القصة ثابديل على أنه كان يحلو بأمثال

هذا المواقف المستهزئ ويتحدث معه بهذه السجريات في أكل أعزاص أهل
الدين ، ثم ماذا يصر المفسر لو كانت هذه المسألة وقعت معها كانت حالتها ،
وسكن هذا شأن المصطلح يحتاج إلى الموفودة والامرية والنطيجة وما أشبهها

• •

• •

ثم قال ، وقرب من هذا ما حدث قبل هذه الحرب في البرلمان الفرنسي ،
إذ قام أحد الأعضاء — على أثر حملات مبشرة مسيحية قام بها رجال الدين
الفرنسيون في المغرب العربي — قائلاً : إن فرنسا دولة علمية ، إلحادية ، ولها
ويعتبر ١٩ فصل تستذكر ما تقوم به رجال الدين هناك ، فقاسم الرئيس فرد
عليه رداً ما أعجبه (١) إذ قال : إن هذه — يعني العلمانية الإلحادية — بضاعة
محلية لا تصدر إلى الخارج ، وقصده من هذا أن الدعوة إلى الأديان (٢) يجب
أن تبقى مقتصرة في المستعمرات ، وإن حرمت في فرنسا نفسها ، ويجب
أن لا يعني أي أحد — أي الفرنسي — أن يصدروا الخبر إلى الخارج ،
بحيث لا يخرجوا بلادهم منه .

فيقال وهذا من عظم ما فيه في الاستدلال "ساقط" ، فإن حاصره استدلال
برأي رجل من فرنسا ، وهو أن صح وهو حجة عليه ، لأن هذا الرئيس رد على
هذا العصور رداً مستكبراً يستطع الخواص عليه ، وبين فساد رأيه في عدم الدعوة
إلى الأديان فقال إن هذه — يعني نظرية الإلحاد التي ذكرها العضو — بضاعة
محلية لا تصدر إلى الخارج ، ومقصوده من هذا أن الإلحاد في نفس فرنسا أو
في عاصمتها ود استحكم وث انتشاره لا يفيد ، لأنه قد غلب على أكثرهم

(١) من أحرك أن هذا الرد ما أعجبه ، وهو قد أسكنه به ، فهو رد جيد ولو لم

يعجبه

(٢) هذا تليس ، لأن الماشرين لم يدعوا إلى الأديان ، بل إلى المسيحية فقط

الالحاد وعالمهم يعرف الديانة المسيحية ولا معنى للتشهير هنا ، وأما المستعمرات
فكنت كذلك ، فانه لم يفتش فيها الاحجار كغيرها ، وقبور الاديان هناك تمكن
فان لعطر نقس الدين ولا تقبل الالحاد ، فلا مانع إذن من بث التشهير هناك
لأن الحكومة اذا دأب مسيحية أى دينها الرسمي ، وهذا من فساد دعواه بأنها
من تصدر الخير والى الخارج وتحرم بلادها منه ، فانهم لو كانوا يرون أن الاديان
صرد محض لم يحضوا الدين المسيحي بالتشهير بل لعصوهم الاسلام ، لأنهم
ودروه أصرا إذا كانوا يريدون تصدير لشراف مستعمراتهم ثم لو فرض أنها
ترى ما دعاه بهن يكون رأبوا هذا حجة ، فهذا المسكين مارة يحج بحكاية محمول
صافق وتارة رأى رجل من فرنسا قد رده رأى رجل منهم أكبر منه ، وكل
هذا الهدايا مكررا بما قبله ، وقد تقدم الخواص عنه ، فان امرص المقصود منه
إثارة شتاء بين اربعة ساء وامتدبين ، ومحاولة محاربة من يصب الى الدين
وطرده واحتماره وأنه ليس على شيء من الحق والمعروف



ثم قال : هذه قضايا قد آن الأوان لأن تكون معلومة . ولكن ماذا أريد
أن أقول ؟ أقول ان التشهير المحرف الوام بكه على اخاعات وعلى الأفراد .

فيقال . هذا الذى تريد أن تقوله من كون هذا الدين الذى عليه المسلمون
محرف وام ، قد بنا لك أنه قول غير صحيح من باطل بلا ريب ، فالدين الذى
عليه كثر من المسلمين اليوم خصوصا أهل السنة وأصحاب الحديث ، وهو
ما فرره الامام أس نيمية وابن القيم وأمثهما من أكار المسلمين ، وهو ما ذكره
أئمة السلف الصالح في كتبهم المشهورة ، فهذا الدين ليس بدين محرف ولا وام ،
بل هو دين صحيح لا عيار عليه والله الحمد ، فإذا كان الله قد أعماك عن فهمه
ومعرفته ونصوره على وجهه فليس لك أن تحكم على المسلمين بالضلال ، وعلى
دينهم بأنه محرف وام ، فتكر ما لم تحط به علما ، مع أنك متناقض فأنك في

كنتك السابقة ادعته ودعوت اليه وقررت أنه دين صحيح لا ريب فيه .
 وذكرت البراهين المتعددة على ذلك . ثم لما انقلب أحيرا ذهت تدعى أن
 البشر عاجزون عن فهم الدين الصحيح ، وتدعى فيما سبق وفي هذا أن ديننا
 محرف واهم . وتدعى مرة أخرى أن إيماننا بالله وأحلاقنا الدينية ليس فيهما
 بخر ، وهذا غير التلاعب . وأيضا دأكت في شك من هذا الدين الذي نحن
 عليه فعليك أن تذكر هذا الدين المحرف وتبين وجه تحريفه وفساده ، فتذكر
 عقيدة أو عقائد من التي نعتمدها كالتواضع أو غيرها من كتب ابن تيمية أو
 ابن القيم أو محمد بن عبد الوهاب وبحكم ثم نجيب عليها وتبين عدم فهمك لها
 ووجه فسادها . أما المحكوم على دين الاسلام الذي عليه المسلمون بأنه دين
 محرف هكذا كيلا يحاربه ، فقول لا ينفعه عليه . لا من اسلح من الدين والمقل
 جميعا . ونحن والله الخد على بصيرة من دين . ونعم أنه صحيح غير محرف ولا
 واهم ، وليس منك على أحد لا على جماعت ولا على أفراد . بل دين الاسلام
 الحنيف هو دين الفطرة . ونحن مستعدون لمهاذتك على ذلك ، فلو قام
 المسلمون كلهم جميعا بهذا الدين وعمدوا به وأحصوا في العمل به خلصوا أنفسهم
 وشعوبهم كلها من عدوهم ، ولقدموا به كما يقدم من عمل به من أسلافهم
 وكابوا على عابه من العر والبيادة وصحافة الشأن

° ° °

ثم قال . ولكن هل يصح أن يفهم أحد من هذا أن أريد الاستغناء عن
 الدين . كلا . فالدين حاجة من حاجات الانسان التي لا يمكن أن يستغنى
 عنها ^(١) . ولكن ثقت أن الشرية عاجزة — إلا فيما ندر — عن فهمه على

(١) هكذا صيغه ليدودر ويقهر . مسكين والله مسكين من هذا الرعب
 والقس والخوف الشديد

وجهه الصحيح . هذه هي المشكلة التي لم يستطع حلها بعد .

فيقال . نعم ، قد فهم كل من له عقل أنك تريد روض الدين بلا شك ، من
تدبر كتابك هذا وأحاط علما بعراه ومرماه لم يتوقف في هذا أبدا ، اللهم إلا
أن يكون ممن طمع الله على نفسه وجعل عن بصره غشوة ، أما ما ذكرته من عجز
الشربة عن فهم أسس فقد سبى الكلام عنه ، وكان من الواجب أن تبين لنا
بأي وجه ثبت عجزها ، وما وجه ثبوت ، مع كونك قد ادعيت في كتابك
السابق أن ما يدعونه من دين صحيح كما سبق وكنت ما ذكرته من كون هذه
المسألة ، المكبرى هي المشكلة لو لم يكن ، وقد تقدم الجواب عنها أيضا ، وهي
برهن على أنك تفهم الدين على وجهه ، وأنت كملت فيما لا يخط به عينا ،
وأنت لم تصل في غاية فهمه ، وأنت حكمت على المسلمين من دينهم وأمر
بمجرد رأيك ، وصرت تجمع براهمهم عرض الخط ، لأنك لم تذكرها ثم
تجيب عنها ومن ما يخطها ، من حكمت عليها ما يخطها بدعوى مجردة ، فصار
الكتاب الذي مدحه ذلك المدح عمر موسى بن حنيفة ، ويقترب بل إلى شك
وزيب ، وقد ثبتا أنها أدكأت هذه المسألة المكبرى مشكلة عليك من الواجب
أن يستثنى فيها وتبينها ، أما عن فهمي لم تترك عينا ، بل هي عدا أوصح
من الشمس في نصف النهار ليس دويها عجم ولا قتر ولا شيء من الأشياء التي
تحول بينها وبينها أبدا ، وأما أنت فثبت لك كنت على عكس ما كان عليه كانت
طريقك إليه عكس الطريق ، فانه حتى عليك هذا الواضح الخفي ، لأن في طيات
بعضها فوق بعض ، مع غنى الصيرة والصمم والكم والاعلال والختم والطبع
والأعمال وأيضا إذا كان قد ثبت هذا عندك من أين فهمت هذه الدين الصحيح
الذي تدحه لو أحد على وجهه ، وما هو ، وما حقيقة ، وكيف كان مشكلا
عليك ولم يحل . وأنت ذكرت أنه لو وجد لكان ناعما وكان أولى من الدين
الفاقد والاتحاد المحض ، وأيضا نقول . إما أن تكون قد فهمته أو لم تفهمه ،

فان كنت فهمته فكيف تدعى أنه مشكلة لم تحل ، بل عليك أن تبينه وتشرحه
 شرحا واضحاً مفصلاً ، ولا سيما إذا كنت تعلم أن الناس في أشد حاجة إليه ،
 وكيف اختصاصت بفهمه دون العالمين والناظر لا حكم له ، وان كنت لم تفهمه
 فكيف تدعى إنكار شيء لم تفهمه وعدم العلم بالشئ ليس علما بالعدم ، وكيف
 تحكم على غيرك أنه لم يفهمه مع اعترافك بأنه مشكل عليك ، وأنت لم تنقل
 عن أحد أنه أشكل عليه مثلك ، فهل هذا إلا عين التلاعب والخداع الطاهر ،
 وجل الله وتقدس أن يكلف الله الناس بما لا يطيقون فهمه أو لا يفهمه إلا
 النادر منهم ، مع دعوة الخلق جميعاً إلى تدبره وفهمه . كما قال تعالى : وقد
 يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟ فكيف يبصره للذكر ويكون الناس عاجزين
 عن فهمه ، وقال تعالى : ولقد صرت للناس في هذا القرآن من كل مثل ذوق
أكثر الناس إلا كفورا) فينبى أن الضرر إنما جاء من الناس بقصورهم لا من
 حيث غموض في دلالة القرآن ، وقال تعالى : ولقد صرفناه بينهم ليذكروا)
 وقال تعالى : كل الناس أمم واحدة بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأزل
 معهم البكيات بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف الدين
 أونوه إلا من بعد ما جاءتهم نسايت نبيا منهم ، هدى الله الدين آمنوا لما اختلفوا
 فيه من قبله والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . فينبى أن سبب الاختلاف
 هو البعبى لا من أجل غموض أو قصور في الدلالة على الحق ، بل بما قام بأكثر
 الناس من اختيار الباطل على الحق بالبعى ، وهذا المعروف جعل لنقص من
 حيث الدين فانه جعلهم عاجزين عن فهمه ، ومعلوم أنهم لا يكونون عاجزين
 إلا من أحد غموض دلالة وقصورها ، وأهم لو بدلوا طافتهم عجروا
 . ومعلوم أن هذا طعن صريح فيه وفي من أرسله — بل هم الذين أعرضوا
 عنه وعبروا عنه واختاروا العمى على الهدى ، والافهم أوضح شئ وأطهره ،
 وليس هذا حاملا بالدين بل كل من أعرض عن شئ فلم يتأمله ويتدبره لم
 يفهمه ولم يتصوره على وجهه ، وإلا من ابتغاه لصدق وإخلاص هداة الله إليه

كونه يريد أن يطعم الطمعة في صمم الدين ثم ينوارى همة فيذكر ما تنطق به
النصوص ويتحصن في الدين . فهو هنا لما قال ما قال وسجن ما سجن على
الأديان السماوية وأهلها وآس من نفسه أنه قد يكون قد انكشف أمره تواري
ثم رجع . ذكر ما فهمه افترى من محوص أعلاه ولجأ الى حصن الدين لانه
خاتمة الكتاب فأراد أن يسي غدرى جميع ما تقدم ، وهيات

أسأب ومن يسي يوم نداء رويدك فالجواء بها ورام

وقال : وإلا فكما استطاع الدين أن يهب لأدب الأسم الحبار والوقود
لتسير في سبيل أطول ، أربع هذه الأسم التي بعثها ، وكل أسم لها
طريق يوم أن كان يمشي في غلام . وكل حب الهم الأسم وأدب في نحوها
حول أعلام الكرم ، وول كل من هو ما هو إلا جدي . نبح هذا
التحوم .

وقال : هذا مع كونه مدافعه وخدا عا لا يخفى على عاقل ، فأنك لم تدين من
أحد بها بل من علمه الأسم ، ومن هو الذي سار عليه عي كثرهم ، بل
أدعيت فيما سبى أن هذه المرمى كأول خطه ، ولم تستش أحدا منهم ، وأين هذا
الدين ، فإن كان موجود فهو لا يعرف ، وأنت لم تدين غير ما ذكرت أنه ما
تضمنه كتابك . مع دعوات أعران . أبته وحده ، وأنه مثلك لم حل ، فما
الفتنة إذن من هذا الدين أنه مص بحول . وإياك أن كل هذه القرون
الطوبى لم يعرف فيها الدين والاس يحومون حوله ولم يقعوا فيه ، فتي يقومون
ومنى يعرفون هذا الدين ويعلمون به

ثم قال : ومن المحقق أنه لا هذه الهمة السامية التي هي الدين لتقرر مصير
الإنسان على نحو آخر من هذه النهايات ،

فيقال : ما هو تقرر مصير الانسانية ابدى تعميم أهو الدمار والمهلك ،
فهذا تناقص صريح منك ، أم هو السعادة ولتقدم المستمر ، فما بالك إذن لم تبين

هذه الهبة ونشرها وتفصلها وتدعو إليها ، وكيف ساع لك أن تعادها . ثم من هو الذى قد طفر بالأحد هذه الهبة وتقرر مصيره على ما تعبه وتريده ؟ كل هذا حداث مكشوف

° ° °

ثم قال : وما كان مستظافاً أن يستعنى بشر عن التدس إلا إذا كان مس المستطاع أن يسعون عن الأمل في حياتهم ، أو يصنعوا لهم أملاً آخر ، إذا لا حياة بدور أمل .

فيقال : هذا مكرر قد تقدم لحواب عن مثله مراراً ، وهو حداث متناقص . ثم قال : وادف فم معنى غير الإنسان عن أن يفهم الدين والدين فيها صحيحاً أن الواجب عليه ، أو المستحسن له ، أن يتركه وينأى عنه . كلا ، وإنما الواجب أن تنفى القوى والآفات عن محاولة فهمه وفهامه ، وهذا عين ما فعلناه في كتابنا هذا . وقد كانت أعظم رسالات الأنبياء موحية إلى تصحيح التدس وتصحيح الآداب ، وهذا التصحيح هو إحدى رسالات الإنسان الكبرى . هذا آخر كتابه

فنقول . ما فعلت في كتاب هذا معلوم مشهور مقطوع بمعرفة ، ونحن نأهيك عن أنه كسر وصلال ، فقد عرفناه وعرفه كل مسلم تدبره (وهل يخفى انهار) لا ريب أن كتابك دعاء واضحة إلى رفض الآداب ومحاربتها والفسح فيها وأهلها ، وهذا لا ينمق أبداً أن يكون محاولة فهم الدين ، ومحاولة فهم الدين شيء وكتبك هذا شيء آخر ، فأى مسألة واحدة من مسائل الدين كبيرة كانت أو صغيرة ذكرناها ورغبت فيها ودعوت إليها حتى يسوع لك أن تدعى هذه الدعوى ، انهم إلا أن يكون مرادك بالدين هو التوجه إلى الطبيعة وبواميسها والاعتماد لكل عليها ومحاربة دعاء الله وعبادته وذكره والتوجه إليه ، فهذا صحيح على مقتضى موضوع كتابك . فهو عين ما فعلته في هذا الكتاب مع أنك أيضاً معترف بأن نهاية أمرك فيه إشكال لم يوجد له حل ، فهذه المحاولة

التي ادعيتها لم توصلك الى شيء بكل حال ، ثم اذا كانت أعظم رسالات الانبياء
 موجهة الى تصحيح الدين وتصحيح الأديان ولم تكن موجهة الى رفض الأديان
 ومعاداتها وأهلها فما الذي حملك على معاكستهم ومعاداتهم بالشدة الحادة
 والمصادة الظاهرة ، فأين تصحيح الدين وأين تصحيح الأديان ، فأين تصحيح
 الدين بيان الدين الصحيح براهينه وبيان أهله ومن قام به بدلائل واضحة
 مفصلة ، ثم بيان فساد ما يعارضه ويخالفه بأدلة وبراهين صحيحة جلية ، هذا هو
 المعقول في بيان تصحيح الدين ، أما الهجوم على الأديان وعلى مظاهرها وسبها
 وشتمها والتهمك أهلها والاستهزاء بهم محاربة وصحة فليس هذا من الدين في
 شيء ، بل هو محاربة لها ولأهلها ، ومن ادعى أن طريقة هذا الكتاب هو
 تصحيح الأديان أو الدين فليعالج عقده وليك على نفسه وليعلم أنه لم يعرف
 الدين ، والله سبحانه قد أوضح غاية الايضاح ما دعا اليه الانبياء في كتابه
 العزيز من التوحيد والایمان والعمل الصالح والتقوى والعدل والابانة اليه
 والتوكل عليه كما قال تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أممة رسولا أن اعبدوا الله
 واجتنبوا الطاغوت ﴾ وقال تعالى ﴿ وما أرسلنا من رسول الا ليطاع ﴾
 الله ﴿ الى قوله ﴾ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فسيما شمر بينهم ثم لا
 يحدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسئلوا تسليما ﴿ ومن خلة فكل أصول الدين
 ومظاهر عبادته حارستها وعادتها أشد المعاهدة ، فأين تصحيح الدين ، هذا مع
 إقرارك من هذا الذي تدعيه شيء انعدت بمعرفة ولم تذكر أن أحدا من علماء
 المسلمين وافقك عليه ، ومعلوم أن الله سبحانه حمل للدين سيلا وأهلا وأتباعا
 وأنصارا ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
 المؤمنين نوله ما تولى ونصه جهنم وساءت مصيرا ﴾
 هذا آخر ما أردنا حمله ، ونسأل الله أن لا يبيع قلوبنا بعد إدهانا ، إنه
 سميع عليم . ربنا آمنا بما أمرت واتبعت الرسول فاكنتنا مع الشاهدين ، وصلى
 الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

لقد ضل من أغراك بالسب والهجاء...

ألا أيها العمر الذي غره الكبر
تثبت يا معرور ما ليس حاصلًا
أما في معرور ترايد عجزه
فأصبح مدحور لدى كل عاقل
تفكر طويلاً يا جهولاً زادوت
خسرت بهذا السبع أحمر صفقة
نبتت عيس الدر واحترت صده
تخيرت عن سبيل الرشاد عوابة
فأصبحت مصوباً عليك شتائم
ظننت خداع الله في الدين هينا
جئت بأقوال سعاد مخادعها
أبي الله إلا أن يعاقب من يعي
فما قلت مما كتب بعبه صلة

ترديت من عال وباسبك القعر
ضاب لك العقى وصادمت الدهر
فيس له إلا الإهانة والدحر
له الطرد والابتعاد والدم والهجور
عليه لخاري هي في مثله أسر
فما أسح المسعى ولا أريح الوعر
ومن يكره البقوت يعبه العمر
وصدك عن طرق الهدى الكبر والآثر
كما كان مشوباً على قبك آخر
ولس يرح الله لدى كه الصدر
فقد بان ما تحميه واهك السر
وأصمر سوداً قصده الكيد والشر
سوى عكس ما نرحو وحل بك العصر

° ° °

لقد جاء في (العمل) الذي قد علمته
نحو رب دين الله يا شر ملحد
وتعرض عما فيه من ساطع الصبا
فكم من شعوب منها الوين والعبا
وكم من شعوب دافقت البذل والشقا
فسل من درى التاريخ من كل عارف
وسل من له علم صحيح وفكرة
والا فعز الدين - وبحك - بين

لمك قول ليس يحق به الكبر
وتنصق آراء به ما لمها قدر
ومن مثل عليا بدل بها المعر
جاء لها من نوره المجد والبصر
نه اعتصمت يوماً بقطار هذا ذكر
إذا كنت لا تدري كأمثل من غروا
لكي تعرف العرماً فأك مغتر
كما بان وجه الشمس ونصح الظهر

دعوت إلى الإلحاد جهداً معلناً بأن فساد الناس ليس له أثر سوى أنها الأسباب تجري بطبيعتها وليس لرب العرش في سيرها أمر وهذا هو الإلحاد لا شك واضح وتزعم أن العرب ما سار وارتقى وأن نظام الدين أحسن أهلته تجاهلت عن كل الشعوب التي هوت فكل دوى الجهل الشيع وشبههم هو عندك الراقون في العلم والحج فالك عسيت أنا حصر عدب وإقرار التدبير لله كله

بأن فساد الناس ليس له أثر وليس لرب العرش في سيرها أمر فكيف يروح المين أو يتفجع العدر ولا ساد إلا حينها حله الكفر وليس لأهل الدين عقل ولا فكر وسيرتها الإلحاد والكفر والنكر من الأمم السدحى وليس لها حصر لأن ما لهم في الدين فهم ولا حصر بأسباب هذا الدين لا سيما المذكر بقدرته من شأنه الحكم والقهر

• • •

أطلت لحاك الله في القدر في الدعا نفيت صريحاً أن يصكون وسيلة وكررت هذا الكفر في كل موضع فهل قال هذا القول قديت مشرك وفسرت عند الله في الحكم والقضا تفويصه الأسباب تحكم دا الورد فكل أسير للطبيعة موثق معطالت هذا الكون عن أمر ربه ولا فرق بين المحسنين وصددهم وهذا هو الكفر الصريح مؤكداً

وتفنيه من يدعو إذا منه الصر وليس له نفع سوى أنه الشر لعلك أن الدين أشرفه الذكر سوى المبدع الأشتى ومن فاده الحمر قرمطة شغاه من إنا حبر طلع قديم عندها العسر والبسر وليس يعين الله من صده عسر وصبرته طبعاً له الوصل والبر ولا نفع الحسى ولا يوق الورد ومن شك في هذا فليس له حجر

• • •

وتسلك في أمر السائر مسلك إباحية صلحاء ليس لها ستر

فتزعم أن المسلمين يرونها كيمض متاع اليوت أن صانها خطر
فلا العلم أعطوها ولا شيء غيره سوى القيد والأصفاد قد شدتها الأسر
خلقت لجورها ثم جئت مدافعا لتوم أغاروا إلى النقي قد جروا
بأنك ندعوها إلى العلم والنهي وتدفع ما أتى لها الجهل والقسر
فأسميت ما تنوى من الخبث والخنأ كذا الرقص والفحشاء والحمر والسكر
هو العلم والتحرير والعدل والفضا وأما سوى هذا فليس به خير
فأعجب الاشياء أنك تفتري وتحسب أن الناس بالورور لن يدروا
فتصنع من دعواك في البهت حجة ومن رده ما تملى هو الجاهل الغر

• • •

مدحت بنى صهيون عظمت شأنهم ودا المدح والسمع طيم حتما له سر
(دسائس لا تدري اليهود بعشرها) حذاك إليها السوء والخبث والتبر
وإلا فما هذى المحاماة دونهم ونحريف آى الذكر ما ردتك الزحر
أضفت لهم كل المعارف والقوى وبحر جميعا حطنا الجهل والمقر
وجردتنا من كل علم وقوة ومن كل آيات يفحص بها العصر
وقلت جهارا دون أى تكسكم بأن ضلالا أن يستم لنا أمر
سوى أن نمسكا بأبقا حليفنا ليدفع عنا إن أريد لنا العدر
فصرحت بالعدوان والخبث ظاهرا ولكن أعمى القلب أقمته المنذر
جنت بأمر (النشر) فيما سمعت فأسرعت في تصديق من قوله هجر
فأعماك ما أسرت في البر والفضا ومن سفر شتى يروج بها البحر
فصدقت ما يروى على كل حالة وقد طار منك العقل وانتفخ السحر
وأما علوم الدين والتور والهدى جميعا فبى أديك عن سمعها وهر

• • •

ألا يا نصير الكفر وبلك فائد ولا تنطح الصفوان يدمنك الصخر

لقد ضل من أغراك بالسب والهجا كما زل من أغواك ببيت المكر
أنحسب أن الدين مهلا أسامه ستزله أقوالك الزور والفجر
أنحسب أن الدين تخفى ضياءه عماحتك الهوجا وآثارها الكدر
أنحسب أن الناس قد غاب عنهم مقاصدك السوءى وأفعالك المر
أنحسب أن الدين يدرك بالريا بلا فعل إحلاص بصاحبه السر
فما أنت في دعواك إلا مقل كاصحابك للتوكي وهم في الوري كثر
فأتم فساد الناس في كل أمة وجرثومة يضئ بها الجسم والفكر

لقد فات ما ترجو وأخفت دونه قشب على أحشائك (الغل) والحر
فدعنا من التلبس فالحق واضح وإن ظلام الليل يفضحه الفجر
وإن حذاع المرء يعرف ضمرا وكل رياء سوف يجرى له شر
ومن عجب دعواك أنك مصلح وأنتك ترجو أن يزداد لك الوفر
فأنت ما أملت بالطيش والهوى مقالة مأفون تمادى به السخر
فتدح في الأديان جهرا وترعى بأسباب مد القدح يوعى لك الدحر
(كمطعمة الأيتام من كد ورحها) وترغم في ذا الفعل أن لها أجر
لحي الله قوما صانعوك غباوة لا هواء نفس نالها الخوف والذعر
أشلك يا مأفون عشى ويتى لقد هزلت نفس يهولنها الصر
فما أنت إلا ضفدع مترنم يثق على بعد إذا به القطر
فلا تجعل العدوان للدين راحة فبعدا وصحفا عاتك العسر والخسر
فانك لن تشقى من الفيط والبلا بلى ان هذا الوحر يلبيه الوحر
فمهلا قليلا انك اليوم غافل ستقدم في الدنيا ومن بعدها القبر
ومن بعد ذا يوم غير حسابه به يعلم الانسان ما أثمر العمر
وكل بذى الايام يلقي جزاءه فليس بها هضم لحق ولا جور
اراهيم بن عبد العزيز السويج

فهرس

الجزء الثاني من (بيان الهدى من الضلال)

صفحة	
٢	الكلام على المبحث السادس : قواميس الطبيعة
٦	ارد على قوله : هـ هـ في سبب عناه هـ هـ . الجمل شواميس الحياة مانع من تقدم هـ هـ كـف يجب أن تهم قواين الطبيعة هـ
٨	رعه انه عامل انسانا فوجد معاملته فاسية . اغتباراً على أن الارراق بالافذار والاهسية لا بالاسباب والمعاملات
١٢	رعه انه سمع وسمع القراء الفئات والالوف من أمثال الحكاية الساقطة
١٧	رعه أن المسلمين يرون أن العالم في يد الله كلمة في يد صبي
٢٢	رعه أن المسلمين يرون أن العصر راجع إلى المصاء والمدور لا إلى الاسباب
٢٥	رعه أنهم يريدون أن يدركوا كل شيء بالصراعه ولدهاء
٢٨	انكاره عن من يرون للمشيئة العلي تدخلا في الوفاة وعدمها
٣١	قوله في الملائكة والشياطين كقوله في القدر
٣٣	قوله في الاحصاية بالعين
٣٧	كلام له في تأثير نظرات بعض الموهوبين ، وما يلات أخرى للهين
٤٢	رعه أن المسلمين ظنوا مئات السنين يعتقدون أنهم لن يُسْخَلَبُوا
٤٤	نهجه روى جماعات يتادون بالاحد بالاحلاق الدينية
٤٨	انكاره على حطس يدعو المسلمين إلى ادراك المعروف بدعاء الله موقين بالاجابة
٥٥	رعه أن شيئا من الصدماء ذكر أن الاعداء لا يستولون على دمشق
٥٦	نقله قول أحد القواد : اذا احترق فريقا كان الله مع أقوامهما هـ
٦١	تعظيمه أمر اليهود ونمحيه شأن المسلمين
٦٨	لادد بأحر الماسمون هـ وبماداً تقدموا من فن

صفحة	
٨٠	دعواه أن التقدم لا يلزم أن يكون قائما على الدين والتقوى
٨٢	كلامه على الآيات الواردة في اليهود
٩٩	قوله القرآن لم يقدم لنا صك الايمان من خطر اليهود
١٠٦	تمظيمه أمر اليهود
١٠٩	اجراؤه على المعام الاقدس بأنه قد وكل حليته الى عطيمة
١١٨	كلامه في النظام المروع عن الكون وأنه لا يشير
١٢٠	قوله ان الانبياء والمصلحين جاءوا بالضم والدعوة اليه ، وجوابه بأنه هير
	الذي يخرج عن الضم ان الدعوة للعوصي
١٢٤	قوله لا محابة في السن ولا وسامة ولا شعاعة
١٢٦	كلامه على آية (ولن نجد لسنة الله تبديلا)
١٣٣	كلامه على حديث « ان الشمس والقمر آيتان . . . »
١٤٠	كلامه على حديث تلقيح النحل
١٤٧	كلامه على آية (من يعمل مثقال ذرة خيرا يره)
١٥٧	ما قاله عن شراء الورق لكتنائه بواسطة وراثة النوب
١٦٨	الكلام على المبحث السابع : المعصاة والقدر
١٧٤	دعوه أن حقيقة القدر تولد عقبيه بخر الانسان ويمتنع بمحاه
١٧٥	الايمان الذاتي في أصول التربية الحديثة
١٧٧	تزية القرآن ترشد الى الاعتقاد على الله والاستعانة به
١٧٩	هل الانسان قادر على كل شيء ؟
١٨٠	جنوح الردود عليه الى كل ما كان يرمى به خصومه
١٨٤	قوله ان ساسة المتحاربين يشارون في تقوية الايمان
١٨٦	ما قاله عن ثقة الدنيا معها لما استمدت للحرب العالم
١٨٨	دعواه على المسلمين في عقسه القصاص والقدر ، وهل الانسان هو فاعل
	افعاله حقيقة
١٩٩	استهزائه بالاشعرية ، واضافته اليهم عالم يقولوا

صفحة	
٢٠٣	نسبته الى فقهاء الشافعية ما ليس من مذهبهم
٢٠٦	ادعائه على المذنب الاعتذار بالتقصير والتقصير عن كل نقيصة
٢١٧	تحريره معاني القضاء والقدر
٢٢٥	الفرق بين فعل الله ومفعوله ، وحسنه ومخوفه
٢٢٢	قول شيخ الاسلام اس تسمية في الايمان بالقدر
٢٢٤	ارادة الله نوعان : قدرية كونية ، وأمرية شرعية
٢٢٨	كلامه في كون الموجودات مقدره ، وكيف خارج عن محل نزاع
٢٤٠	كيف كان السلب يهيمون القدر
٢٤٤	استشهاده على المسلمين بشعر ابن هانئ شاعر الصيدين
٢٤٥	سلوكه في تصير القضاء ملكة في تصير القدر
٢٤٨	الكلام على المبحث الثامن : في التوكل
٢٤٩	قوله التوكل ، أحصأ سامع فيه ، كيف يجب أن يفهم
٢٥٣	ادعائه أن التوكل على الله هو الاعتماد على الأسباب
٢٥٤	تقوله على الفقهاء واستدلانه بأقوال عمهولة
٢٥٧	وجهه أنهم ذهبوا الى أن التوكل من الوكالة
٢٦١	تشبيهه بأن المسلمين لم يتعدوا مع ما نصه لهم من اعتقادات
٢٦٤	صره المائل بمنع يرق عن التعامل لا تكاليف ، وجوابه
٢٦٧	الطعن الذي يرق على اعتماده الاسلام لصحيحة في التوكل
٢٦٩	استنصاره الوثوق بالله والاستسلام له والتوكل عليه
٢٧٠	تصير التوكل على الله بالاعتقاد على الأسباب
٢٨٥	كلامه على حديث « من استرق أو استكوى يرى من التوكل ،
٢٨٨	زعمه أن الله لا يدخل في الأسباب يجعلها من شاء أسباباً ، وإن شاء غير
	أسباب ، وأن الاعتقاد بأن الله يفعل من غير أسباب هو السفه والفوضى
٢٩٢	تصير التوكل عما ينأى يدبر الله الملكة وتحكمه فيه
٢٩٦	كلامه في حديث « أن الله يلوم على العجز »

صفحة	
٣٠٢	إنكاره أن الله يفعل الخوارق والمعجزات
٣٠٧	كلامه على حديث صاحب الناقة وأطلقها وتوكلت ،
٣١٧	خلاصة هذا المبحث
٣١٩	الاعتماد على النفس دون الله ، والإعتماد على الغير دون الله
٣٢٣	الكتاب المردود عليه قام على الكبر بالله وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والتقدير
٣٢٩	رغم أن الإنسانية هي التي أوجدت الحياة ، وبنت هذا المجتمع ، وسحرت كل هذه الطبيعة بمقولها وكوامنها بلا معين أو شريك
٣٣٣	الكلام على المبحث التاسع : في الأسباب
٣٣٤	الزواج معه ليس في تأثير الأسباب بانقوة المودة فيها بقدرته الله ، بل في استقلالها بالنتائج بدون مشيئة الله وإرادته
٣٣٨	الذي يحيط بالافات وما يكون به الوفاء هو الله وحده
٣٤٠	ما نقوله على طائفة زعم أنها تنكر الأسباب
٣٤١	كلامه على حادثة أخرى جرت الأسباب من التأثير
٣٤٣	كلام النسيج الاسلام في الأسباب وقدره العبد
٣٤٤	كلام لابن القيم في مذهب المغالين في القدر من الجبرية والجهمية
٣٤٩	استشهاد المردود عليه بنيت من الخريدة ، وجوابه
٣٥٢	كلامه على آية ذي القرنين (وآتيناهم من كل شيء سماً)
٣٥٣	استدلاله بآية (ونعظمت بهم الأسباب)
٣٥٤	ما جاء عن الله ورسوله في الأسباب
٣٦٠	الايان بقدرته الله المطلقة والايان بالاسباب
٣٦١	تخلف المسببات عن أسبابها
٣٦٦	زعمه أن الايمان بقدرته الله مقيد بما طمعت عليه الاسباب
٣٧١	زعمه أن الاسباب لا تتخلف عن المسببات أبداً
٣٧٢	قوله « ولا يعلم من هذا القانون أمر حتى الموت نفسه »

صفحة	
٣٧٤	تفسيره طول الأجل باجتماع الأسباب
٣٧٧	كلامه على آية (أسألكموا يدرككم الموت)
٣٨٠	كلامه على آية (قل لو كنتم في يوتيكم إرد الله كنتم عليهم القتل إلى مضاجعهم)
٣٨٧	احتجاجة على علوه في الأسباب باعتقاد المذاهب
٣٩١	تهكمه على العامة في مصر لكتابتهم هذين بيتين على مناجرهم :
	ملك الملوك إذا وهب لا تسأل عن السب
	قائه بمطلى من يشاء وقف على حد الأدب
٣٩٧	ما كتبه الأستاذ عمر أوى في مقدمه (شواهد) وأصفا ما في كتاب (الإعلان) من العصب على الإسلام ونقد في أمه
٤٠١	الكلام على المبحث العاشر في الإحلال السلبي
٤٠٣	أماننا لا وراءنا
٤٠٨	رحمه أن الاسم لا يرجع فيه شيء إلى الوراثة ، وأنه ينتقل من النفس إلى السكان
٤١٠	كلامه في تاريخ تطور الخليفة وخلق العالم
٤١٥	تمثيله للتطور بزراعة الأرض
٤٢٦	اعتذاره عن الشيوعية والموت في مذهب التطور
٤٢٧	كلامه على لادين فلدور أربعه أدبية ، وأهل القرون المتصلة ، ورحمه أن تقديمهم "عظم الأكاكيب العلمية في التاريخ
٤٣١	تضميره من إجماع أهل الملة على هذه الحقيقة
٤٣٤	كلامه على حديث " لا يأتي رمان إلا والذي بعده ثمرة " ، وحديث " لا تسوا الدهر فإن الله هو الدهر "
٤٤١	بحته عن سب تقديم السلف على الخلف
٤٤٣	رحمه أن المسلمين يقولون " ما نجره الأرائس لن يستطيعه إلاواخير " وأن الأرائس ملغوا كل كال

- ٤٤٦ رعمه أن جميع مؤلفات المسلمين من ألف سنة نقل ومسح لا قيمة لها
- ٤٥٠ الكلام على رعمه اعتماد المسلمين بأن الأولين بلغوا الشك المطبق
- ٤٥٢ دعوته إلى تعليم الكفر بالسلف وشتت فيهم وإساءة النظر بعلمهم
- ٤٥٣ كلامه على ما سماه جهالة التقليد
- ٤٥٦ نساؤه على تشرش . ومعلبه لسقوطه بعد انقراعه انصر لقومته من لهوات
الهرطقة
- ٤٥٧ رعمه أن ما صنعه السلف وسائر الاموات من عبادة المسلمين يستحقون عليه
الرجم والتدمير والكفران الأبدي
- ٤٦٣ الكلام على خلاصة كتابه المشكلة التي لم تحل
- ٤٦٥ الدين الباطل عنده أن يؤمن الانسان بالله وبقدرته الكاملة المتصرف في هذا
العالم
- ٤٦٧ الكلام على أن النصر الالهى لرسالات الله ، وأن الله ينتقم لا بياته وأوليائه
من يقتلهم أو يؤذيهم
- ٤٧٦ قوله : لا اله الا الله ، ورعمه أن اعماد العمل والار الله المباشرة
والصرف حسب تصور المتدين بوجوب الازتيان بالاسباب . وهذه
هى مشكله التي لم تحل
- ٤٨٠ قوله اذا كانت الاسباب كاهية فأمر الله وأعماله ، وإن كانت غير كاهية فلا
يسأل عليها ويكون من يرى ذلك غير سبى
- ٤٨١ قوله ان المتدينين يقرأون تصورهم تصوراً يسمو على ما يشاهدون من
القادوسين الآخرين
- ٤٨٣ رعمه أن المتدينين - على اختلاف ديارهم وأزمانهم وأديانهم وأمرجتهم
وأجناسهم - يقرأون أن يهوا الحياة شيئاً جديداً ، وأن يكونوا فيها
مخلوقات متألدة
- ٤٩١ رعمه أن المؤمنين يرون أن الله صمى أركانهم ونعمد بحمايتهم ورعايتهم في
كل أمورهم أو جلها

- صفحة
- ٤٩٣ كلامه فيما يراه المتدين من وجوب العساة لله وحيث يجىء عاجزا في تناوله
الأمور والخصا
- ٤٩٦ كلامه على أمن المؤمن في الآخرة، ورعه أن الله يصرفه عن الأمل في الدنيا والعمل
ها، ولديث عن المدينون - مظهره - عن إيجاد الحياء وعن النجاح فيها
٤٩٧ حطاه في تطبيق هذه القاعدة لاطلة على على ومعاوية
٥٠٠ لورد على بحر من في قول معاوية لانه، أما لعل فقد أعجزه اوردع،
٥٠١ اصاح مسألة على ومعاوية، علاقتها بالدين بقوا على عثمان وهو من أولياء
الله وحيطة رسوله
٥٠٦ لو أن عبد الله صلى الله عليه وسلم على معاوية والبقاء على عثمان في جيش على كان في ذلك
نصر لهم، وعدد خلاف ما عد من سنة الله في نصر أوليائه
٥٠٩ في أن معاوية وانصبه لم يكونوا معه مسحقين للقتال، وانما كان ذلك
لقتل قتال منه، وتركه من نقصان كالأولى، ولو كان قتالا مشروعا
لاحتج على مشروعيته. وعمل كل حال فان قتلة عثمان هم أولى بأن
يعاقبهم كل مسلم
٥١١ حديث عمار، ومثلك لفته ساعة، صممه بعض الأئمة وتكلموا فيه
٥١٢ حديث، أهل بيتي كصفيه نوح، حديث باطل
٥١٣ جمع القوم، صممه على عثمان عوفوا من جيش ما عوفوا
٥١٥ قوله لما كانت أوربا متدينة كانت في أهول والعجز فلما مرت من إيمانها
ومارت عن الأمل الآخرى وحملت الصاعة والتجارة آلتها
صعدت بالخصا
٥١٨ قوله لما كانت روسيا متدينة صالحة كانت مثلا للفقير والضعف فلما مرق
هؤلاء بها وصموا لها أوربا آخرين هزت لما بها
٥٢٢ قوله، وكذلك العرب في تركيا وفي كل الأمم الحديثة والقديمة،
٥٢٣ كلامه على اليأس والصبر
٥٢٧ قوله وما أدعت أمة لا بقدر ما لديها من التاميل في هذه الحياه

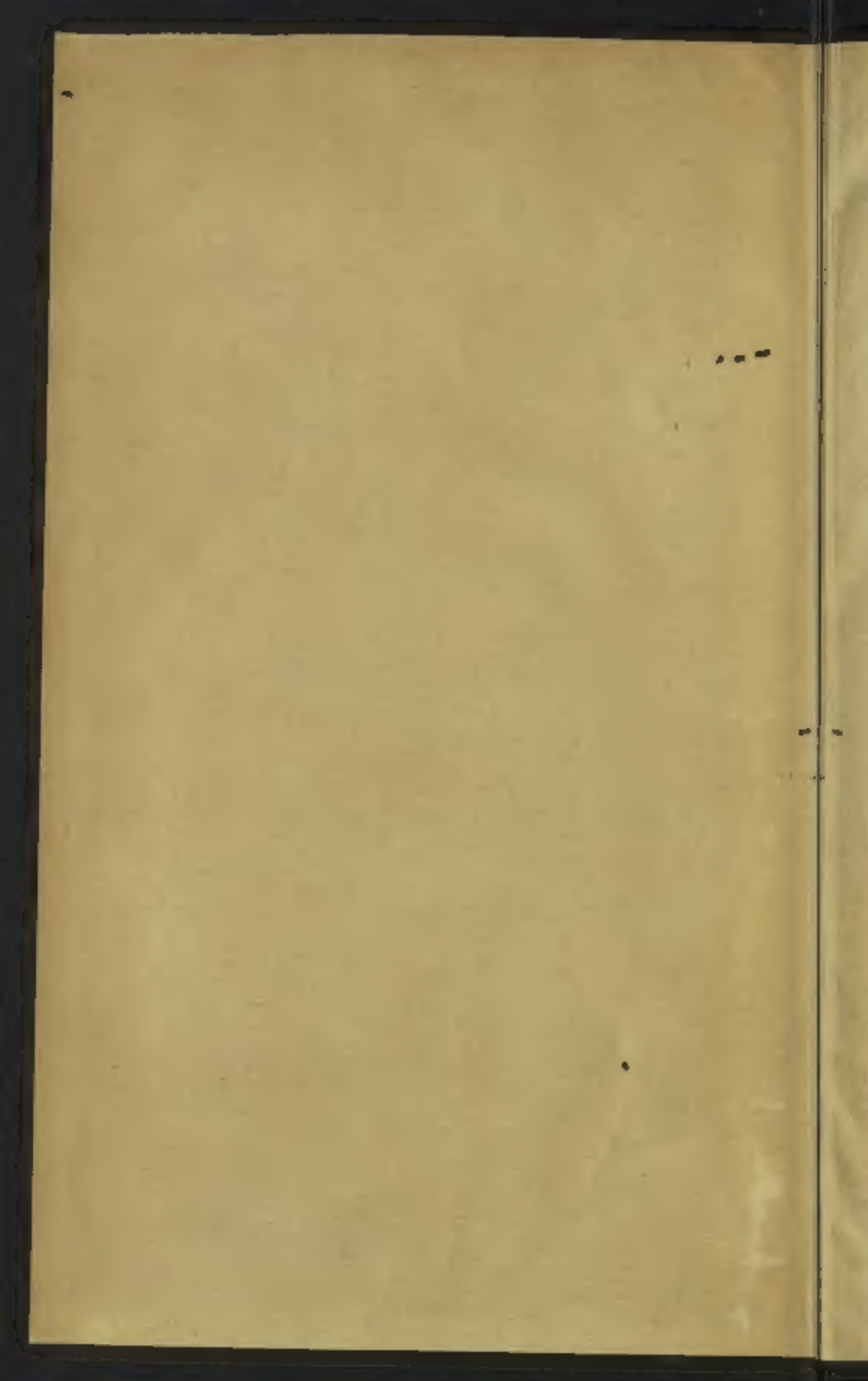
- ٥٢٨ قوله قول غوستاف لوبون ، الإيمان بالله وحده كل مكبة على البشر ، وقوله
 ، لم تستطع الحصار أن يخطو الا في عهد الوثنية ،
- ٥٢٤ قوله حتى في تاريخنا فان الدين لم يوا في الشر والفساد من وجهوا بانترد
 والانهلال الديني
- ٥٢٦ قوله ان بعض الدول الاسلامة تولى لورارة والسفارة غير المتدينين
- ٥٣٨ قوله حتى لو أردنا ان مطبع هذا الكتاب لم نجد بدا من الذهاب الى غير
 الانقياء
- ٥٣٩ قوله ان المتدينين يفقدون الميزان الفكري
- ٥٤٤ انهم يتصدون مالا يجرؤ على الماظير
- ٥٤٥ ادعائه حصوع حتى حبه المبادى اعلمه لدعاه أو مبوم في كل شيء
- ٥٤٧ رعه أن روح القدس الهى عند المتدينين علامة له مسد وجدوا وكف
 وجدوا ، واستماده شعر المعرى
- ٥٥١ نطلبه ذلك بأنهم يتكرو أن يكون بين أحداث الوجود ترابط
- ٥٥٤ اتنامه المتدينين بالصورة إذا ودروا
- ٥٥٦ تنازله هل معنى ذلك أن الله معه مقصد للنشر ؟
- ٥٥٧-٥٥٩ جوابه : كلا ، لكن اذا اخذ الدين على غير وجهه جاء مصرا ، وأن
 الشر عاجزون عن فهمه وتصوره على وجهه الدفع
- ٥٦٠ الرد عليه بأن الله قد بسر للناس فهمه لادن الصحيح النافع ، وبيان أدله ذلك
 من الكتاب والسنة ونصوص الأئمة
- ٥٦٧ زعمه أن المبادى الانسانية العظيمة تأخر سابقا لاستعدادا لجاهل من البشر
- ٥٧٠ قوله أن من نتائج ذلك هو من أقوام يجرؤون الأديان
- ٥٧٢ تقسيمه الانسانية الى ثلاث حالات أن تكون ملادين أو على دين باطل ،
 أو على دين صحيح ومتدنته هي ذلك مع المعارضة بأقواله الأخرى
- ٥٧٦ المقصود من الكتاب الردود عليه رفض الدين والدعوة الى الاتحاد
- ٥٧٨ كلامه على ما بسر المستعربين ويماصون عليه من شئون المصلين الدينية

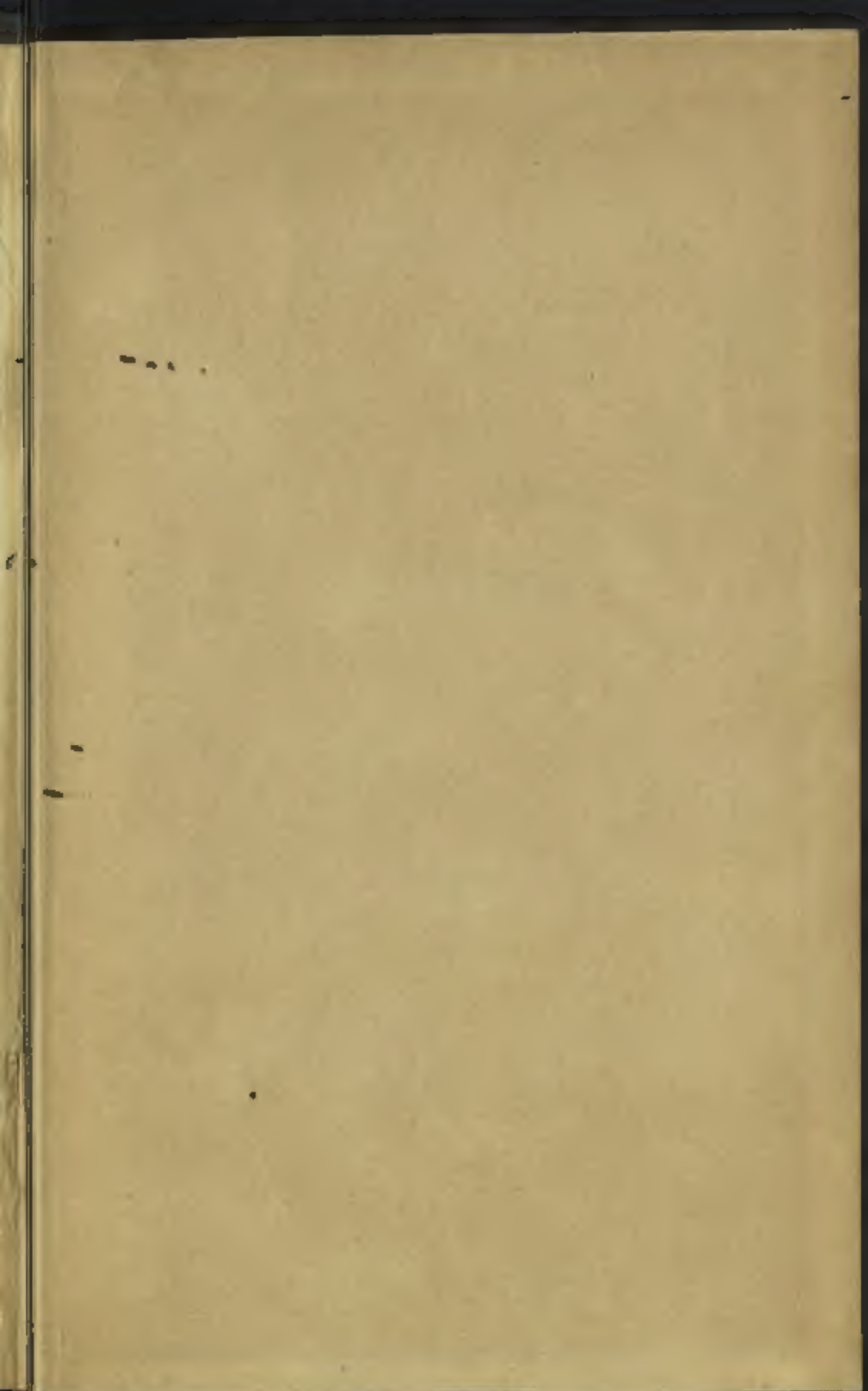
- ادعائه أن الناس على دين محرف أى باطل
- ٥٨٠ كلامه على ما يسوء المستعمرين من طوار المسلمين في رصه
- ٥٨٢ الجواب على تعريفه بملك اليمن السابق
- ٥٨٤ زعمه أن ادعاءه لدنس أقرب إلى قلوب المستعمرين من الذين يؤمنون بالإلحاد والزيغ
- ٥٨٥ حكايته عن محبون أنه تظاهر - ي رجال الدين ليسهل له المستعمر ومن السمر إلى بلاده التي تحت استعمارهم
- ٥٨٦ حكايته ما قال أنه وقع في أرمغان لم يسي من مدافعه حول أعمال التشهير المسيحي في المغرب وموقف فرقنا اللادينية منه
- ٥٨٧ عودته إلى أن الدين الذي عيب المسلمون محرف وأمر وأنه تكبه على الخرافات والأفراد
- ٥٨٨ زعمه أن البشرية عاجزة عن فهم الدين على وجهه الصحيح ومحاولة تخفيف وقع هذه الأقوال بالتجاهل من الدعاة
- ٥٩٥ قصيدته المأولف - لقد صل من أغرقت داس والنجاء

تم بحمد الله

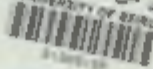
لَمُطَبَعَةِ السَّلَافِيَّةِ - وَمَكْتَبَتِهَا

٢١ شارع مصر ٥ د. زوجه (تدمره)





297.3-Su968A v.2 c.2
 السويح - ابراهيم بن عبد العزيز
 بيان الهدى من الضلال في الرد عشر من
 AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



American University of Beirut



297.3

Su968A

v.2 c.2

General Library

